سلسلة وثائق الإسلام - ٣

الوثائق السياسية والإدارية

العائدة

للعصور العباسية المتتابعة

٢٤٧-٦٥٦هـ / ٨٦١-١٢٥٨م

« دراسة ونصوص »

محمد ماهر حمادة
دكتور في علم المكتبات

مؤسسة الرسالة

الوثائق السياسية والادارية

العائدة

للعصور العباسية المتتابعة

الطبعة الثالثة

١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي و
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيو

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله الذي لا يعبد غيره في الأرض ولا في السماء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من أقلت الغبراء وأظلت السماء ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

وبعد يسرني أن أقدم إلى قرائنا الأعزاء عامة ، وإلى المهتمين بالوثائق والتاريخ الاسلامي خاصة الجزء الثالث من سلسلة وثائق الاسلام ، وهو الجزء الذي خصص لجمع ودراسة وثائق الفترة الممتدة بين سنتي ٢٤٧ و ٦٥٦ هـ في الجناح الشرقي من الخلافة الاسلامية من عهد المتوكل إلى سقوط بغداد بيد المغول ، والوثائق السياسية والادارية التي وجدت في كل من مصر وسورية في العهد الطولوني والأخشيدي والحمداني . أما بقية العهود والأقطار فسيخصص لها حيز لبحثها وذلك نظراً لأهميتها وغزارتها كوثائق الحروب الصليبية والعهود الأيوبية والمملوكية ووثائق شمالي أفريقيا والأندلس . والمؤلف يسأل الله تعالى أن يمده بسبب من عنده حتى يتمكن من إنجاز هذا المشروع الهام .

كما وأن المؤلف لا يدعي أنه جمع في كتابه جميع الوثائق العائدة لهذه الفترة ، ذلك ان اتساع الموضوع وتشعبه وامتداده الواسع عبر

الزمان والمكان ، وفقد المواد وتشتت الموجود منها وتعذر الوصول إلى كثير منها يجعل الاحاطة بها كلها متطلباً عسيراً كل العسر ، ويسر المؤلف أن يخبره الآخرون عن وثائق لم تصل إلى علمه حتى يضيفها إلى مجموعته وسيكون من الشاكرين .

كما وأن المؤلف لا يفوته في هذه المناسبة أن يقدم شكره الخالص إلى كل من ساعده في اعداد هذا البحث ، ويسأل الله جلت قدرته أن يجعل أعماله خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بعلمه وعمله وأن يجنبه المزالق والمهاوي والغرور ، وأن يتقبل منه أفضل أعماله ويتجاوز عن سيئها بمنه وكرمه . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وسلم تسليما . والله من وراء القصد .

جدة في ٢ ربيع الثاني ١٣٩٦ هـ — المؤلف
١ نيسان ١٩٧٨ م — محمد ماهر حمادة

القسم الاول

مدخل
لدراسة الوثائق السياسية والادارية
العائدة للعصور العباسية المتأخرة

سبق أن ذكرنا في دراسة سابقة (١) أن العصر العباسي يعتبر عصر الابـداع في الحضارة الاسلامية ، فيه بلغت الحضارة الاسلامية أوجها وأثمرت ثمارها اليانعة ، وشاهدت نهايته بداية انحطاطها وانحلالهـا . والواقع أن العصر العباسي عصر طويل يمتد على أكثر من خمسمائة سنة وحدثت به أحداث كثيرة جداً ومهمة جداً . ولقد قسم المؤرخون هـــذا العصر إلى أربعة أو خمسة أدوار حسب المميزات الغالبة . والمؤلف ، وإن كان يقف موقف المعـارض من تقسيم مجرى التاريـخ إلى أدوار ، إذ أن هذا التقسيم لا معنى له ولا يعكس حقيقة الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك ، إلا أنه يوافق على هـذا التقسيم الذي هو سياسي بالدرجة الأولى ولا علاقة له بالناحية الحضارية ، وذلك حسب الصفات والمميزات العامة للعصر . فقد قسم المؤرخون العصر العباسي إلى أدوار خمسة :

(١) انظر كتاب المؤلف : « الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الاول : الفصل التمهيدي » .

دور القوة ، وعصر النفوذ التركي ، وعصر بني بويه ، والعصر السلجوقي ، والعصر الأخير . ونعود فنقول إن هذا التقسيم سياسي ومن وجهة نظر سياسية محضة ولا يؤثر أدنى تأثير في سير الحضارة ، كما وانه يسهل البحث في هذا المجرى التاريخي الطويل .

هذا ولقد تناولنا بالدراسة خصائص ومميزات ووثائق العصر العباسي الأول الذي هو عصر القوة والذي يمتد بين عامي ١٣٢ – ٢٤٧ هـ وذلك في كتابنا : **الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسي الأول : دراسة ونصوص** . والآن نريد أن نعطي الملامح العامة لبقية الأعصر العباسية كما تبدو من خلال الوثائق السياسية والادارية العائدة لتلك الأعصر مع ذكر أهم تلك الوثائق .

إن هذه العصور هي امتداد لشجرة كبيرة هي شجرة الحضارة الاسلامية ، وكل ما حدث فيها من تغيرات أو نكسات لم تحرف جدول هذه الحضارة عن سيره المرسوم له ، وإنما لونتها وأعطتها مظهراً مغايراً بعض المغايرة لها في عصور سابقة أو لاحقة . هذا مع العلم أن التغيرات السياسية كانت واضحة كل الوضوح وأثرت تأثيراً قوياً في حياة الشعب وفي قوة الدولة وعظمتها أو ضعفها وانحطاطها وتجزئتها .

ولا تتحدث المصادر الاسلامية المعاصرة لتلك الأحداث على أنها شيء متميز ، وإنما أجمع المؤرخون المسلمون على اعتبار التاريخ الاسلامي وحدة ، على الرغم من التجزئة السياسية التي حلت بالبلاد الاسلامية منذ استلم العباسيون الحكم ، وعلى الرغم من تتابع السلالات وتتابع مراكز القوى وتوزعها ، وإن كان هناك ، لدى بعض المؤرخين ، تركيز على بعض النواحي المعينة أو الأماكن المعينة حسب اهتمامات المؤلف أو أصله أو ميوله . . .

مصادر الوثائق :

والواقع أن كتب التاريخ التي تغطي جميع العصور العباسية قليلة، وتغطيتها ضعيفة وهزيلة في جميع المجالات ولا سيا في حقل الوثائق . فهناك كتب تؤرخ لعصور الاســلام جميعها حــتى العصر المملوكي كالسيوطي في تاريخه : **تاريخ الخلفاء** ، وابن كثير في كتابه : **البداية والنهاية** ، والذهبي في كتابه : **العبر** ، وابن تغري بردى في كتابه : **النجوم الزاهرة** ، وأبي الفداء في كتابه : **المختصر في أخبار البشر** وابن العبري في كتابه : **تاريخ مختصر الدول** . ولكن أغلب هذه الكتب معلوماتها موجزة هزيلة لا تسمن ولا تغني من جوع ، ووثائقها نادرة كل النــدرة ، ويكتفي أغلبها ، عندما يورد وثيقة من الوثائق بإيراد مقتطفات منها .

ولكن هناك استثناءً واحداً مهماً من الحكم السابق وهو كتاب القلقشندي المسمى باسم **صبح الأعشى في صناعة الانشا** . فهــذا الكتاب العظــيم حشد فيه مؤلفه وثائق سياسية وادارية لمختلف عهود الاسلام منـــذ عهد صاحب الرسالة عليه السلام حتى عصر المؤلف أوائل القرن التاسع الهجري . وعلى الرغم من أن كتاب **صبح الأعشى** ليس كتاباً تاريخياً بحال من الأحوال ، إلا أنــه يحوي أكبر نسبة من الوثائق الاسلامية لمختلف العصور . وهو بهــذا الوصف مصدر لا يثمن لدراسة الوثائق الاسلامية وتطورها خــلال فترة طويلة من الزمن . كما وان هذه الوثائق بما فيها من معلومات تاريخية وسياسية وإدارية تعكس سير التطور التاريخي والاداري والعلاقات السياسية والمالية أفضل عكس وأوضحه . وسنعود للكلام عنه عند تحليلنا لعدد من الوثائق .

أما بالنسبة لكل عصر من هذه الأعصر أو لعصرين أو أكثر فهناك مصادر كثيرة نجمل ميزاتها فيما يلي :

ويأتي على رأس القائمة كتاب الطبري العظيم الذي مر معنا ذكره في عدد من الدراسات السابقة ، وهو ، باعتباره عراقي الهوى والاتجاه يركز كل التركيز على العراق والقسم الشرقي من الامبراطورية الاسلامية ويأتي بعدد من الوثائق الهامة جداً لذلك العهد ولا نجدها في غيره من المصادر . ولسوء الحظ يقف الطبري في تاريخه عند سنة ٣٠٢ هـ . وهو ، عملياً ، يتوقف عن إيراد وثائق بشكل غزير ومنتظم منذ التسعينات من القرن الثالث الهجري . ومعلومات الطبري جيدة صادقة متسقة ، وهو دقيق كل الدقة في إيراد نصوص العهود والرسائل وما شاكل ذلك ، مما يجعله مصدراً أساسياً لمثل هذه الدراسات .

وعلى الرغم من أن عُريباً القرطبي حاول اكمال عمل الطبري فأصدر كتابه المعروف باسم **صلة تاريخ الطبري** إلا أنه لا يوازن بكتاب الطبري دقة وتمحيصاً واهتماماً وثقة ، كما أن وثائقه هزيلة في الكم ضعيفة في النوع مما يجعله صلة باهتة لأصل جيد وهاج .

وأما بقية العهد التركي فيغطيه المؤرخون العامون كابن الأثير وابن كثير وغيرهما ، ولكن ابن مسكويه وعريباً هما أهم من غطى بقية هذا العهد ، وقسماً كبيراً من العهد البويهي بالنسبة لابن مسكويه فقط

يعتبر ابن مسكويه من المؤرخين الموثوقين في التاريخ الاسلامي ، وكتابه المسمى باسم **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** يعكس وجهة نظره في التاريخ . فالتاريخ في رأيه تجارب الأمم ، ومن واجب الحاكم العاقل أن يستفيد من تجارب الأمم السابقة . وعلى الرغم من عظمة

ابن مسكويه كمؤلف في الأخلاق وفي التاريخ ، وعلى الرغم من أنه عاش فترة من عمره في العصر البويهي واتصل بالحكام البويهيين وخدمهم وكان موظفاً ومستخدماً عند عضد الدولة البويهي وكان ذا حظوة ونفوذ لديهم ، إلا أن كتابه خالٍ تقريباً من وثائق مهمة تعود لذلك العصر . ذلك أن المفروض أن يستغل ابن مسكويه مكانته هذه ووظيفته ليثبت في كتابه هذا نصوص وثائق أكثر أهمية مما فعل ، وأكثر عدداً مما أثبت .

وهناك مؤلف ثالث له أهمية خاصة في تاريخ العراق وما وراءه في هذه الفترة وفي التي تليها حتى عهد الناصر لدين الله العباسي . وأعني به ابن الجوزي وكتابه : **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** .

وابن الجوزي مؤلف غزير كل الغزارة متنوع كل التنوع ألف في كثير من الموضوعات كالتاريخ والتراجم والحديث الشريف والتفسير والتصوف ... وكان ذا حظوة لدى الخلفاء، وألف كتابه هذا ليقص سيرة التاريخ العام من بدء الخليقة حتى عصره هو . والكتاب الموجود بين أيدينا الآن ناقص مبتور يبدأ بالجزء الخامس ، والطبعة سقيمة وغير محققة وتحوي كثيراً من الأخطاء الشنيعة مما يجعل الاعتماد عليه صعباً ، والحكم بموجبه على ابن الجوزي كمؤرخ لا يخلو من مخاطر . والذي يبدو لنا ، من مطالعاتنا لكتاب ابن الجوزي المذكور آنفاً ، أنه حاول فيه تقليد الطبري في تاريخه المذكور آنفاً وهو **كتاب تاريخ الرسل والملوك** ، أو كما يسمى أحياناً باسم **تاريخ الأمم والملوك** . وذلك واضح من العنوانين ، كما وان ابن الجوزي اتبع طريقة الحوليات في روايته التاريخية . ولكن ابن الجوزي ابتعد عن طريقة المحدثين التي اتبعها الطبري ، كما وانه خصص حيزاً

أكبر بكثير للوفيات وتراجم الاعلام مما فعل الطبري ، حتى انه يمكن القول أن كتاب ابن الجوزي كتاب تراجم أكثر منه كتاب تاريخ . كما وان الاثنين يشتركان في الدفاع عن السنة ، وخاصة ابن الجوزي الذي يدافع عن السنة ضد العلويين والشيعة . ويأخذ ابن الجوزي خاصة جانب الخلفاء العباسيين في كل صغيرة وكبيرة ويناصرهم على خصومهم من المتغلبين الأتراك والبويهيين والسلاجقة ... ويبدو ذلك حتى في الوثائق التي يثبت نصوصها في كتابه . على حين أن الطبري أوسع أفقاً وأرحب نظرة وأغزر غزراً وأكمل بحثاً بما لا يقاس من ابن الجوزي . وعلى الرغم من أن اتجاه الاثنين محلي ، إلا أن محلية الطبري لا تمنعه من أن يكون أوسع أفقاً بكثير وأدق معلومات فيما يتعلق بالمقاطعات البعيدة عن العراق .

هذا وإن قسماً وافراً من الوثائق العائدة للعهد البويهي أتتنا من القلقشندي وكتابه صبح الأعشى .

ذلك أن هذا العصر أنتج علماً من أعلام النثر العربي والفصاحة العربية هو أبو اسحاق الصابي . وقد دخل الصابي في خدمة عدد من خلفاء بني العباس كالمطيع والطائع وعدد من أمراء بني بويه كعز الدولة وعضد الدولة وغيرهما . ولذلك أتت رسائله التي كان يوجهها باسم هؤلاء الحكام لمختلف الناس وفي جميع الأغراض آية من آيات البلاغة والفصاحة اللفظية ، يوردها القلقشندي على أنها نماذج يمكن بل يجب احتذاؤها في إنشاء الوثائق التي هي رسائل وعهود وما شاكل . وإذا حللنا هذه الوثائق وجدنا أن من الممكن تلخيصها في أسطر قلائل ، ذلك انها كثيرة المترادفات طويلة الجمل ، الصنعة فيها ظاهرة كل الظهور ، تشغل التحميدات والصلوات والأوامر والنواهي ومدح

الخليفة أو الحاكم حيزاً كبيراً جداً من الوثيقة بحيث لا يبقى للمعلومات الحقيقية التي تحويها الوثيقة إلا مكان متواضع كل التواضع . وسنحلل فيما بعد إحدى هذه الوثائق كنموذج على بقية هذا النمط من الوثائق .

والواقع الملاحظ من خلال دراستنا لوثائق هذا العصر أن الوثائق تطول وتظهر فيها الصنعة وتصبح مجالاً طيباً لاظهار بلاغـة الكاتب وفصاحته وقدرته اللغوية والبيانية حينما وجـد كاتب قدير بليـغ متوليـاً لديوان الانشاء ، كما هي الحال مع أبي اسحاق الصابي المذكور آنفاً ، ومع أحمد بن الخصيب الذي كتب للمنتصر وغيره من الخلفاء ، والعلاء ابن موصلايا الذي كتب للقائم بأمر الله ، والطغرائي الذي كتب عهـد طغتكين لما ولاه السلطان السلجوقي محمد بلاد الشام . أما في ما عدا هـذه الحالات فالوثائق عادية في حجمها ، سهلة في تركيبها ، تطرق الغرض مباشرة بعد مقدمة قصيرة لا بد منها وكذلك الخاتمة .

كذلك يجب ذكر كتاب ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع الذي ألفـه تكملة لتاريخ ابن مسكويه كمصدر آخر للوثائق في العصر البويهي .

وأما العهـد السلجوقي فتغطيه أغلب المصادر المذكورة آنفاً ، وأخص بالذكر المنتظم لابن الجوزي ، والكامل لابن الأثير ، وذيـل تاريخ دمشق لابن القلانسي ، مع وجود عـدد من الوثائق في كتاب صبح الأعشى للقلقشندي ، ولكنها أقل بالعـدد من الوثائق العائدة للعهد البويهي ، كما وان مستواها الفني أقل .

وهنـاك كتاب يجب ذكره هو كتاب الجامع المختصر لابن الساعي الخازن . هذا كتاب ضخم في تاريخ العراق خاصة ولكن لم يصلنا منه إلا جزء صغير جـداً يغطي عدداً قليلاً من سنوات حكم الخليفة

الناصر . وهو يعطينا نصوص ثـلاث وثائق مهمة كل الأهمية أصدرها الخليفة الناصر . وإذا كان الكتاب – ككل – يحوي نفس النسبة وعلى نفس المستوى من الوثائق ، فإن ذلك يجعله كتاباً وثقياً من الدرجة الأولى ، ولكن عـدم وجود الكتاب يجعل من المستحيل القطع بمثل هذا الحكم .

ويؤرخ السنوات الأخيرة للخلافة العباسية مؤرخ مشهور هو مؤرخ المغول المعروف الهمذاني وذلك في كتابـــه المعروف باسم جامع التواريخ ، وهو يحوي نصوص مراسلات دارت بـين المستعصم آخر خلفاء بني العباس وبين هولاكو السفاك المشهور . وهي تكشف موقف المستعصم وموقف هولاكو ، ولا ندري إذا كانت هذه الرسائل كتبت أصلا باللغة العربية أم انها كتبت بالمغولية ، أم ، وهو الأغلب ، بالفارسية ثم نقلت إلى العربية . ونحن نعتقد انها لم تكتب أصلًا بالعربية وانمـا نقلت اليها لأن أسلوبها وروحها بعيدان عن اللغة العربية .

أما كتب الثقافة العامة فلا تقدم إلا أقل مساعدة ممكنة في حقل الوثائق اذ انها خلو أو شبه خلو منهـــا . وكم كان بودنا لو نحصل على كتاب رسائل الصابي لنوازن محتوياتها بما وصل الينا من نصوص رسائله ليكون حكمنا أدق ، ولكن ما كل مايتمنى المرء يدركه .

كذلك لا تقدم كتب التراجم العامة والخاصة الا قدراً ضئيلا جداً من الوثائق وذلك مثل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ووفيات الأعيان لابن خلكان . ولكن هنـاك استثناء وحيد في هـذا المجال هو سيرة أحمد بن طولون للبلوي ، اذ تحوي وثائق غاية في الأهمية تكشف شخصية ابن طولون وعلاقاتـه مع قضاته ومع الخلفاء ومع ابنه الثائر ضده مما يجعل له قيمة وثقية كبرى .

وأما في حقل الخراج وأموره فلا بد من ذكر كتاب **خطط المقريزي** إذ يحوي نصوص عدد من الأوامر الخلافية التي أصدرها خلفاء بني العباس المتعاقبون وذلك لجعل السنة التقويمية مطابقة للسنة الخراجية ، وهذا أمر مهم كل الأهمية في هذا الموضوع . وهو يتناغم ويتكامل مع بعض نصوص وردت في القلقشندي وكتابه **صبح الأعشى** في هذا الموضوع .

ويمكن القول ان مصادر الوثائق السياسية والادارية في الاعصر العباسية المتتالية هي كتب التاريخ الاسلامي المعروفة بالاضافة الى كتاب صبح الاعشى .

هذا ولا بد من التنويه ان أغلب الوثائق ، بل ان غالبيتها العظمى الساحقة ، مواد مكتوبة ــ عهود ، رسائل ، مراسيم ، أوامر .. الخ ــ أما الخطب فقد ولى عهدها إلى غير رجعة وليس لدينا إلا عدد ضئيل جداً من كلمات قيلت في بعض المناسبات الخاصة ، لا تسمى خطباً بحال من الأحوال ، ولا يمكن أن ترقى بشكل من الأشكال إلى مستوى أبسط الخطب في العصور السابقة .

كذلك نحب أن نؤكد هنا مرة أخرى عدم مسؤوليتنا عن هذه الوثائق ومدى صحتها ، اذ ان همنا فقط هو جمع الوثائق ، بصرف النظر عن طبيعتها أو محتوياتها وما إذا كانت منحولة أم صادقة ، أم تمثل رأياً معيناً أم فكرة معينة . أما قضية إظهار صدقها من زيفها وبيان أصالتها من تزويرها فتقع على عاتق البحاثة الذين سعينا هو تقديم المادة اللازمة لهم وجعلها في متناول أيديهم .

كما واننا هنا نقدم ونعرض الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصور

العباسية المتتابعة حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ بيد المغول ، كما نعرض الوثائق العائدة لعـــدد من الدول المتغلبة واخص بالذكر البويهيين والسلاجقـــة والغزنويين والخوارزميين والمغول في شرقي الامبراطورية الاسلامية ، والطولونيين والاخشيديين والحمدانيين في غربي الخلافة العباسية. أما بقية المناطق وبقية المتغلبين فهذه ستكون مجال أبحاث قادمة بإذن الله وان شاء الله .

واذا أردنا استعراض مميزات العصور العباسية المتتابعة كما تبـدو من الوثائق قلنا ان العصر الأول منهـا ـ وهو مايسمى بعصر النفوذ التركي ـ كان عصر صراع عنيف مرير في أوله وآخره على حين ساد أواسطه هدوء نسبي .

عصر النفوذ التركي :

فقد افتتح هذا العصر بقتل الأتراك الخليفة المتوكل . بالاتفاق مع ولده المنتصر . وهـذه أول مرة في التاريخ الاسلامي يقتل الخـدم والعبيد سيدهم ويتآمر الولد مع عبيده ضد والده الخليفة . وهذا وحده دليل على تدهور الأخلاق وتدهور الوضع في الخلافة العباسية . وقد استمر الصراع بين الخلفاء والاتراك من جهة ، وبين الخلفاء ومنافسيهم من بني العباس ، وبين الأتراك بعضهم بعضاً عشر سنوات كما في صراع المستعين ضد الأتراك وصراع بغـا ووصيف ضد صالح وكما في صراع المهتدي والمعتز . وظل الأمر على هذا الشكل العنيف حتى ظهر شخص قوي هو الموفق اخو الخليفة المعتمد الذي تمكن من السيطرة على أخيه وعلى الجيش وهدأت بذلك حدة الصراع الداخلي . ولكن الخلافـــة

تعرضت خلال هذه الفترة لثورات داخلية تمثلت في ثورة الزنج وحركات القرامطة وغيرهم ٠ كذلك تمكن ابنه المعتضد أن يضبط الأمور بشكل جيد وأعـاد للدولة شيئاً من هيبتها . واستمر الوضع بشكل مرض في عهد ابنه المكتفي ، ولكن وفاة المكتفي وخلافة المقتدر الذي كان صغير السن فتح الباب من جديد للصراعات الداخلية بين القواد والخليفة وبين بعضهم بعضاً . والواقع أن الخلافة العباسية التي امتحنت بالاتراك قد تكشفت خلال هذه الفترة الأولى من هذا الصراع عن بعض الحيوية مما أدى الى استرداد شيء من هيبتها وقوتها على يد الموفق والمعتضد ، ولكن صغر سن المقتدر وشخصيته المهلهلة أدت إلى عودة الوضع أسوأ مما كان ، فتدهور الوضع الاقتصادي وتدخل النسوة في شؤون الخلافة وتصارع الأتراك مع الخليفة ومع بعضهم بعضاً ، وعـاد الصراع على الخلافة بـين العباسيين إلى أشده حتى بلـغ الأمر ذروته بمصرع المقتدر سنة ٣٢٠ هـ ، وبموته افتتح عهد من اقبح عهود الخلافة العباسية امتـلأ بالدسائس والصراع وخلـع الخلفاء وسملهم وغير ذلك ، حتى إذا تعب المتصارعون وكلوا برز عنصر ثالث هو العنصر البويهي الذي احتل زعيمه معـز الدولة بغداد وسيطر على الأمور فيهـا وجرد الخليفة العباسي من كل سلطة له .

العصر البويهي :

ويعتبر العصر البويهي من اقبح عهود التاريخ الاسلامي وأشدها . فقد احتل البويهيون قسماً كبيراً من شرقي الخلافة العباسية بمـا فيها العراق وبغداد ، وكانوا شيعة غلاة ، ولم يلغوا الخلافة العباسية لأسباب

سياسية فأدى الأمر إلى صراع مرير جداً بين السنة والشيعة ، وكانت بغداد خاصة مسرح هذا الصراع . كما وأن جميع رجالات بـني بويه ـ باستثناء عضد الدولة ـ كانوا أشخاصاً ثانويـين ليسوا أهـــلاً للحكم وأساءوا التصرف ولم يتمكنوا من ضبط الأمور في الداخـل والخارج ففسدت أحوال الرعيــة وخرب السواد وكثر اللصوص والدعار وزالت هيبة الحكومة وتناقص عـدد السكان بشكل رهيب ، كما وأن الروم البيزنطيين اجتاحوا منطقة الثغـور الشمالية وزحفوا على سورية واحتلوا قسماً منها وهو الشمالي ، على حين احتل الفاطميون البقية الباقية منها .

والشخصية الوحيدة التي تبـــدو بارزة بين بني بويه هي شخصية عضد الدولة البويهي الذي تمكن أن يوحد قسماً مهماً من تراث بـني بويه تحت سلطته ووطـد الأمن وقضى على الفوضى وأصلح الأحوال ، ومع هذا فإن عضد الدولة كان طموحه اكثر من امكاناته ، ولا يمكن موازنته مع عظماء رجال التاريخ الاسلامي وعمالقته كالخليفة المنصور أو الخليفة الأموي الناصر أو الحاجب المنصور ، وإنما هو شخص ثان تالٍ لهؤلاء العظماء .

ولكن هذا العصر امتـــاز بالهدوء الذي ساد علاقات البويهيين بالخلفاء العباسيين ، والسبب في ذلك أن البويهيين جردوا الخلفاء من كل سلطة . ورضي الخلفاء بهذا الوضع ، ولذلك لم يعـد أحد يطمح إلى منازعة الخلفاء على هذا المنصب الأسمى . وانصرف الخلفاء أنفسهم إلى النواحي الدينية كما فعل القادر والقائم .

العصر السلجوقي :

ولقد أمد السلاجقة الإسلام بدماء جديدة وخلقوا نهضة جديدة في العالم الإسلامي كان لها آثارها الكبرى . فقد احتل زعيمهم طغرلبك بغداد وانهى حكم البويهيين في وقت أصبح سلطان البويهيين منهاراً ومن الواجب إزالتـه . كذلك نصر السلاجقة مذهب أهل السنة وأوقفوا الشيعة عند حدهم .

ولقد نظر الناس والخلفاء العباسيون إلى السلاجقة على أنهم منقذون ولذلك استقبلوهم بترحاب .

ويبدو لنا أن خلفاء بـني العباس اعتادوا على أن يكونوا بعيدين عن مسرح الأحداث ، ولذلك لم يحاول اوائلهم زمن بـــني سلجوق الاستقلال واستعادة النفوذ السياسي المسلوب . ولقـد تدفقت جيوش السلاجقـة على سورية وعلى الأناضول وأعادوا للاسلام شبابه ومجـــده وخاصة في معركة مـــلاذ كرد الشهيرة التي دارت بـين الب أرسلان ورومانوس ديوجينيس ملك الروم في شرقي الأناضول . ولقد كان لهذه المعركة نتائج بعيدة المدى إذ أنها فتحت أبواب الأناضول أمـــام أفواج الأتراك للاستيطان بها ومهدت السبيل لتتريك الأناضول وتأسيس دولة قـــوية هي سلاجقة الروم ، كما كانت من أهم الأسباب المباشرة للحملات الصليبية على سورية . كما وأن السلاجقة أعادوا سورية للخلافة العباسية وأوشكوا على القضاء على الخلافة الفاطمية . ولقد استفاد ملك شاه من كل هـذه الظروف فوطد سلطانه ونفوذه على مساحة واسعة من الأرض وحكمها حكماً صالحاً ولا سيما وقد رزقه الله وزيراً من اقدر الوزراء

الدين عرفهم التاريخ الإسلامي وهو نظام الملك الذي عمم المدارس المعروفة باسمه المدارس النظامية وحكم البلاد أفضل حكم حتى وفاته .

ولكن وفاة نظام الملك وملك شاه فتحت الباب لعهد شنيع من الفوضى والحروب والانقسام استمر زمناً طويلاً حتى تاريخ انقضاء الحكم السلجوقي ، ولم يبرز من أولاد ملك شاه من يتمكن من ضبط الأمور أضف إلى ذلك أن السلاجقة قسموا الممالك بين ابناء ملك شاه وكأنها إرث شخصي ، وكان أغلبهم صغار السن فنشب صراع مرير على السلطة وعلى الملك وعلى الأراضي . والشخص الوحيد الذي تمكن أن يثبت وجوده وأن يؤسس مملكة قوية هو سنجر بن ملك شاه الذي أسس مملكته في خراسان ، ولكن نهايته كانت مفجعة . ولقد استغل بعض الخلفاء الطموحين فرصة الصراع بين السلاجقة فحاولوا الخلاص من التبعية لهم ، كما فعل المسترشد ومن بعده الراشد ، ولكن لم يقدر لهذه المحاولات النجاح . وأخيراً زال سلطان السلاجقة عن بغداد ليظهر في آسيا الصغرى باسم دولة سلاجقة الروم . وهم الذين لعبوا دوراً هاماً جداً في الحروب الصليبية ، وتمكن الخليفة الناصر العباسي من التحرر من التبعية وحكم هو وخلفاؤه بغداد وقسماً من العراق حكماً مباشراً بدون أية سلطة من أية فئة واستمر الوضع هكذا حتى سقوط بغداد بيد المغول سنة ٦٥٦ هـ . .

حيوية الحضارة الإسلامية ووحدتها وازدهارها :

وبعد فنقول أن هذا الاضطراب السياسي والانقسام السياسي لم يؤثر في الحضارة الإسلامية . ذلك أن هذا العصر الذي حفل بالحروب والفواجع والكوارث ، والذي انقسمت فيه دار الخلافة إلى عدد كبير

جـدا من الدويلات الهزيلة ، والذي سيطر فيـه الأعاجم الجهلة ، وبعضهم كان لا يعرف كلمة واحدة من العربية . والذي حفل بالمبادىء المنحرفة عـن الإسلام كالباطنية الذين استشرى شرهم وعظم خطبهم وكانوا أشد على المسلمين من أي عدو لهم ، أقول أنـه في هذا العصر وصلت الحضارة الإسلامية إلى أوجها وذروة تطورها ، ونبغ العظماء في كل حقل وفن . ولسنا بصدد تعليل هذه الظاهرة ، ولكننا نريد أن نقول أن بذور النور الأولى غرسها الإسلام في أرض خصبة ، وسقتها الرعاية والعناية بمزيد من الاهتمام والاحتياط ، ولذلك أنبتت هـذه البذور الطيبة ثماراً يانعـة ، على الرغم من كل ما حدث من تمـزق وانقسام ، ولا ننسى كذلك ظهور مشاعل أضاءت الطريق المظلم ، واعني بذلك الحكام المتنورين امثال عضد الدولة ونظام الملك وغيرهما . كما وأن تعدد المراكز الحضارية وتنافس الحكام على اجتذاب العلمـاء والدارسين ، كل ذلك ، مـع غيره من العوامـل ، أدى إلى حدوث هـذه الظاهرة ، ظاهرة بـلوغ الحضارة الإسلامية أوجهـا في عصر الاضطراب السياسي والضعف والتمزق والفتن .

وهذا كله يقودنا إلى القـول أن حيوية الإسلام الحضارية وتوجيهه نحو النور أقوى بكثير من عوامل الهدم والتجزئة والفرقة والخصام .

بعد هذه الكلمة الموجزة والاستعراض السريع نحاول اعطاء الملامح العامة لخلفاء هذا العصر كما تبدو من خلال الوثائق .

المنتصر :

فالمنتصر الذي تآمر ضد أبيه حتى أصبح خليفة ليس من السهل

أبداً إصدار حكم عليه أو له . ذلك أن عهده قصير جداً لم تتضح فيه معالم شخصيته ولا أعماله . كما وأن كل حكم لابد وأن يتأثر بفعلته الشنعاء هذه التي تقف حائلاً دون محاولة اصدار حكم منصف عادل عليه . والذي يبدو لنا من خلال الوثائق العائدة لعهده أنه تأثر في صياغة هذه الوثائق خطى والده المتوكل ولا سيما فيما يتعلق بأخذ عهود البيعة . فقد أخذ على المبايعين أشد العهود والمواثيق التي يمكن أن تؤخذ على إنسان : من طلاق نسائه البتة ثلاثاً وعتق مماليكه وجعل أمواله صدقة للفقراء والحج إلى بيت الله الحرام مشياً ثلاثين سنة . إلى غير ذلك من الأمور المشددة . ولكن جميع هذه العهود والمواثيق أثبتت أنها لا شيء عند أقوام مردوا على التآمر والدس والثورة والسعي للحصول على المكاسب الدنيوية ، لاهمّ لهم إلا ذلك . ولذلك فقد كانت جميعها حبراً على ورق ، ومات المنتصر مسموماً كما قيل بيد الأتراك (١) .

المستعين :

أما المستعين الذي خلف المنتصر فقد كان شخصاً غير عارف بحقيقة القوى المتصارعة من حوله وغير عارف بنفسيات القواد وأهوائهم والدوافع التي تحركهم . وقد أسلم نفسه وأمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر وترك له تدبير أمور السلم والحرب ، ذلك أن قسماً من الأتراك رفضوا بيعته وعقدوا البيعة للمعتز ودارت الحرب بين الطرفين.

---

(١) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الامم والملوك . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٣٩ م جـ ٧ : ٤٠٢-٤٠٤ .

وقد أمّل المستعين ، كما يبدو ، أن يعيد محمد بن عبد الله بن طاهر دور جده طاهر بن الحسين في نصرة المأمون ضـــد الأمين ، ولكنه كان واهماً في ذلك . ويدل البيان الذي أذاعه محمد بن عبد الله بأنه لما انتصر في إحدى معاركه ضـــد حزب المعتز على رغبة عاومة في اسباغ ثوب الجهاد على حربه ضـد حزب المعتز وعلى أنه هو وخليفته صاحب الحق وأن الآخرين هم المعتـدون ، كما ويدل البيان على إظهار حزب المستعين بمظهر الجماعـــة التي تحاول منع الحرب بمختلف الوسائل وتعظ خصومها ولا تخوض حرباً إلا إذا اضطرت إلى ذلـــك [1] . كذلك تظهر لنا شخصية محمد بن عبد الله من خلال البيان ومن خلال أفعاله فيما بعد شخصية خيالية متقلبة لا تعرف ما تريد وانتهى به الأمر أن خان المستعين وبايع للمعتز .

المعتز :

وكما أخذ المنتصر على الذين بايعوه أشد العهود والمواثيق ، كذلك فعل المعتز عندما بايعه جنده وقواده وحزبه ، فقد أعطوه من أنفسهم أوثق المواثيق وأقسى العهود من عتق وطلاق وزكاة وحج وما شاكل ، ولكن ذلك كلــه لم يمنعهم أبداً من أن يخلعوه ويقتلوه ، وقد فعلوا الأولى بمنتهى البساطة وفعلوا الثانية ببساطة أكبر [2] . وإذا كان كلام الرجل دليـل عقله وتفكيره فخطاب المعتز في أنصاره يدل على أنه شخص ذو فكر جيد ومعرفــة لا بأس بها في صفات قواد الجيوش

(١) نفس المصدر ، جـ٧ : ٤٥٠-٤٥٦ .

(٢) نفس المصدر ، جـ٧ : ٤٤٠-٤٤٢ .

وما يجب أن يتحلوا به : وقد علمتُ أنه لا يصلح لقود الجيوش وسد الثغور وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم إلا رجل تكاملت فيه خصال أربع : حزم يتقى به عند موارد الأمور حقائق مصادرها ، وعلم يحجزه عن التهور والتغرير في الأشياء إلا مع إمكان فرصتها ، وشجاعة لا تفضها الملمات ... وجود يهون تبذير الأموال عند سؤالها (١) .

المهتدي :

وإذا وصلنا إلى المهتدي الذي أصبح خليفة بعد خلع المعتز وقتله ، نكون قد وصلنا إلى شخص خيالي غير واقعي خلق لغير وقته وزمانه ، ذلك أنه حاول أن يكون في بني العباس كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ، ولكنه غفل عن الظروف الموجود فيها ، وغفل عن الزمان والبشر الذين حوله ، وعجز عن إدراك أنه لا حول له ولا قوة ، بينما كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يأمر فيطاع . كذلك غفل عن نفسية أنصاره من الأتراك ، ذلك انهم مردوا على الشقاق والخصام ، ولم يعد يهمهم إلا المال ، وفقد شخصُ الخليفة في نظرهم كل قيمة واعتبار ، ولم يعودوا يحترمون إلا القوة ولا يخضعون إلا للقوة وبالقوة . كذلك لم يعد للعهود والمواثيق عندهم ذلك الوزن الذي كان لها سابقاً . ولذلك لم يلبثوا أن دخلوا مع الخليفة في صراع غير متكافىء ، وعلى الرغم من أن العامة ، وخاصة عامة بغداد ، أحبت الخليفة كل الحب ، وأبدت استعدادها لنصرته والدفاع عنه

---

(١) ابن الاثير ، ابو الحسن عز الدين علي . الكامل في التاريخ . القاهرة ، دار الطباعة المنيرية ، ١٣٥٦ هـ . ج ٧ : ١٩٦-١٩٨ .

وهددت بقتل رؤساء الأتراك إن سقطت شعرة من رأس أمير المؤمنين (١) ، وعلى الرغم من نواياه الطيبة تجاه الجميع ورغبته وسعيه لإصلاح ذات البين إلا أنه هزم في صراعه ضد الأتراك ، واضطر إلى اللجوء إلى بغداد حيث جرت حرب بينه وبين أعدائه انتهت بانهزامه وخلعه وقتله ، ولم تغن العامة وعواطفها شيئاً عنه أمام قوة الأتراك وهجومهم . ولقد حاول فريق من العامة إثارة عواطف الشعب ليهب لنصرة الخليفة ، فألقوا المناشير في المساجد طالبين من المصلين الدعاء للخليفة المظلوم الشبيه بعمر بن الخطاب أن ينصره الله على أعدائه (٢) . ولكن الله تعالى لم يستجب لدعائهم وانتهى الخليفة نهاية فاجعة ، ولله في خلقه شؤون .

المعتمد :

ولقد هدأ الصراع على الخلافة بصعود المعتمد إلى عرشها ، ذلك أن أخاه الموفق استبد بالأمور دونه وتمكن من السيطرة على أخيه وعلى الجيش والأتراك ، ولا تبدو شخصيته واضحة من خلال الوثائق لندرتها .

المعتضد :

ولقد استلم الخلافة بعد المعتمد ابن أخيه المعتضد الذي يوصف أنه خليفة قوي . والواقع أنه من أقوى خلفاء هذه الفترة إن لم يكن

---

(١) الطبري . المصدر المذكور آنفاً . جـ٧ : ٥٧٢-٥٧٣ .
(٢) نفس المصدر . جـ٧ : ٥٧١-٥٧٢ .

أقوام ، ولكنه كان يضطرم حباً لعلي بن أبي طالب وبغضاً لمعاوية ابن أبي سفيان حتى أنه قرر أن يذكر مثالب معاوية على المنابر ويدعو الناس إلى ذلك . ولقد حاول قواده ونصحاؤه ثنيه عن ذلك فلم يزدد إلا إصراراً . ولكن وزيره تمكن أن يقنعه أن اذاعة هذا المنشور من شأنه أن يقوي موقف العلويين الثائرين ضد الدولة العباسية في بلاد الديلم وجيلان والجبال وغيرها من المناطق ، فاضطر إلى الكف عن ذلك ، ولكن وصلتنا صورة ذلك البيان الذي يقال أن أول من أعده ليذيعه المأمون ثم كف عن اذاعته لنفس الأسباب التي دعت المعتضد للكف عن ذلك ، ويقال أن المعتضد أخذ صورة عن ذلك المنشور الذي أعده المأمون ولم يذعه . والملاحظ في هذا البيان استناده التام إلى القرآن الكريم والحديث الشريف لإثبات كفر أبي سفيان ومعاوية ومن أتى بعدهما من خلفاء بني أمية . ولما كان القرآن الكريم غير قابل للكذب أو الدس أو الزيادة ، لذلك فقد لجأ الخليفة إلى تأويل الآيات ليثبت أن من تعنيه هذه الآيات هي الأسرة الأموية ، كما في قوله تعالى : « والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً [1] » . ويقول منشوره : إنه لا اختلاف بين أحد انه أراد بني أمية [2] . كذلك يلجأ إلى إيراد أقوال نسبها إلى رسول الله عليه السلام يذم بها بني أمية ويلعنهم ، وهي كثيرة لا مجال لإيرادها هنا وكلها طعن في أبي سفيان ومعاوية وتكفير لهما . أما إذا وصل إلى يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم فالمجال أمامه واسع كل الاتساع

---

(١) سورة الاسراء : الآية ٦٠ .

(٢) نفس المصدر . جـ٨ : ١٨٣-١٨٩ .

لتكفيرهما ولعنهما والطعن عليهما(١) . وإن المرء ليعجب من جراءة خليفة من الخلفاء على الله ورسوله حيث يأتي بأقوال مكذوبة وأحاديث موضوعة ينسبها إلى رسول الله ليثبت دعواه .

بقية الخلفاء :

هذا ولا نجد بين الخلفاء الذين توالوا على الخلافة بعد المعتضد من المقتدر بالله إلى القادر بالله شخصية لها وزن ، فكلهم أصبحوا ألعوبة بيد الحكام العسكريين ، وأكثرهم كان مصيره القتل أو السمل أو الخلع ، وإذا وصلنا إلى بني بويه لا نجد بين خلفاء ذلك العهد من كان عنده الشخصية القوية ، وإنما تركز نشاطهم حول المسائل الدينية . ومن جهة أخرى أظهر بنو بويه احتراماً ظاهرياً لهم مبالغاً فيه كل المبالغة ، كما هو ظاهر من الخطاب الذي وجهه جلال الدولة البويهي إلى الخليفة القادر لما سمى ابنه ولياً للعهد(٢) .

أما القائم بأمر الله الذي عاصر بني بويه وآل سلجوق فيبدو لنا شخصاً عادياً لا يمتاز بشيء من دهاء كبير أو ذكاء أو طموح ، ويبدو أن هؤلاء الخلفاء تعودوا أن يروا إلى جانبهم أناساً يحمونهم ويحكمون باسمهم .

وكذلك الحال بالنسبة لخلفاء آل سلجوق باستثناء المسترشد والراشد اللذين حاولا الخلاص من وصاية آل سلجوق عليهما فأدى الأمر إلى

(١) نفس المصدر . جـ٨ : ١٨٣-١٨٩ .

(٢) ابن الجوزي ، علي بن عبد الرحمن ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم . حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٧ هـ . جـ١٠ : ١٩٣-١٩٤ .

الحرب بين الخليفة من جهة وبين السلطان السلجوقي من جهة أخرى وكانت النتيجة خسارة الخلافة العباسية ومصرع الخليفة وعودة نفوذ آل سلجوق .

ولقد استفاد الخليفة الناصر من عدد من الظروف ، بجانب طموحه واستعداده الشخصي وذكائه حتى تمكن من الخلاص من النفوذ السلجوقي وحكم بغداد وقسماً من العراق حكماً حراً مباشراً واستمر ذلك في خلفائه حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

ولقد حاول ابنه الظاهر أن يكون عادلاً وأن ينصف الرعية ويحسم مواد الفساد التي كانت سائدة بين كبار الموظفين . ويدل مرسومه الذي أصدره عقب توليه عرش الخلافة على رغبة أكيدة في الاصلاح والعدل وسياسة الرعية (١) . ولكن قصر عهده حال دون تنفيذ هذه السياسة الحكيمة .

الوزارة والوزراء :

ولقد حفل هذا العصر بالوزراء العظام الذين ساسوا البلاد أفضل سياسة ، وكانوا مصابيح تضيء وسط الغياهب ، على الرغم من وجود عدد كبير منهم سيئين فاسدين وأثرهم غير محمود . ولقد زهي عصر المقتدر خاصة بوزيرين من ألمع وزراء بني العباس ، وأعني بهما ابن الفرات وعلي بن عيسى بن الجراح الذي تقلد كل واحد منهما الوزارة عدة دفعات . ولقد كان ابن الفرات ادارياً ممتازاً ومواسياً لجراح

---

(١) ابن الاثير . المصدر المذكور آنفاً . جـ١٢ : ٤٥٦-٤٥٧ .

الدولة المالية ممتازاً على الرغم من انه لم يكن نظيف الكف واليد .

أما علي بن عيسى فعبقرية ادارية من الطراز الممتاز ، ويفضل عليٌّ ابنَ الفرات بعفته عن اموال الدولة واموال الناس وخوفه من الله ومحاولته استيفاء حقوق بيت المال بالطرق الشرعية دون ظلم او ارهاق . فقد كان يوجه رسائله الى جميع عماله وفيها هذه التعليمات : . . . وتمكّنّ في نفسك انه لا رخصة عندي ولا هوادة في حق من حقوق أمير المؤمنين أغضي عنه ، ولا درهم من ماله اسامح فيه ، ولا تقصير في شيء من امور العمل اصبر لقريب أو بعيد عليه . ولا تكون باظهار أثر جميل في ذلك أشد عناية منك بانصاف الرعية والعدل عليها ورفع صغير المؤن وكبيرها عنها . فإني أطالبك بذلك كما اطالبك بتوفير حقوق السلطان وتصحيحها. . .[1] .

كذلك وجد في العصر البويهي وزراء جيدون – من الناحية الادارية – كالمهلبي وابن بقية وغيرهما ، ولكن الملاحظ انه أصبح هناك وزيران في العصر البويهي أحدهما للخليفة والثاني للحاكم البويهي واستمر ذلك في العصر السلجوقي ، وكانوا جميعهم من المرتشين ، واغلبهم من أصل وضيع . وكما فقد الخليفة سلطته الزمنية لحساب المتغلب ، كذلك فقد وزير الخليفة سلطاته لحساب وزير المتغلب . ويعتبر مرسوم القائم بأمر الله الذي أصدره سنة ٤٧٢ ﻫ بتعيين فخر الدولة بن جهير وزيراً له نموذجاً احتذاه الآخرون في صياغة مراسيم تعيين الوزراء . فقد افتتح المرسوم بحمد الله والثناء عليه ، وثنى بالصلاة على الرسول الكريم والسلام عليه ومدحه ، ثم انتقل إلى مدح الخليفة وبيان حقه وفضله وقرابته ،

---

(١) ابن مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد ، تجارب الامم وتعاقب الهمم ، القاهرة ، شركة التمدن الصناعية ، ١٩١٤ م . ج١-٢٧ .

وبعد ذلك يذكر المرسوم ان الله تعالى أرشد الخليفة إلى اقرار الحقوق في أماكنها وذلك انه شعر بالحاجة إلى وزير ولم يجد من هو افضل من ابن جهير ليكون وزيراً ، ويطنب المرسوم في مدحه وذكر خلاله ،وانه أوحد الزمان ويلقبه بلقب تاج الوزراء ، ويذكر ان هناك كثيرين كانوا يأملون الفوز بهذا المنصب العظيم ونصبوا كثيراً من الأحابيل وعملوا كثيراً من الدسائس ، ولكن الخليفة آثره بهذا المنصب لخلاله الرفيعة(١).

ولعل نظام الملك أشهر وزير وزر في الاسلام بعد البرامكة ، وهو ، وإن لم يكن وزير خليفة إذ كان وزيراً لسلطانين من سلاطين السلاجقة هما الب ارسلان وملك شاه ، إلا انه كان واسع النفوذ جداً ، وهو الذي ساس الامبراطورية السلجوقية أفضل سياسة حتى تضايق من نفوذه ملك شاه نفسه وحتى يتهم أنه عمل على اغتياله ، لأنه ـ أي السلطان ـ لم يجرؤ على خلعه أو قتله . وكفى بهذا دليلاً على مكانته . وهو الذي أقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة وأنفق الأموال الطائلة في بناء المدارس ووقف الأوقاف عليها وجذب العلماء إلى خدمته حتى أعاد لبغداد وجهها الجميل المعروف زمن الرشيد والمأمون .

أما من أتى من الوزراء فيما بعد فلم يكن لهم شأن يذكر حتى اختتمت سلسلتهم في بغداد بمؤيد الدين بن العلقمي وزير المستعصم الذي يتهم عادة بالتواطؤ مع المغول ضد سيده الخليفة وضد الاسلام والمسلمين . ومن الطريف أن نلاحظ تقليداً كان سائداً على الأقل زمن الخليفة الناصر في ارسال الخلعة إلى الوزير الجديد . فقد أصدر الخليفة الناصر مرسوماً بتعيين ابن زيادة للوزارة ، وكان مقيماً بواسط ، فأرسل

---

(١) القلقشندي ، ابو العباس احمد . صبح الأعشى في صناعة الانشا . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩١٣ م . جـ١٠ : ٢٣٤-٢٣٧ .

الخليفة إلى ناظر واسط نص المرسوم مع رسالة يقول فيها : قد بعثنا خلعـة ودواة لابن زيادة ، فتحمل الخلعـة على رأسك ، والدواة على صدرك وتمشي راجلاً اليه وتلبسه الخلعة وتجهزه الينا وزيراً[1] .

القضاء والقضاة :

وإذا وصلنا إلى القضاء لاحظنا هذه الملاحظة : وهي ان جميـع المراسيم التي صدرت بتعيـين القضاة صادرة عن الخلفاء باستثناء مرسوم واحد اصدره أحمد بن طولون بتعيين قاضٍ نجهل اسمه للقضاء في برقة ونواحيها . وهذا يدلنا على ان قضية تعيين القضاة تركت للخلفـاء ليقوموا بها هم انفسهم ، لأن ذلك لا يؤثر على سلطة المتغلبين . ويعتبر مرسوم ابن طولون هـذا السلف الذي سارت على نهجـه جميع مراسيم الخلفاء في تعيين القضاة وبيان واجباتهم وحقوقهم ، وهو يجمل مافصلته المراسيم اللاحقة له والتي اصدرها الخلفاء اللاحقون . ولكن مرسومـه هذا تفرد بذكر راتب القاضي وراتب أعوانه وحاجبه ونفقات قراطيسه وهو مبلغ أربعين ديناراً شهرياً[2] . وهو مبلغ يبدو لنـا قليلاً حتى بمقاييس تلك الأيام .

ولعل أكمل مرسوم وأشمله وأكثره تفصيلاً وبياناً لوظائف القاضي ، وبشكل أدق قاضي القضاة وصاحب المظـالم هو المرسوم الذي أصدره المسترشد بتقليد علي بن الحسين الزينبي القضاء في بغداد وسائر الجهات .

---

(١) ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد . وفيات الاعيان... تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨م ، جـ٥-٢٩١ .

(٢) القلقشندي ، المصدر المذكور آنفاً ، جـ١١ : ٢٩-٣٢ .

فهو يذكر الأسباب التي دعت الخليفة إلى أن يعهد اليه بهـذا المنصب الرفيع والتي يمكن إجمالها في عقل رصين ودين متين وأمانة مشكورة ونزاهة محبورة . بالاضافة إلى النسب الرفيع والعلم المكتسب والسوابق المحكمة ، ثم يذكر مجال سلطته وهي مدينة السلام وسائر أمصار الدولة العباسية . وبعد ذلك تأتي الأوامر : وأولهـا تقوى الله تعالى ويطنب في وصفها وفائدتها وأهميتها بشكل خاص للقضاة ويختم كلامه عنهـا بآية من آيات الذكر الحكيم . ثم يثـني بأمره . بالخوف من الله تعـالى واستشعار خشيته التي هي الجنـة الواقية ، وكذلك يختم كلامه بآية أخرى تناسب المقـام . بعد ذلك ينتقل إلى أمره بتلاوة القرآن الكريم بشكل دائم وأهمية ذلك وفائدته للجميع وخاصة القضاة . ثم يطلب منه ويأمره بدراسـة السنة النبوية المطهرة وتمحيصها وطرح الموضوع منها والتمسك بالصحيح منها ، ويذكر له أهمية السنة المطهرة في القضاء وبالنسبة لمن يتصدى للمظالم والفصل بين الناس . كذلك يطلب إليه أن يواظب على حضور الصلوات الخمس المفروضة في أوقاتها مع الجماعات . بعد هذا يؤكـد عليه في الأمر بضرورة مجالسته للعلماء ومباحثته الفقهاء للاهتداء بآرائهم فيما يعرض له من مشاكل ، ويبين له فوائد الشورى وما يؤدي إليه تبادل الآراء . ويطلب إليه أن يحكم بين الخصوم بالعـدل ، ويكون ذلك في الأماكن الفسيحة وأن يوصل إليه جميع الخصوم وأن يساوي بينهم في لحظه ولفظه ويعاملهم معاملة واحدة . وعندما يريد الحكم عليه الرجوع إلى القرآن الكريم وإذا لم يجد به لجأ إلى السنة المطهرة ، فإن لم يجد رجع إلى ما قاله الفقهاء السابقون وما حكم به الأئمة المجتهدون ، وإن لم يجد أعمل عقله وبادر إلى اجتهاده وبذل وسعه في سبيل الوصول إلى الحق . كذلك

يطلب إليه ألا يعجل في إصدار الأحكام وأن ينتبه للخصوم وفصاحة بعضهم وعي البعض الآخر حتى لا يتأثر بفصاحة الأول وعي الثاني ، وأمره بالتفرغ لعملية القضاء تفرغاً جسمياً ونفسياً حتى لا يقع في الخطأ . وأمره كذلك أن يقيم الحدود بالبينات وأن يدرأها بالشبهات ولا يعجل أبداً في اصدار حكم لا يمكن الرجوع فيه . وطلب اليه التثبت من الشهود وأحوالهم وعدالتهم وأن يقبل شهادة من ثبتت عدالته ويرد شهادة من لا تستقيم عدالته . ولقد عهد اليه أيضاً أن ينظر في أحوال اليتامى وأموالهم وتربيتهم وزواجهم ، وأن يكل ذلك إلى من يثق بهم من الأولياء . وكذلك عهد اليه الإشراف على الأوقاف ومراعاة أحوالها ، وفوض اليه أن يعين قضاة من قبله يرتضيهم هو على البلاد والأقطار النائية وأن يراقب عملهم وأن يكونوا مسؤولين أمامه وهو مسؤول عنهم . وكذلك طلب اليه أن يوافق على احكام القضاة السابقين وألا يحاول تتبع عوراتهم أو هفواتهم إلا في حال حكم انحرافه عن الشريعة الاسلامية ظاهر . كذلك فوض اليه أمر إيجاد كاتب له فيه الصفات الجيدة الواجب توفرها في مثله ، ورغب اليه أن يتسلم ديوان القضاء وما فيه من وثائق وحجج ليضيف اليه وثائقه . وختاماً يقلده أمر الحسبة ومراقبة الأسواق والأسعار والآداب العامة وما ماثل ذلك[1] .

وبالجملة يعتبر هذا المرسوم جامعاً لواجبات القضاة في الاسلام ووظائفهم والأسس التي يجب أن يقوم عليها القضاء بين الناس مما يؤدي إلى تحقيق العدل ورفع الظلم وإيجاد القاضي الصالح الذي يأخذ على يد

---

(١) نفس المصدر ، جـ١٠ : ٢٦٤-٢٧٦ .

الظالم ويأخذ بيد المظلوم . فهو بهذه الصفة دستور للقضاء في الاسلام زمن العباسيين .

وعلى الرغم من تدهور الوضع السياسي في هذا العصر ، وعلى الرغم من فساد أخلاق وذمم عدد كبير ممن بيدهم الحل والعقـــد من وزراء وولاة وقواد وغيرهم ، إلا انه وجد قضاة وقفوا في وجه الحكام المنحرفين ورفضوا الانصياع لرغباتهم . والقاضي أبو خازم الذي وجد زمن المعتضد بالله من هذا النوع ، فقد خاطب الوزير عبيد الله بن سليمان القـــاضي أبا خـازم في بيع ضيعة ليتيم تجاور بعض ضياعه فرفض وكتب اليـه يقول : إن رأى الوزير ـ أعزه الله ـ أن يجعلني أحد رجلين : إما رجلا صين الحكم به ، أو صين الحكم عنه ، والسلام [1] .

العلويون والشيعة :

وتمتاز علاقة العباسيين بالعلويين خلال هذه الفترة بناحيتين : الأولى إيجابية والثانية سلبية .

أما الناحية الايجابية فهي تعاون العباسيين مع الطالبيين الموجودين تحت حكمهم في بغـداد وغيرها ، ذلك أن العباسيين حاولوا إرضاء الطالبيين فأوجدوا نقابة الطالبيين وعهدوا برئاستها إلى أحد العلويين وجعلوها من المناصب المهمة . وعندنا عدد من المراسيم التي أصـدرها الخلفاء يعهدون بها إلى أفراد من العلويـين برئاسة هذا المنصب الرفيع مثل الطائع لله والقادر بالله والناصر لدين الله .

---

(١) الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد . تاريخ بغداد أو مدينة السلام . القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٣١م ـ ١١ ـ ٦٢ .

وتظهر هذه المراسيم مهام وواجبات هؤلاء النقباء وما يجب أن يقوموا به من أعمال. هذا وإن استعراض أحدها: وهو المرسوم الذي أصدره الخليفة الطائع لله بتقليد الشريف أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي نقابة الطالبيين والإشراف على المساجد، يعطينا فكرة واضحة عن طبيعة هـذه الوظائف والمهام، إذ أن جميع المراسيم اللاحقة اقتفت أثره في ذلك.

فهو يفتتح مرسومه بذكر الصلة الموجودة بين الخليفة وبين نقيب الطالبيين ويذكر أنه اختاره ليخلف أباه في هـذا المنصب الهام، لأنه وجده متحلياً بالصفات الحميدة وله المواقف الجيدة في خدمـة الدولة والدعوة العباسية. والخليفة، إذ يفعل ذلك إنما يهـدف لرفعة شأنه ومكافأته ومكافأة والده واجراء الأمور في نصابها.

ثم بعد ذلك يبدأ توصياته له التي هي بيان واجبات شاغل هـذا المنصب وأولها هو تقوى الله تعالى ومراقبته بالسر والعلن ثم المواظبة على تلاوة القرآن الكريم إذ أن ذلـك يساعده في إيجاد حلول للمشكلات التي تعرض له، بجانب الفوائد الأخرى من ذلك. ومن ثم يعرض لناحية هامـة هي طلبه منه أن يضبط نفسه وأن ينزهها عن الشبهات ويحكم عقله في أموره كلها، ولا يجعل غضبه يسيطر عليه.

وهذه نصيحة جيدة حبذا لو اتبعها كل إنسان وخاصة من بيده الحل والعقد. بعد ذلك، وبعد أن فرغ من وعظه في سلوكه وأخلاقه يبين له واجباته تجاه من عهد إليه الإشراف على شؤونهم.

وأول هذه الواجبات تفقد أحوالهم وتعهد شؤونهم باستمرار وأن يثيب المحسن ليزداد إحساناً وأن يعاقب المسيء ليقلع عن إساءته. كما

يأمره أن يعطي كل ذي حق حقه من الرعـــاية والنظر والإحسان والإكرام . ويأمره أيضاً أن يسلك في عقوبة من يستحق العقوبــة طريق التدرج لأن الغاية من العقوبة الإصلاح لا الإنتقام .

ثم ينتقـل إلى موضوع مهم بالنسبة للأسرة الهاشمية وهو موضوع النسب ، ذلك أن كثيراً من الناس يحبون أن ينتسبوا إلى هذا النسب الشريف وهم ليسوا منه ، ولذلك طلب منه حياطة هذا النسب الأطهر والشرف الأفخر عن أن يدعيه الأدعياء أو يدخل فيه الدخـــلاء . وطلب منه الرجوع إلى شجرة النسب للتثبت من ذلـك . كما طلب منه أن يعاقب الأدعياء والدخلاء عقوبة تردعهم وتكون وازعـة لغيرهم عن الإقدام على ذلك . كما طلب منه أن يكون أباً حانياً وراعياً صالحاً لشؤونهم وأحوالهم المادية والاجتماعية : فقد أمره بمراعـاة متبتلي أهـله ومتهجديهم وصلحائهم حتى يسد خلتهم ويدر الموارد عليهم ، كما أمره أن يربي اليتامى وأن يعلمهم ويجعلهم يقصدون الكتاتيب ليتعلموا القرآن الكريم والفرائض ، كما أمره أن يزوج الأيامى بأكفائهن ، وبكلمة مختصرة أمره أن ينظر إليهم كما ينظر رب الأسرة إلى جميـع أفراد أسرته ويهتم بأمورهم جميعاً . كذلـــك أمره أن ينوب عن والده في نظر المظالم ورسم له طريق النظر في المظالم ، وطلب منه أن يتعاون مع الحاكم في ذلك لا أن يعمل بطريقة معاكسة له .

وطلب إليه أن يهتم بتسيير الحجاج إلى بيت الله الحرام وأن يسهل سبلهم في الذهاب والإياب وأن يوجـــد لهم المنازل وأن يوردهم المناهل .

وأمره أن يتفقد أحوال المساجد في بغداد وغيرها من البـــلاد الأخرى وأن ينظر في الاوقاف وأن يصلح أمورها ، كما سمح له أن

يثبت اسمه بعد ذكر اسم أمير المؤمنين على المساجد المستجدة والمصلحة التي يتم ذلك على يده . كذلك سمح له باتخاذ الأعوان والنواب والموظفين في بغداد وبقية الأطراف ، الذين يحتاجهم لأجل القيام بعمله خير قيام . وأخيراً أعطاه سلطة مخاطبة مدراء الشرطة في كل مكان ومكاتبتهم من أجل تنفيذ الأحكام التي يصدرها أو يصدرها موظفوه (١) .

وبالجملة فهو سجل حي لمهام نقيب الطالبيين في العصر العباسي .

كذلك تمثلت الناحية الايجابية في علاقة العلويين بالعباسيين في تعاون الطرفين في الطعن بنسب الفاطميين الذين حكموا مصر وتقدموا إلى سورية وأصبحوا خطراً يهدد العباسيين في عقر دارهم . فقد أنشىء محضر في بغداد سنة ٤٠٢ هـ في الطعن بنسب الفاطميين وأنهم ليسوا من نسل علي بن أبي طالب وإنما هم أدعياء كذبة ينسبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي أحزاب الكافرين ونطف الشياطين . وقد وقع المحضر عدد كبير من العدول من بينهم الشريف المرتضى والرضي وغيرهما من العلويين (٢) .

ولكن الناحية السلبية كانت أبرز خلال ذلك العهد . فقد حصل أول ذلك العهد تقارب بويهي فاطمي ، وذلك زمن عضد الدولة البويهي فقد خضع عضد الدولة ، في إحدى لحظات ضعفه ، لميوله الشيعية وراسل العزيز بالله الفاطمي الذي بدأه بالرسالة وإرسال الرسل ، فرد عضد الدولة التحية بأحسن منها ولقب العزيز بالله بالحضرة المحروسة ـ

(١) القلقشندي . المصدر المذكور آنفاً . حـ ١٠ : ٢٤٧-٢٥٤ .
(٢) ابن الجوزي المصدر المذكور آنفاً . حـ ٧ ـ ٢٥٥ .

حرسها الله تعالى[1] . كما وأن العزيز بالله اهتبل هذه الفرصة وأرسل رسولاً آخر ومعه رسالة يشكر بها عضد الدولة على ولائه له ومودته ومعرفته بحق إمامته مما جعل العزيز بالله يسر ويعرف أنــــه (أي عضد الدولة) لا يعدل عن الحق[2] .

ولكن يبدو أن عضد الدولة ، وهو الحاكم القوي ، أدرك خطر مثل هذه المحاورات فتوقف عنها .

كذلك تمثلت هذه الناحية السلبية في ثوران الشيعة المتكرر في بغـــداد نفسها وتحديهم الخليفة نفسه ولا سيما زمن القادر بالله الذي حدثت في عهده حادثتان مهمتان في هــذا الموضوع : الأولى هجوم المصلين في مسجد براثا في بغداد ـ وهو وكر الشيعة ومقرهم ـ على خطيب المسجد أرســله القادر هناك ليخطب الجمعة فأثارت خطبته جمهور المصلين الشيعة فقذفوه بالآجر وضربوه حتى أوشك على الموت . والثانية الأبيات التي قالها الشريف الرضي العلوي ينعي وجوده ومقامه على الذل في بغداد ، وفي مصر الخليفة العلوي الذي أبوه أبو الشريف وعرقه عرقه ، وهي الأبيات المشهورة المعروفة .

ولم يكن لدى القادر قوة يبطش بها فاضطر أن يكتب إلى جلال الدولة البويهي المتغلب على بغداد يطلب منه التدخل لوضع حـد لمثل هذه الأعمال . وتحوي هــــذه الرسالة فقرات مما كان يدعو به إمام مسجد براثا مقر غلاة الشيعة لعلي بن أبي طالب وكيف أنــه نسب

---

(١) جمال الدين ، علي بن ظافر . اخبار الدول المنقطعة . تحقيق اندريه فريه . القاهرة ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٧٢م . ص ٣٣-٣٤ .

(٢) ابن تغري بردي ، ابو المحاسن جمال الدين . النجوم الزاهرة . . . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب . جـ٤ : ١٢٤-١٢٥ .

له قوى خارقة مما اضطر الخليفة لعزله وتعيين شخص من أهل السنة ليحل محله، ولكن ذلك لم يعجب المصلين فأشاطوا دمه ولم ينقذه منهم إلا وجود أربعة من الأتراك أنقذوه . ويطلب الخليفة من جلال الدولة التدخل وحماية الخطيب ومعاقبة المسؤولين ووضع حد لمثل هذه الأمور (١) .

ووصلت إلى مسامع القادر الأبيات التي قالها الشريف الرضي في مدح الفاطميين ويذكر إقامته على الذل في أرض الهوان وما ماثل ذلك، فغضب القادر كل الغضب، وحق له الغضب، فقد كان القادر عهد إلى أبي الشريف الرضي بنقابة الطالبيين وقلد الشريف الرضي النيابة عن أبيه في النقابة وتسيير الحجيج، وهي أعلى المناصب المتروكة للخليفة العباسي . ولذلك أرسل إلى والده يعتب عليه ويذكر ما قاله ابنه ويطلب منه معاقبته .

ولعمري لقد صدق القادر عندما قال لوالده : وعساه لو كان بمصر لما يخرج عن جملة الرعية (٢) .

كذلك تمثلت هذه الناحية السلبية في سلوك القرامطة وموقفهم من الخلافة العباسية وموقف الخلافة منهم .

القرامطة وموقفهم من الخلافة العباسية :

فقد أصبح القرامطة خطراً في أواخر القرن الثالث هجري وأول الرابع وهاجموا مكة المكرمة بعد أن أسسوا لهم دويلة في هجر

---

(١) ابن الجوزي . المصدر المذكور آنفاً . حـ٨ : ٤٢-٤٣ .

(٢) نفس المصدر . حـ٧ - ٢٨٢ .

وأصبحت خطراً يهدد أطراف الدولة العباسية .

ولا ندري مدى صحة الكتاب الذي يورده الطبري في تاريخه ويذكر أن فيه تعاليمهم ، ولكن إذا صح ، وهو في الغالب صحيح ، فهذا يعني الانسلاخ التام من الاسلام عقيدة وشريعة ونصاً وروحاً . ومستوى التعاليم منخفض وتملؤه المفاهيم القرآنية ، مع تشويه لهـا وصرف لها عن أهدافها السامية لخدمة وثنية كافرة كاذبة [١] .

كذلك دارت معارك بينهم وبين جيوش الخلافة وكان النصر تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ، وتعطي هذه الرسائل تفاصيل عن سير المعارك وأسماء القواد الذين اشتركوا في قود الجيوش من الطرفين وما شاكل ذلك [٢] . ولكن المضحك في الأمر أن أتباع القرمطي يخاطبونه بأمير المؤمنين والمهدي والقائم بأمر الله وغير ذلك من الألقاب [٣] .

ولعل رسالة أبي سعيد الجنابي إلى المعتضد تمثل أصدق تصوير ترف الجيش العباسي الذاهب لمحاربة القرامطة وشظف عيش هؤلاء ويقظتهم . فقد هزم أبو سعيد جيشاً للخليفة المعتضد وأسر قائده ، ولكنه أحسن للقائد وأعاده برسالة شفوية للخليفة ينصحه بألا يعاود إرسال الجيوش لمحاربته ... فوالله لو أنفذت إلي جيشك كله ما جاز تظفر بي لأني رجل نشأت في العسف فاعتدته أنا ورجالي ولا مشقة علينا فيه ، وأنت تنفذ جيوشك من الجيوش ، والثلج والريحان ، فيجيئون من المسافة البعيدة الشاقة قد قتلهم السفر قبل قتالنا ، وإنما غرضهم أن

---

(١) الطبري . المصدر المذكور آنفاً . جـ ٨ : ١٦١-١٦٢ .

(٢) نفس المصدر . جـ ٨ : ٢٢٦-٢٢٨ .

(٣) نفس المصدر . جـ٨ : ٢٢٤ .

يبلغوا غرضاً من موافقتنا ساعة ثم يهربون ، وإن هم هزموني بعدت عشرين فرسخاً أو ثلاثين وجلت في الصحراء شهراً أو شهرين ثم كبستهم على غرة فقتلتهم[1] .

الشؤون الادارية :

تضم الشؤون الادارية عدداً من الوثائق في موضوعات متفرقة، بعضها يتعلق بالاضطرابات التي أثارها الحنابلة في بغداد ضد خصومهم ، وبعضها اقطاع لبعض العمال ، وبعضها محاولات بذلها بعض الخلفاء لتسكين ثائر قواد الجيش ، وبعضها مراسيم للتدريس في نظامية بغداد ولتنظيم الفتوة وغيرها .

فقد أثار الحنابلة المشاكل في بغداد وأصبحوا قوة حتى اضطر الخليفة الراضي بالله أن يصدر منشوراً يندد بهم وبأعمالهم[2] .

وإن المرء ليعجب للدرك الذي انحدر إليه خليفة كالمقتدر في مخاطبة خادمه والمسيطر على الجيش مؤنس الخادم ، وذلك لما ثار الجيش بقيادته ووجه قواده رسالة للخليفة يعددون مآخذهم ويذكرون طلباتهم «وأما أنت يا أبا الحسن المظفر لا خلوت منك فشيخي وكبيري ومن لا أزول ولا أحول عن الميل إليه والتوفر عليه والتحقق به والإيجاب له ، اعترض بيننا هذا الحادث أم لم يعترض ، وانتقض الأمر الذي يجمعنا أم لم ينتقض»[3] . وإذا وازنا هذا الكلام وهذا السلوك بسلوك

---

(١) ابن الجوزي . المصدر المذكور آنفاً . حـ٥ ــ ١٣٤ .

(٢) ابن الاثير . المصدر المذكور آنفاً . حـ٨ : ٣٠٨-٣٠٩ .

(٣) ابن مسكويه . المصدر المذكور آنفاً . حـ١ : ١٨٩-١٩٢ .

خليفة كالمنصور تجاه أبي مسلم الخراساني، أو الرشيد تجاه البرامكة أمكننا أن نتصور الهوة السحيقة التي انحدر إليها خلفاء بني العباس في أوائل القرن الرابع هجري .

كذلك يعجب المرء من صبر وحلم خليفة كالناصر على أحد مماليكه وهو طغرل الذي أقطعه البصرة ، فقد طالبه الديوان العزيز ببعض المال ، ولكن طغرل عوضاً عن أن يمتثل للأمر قرر الفرار وترك البصرة واللجوء إلى أحد الأماكن وبلغ الخبر الوزير فأرسل له رسالة هي مزيج من عطف وحب ، وإثارة للنزعات الطيبة في نفسه وتذكير له بالأيادي السالفة وما ينتظره من تشريد ان هو نفذ عزمه ، وكان لذلك أثره في ثني طغرل عن عزمه وبقائه في مركزه وعفو الخليفة عنه (١) .

هذا وإن مرسوم الخليفة الناصر باسناد التدريس في المدرسة النظامية في بغداد والنظر في أوقافها للقاضي محي الدين محمد بن فضلان دليل على أهمية هذا المنصب الجليل حتى أن الخليفة نفسه أصدر مرسوماً بذلك . كذلك يحوي المرسوم ذاته بعض التوجيهات التربوية التي تحمل نفحة من نفحات توجيه الاسلام الاصيل للمربين نحو النور . فبعد المقدمات التي لا بد منها وبعد مدح القاضي ابن فضلان وكيف أن الخليفة ندبه لهذا المنصب الجليل لكفايته وعلمه واستقامته ودينه ، وبعد أن يوصيه بتقوى الله تعالى يقول :

... وأن يشرح صدره للمتعلمين ولا تأخذه ضجرة من المستفيدين ، ولا تعدو عيناه عن جهلاء الطالبين ، ولا يتبرم بالمبالغة في تفهيم المبتدى،

(١) القلقشندي ، المصدر المذكور آنفاً ، حـ٨ : ٢٦٩-٢٧٤ .

ولا يغفل عن تذكير المنتهي ... وليكن بسائر المتفقهة معتنياً رفيقاً، وعليهم حدباً شفيقاً، يفرّع لهم من الفقه ماوضح وتسهل، ويمين لهم ماالتبس من غوامضه وأشكل ...[1]

ولقد كان الناصر مهتماً كل الاهتمام بالفتوة وأخذها تحت كنفه. وصدف أن حدث اضطراب بين الفتيان فغضب وقرر تنظيمها وأصدر مرسوماً يحدد واجباتها ويذكر حقوق الفتيان وواجباتهم وينسب الفتوة إلى علي بن أبي طالب[2].

شؤون الخراج والضرائب :

وإذا وصلنا الى شؤون الخراج والضرائب لاحظنا اهتماماً متزايداً بقضية أساسية هي الفرق بين السنة الهجرية وإدراك الغلات، فمن المعلوم ان الغلات الزراعية تدرك وتجنى في وقت واحد ثابت من كل سنة شمسية على حين ان السنة القمرية أقصر من الشمسية بحوالي أحد عشر يوماً. ومع توالي الايام والسنين أصبح الفرق واضحاً جداً وأصبح موعد أخذ أموال الخراج والعشور في غير وقت إدراك الغلات مما أدى إلى مشاكل كثيرة وإلى شكوى دافعي الضرائب. ولذلك أصدر المعتضد مرسوماً ينص على ألا يفتتح الخراج في كل عام إلا في شهر حزيران. كذلك أصدر بعده بحوالي ثمانين سنة المطيع لله مرسوماً آخر من أجل نفس الغاية يمتاز بالوضوح والاطلاع على تقاويم الفرس

---

(١) نفس المصدر . حـ ١٠ : ٢٩٢-٢٩٣ .

(٢) ابن الساعي الخازن ، ابو طالب علي بن انجب . الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير . تحقيق مصطفى جواد . بغداد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ، ١٩٣٤م ، ص ٢٢٣-٢٢٦ .

والروم والعرب وغيرهم ويصحح الأوضاع بشكل جيد كل الجودة .

والذي يلاحظ في هذا الباب هو نكول عدد من الناس عن تسديد ماعليهم من خراج ولجوء بعض العمال إلى حبسهم ، حتى ان بعض هؤلاء العمال أرسلوا إلى رؤسائهم يستأذنونهم ببسط العذاب على هؤلاء المكلفين كما فعل عامل خراج بادرويا حين أرسل إلى الوزير علي بن عيسى يستأذنه في بسط يده في عقوبتهم : ومتى لم تطلق اليد في تقويمهم واستخراج منهم ، كسروه وتأسى بهم أهل السواد فبطل الارتفاع..(١) ولكن الوزير الصالح رفض ذلك وأرسل إلى العامل يقول : الخراج ـ عافاك الله ـ دين ، وليس يجب فيه غير الملازمة فلا تتعد في ذلك إلى غيره ، والسلام (٢) .

ومن الوثائق الطريفة في هذا الباب ماسجله أحد كتاب الدواوين عن واردات الدولة العباسية ـ أو بشكل أدق ـ واردات خزينة الخليفة الخاصة ، وهو مايطلق عليه اسم بيت مال الخاصة ، وذلك زمن المقتدر بالله الذي امتد حكمه حوالي خمس وعشرين سنة من سنة مائتين وخمس وتسعين الى ثلاثمائة وعشرين . والغاية من الوثيقة هي بيان تبذير المقتدر المتناهي ، ولكنها مهمة لنا كل الأهمية لأنها ترينا مقدار ثروة الدولة العباسية في ذلك الوقت المضطرب والذي حفل بالثورات والحروب ، وفي وقت انفصلت فيه أغلب الاقطار عن جسم الخلافة ولم يعد للحكومة المركزية سلطة فعلية الا على شقة ضيقة من الأرض بالنسبة للسابق . وتذكر الوثيقة انه في مدي خمس وعشرين سنة دخل خزانة المقتدر الخاصة مبلغ مقداره تسعة وثمانون ألف ألف

---

(١) ابن مسكويه . المصدر المذكور آنفا . حـ ١ـ٣١ .

(٢) نفس المصدر .

دينار ، أنفق منها بطريقة قانونية ولحاجات ضرورية حوالي بضعة عشر ألف ألف دينار ، فيكون المتبقى نيفاً وسبعين ألف ألف دينـــار كلها اتلفت (١) .

الثورات والثوار :

ولقد حفل هذا العصر بالثوار والثورات من كل جنس ومذهب : فهناك ثورات العلويين وحركات القرامطة وهناك تصارع المتغلبين على السلطة كالبريدي وابن رائق ، وهنـــاك ثورة الزنج التي كلفت الدولة الملايين وملك بها مئات الألوف ، وهناك وهناك . والملاحظ في بعض هذه الوثائق أنها رسائل بلاغية من الدرجـــة الأولى دبجت وأصدرها الخليفة من أجل تأمين جماعــة من العرب الثائرين ، أو لانتصار المتغلب على الخليفة على شرذمـــة من الثائرين كما فعل الطائع لله عندما وجه رسالته إلى صمصام الدولة يمدحـه لأنه تغلب على أحد الثوار التافهين . وهكذا انحدرت الدولة العباسية ووصلت إلى هذا الدرك .

وإن ثورة البساسيري ضد الخلافة العباسية هي أخطر هذه الثورات وأجدرها بالبحث ، ذلك أنها هدفت لإلغاء الخلافـة العباسية وإحلال غيرها محلها . وقد قام بها أحد قواد الأتراك الداخلين في خدمة أواخر البويهيين في بغداد واسمه أبو الحارث البساسيري . ذلك أن هذا القائد الطموح استغل فرصة إنشغال طغرلبك السلجوقي الذي احتل بغـــداد وأنهى الحـــكم البويهي فيها بثورة أخيه ابراهيم اينال في خراسان

(١) نفس المصدر . جـ ١ : ٢٣٨-٢٤١ .

واضطراره لترك بغداد والتوجه بجيشه إلى خراسان لمحاربة أخيه ، فتحالف مع أمير بدوي من بني عقيل هو قريش واحتلا بغداد وأعلنا خلع الخليفة القائم وإلغاء الخلافة العباسية وخطبا في بغداد نفسها مدة سنة كاملة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله . ولقد كان من الممكن أن يتغير سير الحوادث لو أن خليفة مصر تمكن أن يقوم بعمل من الأعمال لمساعدة الثائرين ، وعلى الرغم من أنهما أرسلا إليه رسلاً يبلغانه ما حدث ويطلبان منه المعونة والنجدة ، إلا أنه أعارهما أذناً صماء ولم يلب طلبهما ، وذلك واضح من خطاب قريش الذي وجهه إلى البساسيري لما سمع أن طغرلبك ، بعد أن فرغ من أمر أخيه ، قد توجه بجيشه من جديد إلى العراق لمحاربتهما وإعادة الخليفة القائم إلى مقره ودار خلافته : قد دعوت إلى سلطان على ستمائة فرسخ فخدمناه وفعلنا ما لم يكن يظنه ، ومضى لنا ستة أشهر من فتحنا العراق ما عرفنا منه خيراً ولا كتب إلينا حرفاً ولا فكر فينا ، وقد عادت رسلنا بعد سنة وكسر صفراً من شكر وكتاب فضلاً عن مال ورجال. ومتى تجدد خطب فما يشقى بـه غيري وغيرك . والصواب المهادنة والمسالمة ورد الخليفة إلى أمره والدخول تحت طاعته وأن يستكتب أمنه[1] .

ولقد اضطر الخليفة العباسي ، الذي فقد الحامي والنصير والذي وجد نفسه في وضع حرج كل الحرج ، أن يجد ملجأً لدى أمير بدوي آخر هو مهارش ابن عم قريش الذي أذمه وأمنه حتى رجع طغرلبك وقتل البساسيري وأعاد الخليفة إلى عرش خلافته ويدل الخطاب

(١) ابن الجوزي المصدر المذكور آنفاً ، حـ ٨ - ٢٠٢ .

الذي وجهه الخليفة القائم إلى مسعود الغزنوي بمناسبة عودته للخلافة وانتهاء محنته على مدى الأهمية التي أعطاها الخليفة لهذا الحادث، وكيف أن العناية الإلهية أسبغت عليه هذا النصر المؤزر، وكيف أن العناية الربانية هيأت له طغرلبك الذي حطم الكفرة المارقين وأباد جمعهم وأعاد للاسلام بهجته ونضارته وجدد للخلافة بهجتها ورونقها.
والكتاب كله مدح لشاهنشاه طغرلبك وطعن في البساسيري وأنصاره وتصوير الأمر أنه معركة بين الكفر والإيمان والإسلام والإلحاد (١).

أهل الذمة :

ولقد عاش أهل الذمة تحت كنف الحكومات الاسلامية المتعاقبة عيشة تسامح وحرية، حتى أن أحوالهم كانت أفضل من أحوال عامة الرعية المسلمة الذين كانوا عرضة للسلب والنهب والاضطهاد وفرض الضرائب الثقيلة. والشيء الوحيد الذي كان يضايق أهل الذمة هو إلزامهم لبس لباس معين يميزهم عن المسلمين. وان ورود مثل هذه المراسيم، بين الفينة والفينة، دليل في ذاته على أن أهل الذمة لم يكونوا يتقيدون بتطبيقه، فكان الأمر يحتاج إلى صدور مراسيم على مراحل متتابعة تلزمهم فعل ذلك، كما فعل القائم بأمر الله فأصدر مرسومه سنة ٤٢٩ هـ بإلزامهم اللباس المميز لهم (٢). كذلك كان الخلفاء يصدرون مراسيم ينصون بها على تنصيب رئيس أعلى للمسيحيين في ديار الاسلام، ورئيس لليهود أيضاً. ولا يعتبر تنصيب الرئيس

---

(١) القلقشندي، المصدر المذكور آنفاً، جـ ٦ : ٤٠٤-٤٠٩.
(٢) ابن الجوزي، المصدر المذكور آنفاً، جـ ٨ : ٩٦-٩٧.

الروحي للمسيحيين أو اليهود شرعياً أو نافذاً إلا إذا كان صادراً عن الخليفة . فقد أصـــدر الخليفة القائم بأمر الله أمراً بتقليد عبد يشوع الفطرك جاثليقاً . ولقد افتتح المرسوم بحمد الله تعالى ومدح الاســلام والصـــلاة على النبي عليه السلام ، ثم تطرق إلى ذكر الخليفة ومدحه ومدح نسبه وأفضاله ، ثم يذكر أن واجب أمير المؤمنين النظر والرعاية إلى جميع رعاياه بصرف النظر عن أديانهم ، وبعد ذلك يعدد فضائل عبد يشوع الـتي أهلته ليكون فطركاً لطائفته ، وأوجب على جميـع النصارى طاعته وعدم معارضته ، وألا يسمح لإنسان أن يحتل مكانه ، ثم بعد ذلك يذكر وظائفه ومهامه وواجباته وحقوقه ، ويطلب إليه أخيراً أن يحتفظ بكتاب الخليفة هـذا حجة ومستنداً شرعياً يرجـع إليه إذا اقتضت الضرورة ذلك [١] .

وقد تضمن نفس المبادىء التي تضمنها المرسوم السابق ، في بيان حقوق وواجبـات رئيس اليهود في الامبراطورية العباسية ، المرسوم الذي أصدره الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٠٥ هـ وولي بموجبه دانيال ابن العازر بن هبة الله رئاسة اليهود [٢] . وهـــذا وحده دليل على الحرية الدينية التي منحت لأتباع الأديان الأخرى ، ودليل على أن هؤلاء الأتباع ورؤساءهم الروحيين كانوا ينظرون إلى الخلفاء العباسيين على أنهم المصدر الرسمي والشرعي لاستلامهم مناصبهم وتوليهم مهامهم .

---

(١) القلقشندي . المصدر المذكور آنفاً . جـ ١٠ : ٢٩٤-٢٩٩ .

(٢) ابن الساعي . المصدر المذكور آنفاً . ص ٢٦٦-٢٦٩ .

العلاقات الخارجية :

نجد ، في حقل العلاقات الخارجية ، أن هذه العلاقات ، تمركزت ، أكثر ما تكون المركزية ، مع دولة الروم البيزنطيين ، وأن هـــذه العلاقات كانت على نوعين : علاقات سلمية وعلاقات حربية .

أما العلاقات السلمية فقد شملت التراسل والتباحث وتبادل الرسل من أجل تبادل الأسرى الذي يسميه المؤرخون المسلمون الفداء ، كذلك التباحث والتراسل من أجل طلب الهدنــة من الطرفين . وهناك رسالة مهمة وجهها ملك الروم إلى الأخشيد المتغلب على مصر ، وليس لهـا هدف محدد إلا التباهي من جهة ، وطلب السماح لملك الروم بتصريف بضائع أرسلها إلى مصر مع رسله وشراء ما يناسب من عروض مصر لأخذها إلى القسطنطينية ، وجس النبض ما إذا كان الأخشيد يوافق على تبادل الأسرى . وقد عرفنا ذلك من جواب الأخشيد الملك .

وأما الناحية الحربية فقد تأرجحت بين مـــد وجزر ، فقد بدأ المسلمون في أوائل هـــذا العهد يفقدون تفوقهم الحربي أمام الروم ، وبدأوا يفقدون عدداً من ثغور الجزيرة والشام . وكان الحكم البويهي كارثة في هذا المجال واستشرى خطر الروم ووصــل ذروته في حملات نقفور فوكاس وتزيمسكيس وباسيل الثاني الذين تمكنوا من احتلال أقسام من بلاد الشام الشمالية وجزيرة كريت ، وأجبروا عـــدداً من دويلات الشام على دفع الجزية لهم . ولكن هذا الوضع تغير مع قدوم السلاجقة الذين أمدوا الاســلام بدماء جديدة ، وهم الذين أوقفوا المد البيزنطي أولاً ، ثم بعــد هنيهة بدأوا عملية الزحف نحو الأناضول والاستيطان وذلــك إثر معركة ملاذكرد التي كانت مصيرية فيما يتعلق بمستقبل

الأناضول ومستقبل علاقات بيزنطة بالإسلام . وعلى الرغم من أن البيزنطيين استردوا قواهم فيما بعد ، أو بالأحرى ، قسماً من قواهم ، وانتعشوا وحاولوا التدخل من جديد في شؤون العالم الاسلامي ، ولا سيما زمن الحروب الصليبية ، إلا أنهم لم يستردوا قط كامل قواهم وأهميتهم السابقة ، وظل هذا الوضع حتى سقوط القسطنطينية بيد محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ م .

هذا وأن الفداء قديم بين المسلمين والروم بدأ منذ العصر العباسي الأول واستمر خلال هذا العهد . وعندنا رسالة موجهة من عامل طرسوس إلى الخليفة المعتضد يذكر فيها كيفية إجراء الفداء وذلك سنة ٢٨٣ هـ . ويذكر اسم المتولي له من قبل المسلمين واسم المتولي له من قبل الروم وكيف أن الروم يحجزون عندهم المتولي المسلم ويحجز المسلمون المتولي الرومي ، ويطلق هذان معاً عند انتهاء عملية تبادل الأسرى (١) .

كذلك كان بعض ملوك الروم يسيء معاملة الأسرى المسلمين ويعذبهم في محاولة منه لإرغامهم على التنصر ، وقد حدث ذلك زمن المقتدر ، وأرسل عامل الثغر إلى علي بن عيسى الوزير يخبره بذلك فطلب الوزير من بطريرك انطاكية وجاثليق القدس التوسط لدى القسطنطينية لكف الأذى عن الأسارى . وقد استجاب الأسقفان لطلب الوزير وأرسلا إلى حكام القسطنطينية يطلبان منهم كف الأذى عن الأسرى وإلا لعناهم وحرماهم (٢) .

ويبدو الأخشيد ، في رسالته الجوابية لملك الروم ، شخصاً ذكياً كل الذكاء وسياسياً بارعاً ومساجلا من الطراز الأول لملك الروم .

---

(١) الطبري . المصدر المذكور آنفاً . حـ ٨ - ١٧٦ .
(٢) ابن الجوزي . المصدر المذكور آنفاً . حـ٦ - ٣٠٣ .

وعلى الرغم من أننا لا نملك إلا نص رسـالة الأخشيد ، إلا أنها كافية لبيان مضمون رســالة ملك الروم الذي أرسلها مع رسولين هما نقولا واسحاق . ذلـك أن الأخشيد يرد على كل فقرة من فقرات رسالة ملك الروم .

ولقد افتتح ملك الروم رسالته للأخشيد بذكر فضيلة الرحمة وانه بلغه أن الأخشيد رحيم وانه حاكم عادل ، وانه ليس من عادة ملك الروم أن يراسل أحـد أتباع الخلفاء ، إلا أنه فعل ذلك الآن حباً في الأخشيد وتواضعاً ورغبة منه في إقامة علاقـات جوار طيبة وفي تبادل الاسرى وازدهار التجارة وما شاكل ذلك .

ولقـــد رد الاخشيد بتوسع على رسالة ملك الروم فقرة فقرة ، وأظهر له أنه ـ أي الامبراطور ـ هو الرابح باتصاله بالاخشيد وبدئه في مراسلته ، لأن الأسير المسلم لا ينتظر إلا إحـدى الحسنيين ، أما الأسير الرومي فأمره مختلف . كذلك يثبت له بالدليل القاطع أن ملوك الروم السابقين كاتبوا وراسلوا حكاماً مسلمين أقـل منزلة من الاخشيد مثل خمارويه بن أحمد بن طولون ومثل تكين . ثم يذكر له أن الممالك التي يتقلدها الاخشيد نيابة عن أمير المؤمنين ويحكمها باسمه أعظم وأهم وأوسع بما لا يقاس من مملكة الروم .

وألطف ناحية في هذه الرسالة العظيمة هو رد الاخشيد على فخر ملك الروم أن ملكه باقٍ على الدهر موهوب لهم من الله خاصـة ، فقـد قال له : إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، وإن الملك كلـــه لله يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء . وان الله تعـالى نسخ ملك الملوك وجبروت المتجبرين بنبوة محمد عليه السلام ، وشفع نبوته بالإمامة وحازها للعترة الطاهرة

من العنصر الذي منه أمير المؤمنين _ أطال الله بقاءه _ ... وجعلها خالدة فيهم يتوارثها كابر عن كابر[1] .

ثم يوافق على اقتراح ملك الروم بتبادل الاسرى ، ويشكره على حسن ظنه وما يستشعره نحوه من المحبة والمودة ويؤكد له أنه يجد عنده المزيد من المحبة والمودة ، ويعده بتسهيل المتاجر والحصول على البضائع من مصر ما دام ذلك لا يحظره دين ولا تمنعه سياسة .

وبالجملة فرسالة الاخشيد الجوابية مثل طيب على الدبلوماسية الإسلامية الذكية النيرة تجاه الروم بخاصة .

كذلك تمثلت الناحية السلمية في علاقات المسلمين بالروم في قضية سكليروس ولجوئه إلى البلاد الاسلامية .

ذلك أن سكليروس الذي يسميه المؤرخون المسلمون باسم وردس سقلاروس هُزم أمام منافسه في الحصول على عرش بيزنطة وهرب واضطر إلى اللجوء إلى البلاد الاسلامية . وكان الخليفة آنذاك الطائع لله ، ولكن لم يكن له حول ولا طول وإنما السلطات كلها بيد المتغلبين على الخلافة من آل بويه .

ولقد حاول هؤلاء المتغلبون اللعب بورقة سكليروس هذا ظناً منهم أنها ورقة رابحة ، وساوموا عليه وساوموا معه ، ولكن لم يحصل كبير فائدة من هذا الموضوع ، فهم لم يكونوا في وضع يمكنهم من مساعدته عسكرياً حتى يستطيعوا مطالبته بما تم الاتفاق عليه . وهو نفسه كان عاجزاً عن الرجوع إلى عرش بيزنطة بقواته الذاتية ، ولذلك ظل الاتفاق الذي عقد بينه وبين صمصام الدولة البويهي والذي بموجبه يعد

---

(١) القلقشندي . المصدر المذكور آنفاً . جـ ٧ : ١٠-١٨ .

سكليروس أن يصير حليفاً للعباسيين يوالي من يوالون ويعادي من يعادون ، ويعد أن يسلمهم سبعة حصون شهيرة على الحدود بين البلاد الاسلامية وبيزنطة ، وغير ذلك من الوعود ، أقول ظلت هذه الوعود حبراً على ورق لأن سكليروس عجز عن الحصول على العرش وعجز البويهيون عن مساعدته وانتهى الاتفاق إلى لا شيء(١) .

أما العلاقات الحربية فقد مرت في ثلاثة أدوار : الدور الأول ويمكن أن نسميه دور التوازن ، وذلك عندما كان المسلمون يهاجمون الروم والروم يهاجمون المسلمين ويتناوبون احتلال مدن وحصون الثغور .

وأما الدور الثاني فهو دور التفوق البيزنطي الذي تم على أيدي ثلاثة أباطرة هم نقفور فوكاس ، ويوحنا تزيمسكيس وباسيل الثاني .

ولدينا من العهد الأول رسالة وجهها المنتصر إلى محمد بن عبد الله ابن طاهر تتعلق بإرسال جيش لغزو الروم بقيادة وصيف . والكتاب عبارة عن دعوة إلى الجهاد في سبيل الله واستنفار للناس للقيام بهذا الواجب المقدس ضد العدو الذي وطئت جيوشه أرض الاسلام(٢) .

ولقد أسفرت حملات نقفور فوكاس ويوحنا تزيمسكيس عن احتلال أقسام من شمالي سورية ، ولكن تزيمسكيس ، في خطابه الموجه إلى أشوط ملك أرمينية ، يجنح به الخيال جنوحاً خطراً فيصور انتصارات وهمية ، فاحتلاله لنصيبين الصغيرة الواقعة في أقصى شمالي العراق فسره على أنه إخضاع لكل الشرق الفارسي . كما وانه يسمي الفاطميين الأفريقيين ، وإذا كانت جيوشه وصلت إلى مشارف شمالي فلسطين

(١) نفس المصدر ، حـ ١٤ : ٢٠-٢٤ .
(٢) الطبري . المصدر المذكور آنفاً ، حـ ٧ : ٤٠٦-٤٠٨ .

فهذا لا يعني أن فتوحاته اتسعت حتى وصلت إلى مدينة بابلون الكبرى ـ القاهرة . وهو يعـــدد أسماء الأماكن التي أخضعها ، وفي سردها اضطراب تارة في الشمال وتارة في الجنوب ، وبعض أخباره تؤيـده المصادر الاسلامية والآخر تنفيه نفياً قاطعاً . والملاحظ هنا هو الروح الصليبية التي كانت تحركه في حروبه ضد المسلمين ، وليست الرغبة في الدفاع عن بلاده أو توسعة حدود بلاده أو غير ذلك من البواعث[1].

ويبدو أن تزيمسكيس كان يفكر بشن حرب شاملة ضـد المسلمين والاسـلام ، وأدرك أهمية المبادلات التجارية التي تقوم بها البندقية في تقوية المسلمين ضده وضد مشاريعه فاستعمل نفوذه على البندقية ومارس عليها ضغطاً قوياً جـداً حتى أجبرها أن تصدر تعهداً بعدم تصديرها إلى بلاد المسلمين أسلحة أو بضائع يمكن أن تستخدم في صناعة الأسلحة أو أخشاباً تصلح لبناء السفن[2] .

ولقـد هاجم جيش من الروم بقيادة دمستق يسميه العرب مليحاً منطقة الثغور الشمالية الجزرية فتصدى لهم أبو تغلب الحمـــداني وأتته النجـدات من عز الدولة البويهي فهزم الروم وأسر بطارقتهم وعلى رأسهم الدمستق مليح ، فكان ذلك مناسبة بلاغية أبدى فيها أبو اسحاق الصابي بلاغته الفائقة في شكل خطاب وجهه الخليفة الطائع إلى ركن الدولة عميد آل بويه وعم عز الدولة . والغاية الأساسية إبراز الدور العظيم الذي لعبه عز الدولة في تحقيق هذا النصر[3] .

---

(١) توفيق عمر كمال . مقدمات العدوان الصليبي... الطبعـــة الثانية . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٧ م ٠ ١٧٩-١٨٦ ٠

(٢) نفس المصدر ، ص ١٨٧ - ١٩٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٠٣ - ٢١٠ ٠

ولكن ميزان القوى انقلب رأساً على عقب عندما آتى السلاجقة، فقد زحفوا على سورية وحرروها بكاملها من الروم وبدأوا يدقون أبواب الأناضول بإلحاح وقوة حتى فتح أمام ضرباتهم ، وكانت معركة ملاذ كرد أو منزيكيرت كما تسمى أحياناً الضربة التي فتحت باب الأناضول أمامهم . وعلى الرغم من أن الب ارسلان لم يكن مستعداً للحرب عندما التقى بجيش الامبراطور البيزنطي الذي يفوق جيشه جيش الب ارسلان أضعافاً مضاعفة ، وعلى الرغم من أنه جنح للسلم وراسل الامبراطور البيزنطي في ذلك فرفض هذا العرض ورفض أن تكون هدنة إلا بالري (١) . أقول بالرغم من كل هذه الظروف المثبطة فإن الب ارسلان وكل الأمر إلى الله تعالى وخاض المعركة بقلب سليم وإيمان صادق ورغبة أكيدة في نوال إحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة .

ويدل خطابه لجنوده قبيل المعركة مباشرة على هذه الروح الصادقة ... وأريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي يدعى فيها لنا وللمسلمين على المنابر ، فإما أن أبلغ الغرض أو أمضي شهيداً إلى الجنة ، فمن أحب أن يتبعني منكم فليتبعني ، ومن أحب أن ينصرف فليمض مصاحباً عني فما ها هنا سلطان يأمر ولا عسكر يؤمر (٢) ... ولكن جنده رفضوا التخلي عنه وخاضوها معركة من أروع معارك الاسلام ، وحققوا نصراً مؤزراً وأسروا ملك الروم نفسه .

---

(١) ابن الجوزي . المصدر المذكور آنفاً ، حـ ٨-٢٦١ .
(٢) نفس المصدر حـ٨ - ٢٦٢ .

القسم الثاني : الدول المتغلبة

الطولونيون :

إن شخصية أحمد بن طولون هي وحدها التي تستحق أن تذكر من بين جميع الطولونيين الذين تعاقبوا على حكم مصر.

ولقد بدأ أحمد بن طولون حياته في خدمة الخلافة العباسية وأثبت أنه شخص ذو قيم منذ اللحظة الأولى، فقد طُلب إليه أن يقتل المستعين الخليفة العباسي الذي وضع في عهدة أحمد بن طولون بعد خلعه لقاء تعيينه والياً على واسط ولكنه رفض وأجاب : لا رآني الله قتلت خليفة بايعت له أبداً [1] . كذلك أثبت منذ أصبح والياً على مصر أنه شخص طموح وعملي ويعرف من أين يأتي الخطر وكيف يدرأه وكيف يجرد منافسيه من قوتهم ومن كل ما يجلب لهم الهيبة والسمعة ؛ ذلك أن ابن طولون ولي ولاية مصر نيابة عن باكباك، وكان ابن المدبر عامل خراجها، وكان شخصاً قوياً وذكياً، فخاف أن يحاول ابن طولون الاستبداد بحكم مصر فقرر طيه تحت جناحه، فأرسل له هدية جليلة يوم وصوله غير أن أحمد رفضها . ولكنه لاحظ في نفس الوقت أن ابن المدبر يمشي في موكبه وحوله مائة غلام بالسلاح مما يعطيه هيبة عظيمة، فأراد ابن طولون تجريده من هذه الهيبة، فأرسل إليه بعد فترة : قد كنت ـ أعزك الله ـ أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها، فلم نجز تغنم مالك ـ أكثره الله ـ فرددناها

(١) ابن تغري بردي . المصدر المذكور آنفاً . جـ٣ ـ ٦ .

توفيراً عليك ، وأحب أن تجعل العوض عنها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك ، فأنا إليهم أحوج منك[1] .

ولقد حاول منافسو أحمد وأعداؤه جعل الخليفة يخاف جانبه وظلوا يحوكون الدسائس ويحذرون الخليفة المعتمد جانبه وقوته حتى نجحت دسائسهم وأصدر المعتمد أمراً يقضي بعزله عن مصر بطريقة حسنة [2] .

ولكن أحمد الطموح القوي المستبد للأمر لم يأبه لما حصل وظل في مكانه وتمكن أن يكسب رضا الخليفة إذ أخذ جانبه لما نشب الصراع بين الخليفة وأخيه الموفق .

هذا وإن أبرز حادثين أثرا في حياة ابن طولون ولونا سيرته هما صراعه مع الموفق أخي المعتمد ، وثورة ابنه العباس ضده في أواخر عمره .

وان الصدام بين الموفق وابن طولون متوقع وحتمي لأن كليهما قوي وطموح ، والموفق معتز بأصله ومنصبه ، ويفكر ويسعى لإعادة توحيد الخلافة تحت ظله ، على حين كان ابن طولون يسعى جاهداً للاستقلال وابراز شخصيته ، ولذلك استعد وأوجد جيشاً ضخماً وحاول التوسع غرباً وشرقاً . ولقد بدأ الصراع والصدام بين الشخصين عندما طلب الموفق مالاً من ابن طولون فأرسل له مبلغاً زهيداً فلم يكفه وأرسل يطلب المزيد ويقول له : إن الحساب يوجب أضعافه ، فأثار

---

(١) البلوي ، ابو محمد عبد الله بن محمد . سيرة احمدبن طولون . تحقيق محمد كردعلي، دمشق ، المكتبة العربية ، ١٣٥٨هـ . ص ٤٥ .

(٢) نفس المصدر . ص ٥٦-٥٧ .

بذلك غضب ابن طولون وحذره وأراد معالجة الداء معالجة حاسمة ، ولذلك أرسل إلى الموفق خطاباً يتسم بصفات ثلاث :

أولها النعومة في القول والعتب على الموفق لأنه جعل بهذا الاسلوب ابن طولون عدواً وكان بإمكانه جعله ولياً حميماً . . . وكان ـ أسعده الله ـ خليقاً بحسن التخير له في اختياره مثلي وتصييره عمدته التي يعتمد عليها ...

والثانية : إن طلب الموفق غير شرعي لأن أعمال ابن طولون تابعة للأمير جعفر المفوض ابن المعتمد وهو المشرف على شؤون الجناح الغربي من الخلافة العباسية :... وتقليدي ليس من قبله ولا ولايته ، فإنه والأمير جعفر المفوض ـ أيدهما الله ـ قد اقتسما الأعمال وصار لكل واحد منهما قسم قد انفرد به دون صاحبه وأخذت عليه البيعة فيه أن من نقض عهده أو خفر ذمته ولم يف لصاحبه بما أكد على نفسه فالأمة بريئة من بيعته وفي حل وسعة من خلعه ...

والثالثة تعريضه بالموفق أنه عجز عن إخماد ثورة الزنج ومحلها قريب من بغداد وتهديده إياه بالمبايعة لأحد العلويين المنبثين في الآفاق.

ويختتم رسالته بقوله : وما مثل الأمير في أصالة رأيه قصد لمائة ألف عنان عدة له فجعلها عدة عليه بغير ما سبب أوجب ذلك (١) .

ثم بعد فترة نشب صراع عنيف بين المعتمد وأخيه الموفق فأراد ابن طولون استغلال هذه الفرصة لضرب الموفق ضربة قاصمة ، فأرسل إلى المعتمد يدعوه للحاق به في مصر ويعده بالنصرة والعز والمنعة (٢).

---

(١) نفس المصدر : ص ٨٢-٨٥ .

(٢) نفس المصدر : ص ٢٨١ .

ولكن الموفق كان له بالمرصاد فمنع أخـــاه من السفر وحجر عليه وعاقب كل من ساعده في هذا المشروع .

ولذلك ثار ثائر ابن طولون واستصدر فتيا من الفقهاء بخلع الموفق من ولاية العهد ، وإنه بحجره على الخليفة قد فارق الطاعة وبرىء من الذمة ووجب جهاده على الأمة (١) .

ولقـد رد الموفق التحية بأحسن منها فأمر بلعن ابن طولون على المنابر وتبرأ منه وأظهر كفره وما فعله في حريم المسلمين وثغورهم (٢)

والحادثة الثانية الهامـــة في حياة ابن طولون والتي ختمت حياته أسوأ خاتمة هي عصيان ابنه العباس ضده وهربه مع أتباعه إلى برقة. ولقد حاول ابن طولون معالجـة الأمر بالحسنى وأرسل إلى ابنه رسالة شفوية يستعطفه ويستعتبه ويخاطبه بأرق الألفاظ مثل : يا أقرب الناس إلي وأبرهم لدي ... عن غير إساءة كانت مني إليك ... أيا سبحان الله أما تخاف العقوبة في العقوق وقاضيها الله جل اسمه فيك...

ثم أتبع هذه الرسالة الشفوية بأخرى مكتوبة كلها أعتاب وتذكير واستعطاف علّه يرجع عن غيه ، ويذكر له أن عصيانه هـــذا إنما تم بتحريض أشخـاص عاقبهم ابن طولون أو صرفهم لإساءتهم فأفسدوا ابنه عليه (٣) .

ولقد أجابـه ابنه برسالة حاول أن يبرر انتزاءه عليه وهربه من لدنه برغبته في أن لا يصطدم بوالده لأن والده مجانب للحق مبتعد عن الحكم بما أنزل الله ، ظالم لا يرقب وجه الله في أحكامه وأعماله ؛ وقد

---

(١) نفس المصدر : ص ٢٩٥-٢٩٧ .

(٢) نفس المصدر : ص ٢٩٩ .

(٣) نفس المصدر : ٢٥٠-٢٥٢ .

احتار الولد إزاء هذا الوضع ، فهو كولد للأمير عليه واجب مساعدته ومساندته ، ولكنه ، كمسلم حقيقي ، واجبه محاربة الطغيان والانحراف والزيغ . ولما كان لا يستطيع ذلك لكون من سيتصدى لمحاربته أباه ، لذلك آثر الانسحاب والابتعاد عن والده ، وبذلك يكون قد قام بحق والده وحق الله تعالى ، وللتدليل على ذلك يقول :

إن فهت ضاع دمي وإن سكت فمثل النار في كبدي (١)

ولما يئس ابن طولون من استصلاح ابنه بالحسنى وبلغه هزيمته أمام جند برقة وهربه منهم وقدومه إلى الاسكندرية وتحصنه بها أرسل له رسالة عنيفة تقطر سماً وتقريعاً وتوبيخاً وانذاراً ويعدد عليه ذنوبه ، ولعل أكبرها في رأيه ادعاء ابنه إلتياث الأمور على أبيه أحمد بن طولون في الثغر فأتى هو إليه ليصلح ما فسد من أمرها ، ثم ينذره بالويل والثبور والحرب حتى النهاية والكتابة إلى كل مكان يصل إليه سلطان ابن طولون بلعنه وثلبه أو يثوب إلى الطاعة ويستسلم لأبيه (٢).

وأخيراً أرسل ابن طولون جيشاً حارب ابنه وأنصاره وفض جمعه واعتقله وأتى به إلى والده .

ولقد امتحن ابن طولون بشخصية صلبة أثناء حكمه مصر هي شخصية القاضي بكار الذي كان لا تأخذه في الحق لومة لائم ولو لاقى صنوف العذاب من أجل ذلك . ولقد اصطدم مع ابن طولون في أمر خلع الموفق إذ رفض الموافقة على خلعه لأنه لم يثبت عنده ما ادعاه عليه ابن طولون فاعتقله فترة ، ثم لما مرض ابن طولون مرض الموت

---

(١) نفس المصدر . ص٢٥٦-٢٦٠ .

(٢) القلقشندي . المصدر المذكور آنفاً . جـ ٧ : ٥-١٠ .

أراد إصلاح أمره مع القاضي فأرسل يفرض عليه إطلاق سراحه وبرة على أن يعترف بالخلع ، فأجابه القاضي : يعز عليّ أن يكون حرصك على ما تفارقه أكثر من ميلك إلى ما لابد منه ، وقد أعنتني وآذيتني لأنك تكلفني الشهادة بالبلاغات التي لا يعد لها الحكام ، فخف الله في أمري فإني شيخ فانٍ وأنت عليل مدنف ولعل التقاءنا بين يدي الله عز وجل قريب (١)

البويهيون :

يشغل البويهيون حيزاً كبيراً في التاريخ الاسلامي وذلك على الرغم من أن أثرهم السياسي سلبي بشكل تام ، ذلك لأنهم شيعة واشتغلوا بالصراع مع أهل السنة ولم يكن عندهم تصور واضح لمفهوم الحضارة والدولة بشكل راقٍ ، اللهم إلا عضد الدولة الوحيد من بينهم الذي اقترب من أن يكون رجل دولة .

ولكن الحضارة الاسلامية وصلت في عهدهم إلى عصر النضج وتفتحت العبقريات الاسلامية .

هذا وإن علاقتهم بالخلفاء العباسيين هي علاقة القوي بالضعيف ، فقد أضعف العصر التركي نفوذ الخليفة وهيبته وسلطته كل الإضعاف . وأتى العصر البويهي فسلب الخليفة كل سلطة وتحكم فيه كل التحكم ، على الرغم من أنهم درجوا على تعظيم الخليفة وتقبيل الأرض بين يديه وما ماثل ذلك ...

---

(١) البادي . المصدر المذكور آنفاً ، ص ٣٣١-٣٣٢ .

ولقد أراد معز الدولة البويهي إلغاء الخلافة العباسية والمبايعة لأحد العلويين واستشار أصحابه في ذلك ، فكلهم وافقه إلا نفراً من ذوي البصيرة منهم نصحه بأن لا يفعل ذلك قائلاً : ليس هـذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك انه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله قتلوه مستحلين دمه . ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك قتلوك (١) . فأعرض معز الدولة عن ذلك .

ولقد كان خلفاء بني العباس يعرفون أنهم مسلوبو السلطة مع بني بويه ، وإنهم إنما تركوهم لأغراض سياسية ، نجد ذلك واضحاً في رسالة وجهها الخليفة الطائع لله إلى عز الدولة البويهي الذي ورث حكم والده معز الدولة في بغداد وورث السيطرة والوصاية على الخلافة العباسية .

فقد حدث أن هاجم الروم الثغور الشمالية واحتلوا نصيبين فثار العامة وضغطوا على بختيار عز الدولة من أجل الجهاد ، فوجدها فرصة مناسبة لابتزاز أموال الخليفة ، فأرسل إليه يطلب منه مالاً ينفقه في الجهاد وان ذلك واجب الإمام ، فأجابه الطائع بما يلي :

« الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وإليَّ تدبير الأموال والرجال وأما الآن وليس لي فيها إلا القوت القاصر عن كفائي وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه ، وإنما لكم مني هـذا الاسم الذي يخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم ، فإن أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار وتركتكم والأمر كله (٢) .

---

(١) ابن الاثير . المصدر المذكور آنفاً . جـ٨ - ٤٥٢ .

(٢) ابن مسكويه . المصدر المذكور آنفاً . جـ٢ - ٣٠٧ .

هذا وإن تحليلا لأحد عهود الخلفاء لأحد حكام آل بويه يكشف عن مدى البون الشاسع بين ما يطلب الخليفة من الأمير الاضطلاع به في تصريف أمور البــلاد وإدارة العباد وبين ما كان يقوم به ذلك الأمير فعلا . فعهدُ الطائع إلى فخر الدولة بن ركن الدولة سنة ٣٦٦هـ بتقليده ما كان أبوه يتقلده في بــلاد فارس قطعة أدبية بلاغية فنية ويعطي الانطباع أن أمير المؤمنين إنما قلده ذلك لأنه اختاره اختياراً حراً ولما يتمتع به من صفات حميدة وأخلاق رفيعة ودين متين ، إلى جانب مقدرة إدارية وقيادية فائقة . كما وإن العهد يطلق يده إطلاقاً تاماً في جميع الشؤون المالية والادارية والعسكرية والقضائية وغيرها ، ويذكر أسماء الأماكن التي يشملها حكمه : فقلده الصلاة وأعمال الحرب والمعاون والأحـداث والخراج والاعشار والضياع والجهبذة والصدقات والجوالي وسائر وجوه الجبايات والعرض والعطـاء والنفقة في الأولياء والمظـالم وأسواق الرقيق والعيار في دور الضرب والطرز والحسبة في كور همذان واستراباذ والدينور وقرميسين والايغارين وأعمـال أذربيجان وأرّان والسحانين وموقان واثقاً منه باستبقاء النعمة واستدامتها والاستزادة بالشكر منها ...

ثم بعد ذلك يفصّل له واجباتـه بأوامر يسدرها له وأولها تقوى الله تعالى وبيان محاسنها في حكم الآخرين وفي حسن تصريف الامور ، وبعد ذلك يأمره باتخاذ كتاب الله العزيز إماماً يقتدي به في تصريف الأمور كبيرها وصغيرها ، وأن يحافظ على الصلوات المفروضة وأن يؤديها في المساجد الجامعة مـع صلوات الجمعة والعيدين ، وأن يراعي أحوال مستخدميه ولا سيما الجنـد منهم وأن يعاملهم برفق من غير ضعف وخشونة من غير عنف ، وأمره أن يسد ثغور المسلمـين وأن

يغمرها وأن يشحنها بالمقاتلة والمؤن ، وأمره بالعدل في الأحكام والنظر في السجون وأن لا يتسرع في تنفيذ حكم الاعـــدام حتى يحصل على موافقة الخليفة ، وأمره أن يعطل ما في أعماله من الحانات والمواخير ، وأن يختار خيار الناس وأكفاءهم لتنفيذ هذه المهام . كما وأمره أن ينتبه لمن يجتاز أرضه من العبيد خوفاً أن يكونوا من الآبقين . كذلك أمره أن يضفي على الحكام والقضاة مهابـة وذلك بالشد على أيديهم وتنفيـذ أحكامهم . وطلب منه الاهتمام بجباية الخراج والعشور بشكل لا يهمل حق بيت المال ولا يعسف على الرعية . كما أمره أن يجلس للشعب جلوساً عاماً اسبوعياً للنظر في شكاياتهم ، وأن يوجـد جهازاً صالحاً للتفتيش على الموظفين وقطع دابر الغش والتزوير والسرقة ولا سيما في دار الضرب ، وأن يراعي الحسبة والآداب الشرعـــية وأسواق الرقيق [1] ..

وبالجملة لم يترك هذا العهد ناحية من نواحي الحكم إلا أكد عليها ونبه عليها ورسم له كيفـــية السير فيها ، بحيث لو أن صاحبنا فخر الدولة نفذ بعضاً منها لارتفع به ذلك إلى مستوى الولاة العظام ولأصبح في العدل قريناً لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولكنه عمل بنقيض هذه الوصايا بنداً بنداً .

وعلى الرغم من أن واردات الخليفة الخاصة تقلصت كل التقلص ، وعلى الرغم من هزال ما تدره هذه الواردات إلا أنها كانت عرضة ، بين الفينة والفينة ، لهجوم يشنه عليها أمير بويهي مفلس . فقد أفلس جلال الدولة ذات مرة وطالبه الجند بالمال ، ولم يكن لديه شيء منه

(١) القلقشندي ، المصدر المذكور آنفاً . ج ١٠ : ١٥-٣١ .

فصادر ما جباه وكلاء الخليفة من أموال الجوالي ، فشق ذلك على الخليفة وأرسل يعتب على جـلال الدولة وينسبه إلى نقضان العهود والعدول عن المقـــود ويقول ... فإن ذكر أن ضرورة دعت إلى ذلك فألا راسلنا على الوجه الأجمل ...(١) . ولكن ذلك لم يؤد إلى نتيجة واعتذر جلال الدولة عن ذلك بأنه نائب عن الخدمة نيابة لا تنتظم إلا بإطلاق أرزاق العساكر . وقد التجأ جماعـة من خدمنا إلى الحريم واستعصم به ، حتى أن أحدهم أخذ من تلاعنا في دفعة واحـدة تسعمائة بدرة ونحن نمنع من إحضارها (٢) .

ولقد كانت علاقات البويهيين بعضهم بعضاً سيئة كل السوء وتخللتها الدسائس والحروب والمؤامرات وذلك باستثناء الاخوة الثلاثـة المؤسسين ركن الدولة وعماد الدولة ومعز الدولة . ولقـــد بدأ النزاع بين عز الدولة وعضد الدولة في عهـد ركن الدولة والد عضد الدولة . ذلك أن عضد الدولة ساعد ابن عمه عز الدولة في قمع اضطراب قام بـه الجند ضده في بغداد ، فقد أرسل له جيشاً لمساعدته ، ولكنه اكتشف ضعف عز الدولة وسوء إدارته وكره الشعب له وعـدم ولاء جيشه له فقرر أن يحل محله وأن يطرده من بغداد . ويبـدو أن نية عضد الدولة هذه كانت معروفة لدى عز الدولة سابقاً ، يدلنا على ذلك خطاب أرسله قبيل ذلك عز الدولة إلى عضـد الدولة يعتذر ويتنصل ويبدي الخضوع ، وإن المرء ليعجب من صدور مثل هذا الخطاب من ند إلى ند . وعلى الرغم من ان الخطاب قطعة أدبية وفنية رائعة ويحوي

(١) ابن الجوزي ، المصدر المذكور آنفاً ، جـ٨ : ١١٣-١١٤ ،
(٢) نفس المصدر .

نصائح كثيرة تظهر فوائد الألفة ومضار الاختلاف ويذكر ان دولة آل بويه مبنية على أسس الترافد والتعاضد وموضوعة على قاعدة التوازر والتظافر ، وعلى الرغم من انه هوى الى الحضيض في استعماله عبارات لايجوز أن تصدر من حاكم نظير إلى نظير مثله : ولو وقف بي مولانا الملك الجليل قبل أواخر الجفاء وعطف معي على أول شرائع الصفاء لكانت عريكتي عليه ألين ؛ وطريقه إلى ارتباط طـــاعتي وولائي اقصد ...[1] إلا أن كل ذلك لم يؤثر في عضد الدولة ولم يثن عزمه . ولذلك لجأ عز الدولة ، بطريقة حمقاء ، إلى أن جعل الخليفـة يرسل خطاباً جافاً إلى عضد الدولة يعدد فيه مزايا عز الدولة وتفوقه وسموه مما لا يترك مجالاً للظن ان المقصود بذلك هو عضد الدولة وان الخطاب كله بيان لسمو منزلة عز الدولة واتضاع منزلة عضد الدوله تجـاهه . فقد قال الخليفة بعد كلام طويل :

... رأى (أمير المؤمنين) ان من أوجب الحق عنده وألزم الأمر له أن يبين عز الدولة أبا منصور بشعار من الاكرام ... لا يساويه فيهما مساوٍ ، إشارة إلى موقعه اللطيف ... وتمييزاً له عن الاكفاء ، وإيفاءً به على النظراء ... فجدد له أمير المؤمنين ، مع هذه المساعي السوابق والمعالي السوامق ، التي يلزم كل دانٍ وقاصٍ وعام وخاص ، أن يعرف له حق ما كرم به منها[2] .

ولقد زاد ذلك من حنق عضد الدولة على عز الدولة وطمعه في ملكه فأقدم على احتلال بغداد ، وهرب منها بختيار وأهله ، ووصل

---

(١) القلقشندي . المصدر المذكور آنفاً ، حـ ٦ : ٥٦٤-٥٦٨ .

(٢) الصابي ، أبو الحسين هلال بن المحسن . رسوم دار الخلافة . تحقيق ميخائيل عواد . بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤م . ص ١١٣-١٢٠ .

الخبر إلى أبيه ركن الدولة فغضب كل الغضب وقاطع ابنه وقرر حربه وأرسل له رسالة شفوية تفيض بالولاء لأخيه والحرص على ملك أولاد أخيه : خرجت إلى نصرة ابن أخي أو الطمع في مملكته ؟ أما عرفت أني نصرت الحسن بن الفيروزان ، وهو غريب عني ، مراراً كثيرة ... حتى إذا ظفرت وتمكنت من البلاد سلمتها اليه وعدت من غير أن أقبل منه ماقيمته درهم فما فوقه طلباً للذكر الجميل ومحافظة على الفتوة . أتريد أن تمن أنت عليَّ بدرهمين أنفقتها عليَّ وعلى أولاد أخي ثم تطمع في ملكهم (١) .

ولكن عضد الدولة أراد أن يصل إلى تسوية سلمية للقضية . فقد أحب بغداد والعراق والسيطرة على الخليفة وأرسل الى والده مع ابن العميد عدة مقترحات : منها أن يدفع له ثلاثين مليون درهم عن حكم العراق ، وذلك بعد أن حاول اقناع والده بضعف بختيار وعجزه عن الحكم ، وفي مقابل ذلك لا بأس أن يقطع والده بختيار واخوته اقطاعات في أملاكه أو في أملاك عضد الدولة في فارس ، ومنها أن يستلم والده نفسه حكم العراق ويضع بختيار مكانه في الري ، ويختم رسالته بالتهديد بضرب رقاب بختيار واخوته في حال اضطراره لترك العراق(٢)،

ولكن والده كان أصلب منه فاضطر عضد الدولة الرضوخ وعاد بختيار إلى بغداد ولكن إلى حين ، فما ان مات ركن الدولة حتى عاد عضد الدولة واحتل العراق وضمه إلى ملكه وطرد بختيار واخوته . ولقد بُلي عضد الدولة في أولاده بنفس الشيء فقد اختلفوا بعد وفاته

(١) ابن مسكويه . المصدر المذكور آنفاً ، ج٢ - ٣٥٠ .
(٢) نفس المصدر . ج٢ : ١٦٩ - ١٧٠ .

وتحاربوا وتصالحوا ، وفعل نفس الشيء أحفـاده حتى انتهى عهدهم على يد السلاجقة .

ولقد امتازت علاقة البويهيين بالمتغلبين الآخرين بكونها عدائيـة في الأعم الأغلب . وهذا شيء بدهي في مثل تلك الأوضاع حيث لا وازع لدى الحكام من دين أو أخلاق أو ضمير أو مصلحة عامة أو غيرها ، وإنما المحرك الوحيد المصلحة الفردية والمستند القوة المادية والعسكرية ، فمتى سنحت الفرصة لأحد المتغلبين انتهزها ضد زميله أو صديقـه أو ... وان قصة الحملات العسكرية التي وجهها البويهيون إلى الموصل لاخضاع الحمـدانيين تملأ صفحات كثيرة من تاريخنا . ولكن الطريف ان معز الدولة يأخذ على ناصر الدولة الحمداني ، في إحدى رسائله ، الغدر بـه والزحف على بغداد في وقت كان فيـه معز الدولة مشغولاً في جنوبي العراق ... ثم حصلت في يد وزيري الصيمري حصول المستجير الذليل فوفى لك ولو شاء لأسرك واشتمل على بلادك وقلاعك . وظننتُ انك تعرف لي حق هذه النعمة وتطالب نفسك عليها بالمجازاة فأبيت إلا غدراً وتقبيحاً في معاملتي (١) .

وإن جواب ناصر الدولة يكشف الهوة السحيقة التي انحدر اليهـــا القوم آنذاك في أخلاقهم ومعاملاتهم فهو يعتذر ويقول : انك قد صدقت في جميع ماعددت ... والله ما كان عن رأيي ولا أمرت به ، ولكني شيخ لي أولاد أحداث يخالفونني في تدبيرهم فيركبون الهوى في أمورهم ولا رأي لمن لا يطاع (٢) .

وإن المرء ليعجب من حاكم ضعيف مخذول مثل عز الدولة تمكن

---

(١) نفس المصدر . حـ ٢ : ١٦٩-١٧٠ .
(٢) نفس المصدر .

من هزيمة حاكم مسلم أضعف منه وأتفه هو أبو تغلب الحمداني واحتل بلده الموصل فنراه يطبل ويزمر ويصيح ويحتفل وكأنه احتل القسطنطينية ، وذلك في رسالة وجهها إلى الخليفة الطيع سنة ٣٦٣ ﻫ عند احتلاله الموصل. والرسالة قطعة فنية وأدبية وبلاغية ساحرة ، ولكن لا شيء ذا غناء فيها ولم تحدث حتى معركة بين الطرفين وإنما انسحب أبو تغلب واحتل عز الدولة الموصل . وأغلب الرسالة تدور حول سلوك أبي تغلب المنافي للإسلام وتحالفه مع الروم وإهدائه إياهم الخيول والسلاح والخمور والصلبان وما ماثل ذلك (١) .

كذلك كان عز الدولة مضطرباً في علاقاته مع عمران بن شاهين حاكم البطيحة . فقد حاربه أولاً ثم هُزم أمامه . ولما أحس بخطر عضد الدولة راسل عمران بن شاهين وأخبره باعفائه من متبقي الأموال في ذمته وأرسل له هدية وفرساً وأرسل يخطب اليه إحدى بناته . ويدل جواب عمران على مدى استخفافه بعز الدولة وهوانه عليه . فهو يقبل منه إسقاط الدين المتروك ولكن لا يحمده على ذلك لأنه ساقط ، وهو لا يلبس اللابس ولا يركب الفرس وإنما يعطيها لابنه ، ويرد طلبه تزويجه احدى بناته ويقول للرسول : قل له : ينبغي أن تتوقر وتتزن ولا تستعمل هذه الخفة والنزق . فقد قصدتني محارباً فرجعت عني منهزماً،وقصدت الأهواز فرجعت منهزماً... وأنا أعلم ان أمرك سيتأدى إلى أن تجيئني وتلوذ بي وتحصل عندي وسأذكرك هذا (٢)... وقد تم ماتوقعه عمران .

أما عضد الدولة الذي تمكن أن يوحد تحت سلطته تراث بني بويه

---

(١) القلقشندي . المصدر المذكور آنفاً ج٦ : ٤٨٣-٤٩٢ .

(٢) ابن مسكويه ، المصدر المذكور آنفاً ج٢ : ٣٢٩-٣٣٠ .

فقد التفت الى اصلاح أوضاع بلاده وتصالح مع صاحب خراسان وآثر الدبلوماسية على الحروب ، كما يدل على ذلك الخطاب الذي وجهـه له نائبه أبو الفضل الشيرازي لما أخبره عضد الدولة بصلحه مع صاحب خراسان (١) .

وتدل رسالة عضد الدولة إلى بني عقيل على هيبته وعلى سياسته في ضبط الأمور وحماية الأموال والاملاك والطرقات ، فقد سرق أحد أفراد بني عقيل أموال الدولة وأخذها لنفسه فطلبه عضد الدولة أشد الطلب حتى ظفر به ، وتشفع به بنو عقيل فلم يقبل شفاعتهم وإنما قتله وأرسل يقول لهم : متى لم يضمن أكابركم أصاغركم ويلزموا عهدتهم ويضبطوا الطرق ويحموا مواد الفساد صرفناكم عن ممالكنا (٢) .

السلاجقة :

كانت علاقة السلاجقة الأول ، وأعني طغرلبك والب ارسلان وملك شاه ، علاقة هادئة مع خلفاء بني العباس ، وذلك عائد لقوة السلاجقة الحكام من جهة ، ولشعور الخلفاء العباسيين بالامتنان لآل سلجوق لتثبيتهم دعائم خلافتهم من جهة أخرى ، ولم يعكرها سوى بعض الأمور الطارئة . ولكن وفاة ملك شاه وانقسام امبراطوريته بين أولاده كان إيذاناً بافتتاح عهد من أسوأ عهود التاريخ الاسلامي حروباً وثورات وانقساماً ومعارك وتطاحناً ؛ ولم يـل عرش آل سلجوق سلطان قوي

---

(١) القلقشندي ، المصدر المذكور آنفاً جـ ٧ : ٨٢-٨٥ .

(٢) ابو شجاع ، محمد بن الحسين الروذ راوري . ذيل تجارب الامم . تحقيق امدروز . القاهرة ، شركة التمدن الصناعية ، ١٩١٦م . جـ٣-٥٦ .

ولذلك نشب نزاع مرير جداً بين سلاطين آل سلجوق وبين خلفاء بني العباس وأخص بالذكر المسترشد والراشد . ولقد كان من الممكن أن يتغير مجرى التاريخ الاسلامي العباسي لو قيض لأحد هذين الخليفتين أن ينتصر في حروبه ومعاركه ضد السلاجقة ، ولكنهما انهزما ولاقيا حتفيهما في ظروف وصفت أنها غامضة . ثم ضعف آخر السلاجقة كل الضعف وتمكن خلفاء بني العباس أن يستقلوا بحكم بغداد وقسم من العراق ، وظلوا أحراراً في حكمه حتى سقوط بغداد بيد المغول .

ولقد كان الشغل الشاغل لطغرلبك بعد القضاء على ثورة أخيه في خراسان إعادة الخليفة القائم إلى سدة خلافته والقضاء على البساسيري، ولذلك أرسل إلى قريش بن بدران ، وهو الأمير البدوي الذي ثار ضد الخليفة مع البساسيري ، يعرض عليه توليته العراق بأسره لقاء إتيانه بالخليفة سالماً معززاً مكرماً ، أو السماح لمن يرسله طغرلبك أن يأتي بالخليفة في أمان . وهو قد أظهر احتراماً تاماً لقريش وبدأه الخطاب بقوله : إلى الأمير الجليل علم الدين أبي المعالي قريش ابن بدران [1] .

ولقد حاول قريش أن يجر المغانم لنفسه وأن يضمن العفو عن جريمته ولذلك أجاب طغرلبك بالخضوع ، وبنفس الوقت كتب إلى ابن عمه مهارش ــ الذي أضاف الخليفة لديه ــ يطلب منه أن يسلمه الخليفة حتى يمكنه المساومة عليه وجر المغانم له ولابن عمه ولكن ابن عمه رفض ذلك [2] .

---

(١) ابن الجوزي ، المصدر المذكور آنفاً ، جـ ٨ ٢٠٣-٢٠٤ .

(٢) نفس المصدر جـ ٨ - ٢٠٦ .

ولقد تعكر صفو العلاقات بين طغرلبك والقائم ، وذلك إثر رفض الخليفة تزويج ابنته من طغرلبك الذي خطبها إلى أبيها ، وحدث اضطراب في بغداد وأوشكت الفتنة تنشب أظفارها ، وكذلك استاء طغرلبك من هذا الرفض وأرسل إلى قاضي القضاة يقول : هـذا جزاء من الخليفة الذي قتلت أخي في خدمته وأنفقت أموالي في نصرته وأهلكت خواصي في محبته (١) .

ولقد وقعت نفرة بين ملك شاه والخليفة المقتدي فطلب ملك شاه من الخليفة أن يغادر بغداد فوراً ، وعلى الرغم من أن الخليفة طلب الإمهال شهراً إلا أن السلطان رفض ذلك ، ثم توسط الوسطاء بين الطرفين فأمهله مدة ، وتوفي السلطان قبل انتهاء الأجل (٢) .

كذلك نشب خلاف بين المستظهر وبركياروق : ذلك أن هذا الأخير ضاقت أحواله المادية فقرر مصادرة وزير الخليفة الغني ابن جهير . ولكن الخليفة أرسل إلى بركياروق يقول : ... فلا يغرك إمساكنا عن مقابلة الفلتات ، فوحق السالف من الآباء المتقدمين بحكم رب السماء لئن قصر في أن يعاد شاكراً وبالحباء موفوراً لنفعلن (٣) .

ولقد حاول المسترشد التحرر من وصاية السلاجقة ، وصدف أن نشب خلاف بين السلطان السلجوقي مسعود وبين ثلاثة من أبرز قواده فانفصلوا عنه وأرسلوا للخليفة يحرضونه على الخروج معهم ويعدونه النصرة ، ووافق المسترشد على ذلك وأرسل يقول لهم : كونوا على ما أنتم عليه فأنا صائر إليكم (٤) .

---

(١) ابن الأثير ، المصدر المذكور آنفاً حـ ١٠ – ٢٢ .
(٢) ابن الجوزي ، المصدر المذكور آنفاً حـ ٩ – ٦٢ .
(٣) نفس المصدر حـ ٩ – ١١٢ .
(٤) نفس المصدر ، حـ ١٠ : ٤٣–٤٤ .

ولقد حاول المسترشد ضرب السلاجقة بعضهم ببعض فاتفق أولاً مع السلطان محمود ضد طغرل ، ولكن السلطان سنجر سلطان خراسان وعم السلاطين المتنازعين أدرك نية الخليفة وأرسل إلى محمود يحذره الخليفة ويقول له : أنت يميني والخليفة قد عزم على أن يمكر بي وبك ، فإذا اتفقتما عليّ فرغ مني وعاد إليك فلا تلتفت إليه (١) .

ولقد نشبت الحرب بين الخليفة المسترشد وحزبه والسلطان مسعود، وهُزم الخليفة وأسر هو نفسه ، ويبدو أنه حدثت ، في نفس الوقت الذي كان فيه الخليفة مأسوراً لدى السلطان مسعود ، عوارض طبيعية من رياح وعواصف وبروق وزلازل حتى خاف السلطان سنجر من هذا الوضع وأرسل إلى ابن أخيه يطلب منه اطلاق سراح الخليفة وإعادته إلى مستقر عزه وأن يسلم إليه دبيساً ، ويطلب إليه التعجيل وأن ينصب له السرادق ويحمل له الغاشية كما كان يفعل سلاطين السلاجقة السابقون مع الخلفاء الماضين (٢) .

وهذا الكتاب وحده دليل قاطع على ما تأصل في أذهان الناس آنذاك من قدسية الخلافة العباسية وحمايتها حماية أزلية من الله تعالى ، وإن كل ما حدث انذار رباني لمن مس قدسية الخليفة أدنى مساس حتى يرعوي عن غيه ويثوب إلى رشده ، كما وأن سنجر يذكر في رسالته أن العساكر تغيرت عليه وامتنع الناس عن الصلاة في الجوامع وكسرت المنابر مما يعزز رأينا في تعزز وتأصل فكرة الحماية الإلهية للخلافة العباسية وان كل من مسها بسوء قصمه الله ، مما سيكون له

---

(١) نفس المصدر ج ٩ : ٢٥٤-٢٥٥ .

(٢) نفس المصدر ، ج١٠ : ٤٧-٤٨ .

أثر واضح في موقف الخليفة المستعصم من هولاكو بعد فترة ليست طويلة .

وعلى الرغم من ان الخليفة المسترشد أطلق سراحه إلا انه اغتيل بيد الباطنية وحل محله الراشد الذي تابع النضال ضد البيت السلجوقي. فقد أرسل السلطان مسعود جيشاً إلى بغداد ليحصل من أهلها خمسمائة ألف دينار وليحصل من الراشد سبعمائة ألف دينار كان المسترشد تعهد بدفعها له ، ولكن الخليفة رفض مطاليب قائد الجيش وأرسل يقول له : أما الأموال المضمونة فإنما كانت لإعادة الخليفة إلى داره سالماً وذلك لم يكن وأنا مطالب بالثأر . وأما مال البيعة فلعمري الا أنه ينبغي أن تعاد إليّ أملاكي واقطاعي حتى يتصور ذلك . وأما ماتطلبونه من العامة فلا سبيل اليه ، وما بيننا إلا السيف[1] .

ولسوء الحظ هزم الراشد وحزبه ودفع هو دمه ثمناً لذلك .

كذلك ساءت العلاقات بين المقتفي الذي خلف الراشد والسلطان مسعود وذلك فور تسلمه الخلافة . ذلك ان السلطان كان شرهاً الى المال وبحاجة اليه ، فأرسل يطالب الخليفة بمائة ألف دينار ، ولكن الخليفة أجابه انه لا يمتلك درهماً واحداً وذلك لأن السلطان أخذ جميع محتويات دار الخلافة بما فيها الأثاث ، وتصرف بدار الضرب ودار الذهب والتركات والجوالي . ولذلك ليس أمامه إلا أن يسلم الدار للسلطان ، لأن الخليفة عاهد الله أن لا يأخذ حبة واحدة ظلماً[2] .

ومن المشاكل التي تعرض لها البيت السلجوقي مشكلتان : الأولى منها

---

(١) نفس المصدر جـ١٠ – ٥٤ .

(٢) نفس المصدر جـ١٠ – ٦٦ .

تتعلق بتحديد صلاحيات الوزراء ، والثـــانية مشكلة الباطنية الذين استفحل أمرهم كل الاستفحال وأصبحوا خطراً كبيراً .

ولقد كانت المشكلة الأولى تطل برأسها حين وجود وزير قوي يستبد بالأمور ويحاول السلطان إيقافه عند حده . وهذا ماحصل بين نظـام الملك والسلطان ملك شاه ، ذلك ان نظام الملك سلم المناصب الهامة لأولاده وأحفاده وأنصاره . وصدف أن أساء أحدهم معاملة أحد خلصاء السلطان ، وهنـــاك كثيرون ، ولا بد ، حرضوا السلطان ضد الوزير ودسوا لديه عليه وأوغروا صدره ضده حتى أرسل إليـه رسالة يطلب منه ، باعتباره نائبه لا شريكه ، أن يلزم حد التبعية . ولكن نظام الملك الذي آلمه جحود السلطان ونكرانه لجهوده في خـــدمة البيت السلجوقي أجاب جواب إنسان معتد بمركزه : إن كنت مـاعلمت اني شريكك في الملك فاعلم فإنك مانلت هذا الامر إلا بتدبيري ورأيي .. قولوا له عني : ان ثبات تلك القلنسوة معـذوق بهذه الدواة ... فإن عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه[1] ..

وإن المرء ليعجب لجرأة هذا الوزير وصدق حـــدسه إذ لم يمض أسبوعان على اغتيال نظام الملك حتى مات ملك شاه .

وأما قضية الباطنية فهؤلاء انتشروا في طول البلاد الاسلامية وعرضها: في سورية والعراق وبلاد خراسان وفارس وما وراء النهر ، وكان مركزهم الرئيسي قلعة الموت في فارس . وقد حاربهم جميع الملوك على درجات متفاوتة من النجاح . ولقد تمكن السلطان محمد السلجوقي سنة ٥٠٠ هـ من احتلال قلعة شاه ذر واستأصل الباطنية منهـا ، وهي من

---

(١) ابن الأثير ، المصدر المذكور آنفاً جـ ١٠ : ٢٠٥ – ٢٠٦ .

أضخم قلاع الباطنية وأقواها وأمنعها ، وكان الباطنية فيها برئاسة ابن عطاش يؤذون المسلمين إيذاءً شديداً فتمكن السلطان محمد من فتحها وأرسل خطاباً إلى وزير الخليفة يبشره بذلك ويذكر له كيف تم الفتح وكيف أسر ابن عطاش وصُلب فيما بعد وكيف هدم القلعة . ولكن الملاحظ هنا هو وجود موظفين لدى السلطان على مستوى عالٍ كان ضلعهم مع الباطنية وكانوا ينقلون اليهم الاخبار حتى اضطر السلطان إلى الخلاص منهم والبطش فيهم (١) .

كذلك أرسل السلطان محمد نفسه رسالة إلى الب ارسلان بن رضوان ملك حلب يطلب منه فيها أن يقتل الباطنية ويقول له : كان والدك يخالفني في الباطنية وأنت ولدي فأحب أن تقتلهم (٢) .

ولقد تشبه السلطان محمد السلجوقي بالخلفاء فأصدر العهود بتولية الحكام الأقاليم . من ذلك مرسومه باطلاق يد طغتكين في بلاد الشام سنة ٥١٠ هـ . والملاحظ ان طغتكين كان أتابكاً لأمير سلجوقي في دمشق ثم اغتصب الحكم منه ، ولذلك كان يهمه أن يصدر مثل هذا التقليد عن سلطان سلجوقي حتى يضفي صفة الشرعية على ملكه ، علماً ان هذا المرسوم ليس له أية قيمة عملية سوى ماذكرنا ، لأن كل ماورد في المرسوم كان طغتكين قد حصل عليه سابقاً . كذلك تشبه السلطان بالخلفاء من حيث توصياته لطغتكين وأوامره له بتقوى الله تعالى وشحن الثغور وجهاد العدو والصبر عند اللقاء . وأن يوطد الأمن في بلاده وأن يرفق

---

(١) ابن القلانسي ،ابو يعلى حمزة. ذيل تاريخ دمشق ... تحقيق امدروز . بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨ م . أعادته مكتبة المثنى ببغداد طبعة بالاوفست . ص ١٥٢-١٥٦ .

(٢) ابن العديم . زبدة الحلب من تاريخ حلب . تحقيق سامي الدهان . دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٥١م . جـ٢ - ١٦٨ .

برعاياه أتم رفق ويرعاهم أحسن رعاية وأن يعدل بينهم ، الى غير ذلك من الامور (١) .

الغزنويون :

الغزنويون هم الحكام الذين جعلوا غزنة عاصمة لهم وحاربوا آل سامان في خراسان وحلوا محلهم في حكمها . وإن أبرز وجـــه عندهم هو السلطان محمود الغزنوي صاحب الغزوات المشهورة في الهند وغيرها . وهو الذي حطم بيوت الأصنام وأخمـد أماكن النيران وجاهد في الله حق جهاده وجعل الهند مكاناً طيباً لفتوحاته وحروبه . وقد كان من أهل السنة والجماعة ولذلك كان يهمـه كسب تأييد الخليفـة العباسي ورضاه وشرعيته . وتدل رسالته التي أرسلها إلى الخليفة القادر بالله لمـا فتح خراسان وأزال حكم ورسم آل سامان عنها على هذه الروح . فقد أنهى حكم السامانيين وذلك بعـد حروب متصلة . وصور في خطابه الحرب والفرق والقواد وتوزع الجنود أفضل تصوير . كما وانه أظهر نفسه وجنده بمظهر المؤيدين بالعناية الربانية . أما الطرف الآخر ففاجر داعر . ولذلك كانت النتيجة حتمية وصفت بلاد خراسان كلها لحكم محمود الغزنوي : وكتابي هذا وقد فتح الله تعالى لمولانا أمير المؤمنين بلاد خراسان قاطبة وجعل منابرها تذكر اسمه متباهية وكلمة الحق عالية (٢) ...

كذلك تابع محمود الغزنوي بعد ذلك رسائله إلى الخليفة القادر يبشره فيها بفتوحاته في الهند ويفصل كيفية سير الحملات وعدد الفرسان والرجالة والفيلة ويذكر انتصاراته وعدد من اعتنق الاسلام من الوثنيين (٣) .

---

(١) ابن القلانسي . المصدر المذكور آنفاً . ١٩٣-١٩٧ .

(٢) الصابي ، أبو الحسين . المصدر المذكور آنفاً . ٣٤١-٣٤٥ .

(٣) ابن الجوزي . المصدر المذكور آنفاً . ج٧ : ٢٩٢-٢٩٣ .

والملاحظ في رسائل السلطان محمود إلى الخليفة القادر مبالغة لاندري كيف نعللها . ففي إحدى رسائله يذكر فتحه قلعة كبرى في الهند تتسع لخمسمائة ألف إنسان وخمسمائة فيل وعشرين ألف دابة [1] . ولكن الأعجوبة حقاً هو الطائر الذي تدمع عيناه إذا كان موجوداً في مكان وقدم في ذلك المكان طعام مسموم . وهذا الطائر إحدى هدايا ملك تلك القلعة للسلطان .

والشيء الذي يذكر لهذا السلطان بالتقدير العظيم هو تحطيمه الاصنام وإيمانه المطلق والصحيح بالله تعالى وحده ؛ هـذا الإيمان الذي جعله لا يعبأ بما تردد عن الصنم سومنات من معجزات وذلك على الرغم من ان كثيراً من الناس فتنوا به وكانوا يقصدونه من كل فج عميق من أجل الكرامات ، ولذلك قصده بالرغم من المشقة الهائلة التي لقيها في الطريق والصعوبات التي صادفها حتى وصله وهناك تمكن من تحطيمه وتخليص الناس من عبادة الوثن [2] .

كذلك لم ينس محمود جهاد الباطنية وكان له باع طويل في حربهم واستئصالهم كما فعل في الري سنة ٤٢٠ هـ عندما اعتقل رؤوسهم وعامتهم وجلتهم وصلبهم على جانبي شوارع الري وأراح الناس من شرهم [3] .

فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين من ملك مجاهد عظيم له أيادٍ بيضاء في نصر الاسلام والمسلمين وقمع الزنادقة والباطنية والملحدين .

ولم يتميز أحد من خلفائه بشيء من مقدرته أو ذكائه أو حيويته وبعد فترة زالت مملكته وورثها السلاجقة . وهكذا حال الدنيا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) نفس المصدر . حـ٨–١٣ .

(٢) نفس المصدر . حـ ٨ : ٢٩–٣٠ .

(٣) نفس المصدر . حـ٨ : ٣٨–٤٠ .

المغول :

المغول أقوام من العنصر الأصفر أصلهم من منغوليا وإليها ينسبون ، وقد أصبحوا قوة كبرى في أواخر القرن السادس الهجري على يد زعيمهم جنكيز خان ، ثم بعد ذلك بدأوا بالتوسع غرباً فكانت البلاد الاسلامية المسرح الرئيسي لنشاطهم ، وبلغ نشاطهم ذروته في سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ على يد هولاكو ، واحتلوا العراق وتقدموا غرباً فاحتلوا سورية وهددوا مصر ، ولكن معركة عين جالوت أنقذت العالم كله من شرهم فهزم المغول لأول مرة في التاريخ وتراجعوا عن سورية وتمركزوا في العراق وما وراءها من البلاد .

ولقد كان المغول منظمين حتى في تخريبهم وتدميرهم وهمجيتهم وكان همهم إيجاد امبراطورية وحكمها حكماً وراثياً . وكانوا يعتقدون أنهم نواب رب السماء كما كان يدعي جنكيز خان في مفتتح رسائله إلى الملوك . من نائب رب السماء ماسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب قان قان[١] .

كذلك أحس المسلمون بخطرهم الداهم وأنهم يقصدون إبادة العباد وتخريب البلاد . فقد ورد في رسالة أرسلها أحد تجار الري ، وهو مجهول الاسم ، إلى أصحابه بالموصل سنة ٦٢٧ هـ يحذرهم الاستخفاف بالمغول ويقول لهم : لا تظنوا أن هذه الطائفة التي وصلت إلى نصيبين والخابور .. كان قصدهم النهب ، إنما أرادوا أن يعلموا هل في البلاد من يردهم أم لا ، فلما عادوا أخبروا ملكهم بخلو البلاد من ممانع

---

(١) ابن كثير ، اسماعيل . البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٣٢م . ١٣٣-١٥٦ .

والمدافع ... فقوي طمعهم وهم في الربيع يقصدونكم وما يبقى عندكم مقام ، إلا إذا كان في بلد الغرب ، فإن عزمهم على قصد البلاد جميعها ، فانظروا لأنفسكم (١) .

ولقد افتتح هولاكو حملاته على بلاد فارس والعراق بقصد قلاع الملاحدة كالموت وغيرها ووجه نداءً إلى جميع حكام ايران - ومن جملتهم الخليفة العباسي - طالباً منهم ، بناء على أمر القاآن أن يمدوه بالجيوش والمساعدة لإخضاع هذه القلاع واستئصال هذه الطائفة (٢) . ولقد نقم هولاكو على الخليفة عدم تلبية طلبه بهذه المناسبة . ولما زحف سنة ٦٥٥ هـ إلى بغداد أرسل قبل الحرب رسالة له يهدده ويعاتبه على عدم تلبية طلبه ويطلب منه الخضوع . ولم يفت هولاكو أن الخليفة سليل أسرة عريقة أعرق من أسرته ، ولذلك قال له : ومهما تكن أسرتك عريقة وبيتك ذا مجد تليد ، فإن لمعان القمر قد يبلغ درجة يختفي معها نور الشمس الساطعة . ثم يذكر له ما فعله الجيش المغولي من عهد جنكيز خان حتى عهده هو بالأسر السلجوقية والخوارزمية والأتابكية وغيرهم ، ويختم رسالته بطلب حضور الخليفة شخصياً لمقابلته ، وإذا تعذر ذلك فليرسل الخليفة عنه الوزير وسليمانشاه والدواتدار ليبلغوا الخليفة رسالة هولاكو له ، ويعده ، في حال خضوعه ، بإبقاء حكمه وملكه له وعدم التعرض لدولته وينذره الدمار والفناء والموت إن عصى (٣) .

ويدل جواب الخليفة له على نفسية شخص واثق من نفسه كل الثقة

---

(١) ابن الاثير . المصدر المذكور آنفاً . جـ١٢-٥٠٣ .

(٢) الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله . جامع التواريخ... تعريب محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي. جـ٢ ، ق١-٢٤٠ .

(٣) نفس المصدر ، جـ٢ ، ق١ : ٢٦٧-٢٦٨ ،

وأن العناية الإلهية التي حرست الخلافة العباسية أكثر من خمسمائة سنة ستحرسها الآن ، وسيقيض لها من ينقذها من محنتها كما أنقذها سابقاً .
ويقول له : إن كل فرد يؤمن بالله ، مهما تكن رتبته أو جنسه أو عمره أو مهنته ، جندي له ، وإنه إذا أشار اجتمع الجميع تحت إشارته ولبوا نداءه ، ويبدي له أنه مستعد للحرب والطعان [1] . وعلى الرغم من غضب هولاكو لهذه الرسالة إلا أن الخليفة أرسل له رسالة ثانية يؤكد فيها حقه وأن العناية الإلهية الربانية تكلأه وترعاه ، وانه كلما هجم باغ على الخلافة لإزالتها أنقذها الله من براثينه وقيض لها من ينصرها ، وان هذا البيت باق إلى يوم القيامة . وهو يذكره بحوادث التاريخ العباسي من لدن عهد الصفار والبساسيري إلى السلطان محمد السلجوقي إلى خوارزمشاه ، وما حاولوه من عدوان وكيد وكيف أن الله تعالى دمرهم تدميراً . ونحب أن نؤكد هنا أن هذه المعلومات والمراسلات لا وجود لها في المصادر العربية وإنما نستمدها من كتاب الهمذاني الذي ألف أصلاً بالفارسية ونقل إلى العربية . كما وأن الخليفة يرتكب بعض الأخطاء التاريخية فيما يتعلق بالصفار والبساسيري ، ومع ذلك يبدو لنا أن الخليفة كان مقتنعاً كل الاقتناع بذلك وأن العناية الإلهية تحرسه وستنقذه من براثن هولاكو . ولكنه كان مخطئاً في ذلك هذه المرة ودفع هو وأسرته وأهل بغداد والمسلمون جميعاً ثمناً باهظاً جداً لهذا التواكل والتخاذل .

* * *

(١) نفس المصدر ، ج٢ ، ق١ : ٢٦٩–٢٧٠ .

القسم الثاني

وثائق الحكومة المركزية
الخلافة والخلفاء

١ ـ المنتصر ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ﻫ/٨٦١ ـ ٨٦٢ م

١ ـ نص البيعة التي بايعه بموجبها الجند والعامة والخاصة :

بسم الله الرحمن الرحيم . تبايعون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين بيعة طوع واعتقاد ورضا ورغبة واخلاص من سرائركم ، وانشراح من صدوركم ، وصدق من نياتكم ، لا مكرهين ولا مجبرين ، بل مقرين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من طاعة الله وتقواه وإعزاز دين الله وحقه ، ومن عموم صلاح عباد الله واجتماع الكلمة ولمّ الشعث وسكون الدهماء وأمن العواقب وعز الأولياء وقمع الملحدين على أن محمداً الإمام المنتصر بالله عبد الله وخليفته المفترض عليكم طاعته ومناصحته والوفاء بحقه وعقده ، لا تشكون ولا تدهنون ولا تميلون ولا ترتابون وعلى السمع له والطاعة والمسالمة والنصرة والوفاء والاستقامة والنصيحة في السر والعلانية والخفوف والوقوف عند كل ما يأمر به عبد الله الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين ؛ وعلى أنكم أولياء أوليائه وأعداء

أعدائه من خاص وعام وأبعد وأقرب ؛ وتتمسكون ببيعته بوفاء العقد وذمة العهد ، سرائركم في ذلك مثل علانيتكم ، وضمائركم مثل ألسنتكم ، راضين بما يرضاه لكم أمير المؤمنين في عاجلكم وآجلكم ، وعلى إعطائكم أمير المؤمنين بعد تجديدكم بيعته هـذه على أنفسكم وتأكيدكم إياها في أعناقكم ، صفقة إيمانكم ، راغبين طائعين عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم ، وعلى أن لا تسعوا في نقض شيء مما أكد الله عليكم ، وعلى أن لا يميل بكم مميل في ذلك عن نصرة واخلاص ونصح وموالاة ، وعلى أن لا تبدلوا ولا يرجع منكم راجع عن نيته وانطوائه الى غير علانيته ، وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتم بها ألسنتكم وعهودكم بيعة يطلع الله من قلوبكم على إجتبائها واعتقادها ، وعلى الوفاء بذمته بها ، وعلى اخلاصكم في نصرتها وموالاة أهلها ، لا يشوب ذلك منكم دغل ولا ادهان ولا احتيال ولا تأول حتى تلقوا الله موفين بعهده ، ومؤدين حقه عليكم غير مستشرفين ولا ناكثين ، إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما ، عليكم بذلك وبما أكدت هـذه البيعة في أعناقكم وأعطيتم بها من صفقة ايمانكم ، وبما اشترط عليكم بها من وفاء ونصر وموالاة واجتهاد ونصح ، وعليكم عهد الله ، إن عهده كان مسؤولاً ، وذمة الله وذمة رسوله وأشد ما أخذ على أنبيائه ورسله وعلى أحد من عباده من متأكد وثائقه أن تسمعوا ما أخذ عليكم في هذه البيعة ولا تبدلوا ، وأن تطيعوا ولا تعصوا ، وأن تخلصوا ولا ترتابوا ، وأن تتمسكوا بما عاهدتم عليه تمسك أهل الطاعة بطاعتهم ، وذوي العهد والوفاء بوفائهم وحقهم ، لا يلفتكم عن ذلك هوى ولا مميل ، ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هدى ، باذلين في ذلك

أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حق الدين والطاعة بما جعلتم على أنفسكم لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها ، فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكد عليه مسراً أو معلناً ، أو مصرحاً أو محتالاً ، فأدهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذت به مواثيق أمير المؤمنين وعهود الله عليه ، مستعملاً في ذلك الهوينا دون الجد ، والركون إلى الباطل دون نصرة الحق ، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم ، فكل مايملك كل واحد ، ممن خان في ذلك بشيء نقض عهده ، من مال أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله ، محرم عليه ان يرجع شيء من ذلك إلى ماله عن حيلة يقدمها لنفسه أو يحتال بها ، وما أفاد في بقية عمره من فائدة مال يقل خطرها أو يجل قدرها فتلك سبيله إلى أن توافيه منيته ويأتي عليه أجله ؛ وكل مملوك يملكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى أحرار لوجه الله ، ونساؤه في يوم يلزمه الحنث ومن يتزوجه بعدهن إلى ثلاثين سنة طوالق البتة طلاق الحرج والسنة ، لا مثنوية فيه ولا رجعة ؛ وعليه المشي إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ، وهو بريء من الله ورسوله والله ورسوله منه بريئان ، ولا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . والله عليكم شهيد ، وكفى بالله شهيداً .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٤٠٢ - ٤٠٤

٢ - نص الكتاب الذي وجهه كل من أبي عبد الله المعتز وإبراهيم المؤيد إلى أخيهما الخليفة أمير المؤمنين المنتصر يخلعان فيه نفسيهما من ولاية العهد التي جعلها لهما من بعده أبوهما المتوكل على الله .

خاف الأتراك ، الذين قتلوا المتوكل بمساعدة ولده المنتصر ووضعوه

مكانه ، أن يلي بعد المنتصر أحد أخويه فيحاول الانتقام منهم لما فعلوه بأبيه ، فظلوا بالمنتصر حتى جعلها يخلعان نفسيهما من ولاية العهد ، ووجه كل منهما كتاباً بهذا المعنى إلى المنتصر هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . إن أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه قلدني هذا الأمر وبايع لي وأنا صغير من غير إرادتي ومحبتي . فلما فهمت أمري علمت أني لا أقوم بما قلدني ولا أصلح لخلافة المسلمين ؛ فمن كانت بيعتي في عنقه فهو من نقضها في حل ؛ وقد حللتكم منها وأبرأتكم من ايمانكم ، ولا عهد لي في رقابكم ولا عقد ، وأنتم براء من ذلك .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ - ٤١٠

٣ - رسالة المنتصر إلى عماله بخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد ، وهي موجهة إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر مولى أمير المؤمنين ، وذلك في صفر سنة ٢٤٨ هـ .

من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ، أما بعد : فإن الله ، وله الحمد على آلائه والشكر بجميل بلائه ، جعل ولاة الأمر من خلفائه القائمين بما بعث به رسوله ﷺ ، والذابين عن دينه ، والداعين إلى حقه والمضين لأحكامه ، وجعل ما اختصهم به من كرامته قواماً لعباده وصلاحاً لبلاده ورحمة غمر بها خلقه وافترض طاعتهم ، ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ ، وأوجبها في محكم تنزيله لما جمع فيها من سكون الدهماء واتساق الأهواء ولمّ الشعث وأمن السبل ووقم العدو وحفظ الحريم وسد الثغور وانتظام الأمور فقال : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر

منكم »[1] فمن الحق على خلفاء الله الذين حباهم بعظيم نعمته ، واختصهم بأعلى رتب كرامته ، واستحفظهم فيما جعله وسيلة إلى رحمته وسبباً لرضاه ومثوبته ، لأن يؤثروا طاعته في كل حال تصرفت بهم ويقيموا حقه في أنفسهم ، والأقرب فالأقرب منهم ، وأن يكون محلهم في الاجتهاد في كل ما قرب من الله عز وجل حسب موقعهم من الدين وولاية أمر المسلمين . وأمير المؤمنين يسأل الله مسألة رغبة إليه وتذللا لعظمته ، أن يتولاه فيما استرعاه ولاية يجمع له بها صلاح ما قلده ويحمل عنه أعباء ما حمله ويعينه بتوفيقه على طاعته إنه سميع قريب .

وقد علمتَ ما حضرتَ من رفع أبي عبد الله وابراهيم ابني أمير المؤمنين المتوكل على الله ، رضي الله عنه ، إلى أمير المؤمنين رقعتين بخطوطهما يذكران فيهما ما عرفهما الله من عطف أمير المؤمنين عليهما ورأفته بهما وجميل نظره لهما ، وما كان أمير المؤمنين المتوكل على الله عقده لأبي عبد الله من ولاية عهد امير المؤمنين ، ولإبراهيم من ولاية العهد بعد أبي عبد الله ، وإن ذلك العقد كان وأبو عبد الله طفل لم يبلغ ثلاث سنين ، ولم يفهم ما عقد له ولا وقف على ما قلده ، وابراهيم صغير لم يبلغ الحلم ولم يجر احكامهما ولا جرت احكام الاسلام عليهما ، وإنه قد يجب عليهما ، إذ بلغا ووقفا على عجزهما عن القيام بما عقد لهما من العهد وأسند إليهما من الأعمال ، أن ينصحا لله ولجماعة المسلمين بأن يخرجا من هذا الأمر الذي عقد لهما أنفسهما ، ويعتزلا الأعمال التي قلداها ، ويجعلا كل من في عنقه لهما بيعة وعليه يمين في حل ، إذ كانا لا يقومان بما رشحا له ولا يصلحان لتقلده ، وأن يخرج من كان ضم إليهما ممن في

(١) سورة النساء : الآية ٥٩ .

نواحيهما من قواد أمير المؤمنين ومواليه وغلمانه وجنده وشاكرتيه وجميع من مع أولئك القواد بالحضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومهما ، ويزال عنهم جميعاً ذكر الضم إليهما ، وأن يكونا سوقة من سوق المسلمين وعامتهم ، ويصفان ما لم يزالا يذكران لأمير المؤمنين من ذلك ويسألانه فيه منذ أفضى الله بخلافته إليه ، وإنهما قد خلعا أنفسهما من ولاية العهد وخرجا منها وجعلا كل من لهما عليه بيعة ويمين من قواد أمير المؤمنين وجميع أوليائــه ورعيته قريبهم وبعيدهم ، وحاضرهم وغائبهم ، في حل وسعة من بيعتهم وإيمانهم ليخلعوهما كما خلعا أنفسهما .

وجعلا لأمير المؤمنـــين على أنفسهما ، عهد الله وأشد ما أخذ على ملائكته وأنبيائــه وعباده من عهد وميثاق ، وجميع ما أكده أمــير المؤمنين عليهما من الايمـان بإقامتهما على طاعته ومناصحته وموالاته في السر والعلانية ، ويسألان أمـــير المؤمنين أن يظهر ما فعلاه وينشره ، ويحضر جميع أوليائــه ليسمعوا ذلك منهما طالبين راغبين ، طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ، ويُقرأ عليهم الرقعتان اللتان رفعاها بخطوطهما بما ذكر من وقوع الأمر لهما من ولاية العهد وهما صبيان ، وخلعهما أنفسهما بعد بلوغهما ، وما سألا صرفهما عن الأعمـال التي يتوليانها واخراج من كان بها ممن ضم إليهما في نواحيهما من قواد أمير المؤمنين وجنده وغلمانه وشاكرتيه وجميع من مع أولئك القواد بالحضرة وخراسان وســـائر النواحي عن رسومهما وإزالة ذكر الضم إليهما عنهم وأن يكتب بالكتاب بذلك إلى جميع عمال النواحي .

وإن أمير المؤمنـين وقف على صدقهما فيما ذكرا ورفعا ، وتقدم في إحضار جميع اخوته ومن بحضرته من أهــــل بيته وقواده ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكرتيه وكتابه وقضاتــه والفقهاء وغيرهم ،

وسائر أوليائه الذين كانت وقعت البيعة لهما بذلك عليهم . وحضر أبو عبد الله وابراهيم ابنا أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه ، وقرئت رقعتاهما بخطوطهما بحضرتهما ، الى مجلس أمير المؤمنين ، عليهما وعلى جميع من حضر ، وأعادا القول بعد قراءة الرقعتين مثل الذي كتبا به .

ورأى أمير المؤمنين أن يجمع في إجابتهما الى نشر ما فعلاه وإظهاره وإمضائه ذلك قضاءً حقوقٍ ثلاثة : منها حق الله عز وجل فيما استحفظه من خلافته وأوجب عليه من النظر لأوليائه فيما يجمع لهم كلمتهم في يومهم وغدهم ، ويؤلف بين قلوبهم ؛ ومنها حق الرعية الذين هم ودائع الله عنده حتى يكون المتقلد لأمورهم ممن يراعيهم آناء الليل والنهار بعنايته ونظره وتفقده وعدله ورأفته ، ومن يقوم بأحكام الله في خلقه؛ ومن يضطلع بثقل السياسة وصواب التدبير ؛ ومنها حق أبي عبد الله وابراهيم فيما يوجبه أمير المؤمنين لهما باخوتهما وماس رحمهما ، لأنهما لو أقاما على ما خرجا منه لم يؤمن أن يؤدي ذلك الى ما يعظم في الدين ضرره ، ويعم المسلمين مكروهه ، ويرجع عليهما عظيم الوزر فيه ؛ فخلعهما أمير المؤمنين إذ خلعا أنفسهما من ولاية العهد وخلعهما جميع أخوة أمير المؤمنين ومن بحضرته من أهل بيته ، وخلعهما جميع من حضر من قواد أمير المؤمنين ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكرتيه وكتابه وقضاته والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير المؤمنين الذين كانت أخذت لهما البيعة عليهم .

وقد أمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب بذلك الى جميع العمال ليتقدموا في العمل بحسب ما فيها ويخلعوا أبا عبد الله وابراهيم من ولاية العهد إذ كانا قد خلعا أنفسهما من ذلك وحللا الخاص والعام والحاضر

والغائب والداني والقاصي منه ويسقطوا ذكرهما بولاية العهد ، وذِكْرَ ما نسبا إليه من نسب ولاية العهد من المعتز بالله والمؤيد بالله من كتبهم وألفاظهم ، والدعاء لهما على المنابر ، ويسقطوا كل ما ثبت في دواوينهم من رسومها القديمة والحديثة الواقعة على من كان مضموماً إليهما ، ويزيلوا ما على الأعلام والمطارد من ذكرهما ، وما وسمت دواب الشاكرية والرابطة من أسمائهما . ومحلك من أمير المؤمنين وحالك عنده على حسب ما أخلص الله لأمير المؤمنين من طاعتك ومناصحتك وموالاتك ومشايعتك ، ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك وما عرف الله أمير المؤمنين من طاعتك ويمن نقيبتك واجتهادك في قضاء الحق .

وقد أفردك أمير المؤمنين بقيادتك وإزالة الضم الى أبي عبد الله عنك وعمن في ناحيتك في الحضرة وسائر النواحي ، ولم يجعل أمير المؤمنين بينك وبينه أحداً يرؤسك وخرج أمره بذلك الى ولاة دواوينه .

فاعلم ذلك واكتب الى عمالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، وأوعز إليهم في العمل على حسبه إن شاء الله ، والسلام .

وكتب أحمد بن الخصيب يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين .

تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٧ ، ٤١٠ ـ ٤١٣ .

٢ ــ المستعين ٢٤٨ ــ ٢٥٢ هـ/٨٦٢ ــ ٨٦٦ م

٤ – منشوره إلى أهل بغداد في النصر على الأتراك :

ولى الأتراك المستعين خليفة بعد وفاة المنتصر ، ولكنهم بعد فترة خلعوه وولوا مكانه المعتز ، وهرب المستعين وحزبه الى بغداد وأصبح هناك فريقان يتصارعان : فريق يتزعمه ابن طاهر يشد أزر المستعين ومقره في بغداد ، وفريق الأتراك يشد أزر المعتز ومقره في سامراء . ونشبت الحرب بين الطرفين ، وقد انتصر أهل بغداد ، فريق المستعين ، في إحدى المعارك ، انتصاراً كبيراً على الأتراك ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، فوجه محمد بن عبد الله بن طاهر زعيم حزب المستعين وبإسمه المنشور التالي الى أهل بغداد :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته ، والقادر فلا يعارض في قدرته ، والعزيز فلا يغالب في أمره ، والحكم العدل فلا يرد حكمه ، والناصر فلا يكون نصره إلا للحق وأهله ، والمالك لكل شيء فلا يخرج أحد عن أمره ، والهادي إلى الرحمة فلا يضل من انقاد لطاعته ، والمقدم أعذاره ليظاهر بـه حجته ، الذي جعل دينه لعباده رحمة ، وخلافته لدينه عصمة ، وطاعة خلفائه فرضاً واجباً على كافـة الأمة ، فهم المستحفظون في أرضه على مابعث به رسله ، وأمناؤه على خلقه فيا دعاهم اليه من دينه ، والحاملون لهم على منهاج حقه لئلا يتشعب بهم الطريق إلى المخالفة لسبيله ، والهادي لهم إلى صراطه ليجمعهم على الجادة التي ندب اليها عباده الذين بهم يُحمى الدين من الغواة والمخالفين ، محتجين على الأمم بكتاب الله الذي استعملهم به ، ودعاة الأمة بحق الله الذي اختارهم له ، إن جاهدوا كانت حجة

الله معهم ، وإن حاربوا حكم بالنصر لهم ، وإن بغاهم عدو كانت كفاية الله حائلة دونهم ومعقلاً لهم ، وإن كادهم كائد فالله من وراء عونهم ، نصبهم الله لاعزاز دينه فمن عاداهم فإنما عادى الدين الذي أعزه وحرسه بهم ، ومن ناوأهم فإنما طعن على الحق الذي يكلؤه بحراستهم . جيوشهم بالنصر والعز منصورة ، وكتائبهم بسلطان الله من عدوهم محفوظة ، وأيديهم عن دين الله دافعة وأشياعهم بتناصرهم في الحق عالية ، وأحزاب أعدائهم ببغيهم مقموعة ، وحجتهم عند الله وعند خلقه داحضة ، ووسائلهم إلى النصر مردودة ، تجمعهم مواطن التحكم ، وأحكام الله بخذلانهم واقعة ، وأقداره بإسلامهم إلى أوليائه جارية ، وعاداتهم في الأمم السالفة والقرون الخالية ماضية ، ليكون أهل الحق على ثقة من إنجاز سابق الوعد ، وأعداؤه محجوبون بما قدم اليهم من الانذار ، معجلة لهم نقمة الله بأيدي أوليائه ، معد لهم العذاب عند ربهم ، والخزي موصول بنواصيهم في دنياهم ، وعذاب الآخرة من ورائهم ، وما الله بظلام للعبيد.

وصلى الله على نبيه المصطفى ورسوله المرتضى ، والمنقذ من الضلالة إلى الهدى ، صلاة تامة نامية بركاتها ، دائمة اتصالها وسلم تسليماً .

والحمد لله تواضعاً لعظمته ، والحمد لله إقراراً بربوبيته ، والحمد لله اعترافاً بقصور أقصى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته ، والحمد لله الهادي إلى حمده والموجب به مزيده والمحصي به عوائد إحسانه حمداً يرضاه ويتقبله ويوجب طوله وأفضاله . والحمد لله الذي حكم بالخذلان على من بغى على أهل دينه ، وسبق وعده بالنصر لمن بغى عليه من أنصار حقه ، وأنزل بذلك كتابه العزيز موعظة للباغين ، فإن أقلعوا كانت التذكرة نافعة لهم ، والحجة عند الله لمن قام بها فيهم ؛ ثم أوجب بعد التذكرة والاصرار جهادهم ، فقال فيما قدم من وعده

وأبان من برهانه : ثم بغى عليه لينصرنه الله . وعداً من الله حقاً ، نهى بــه أعداءه عن معصيته وثبت به أوليـــاءه على سبيله ، والله لا يخلف الميعاد .

ولله عند أمير المؤمنين في رئيس دعوته وسيف دولته والمحامي عن سلطانه ومحل ثقته والمتقدم في طاعته ونصيحته لأوليائه ، والذاب عن حقه والقائم بمجاهدة أعدائه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين نعمــة يرغب الله في إتمامها والتوفيق لشكرها ، والتطول بمن أراد المزيد فيها ، فإن الله قدر لآبائه القيام بالدعوة الأولى لآباء أمير المؤمنين[1] ، ثم جمع له آثارهم بقيامه بالدولة الثانية حين حاول أعداء الله أن يطمسوا معالم دينه ويعفوها ، فقام بحق الله وحق خليفته محامياً عنها ومرامياً من ورائها ، متناولاً للبعيد برأيه ونظره ، مباشراً للقريب بإشرافه وتفقده ، باذلاً نفسه في كل ماقرب من الله وأوجب له الزلفة عنــده ، وسيمتع الله أمير المؤمنين به ولياً مكانفاً على الحق وناصراً مؤازراً على الخير ، وظهيراً مجاهداً لعدو الدين .

وقد علمتم ماكان كتاب أمير المؤمنين تقـدم به اليكم فيما أحــدثته الفرقة الضالة عن سبيل ربها المفارقة لعصمة دينها الكافرة لنعم الله ونعم خليفته عندها ، المباينة لجماعة الأمة التي ألف الله بخلافتـــه نظامها ، المحاولة لتشتيت الكلمة بعد اجتماعها ، الناكثة لبيعته الخالعة لربقة الاسلام من أعناقها ، الموالي الأتراك وما صارت اليه من نصر الغلام المعروف بأبي عبد الله [بن] المتوكل لإقامتها عند مصير أمير المؤمنين إلى مدينة

---

(١) الاشارة هنا الى طاهر بن الحسين الذي كان قائد المأمون والذي احتل بغداد وقتل أخاه الامين ، والى ابنه عبد الله بن طاهر الذي كان بعد ذلك من أبرز ولاة وقواد المأمون إن لم يكن أبرزهم وأشهرهم .

السلام محل سلطانه ومجتمع أنصاره وأبناء أنصار آبائه وما قابل بـــه أمير المؤمنين خيانتهم وآثره من الأناة في أمرهم .

ثم ان هؤلاء الناكثين جمعوا جمعاً من الاتراك والمغاربة ومن ولج في سوادهم ودخل في غمارهم مؤاتياً للفتنة من ألفاف البغي ، ورأسوا عليهم المعروف بأبي أحمد بن المتوكل ، ثم ساروا نحو مدينة السلام في الجانب الشرقي ، معلنين للبغي والاقتـدار ، مظهرين للغي والاصرار ، فتأناهم أمير المؤمنين وفسح لهم في النظرة لهم ، وأمر بالكتاب اليهم بما فيه تبصيرهم الرشد وتذكيرهم بما قدموا من البيعة وإفهامهم مـا لله عليهم وله في ذلك من الحق ، وإن خروجهم مما دخلوا فيه من بيعتهم طوعاً الخروجُ من دين الله والبراءة منه ومن رسوله ، وتحريمهم أموالهم ونساءهم عليهم ، وأن في تمسكهم به سلامة أديانهم وبقـــاء نعمتهم ، والاحتراس من حلول النقم بهم ، وأن يبين لهم ماسلف من بلائه عندهم من أسنى المواهب وأرفع الرغائب والاختصاص بسني المراتب والتقدم في المحافل فأبوا إلا تمادياً ونفاراً وتمسكاً بالبغي وإصراراً .

فقلد أمير المؤمنين نصيحه المؤتمن ووليه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين بتدبير أمورهم ودعائهم الى الحق ما كانت الانابة ، أو محاربتهم إن جنح بهم غيهم وتتابعوا في ضلالهم ، فلم يألهم نظراً وإفهاماً وتبييناً وإرشاداً ، وهم في ذلك رافعون أصواتهم بالتوعد لأهل مدينة السلام بسفك دمائهم وسبي نسائهم وتغنم أموالهم ، وقبل ذلك ما كانوا في مسيرهم على السبيل التي يستعملها أهل الشرك في غاراتهم ، ويميلون اليها عند إمكان النهزة لهم ، لا يجتازون بعـامر إلا خربوه ، ولا بحريم لمسلم ولا غيره إلا أباحوه ، ولا بمسلم يعجز عنهم إلا قتلوه ، ولا بمال لمسلم أو ذمي إلا أخذوه ، حتى انتقل كثير ممن سبقت اليهم أخبارهم

بمن أمامهم عن أوطانهم ، وفارقوا منازلهم ورباعهم ، ونزعوا إلى باب أمير المؤمنين تحصناً من معرتهم ، لا يرون بغني إلا خلعوا عنه لباس الغنى ، ولا بمستور إلا هتكوا عن الذرية والنساء ستره ، لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، ولا يتوقفون عن مسلم بهتك ولا مثلة ، ولا يرغبون عما حرم الله من دم ولا حرمة .

ثم تلقوا التذكرة بالحرب وقابلوا الموعظة بالاصرار على الذنب ، وعارضوا التبصر بالاستبصار في الباطل ، فذلفوا نحو باب الشماسية ، وقد رتب محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين بذلك الباب والابواب التي سبيلها سبيله من أبواب مدينة السلام الجيوش في العـدة الكاملة والعـدة المتظاهرة ، معاقلهم التوكل على ربهم ، وحصونهم الاعتصام بطاعته ، وشعارهم التكبير والتهليل أمام عدوهم ، ومحمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين يأمرهم بتحصين مايليهم والامساك عن الحرب ما كانت مندوحة لهم ، فبادأهم الأولياء بالموعظة ، وبدأهم الغزاة والناكثون بحربهم ، وعادوهم أياماً بجموعهم وعدادهم مدلين بعدتهم ومقـدرين الاغالب لهم ، ولا يعلمون بالله ان قدرته فوق قدرتهم ، وان أقداره نافذة بخلاف إرادتهم ، وأحكامه عادلة ماضية لأهل الحق عليهم ، حتى إذ كان يوم السبت للنصف من صفر وافوا باب الشماسية بأجمعهم قـد نشروا أعلامهم وتنادوا بشعارهم وتحصنوا بأسلحتهم ، وبدا الأمر منهم لمن عاينهم ليس لهم وعيد دون سفك الدمـاء وسبي النساء واستباحـة الأموال ، فبدأهم الأولياء بالموعظة فلم يسمعوا وقابلوهم بالتـذكرة فلم يصغوا إليها ، وبدءوا بالحرب منابذين لها ، فتسرع الأولياء عند ذلك اليهم واستنصروا عليهم ، واستحكمت بالله ثقتهم ونفذت به بصائرهم . فلم تزل الحرب بينهم إلى وقت العصر من هذا اليوم ، فقتل الله من حماتهم وفرسانهم ورؤسائهم وقادة باطلهم جماعة كثيرة عددها ، ونالت

الجراحة المثخنة التي تأتي على من نالته أكثر عامتهم . فلما رأى أعداء الله وأعداء دينه ان قد أكذب ظنونهم وحال بينهم وبين أمانيهم وجعل عواقبهـا حسرات عليهم ، استنهضوا جيشاً من سامراء من الأتراك والمغاربة في العتاد والعدة والجلد والاسلحة في الجانب الغربي طـالبين المعرة ، مؤملين أن ينالوا نيلاً من أهله باشتغال إخوانهم في الجـانب الشرقي بأعدائهم .

وقد كان محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين شحن الجانبين جميعاً بالرجال والعدة ، ووكل بكل ناحية من يقوم بحفظها وحراستها ، ويكف عن الرعية بوائق أعدائهم ، ووكل بكل باب قائداً في جمع كثيف ، ورتب على السور من يراعيه في الليل والنهار ، وبث الرجـال ليعرف أخبار أعداء الله في حركاتهم ونهوضهم ومقامهم وتصرفهم ، فيعامل كل حال لهم بحـال يفت الله في أعضادهم بها ، فلما كان يوم الاربعـاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر وافى الجيش الذي انهضوه من الجانب الغربي الباب المعروف بباب قطربل ، فوقفوا بإزاء الناكثين المعسكرين بالجانب الشرقي من دجلة في عدد لا يسعه إلا الفضاء ، ولا يحمله إلا المجال الفسيح ، وقد تواعدوا أن يكون دنوهم من الابواب معاً لشغل الأولياء بحربهم من الجهات فيضعفوا عنهم ويغلبوا حقهم بباطلهم ، املاً كادهم الله فيه غير صادق ، وظناً خائباً لله فيه قضاء نافذ . وأنهض محمد بن عبد الله نحوهم محمد بن أبي العون وبندار بن موسى الطبري مولى أمير المؤمنين ، وعبد الله بن نصر بن حمزة من باب قطربل ، وأمرهم بتقوى الله وطاعته والاتباع لأمره والتصرف مع كتابه ، والتوقف عن الحرب حتى يسبق التذكرة والإسماع ، وينزل الحجة بالتتابع منهم والإصرار ، فنفذوا في جمع يقابل جمعهم مستبصرين في حق الله عليهم ، مسارعين

إلى لقاء عدوهم ، محتسبين خطاهم ومسيرهم ، وأثقين بالثواب الآجـل والجزاء العاجل ، فتلقاهم ومن معهم أعـداء الله قـــد أطلقوا نحوهم أعنتهم وأشرعوا لنحورهم أسنتهم ، لايشكون انهم نهزة المختلس وغنيمة المنتهب ، فنادوهم بالموعظة نداء مسمعاً فمجتها أسماعهم وعميت أبصارهم وصدقهم أولياء الله في لقائهم بقلوب مستجمعة لهم وعلم بأن الله لايخلف وعده فيهم ، فجالت الخيل بهم جولة وعاودت كرة بعد كرة عليهم طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف ورشقاً بالسهام ، فلما مسهم أليم جراحها وكلمتهم الحرب بأنيابها ودارت عليهم رحاها وصمم عليهم أبناؤها ظماً إلى دمائهم ولوا أدبارهم ومنح الله أكتافهم وأوقع بأسه بهم فقتلت منهم جماعة لم يحترسوا من عذاب الله بتوبة ولم يتحصنوا من عقـابه بإنابة . ثم ثابت ثانية فوقفوا بازاء الأولياء ، وعبر اليهم أشياعهم الغاوون من عسكرهم بباب الشماسية ألف رجل من أنجادهم في السفن معاونين لهم على ضلالتهم ؛ فأنهض محمد بن عبد الله خالد بن عمران والشاه بن ميكال مولى طاهر نحوهم ، فنفذوا ببصيرة لا يتخوفها فتور ونية لا يلحقهـــا تقصير ومعهما العباس بن قارن مولى أمير المؤمنين . فلما وافى الشاه فيمن معه أعداء الله وكل بالمواضع التي يتخوف منها مداخل الكمناء ، ثم حمل ومن توجه معه من القواد المسمين ماضين لا يغويهم الوعيد ولا يشكون من الله في النصر والتأييد . فوضعوا أسيافهم فيهم تمضي أحكام الله عليهم حتى ألحقوهم بالمعسكر الذي كانوا عسكروا فيه وجـاوزوه وسلبوهم كل ما كان من سلاح وكراع وعتـــاد الحرب ، ، فمن قتيل غودرت جثته بمصرعه ، ونقلت هامته إلى مصير فيه معتبر لغيره ، ومن لاجىء من السيف إلى الغرق ، لم يجره الله من حـــذاره ، ومن أسير مصفود يقاد إلى دار أولياء الله وحزبه ، ومن هارب بحشاشة

نفسه قد أسكن الله الخوف قلبه ، فكانت النقمة بحمد الله واقعة بالفريقين ممن وافى الجانب الغربي قادماً ، ومن عبر اليهم من الجانب الشرقي منجداً ، لم ينج منهم ناج ولم يعتصم منهم بالتوبة معتصم ولا أقبل إلى الله مقبل ، فرقاً أربعاً يجمعها النار ويشملها عاجل النكال عظة ومعتبراً لأولي الأبصار ، فكانوا كما قال الله عز وجل : ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها وبئس القرار [1] . ولم تزل الحرب بين الأولياء وبين الفرقة التي كانت في الجانب الشرقي والقتل محتفل في أعلامهم ، والجراح فاشية فيهم ، حتى إذا عاينوا ما أنزل الله بأشياعهم من البوار وأحل بهم من النقمة والاستئصال مالهم من الله من عاصم ولا من أوليائه ملجأ ولا موئل ، ولوا منهزمين مفلولين منكوبين ؛ قد أراهم الله العبَر في إخوانهم الغاوية وطرائفهم المضلة . وضل ما كان في أنفسهم لما رأوا من نصر الله لجنده واعزازه لأوليائه . والحمد لله رب العالمين ، قامع الغواة الناكبين عن دينه والبغاة الناقضين لعهده والمراق الخارجين من جملة أهل حقه حمداً مبلغاً رضاه وموجباً أفضل مزيده . وصلى الله أولاً وآخراً على محمد عبده ورسوله الهادي إلى سبيله والداعي اليه بإذنه وسلم تسليماً . وكتب سعيد بن حميد يوم السبت لسبع بقين من صفر سنة ٢٥٦ هـ .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٤٥٠ – ٤٥٦

(١) سورة ابراهيم : الآية ٢٨ .

٥ ـ كتاب المستعين إلى المعتز بخلع نفسه من الخلافة ومبايعته المعتز بالخلافة وارسال تراث النبوة له :

هُزم المستعين أخيراً في الحرب التي دارت بين أنصاره وأنصار المعتز وتمت البيعة للمعتز ودارت مفاوضات كثيرة أدت إلى اعتراف المستعين ببيعة المعتز وخلافته لقاء شروط كثيرة أولها حقن دم المستعين . وقد كتب المستعين رسالة إلى المعتز يلقبه فيها بأمير المؤمنين وأرسلها ، مع تراث النبوة ـ أي البردة والقضيب والخاتم ـ مع عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر . وفيما يلي نص الخطاب :

أما بعد : فالحمد لله متمم النعم برحمته ، والهادي إلى شكره بفضله ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله الذي جمع له مافرق من الفضل في الرسل قبله ، وجعل تراثه راجعاً إلى من خصه بخلافته وسلم تسليماً . كتابي إلى أمير المؤمنين وقد تمم الله له أمره وتسلمت تراث رسول الله ﷺ ممن كان عنده ، وانفذته إلى أمير المؤمنين مع عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعبده .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ـ ٤٩٣

٣ ـ المعتز ٢٥٢ ـــ ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ ـــ ٨٦٩ م

٦ ـ نص بيعة المعتز بالخلافة

ثار الاتراك بالمستعين فهرب منهم إلى بغداد ، ودعوه للعودة إلى سامراء فرفض فأعلنوا خلعه وبايعوا المعتز بالخلافة . وفيما يلي نص هذه البيعة .

بسم الله الرحمن الرحيم . تبايعون عبد الله الإمام المعتز بالله أمير المؤمنين بيعة طوع واعتقاد ، ورضاً ورغبة ، وإخلاص من سرائركم وانشراح من صدوركم وصدق من نياتكم لا مكرهين ولا مجبرين ، بل مقرين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من تقوى الله وإيثار طاعته وإعزاز حقه ودينه ومن عموم صلاح عباد الله واجتماع الكلمة ولمّ الشعث وسكون الدهماء وأمن العواقب وعز الأولياء وقمع الملحدين على أن أبا عبد الله المعتز بالله عبد الله وخليفته المفترض عليكم طاعته ونصيحته والوفاء بحقه وعهده ، لا تشكون ولا تداهنون ولا تميلون ولا ترتابون ، وعلى السمع والطاعة والمشايعة والوفاء والاستقامة والنصيحة في السر والعلانية والخفوف والوقوف عند كل ما يأمر به عبد الله أبو عبد الله الإمام المعتز بالله أمير المؤمنين من موالاة أوليائه ومعاداة أعدائه من خاص وعام وقريب وبعيد متمسكين ببيعته بوفاء العقد وذمة العهد ، سرائركم في ذلك كعلانيتكم ، وضمائركم فيه كمثل ألسنتكم راضين بما يرضى به أمير المؤمنين بعد بيعتكم هذه على أنفسكم وتأكيدكم إياها في أعناقكم صفقة ، راضين طائعين ، عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم ، وبولاية عهد المسلمين لإبراهيم المؤيد بالله أخي أمير المؤمنين ، وعلى أن لا تسعوا في نقض شيء مما أكد عليكم ، وعلى أن لا يميل بكم في ذلك مميل عن نصرة واخلاص وموالاة ، وعلى أن لا تبدلوا ولا تغيروا ولا يرجع منكم راجع عن بيعته وانطوائه على غير علانيته ، وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتموها بألسنتكم وعهودكم بيعة يطلع الله من قلوبكم على اجتبائها واعتمادها ، وعلى الوفاء بذمة الله فيها ، وعلى إخلاصكم في نصرتها وموالاة أهلها ، لا يشوب ذلك منكم نفاق ولا ادهان ولا تأول حتى تلقوا الله موفين بعهده ، مؤدين حقه عليكم ،

غير مستريبين ولا ناكثين ، إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين بيعة خلافته وولاية عهده لإبراهيم المؤيد بالله أخي أمير المؤمنين « إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما »[1] . عليكم بذلك وبما أكدت عليكم به هذه البيعة في أعناقكم وأعطيتم بها من صفقة ايمانكم ، وبما اشترط عليكم من وفاء ونصرة وموالاة واجتهاد وعليكم عهد الله إن عهده كان مسؤولاً ، وذمة الله عز وجل وذمة محمد ﷺ وما أخذ الله على أنبيائه ورسله وعلى أحد من عباده من مواكيده ومواثيقه أن تسمعوا ما أخذ عليكم في هذه البيعة ، ولا تبدلوا ولا تميلوا ، وأن تمسكوا بما عاهدتم الله عليه تمسك أهل الطاعة بطاعتهم وذوي الوفاء والعهد بوفائهم ، ولا يلفتكم عن ذلك هوى ولا ميل ، ولا يزيغ قلوبكم فتنة أو ضلالة عن هدى باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حق الدين والطاعة والوفاء بما جعلتم على أنفسكم ، لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها ؛ فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين هذه البيعة على ما أخذ عليكم ، مسراً أو معلناً ، مصرحاً أو محتالاً أو متأولاً ، وأدهن فيما أعطى الله من نفسه وفيما أخذ عليه من مواثيق الله وعهوده ، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الرأي ، فكل ما يملك ، كل واحد منكم ممن ختر في ذلك منكم عهده ، من مال أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله ، محبوس محرم عليه أن يرفع شيئاً من

---

(١) سورة الفتح : الآية ١٠ .

ذلك إلى ماله وعن حيلة يقدمها لنفسه أو يحتال له بها ؛ وما أفاد في بقيـــة عمره من فائدة مال يقل خطرها أو يجل ، فذلك سبيلها إلى أن توافيه منيته ويأتي عليه أجله ، وكل مملوك يملكه اليوم وإلى ثلاثين سنة ، ذكر أو انثى ، أحرار لوجه الله ، ونساؤه يوم يلزمه فيه الحنث ومن يتزوج بعدهن إلى ثلاثين سنة طوالق طلاق الحرج لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ، وهو بريء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريئان ولا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، والله عليكم بذلك شهيد . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٤٤٠ – ٤٤٢ .

٧ – خطاب المعتز في انصاره لما نشبت الحرب بين جماعته وجماعة الخليفة المستعين الذي سار إلى بغداد وتحصن بها .

أما تنظرون إلى هذه العصابـــة التي ذاع نفاقها ، والهمج العصاة الأوغاد الذين لا مسكة بهم ولا اختيار لهم ولا تمييز معهم ، قد زين لهم تقحم الخطأ سوء أعمالهم ، فهم الأقلون وإن كثروا ، والمذمومون إذا ذكروا ، وقد علمتُ أنه لا يصلح لقود الجيوش وسد الثغور وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم إلا رجـــل قد تكاملت فيه خصال أربع : حزم يتقي به عند موارد الأمور حقائق مصادرها ؛ وعلم يحجزه عن التهور والتغرير في الأشياء إلا مع إمكان فرصتها ؛ وشجاعـة لا تفضها الملمات مع تواتر جوائحها ؛ وجود يهون تبذير الأموال عند سؤالها ، وسرعة مكافأة الإحسان الى صالح الأعوان ، وثقل الوطـأة على أهل الزيغ والعدوان ، والاستعداد للحوادث إذ لا تؤمن حوادث الزمان .

وأما الاثنتان فإسقاط الحجاب عن الرعية ، والحكم بـين القوي

والضعيف بالسوية . وأما الواحـــدة فالتيقظ للأمور . وقد اخترت لهم رجلاً من موالي أحدهم ، شديد الشكيمة ماضي العزيمة ، لا تبطره السراء ولا تدهشه الضراء ، ولا يهاب ما وراءه ، ولا يهوله ما يلقاه ، فهو كالحريش في أصل الاسلام ، إن حرك حمل ، وإن نهش قتل ، عدته عتيدة ونعمته شديدة ، يلقى الجيش في النفر القليل العديد بقلب أشد من الحديد ، طالب للثأر لا تغله العساكر ، باسل البأس ، ومقتضب الأنفاس ، لا يعوزه ما طلب ، ولا يفوته من هرب ، واري الزناد ، مضطلع الغماد ، لا تشرهه الرغائب ولا تعجزه النوائب ، إن ولى كفى وإن قال وفى ؛ وإن نازل فبطل ، وإن قال فعل ، ظله لوليه ظليل ، وبأسه في الهياج عليه دليل ، يفوق من ساماه ، ويعجز من ناواه ، ويتعب من جـــاراه وينعش من والاه .

الكامل لابن الأثير جـ ٧ ، ١٩٦ – ١٩٨ .

٨ ـ رسالة جوابية من اخي المعتز ابي احمد الى المعتز عن الحرب وسيرها ضد المستعين .

ولى المعتز أخاه أبا أحمد حرب المستعين في بغـــداد ، وقد سارت الحرب بطيئة ولم تحقق أحلام المعتز بنصر سريع على المستعين وأنصاره فكتب الى أخيه يعجزه ويستبطئه فأجابه أبو أحمد بما يلي :

لأمر المنـــايا علينـــا طريق ... وللدهر فينـــا اتساع وضيق
وأيامنا عبرة للأنـــام ... فمنها البكور ومنهـــا الطروق
ومنها هنات تشيب الوليـــد ... ويخذل فيها الصديق الصدوق
وفتنة دين لهــــا ذروة ... تفوق العيون ومتجر عميق
قتال متين وسيف عتيـــد ... وخوف شديد وحصن وثيق

وطول صياح لداعي الصــلاح السـلاح السلاحَ فما يستفيق

فهذا طريح وهذا جريح   وهـذا حريق وهـذا غريق

وهـذا قتيل وهـذا ذليل   وآخر يشدخــه المنجنيق

هناك اغتصاب وثم انتهاب   ودور خراب وكانت تروق

إذا ما شرعنـا إلى مسلك   وجدناه قد سد عنا الطريق

فبالله نبلــغ مـا نرتجي   وبالله ندفـع ما لا نطيق (١)

الكامل لابن الأثير جـ ٧ ، ١٥٢ - ١٥٣ .

٩ - رسالة من محمد بن عبد الله بن طاهر قائد جيش المستعين ومدبر اموره إلى المعتز وأنصاره .

أطلق المعتز أتباعه وأنصاره في النواحي فأساءوا السيرة واستحلوا أشعار أعدائهم وأبشارهم ودماءهم ، فلما بلغ ذلك محمـد بن عبد الله أرسل للمعتز ولحزبه من الأتراك الرسالة التالية :

أما بعد ، فإن زيغ الهوى صدف بكم عن حزم الرأي فأقحمكم حبائل الخطأ ، ولو ملكتم الحق عليكم وحكمتم بـه فيكم لأوردكم البصيرة ونفى عنكم غيابـة الحيرة . والآن فإن تجنحوا للسلم تحقنوا دماءكم وترغدوا عيشكم ، ويصفح أمير المؤمنين عن جريرة جارمكم ، وأخـلى لكم ذروة مسبوغ النعمة عليكم ؛ وإن مضيتم على غلوائكم وسول لكم الأمل أسوأ أعمالكم فأذنوا بحرب من الله ورسوله بعد نبذ المعذرة إليكم وإقامة الحجة عليكم . ولئن شنت الغارات وشب ضرام الحرب ودارت رحاها على قطبها وحسمت الصوارم أوصال حماتها

---

(١) هذه الأبيات لعلي بن أمية قالها في الحرب الأخوية التي دارت بين الامين والمأمون.

واستبحرت العوالي من نهمها ، ودعيت نزال ، والتحم الأبطال ، وكلمت الحرب عن أنيابها أشـداقها ، وألقت للمتجرد عنها قناعها ، واختلفت أعناق الخيل وزحف أهل النجدة الى أهل البغي ، لتعلمن أي الفريقين أسمح بالموت نفساً وأشد عند اللقاء بطشاً ولات حين معذرة ولا قبول فدية ، وقد أعذر من أنذر ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

١٠ - رسالة جوابية من المعتز والأتراك حزبه إلى محمد بن عبد الله عن الرسالة السابقة .

إن شخص الباطل تصور لك في صورة الحق ، فتخيل لك الغيُّ رشداً كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . ولو راجعت عزوب عقلك أنار لك برهان البصيرة وحسم عنك مواد الشبهة ، ولكن حصت عن سنة الحقيقة ونكصت على عقبيك لما ملك طباعك من دواعي الحيرة فكمت في الإصغاء لهتافه والتجرد الى وروده كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ، ولعمرك يا محمد لقد ورد وعدك لنا ووعيدك إيانا فلم يدننا منك ولم يثننا عنك ، إذ كان فحص اليقين قد كشف عن مكنون ضميرك وألقاك كالمكتفي بالبرق نهجاً إذا أضاء له مشى فيه ، وإذا أظلم عليه قام ، ولعمرك لئن اشتد في البغي شأوك ومتعت بصبابة من الأمـل ليكون أمرك عليك غمة ولنأتينك بجنود لا قبل لك بها ولنخرجنك منها ذليلاً وأنت من الصاغرين . ولولا انتظارنا كتاب أمير المؤمنين بإعلامنا ما نعمل في شاكلته بلغنا بالسياط النياط وغمدنا السيوف وهي كالة وجعلنا عاليها سافلها وجعلناها مأوى الظلمات والحيات . واليوم ، وقد ناديناك من كثب وأسمعناك إن كنت

حياً فإن تجب تفلح ، وإن تأب إلا غياً نخزيك بـــه وعما قليل لتصبحن نادمين .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٥٠٩ ـ ٥١٠ .

١١ – رسالة غلمان المعتز إلى ابن طولون بقتل المستعين .

هُزم المستعين وخلع وأُخذ الى واسط ووضع في عهدة أحمـد بن طولون . ولقد خاف أنصار المعتز وغلمانه من بقاء المستعين حياً فأرادوا قتله وأرسلوا الى ابن طولون رسالة يطلبون منه قتله ويقولون :

اقتله ، فإن قتلته ولّيناك واسطاً .

١٢ – جواب ابن طولون عن تلك الرسالة السابقة .

والله لا رآني الله قتلت خليفة بايعته له أبداً .

المنتظم لابن الجوزي ج ٥ ـ ٧٢ .

١٣ – كتاب خلع المعتز من الخلافة .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أشهد عليه الشهود المسمون في هذا الكتاب : شهدوا أن أبا عبد الله بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقر عندهم وأشهدهم على نفسه في صحة من عقله وجواز من أمره طائعاً غير مكره ، أنه نظر فيما كان تقلده من أمر الخلافـة والقيام بأمور المسلمين فرأى أنه لا يصلح لذلك ولا يكمل له ، وإنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها ضعيف عن ذلك ، فأخرج نفسه وتبرأ منها وخلعها من رقبته وخلع نفسه منها ؛ وبرأ كل من كانت له في عنقه بيعـة من جميع أوليائه وسائر الناس بمـا كان له في رقابهم من البيعة والعهود والمواثيق والايمان بالطـلاق والعتاق والصدقة والحج وسائر الايمان ،

وحللهم من جميع ذلك وجعلهم في سعة منه في الدنيا والآخرة ، بعد أن تبين له أن الصلاح له وللمسلمين في خروجه من الخلافة والتبرؤ منها ، وأشهد على نفسه بجميع ما سمى ووصف في هذا الكتاب جميع الشهود المسمين فيه وجميع من حضر بعد أن قرىء عليه حرفاً حرفاً فأقر بفهمه ومعرفته جميع ما فيه طائعاً غير مكره ، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين .

ووقع المعتز في ذلك :

أقر أبو عبد الله بجميع ما في هذا الكتاب وكتب بخطه وكتب الشهود شهاداتهم : شهد الحسن بن محمد ومحمد بن يحيى وأحمد بن جناب ويحيى بن زكريا بن أبي يعقوب الأصفهاني وعبد الله ابن محمد العامري وأحمد بن الفضل بن يحيى وحماد بن اسحق وعبد الله بن محمد وإبراهيم ابن محمد وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين .

تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٧ ، ٥٢٧ - ٥٢٨ .

٤ ـ المهتدي ٢٥٥ - ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ - ٨٧٠ م

١٤ - رسالة المهتدي إلى العامة وأنصاره الذين تجمعوا لنصرته وقد قُرئت عليهم .

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً . أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً . فهمت كتابكم وسرني ما ذكرتم من طاعتكم وما أنتم عليه فأحسن الله جزاءكم وتولى حياطتكم . فأما ما ذكرتم من خلتكم وحاجتكم

فعزيز عليّ ذلك فيكم ، ولوددت والله أن صلاحكم يهيأ بألا آكل ولا أطعم ولدي وأهلي إلا القوت الذي لا شبع دونه ، ولا ألبس أحداً من ولدي إلا ما ستر العورة ، ولا والله - حاطكم الله - ما صار إليّ منذ تقلدت أمركم لنفسي وأهلي وولدي ومتقدمي غلماني وحشمي إلا خمسة عشر ألف دينار ؛ وأنتم تقفون على ما ورد ويرد ، كل ذلك مصروف إليكم غير مدخر عنكم . وأما ما ذكرتم مما بلغكم وقرأتم به الرقاع التي ألقيت في المساجد والطرق وما بذلتم من أنفسكم فأنتم أهل لذلك ؛ وأين تعتذرون مما ذكرتم ونحن وأنتم نفس واحدة ، فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأمانتكم خيراً . وليس الأمر كما بلغكم ، فعلى ذلك فليكن عملكم إن شاء الله . وأما ما ذكرتم من الاقطاعات والمعاون وغيرها فأنا أنظر في ذلك وأصير منه إلى محبتكم إن شاء الله والسلام عليكم .

أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم حافظاً ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما كثيراً [1] .

١٥ - كتاب العامة وانصار المهتدي له وهو يتضمن مطاليبهم

إن الذي يسألون : أن ترد الأمور الى أمير المؤمنين في الخاص والعام ، ولا يعترض عليه معترض ، وأن ترد رسومهم الى ما كانت عليه أيام المستعين بالله ، وهو أن يكون على كل تسعة منهم عريف ، وعلى كل خمسين خليفة ، وعلى كل مائة قائد ، وأن تسقط النساء والزيادات

(١) ذكر ابن الاثير في الكامل ح٧ : ٢٢١-٢٢٢ هذه الرسالة بشكل موجز كل الايجاز .

والمعاون ، ولا يدخل مولى في قبالة ولا غيرها ، وأن يوضع لهم العطاء في كل شهرين على ما لم يزل . وأن تبطل الاقطاعات ، وأن يكون أمير المؤمنين يزيد من يشاء ويرفع من يشاء . وذكروا أنهم صائرون في أثر كتابهم الى باب أمير المؤمنين ومقيمون هناك الى أن تقضى حوائجهم . وانه ان بلغهم أن أحداً اعترض أمير المؤمنين في شيء من الأمور أخذوا رأسه ، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن بغا وبايكباك ومفلحاً وباجور وبكالبا وغيرهم[1] .

تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٧ ، ٥٧٢ ـ ٥٧٣ .

١٦ ـ رسالة جوابية من المهتدي لأنصاره والعامة على مطالبهم السابقة :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم . أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم وعلى أيديكم . فهمت كتابكم وقرأته على رؤسائكم فذكروا مثل الذي ذكرتم وسألوا مثل الذي سألتم ، وقد أجبتكم الى جميع ما سألتم محبة لصلاحكم والفتكم واجتماع كلمتكم ، وقد أمرت بتقرير أرزاقكم وأن تصير دارة عليكم فليست لكم حاجة الى حركة ، فطيبوا نفساً والسلام . أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم وعلى أيديكم .

---

(١) ورد نص كتاب العامة والانصار في الكامل لابن الأثير جـ ٧ ، ٢٢٢ وهو يكاد يتطابق مع نصنا اعلاه باستثناء بعض الخلافات .

١٧ ـ رسالة ثانية منه لأنصاره من الجند والعامة الذين لم تقنعهم الرسالة السابقة وإنما أصروا على أن يخرج إليهم توقيعه بالموافقة على طلباتهم الخمس التي رفعوها له فأجابهم بما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم . وفقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه ؛ فهمت كتابكم، حاطكم الله . وقد أنفذت اليكم التوقيعات الخمس على ما سألتم فوكلوا من يتنجزها من الدواوين إن شاء الله . وأما ما سألتم من تصيير أمركم الى أحد اخوتي ليوصل إليّ اخباركم ويؤدي إليّ حوائجكم : فوالله إني لأحب أن أتفقد ذلك بنفسي ، وأن أطلع على كل أمركم وما فيه مصلحتكم ، وأنا مختار لكم الرجل الذي سألتم من اخوتي أو غيرهم إن شاء الله . فاكتبوا إليّ بحوائجكم وما تعلمون أن فيه صلاحكم فإني صائر من ذلك الى ما تحبون إن شاء الله . وفقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٥٧٤ ـ ٥٧٦ .

١٨ ـ رسالة موسى بن بغا وبقية القواد للأتراك والعامة أنصار المهتدي الذين قدموا له ولزملائه مطاليبهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . أبقاكم الله وحفظكم وأتم نعمته عليكم، فهمنا كتابكم وإنما أنتم اخواننا وبنو عمنا ، ونحن صائرون الى ما تحبون . وقد امر أمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ في كل ما سألتم بما تحبون ، وأنفذ التوقيعات به اليكم ، وأما ما ذكرتم من أمر صالح مولى أمير المؤمنين وتغيرنا له فهو الأخ وابن العم ، وما أردنا من ذلك ما تكرهون ، فإن وعدكم أن يعطيكم أرزاق ستة أشهر فقد رفعنا

الى أمير المؤمنين رقاعاً نسأله مثـل الذي سألتم . وأما ما قلتم من ترك الاعتراض على أمير المؤمنين وتفويض الأمر اليه فنحن سامعون مطيعون لأمر أمير المؤمنـين ، والأمور مفوضة الى الله ، وهو مولانا ونحن عبيده وما نعترض عليه في شيء من الأمور أصـلا . وأما ما ذكرتم أنا نريد بأمير المؤمنين سوءً ، فمن أراد ذلك فجعل الله دائرة السوء عليه وأخزاه في دنيـاه وآخرته . أبقاكم الله وحفظكم وأتم نعمته عليكم .

تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٧ ، ٥٧٦ - ٥٧٧ .

١٩ - رقاع وجدت في المساجد تحث الناس على الدعاء لأمير المؤمنين المهتدي أن ينصره الله في صراعه ضـد الأتراك ، ذلك الصراع الذي نشب بعنف بينه وبينهم وانهزم الخليفة بنهايته .

بسم الله الرحمن الرحيم : يا معشر المسلمين : ادعوا الله لخليفتكم العدل الرضي المضاهي لعمر بن الخطاب أن ينصره على عدوه ويكفيه مؤونة ظالمه ، ويتم النعمة عليه وعلى هذه الأمة ببقائه . فإن الموالي قد أخذوه بأن يخلع نفسه وهو يعذب منذ أيام . والمدبر لذلك أحمد ابن محمد بن ثوابة والحسن بن مخلد . رحم الله من أخلص النية ودعا وصلى على محمد ﷺ (١) .

تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٧ ، ٥٧١ - ٥٧٢ .

---

(١) يذكر ابن الاثير في الكامل جـ ٧ ، ٢٢١ نصاً قريباً من النص أعـلاه . أما السيوطي في تاريخ الخلفاء فيذكر نصاً مختصراً كل الاختصار ويشبه المهتدي بعمر بن عبد العزيز ص ٣٦٣ .

٢٠ ـ خطاب المهتدي بالأتراك لما شغبوا ضده وحاصروه وهموا بخلعه بعد أن اتهموه بالممالئة عليهم .

بلغ المهتدي أن الأتراك قد هموا بخلعه فخرج الى مجلسه متقلداً سيفاً وقد لبس ثياباً نظافاً وتطيب ثم أمر بإدخالهم عليه فدخلوا بعد تمنع فقال :

إنه قد بلغني ما أنتم عليه من أمري ، ولست كمن تقدمني مثل أحمد بن محمد المستعين ولا مثل ابن قبيحة . والله ما خرجت اليكم إلا وأنا متحنط وقد أوصيت الى أخي بولدي . وهذا سيفي ، والله لأضربن به ما استمسك قائمه بيدي . والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن أو ليذهبن بها أكثركم . أما دين أما حياء ، أما رعة ؟ كم يكون هذا الخلاف على الخلفاء والاقدام والجرأة على الله ! سواء عليكم من قصد الإبقاء عليكم ومن كان إذا بلغه مثل هذا عنكم دعا بأرطال الشراب فشربها مسروراً وحباً لبواركم . خبروني عنكم : هل تعلمون أنه وصل إلي من دنياكم هذه شيء ؟ أما أنك تعلم يا بايكباك أن بعض المتصلين بك أيسر من جماعة اخوتي وولدي ؛ وإن أحببت أن تعرف ذلك فانظر ، هل ترى في منازلهم فرشاً أو وصائف أو خدماً أو جواري ؟ أو لهم ضياع أو غلات ؟ سوأة لكم ! ثم تقولون أني أعلم علم صالح ، وهل صالح إلا رجل من الموالي وكواحد منكم ؟ فكيف الاقامة معه إذا ساء رأيكم فيه ؟ فإن آثرتم الصلح كان ذلك ما أهوى لجمعكم ، وإن أبيتم إلا الاقامة على ما أنتم عليه فشأنكم فاطلبوا صالحاً ثم أبلغوا شفاء أنفسكم ؛ وأما أنا فما أعلم علمه .

قالوا : فاحلف لنا على ذلك .

قال : أما اليمين فإني ابذلها لكم . ولكني أؤخرها حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدلين وأصحاب المراتب غداً إذا صليت الجمعة (١) .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٧ ، ٥٧٠ - ٥٧١ .

٥ ــ المعتمد ٢٥٦ - ٢٧٩ هـ / ٨٧ - ٨٩٢ م

٢١ ــ نص الدعاء الذي كان يدعى به للموفق أخي المعتمد وولي العهد بعد أن يفرغ الخطيب من الدعاء للخليفة المعتمد .

اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين وأخا أمير المؤمنين .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ - ١٢٧

٦ ــ المعتضد ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠٢ م

٢٢ ــ نص الكتاب الذي هيأه المعتضد من أجل أن يقرأ على المنابر ويذكر فيه معاوية رحمه الله بسوء .

همّ المعتضد بلعن معاوية وأن يأمر عماله بلعنه على المنابر ، فأمر فاستخرج له صورة الكتاب الذي أعده المأمون من أجل نفس الموضوع ولم يصدره ، ولكن وزراءه ورجال حاشيته خوفوه عاقبة ذلك

---

(١) أورد كل من ابن الاثير في الكامل حـ٧ ، ٢٢٠-٢٢١ ، وابن كثير في البداية والنهاية حـ١١ ، ٢١-٢٢ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٣٦٤ نص هذه المحاورة ، ولكن نص الطبري أكمل وأكثر تفصيلاً .

ولاسيا وأن العلويين ثائرون في عدد من الأماكن ، فلم يصدر الكتاب . وهاك نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله العلي العظيم الحليم الحكيم العزيز الرحيم ، المنفرد بالوحدانية ، الباهر بقدرته ، الخالق بمشيئته وحكمته الذي يعلم سوابق الصدور وضمائر القلوب لا يخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات العُلى ولا في الأرضين السُفلى ، قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً وضرب لكل شيء أمداً وهو العليم الخبير ، والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته وخلق عباده لمعرفته على سابق علمه في طاعة مطيعهم وماضي أمره في عصيان عاصيهم . فبين لهم مايأتون ومـا يتقون ، وسهل لهم سبل النجـاة وحذرهم مسالك الهلكة ، وظاهر عليهم الحجة وقدم اليهم المعذرة واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم وأكرمهم به ، وجعل المعتصمين بحبله والمتمسكين بعروته أولياءه وأهل طاعته ، والمعاندين عنه والمخالفين له أعداءه وأهل معصيته ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيي عن بينة ، وإن الله لسميع عليم . والحمد لله الذي اصطفى محمداً رسوله من جميع بريته واختاره لرسالته وابتعثه بالهـدى والدين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ، وتأذن له بالنصر والتمكين، وأيده بالعز والبرهان المتين ، فاهتدى به من اهتدى واستنقذ به من استجاب له من العمى ، وأضل من أدبر وتولى حتى أظهر الله أمره وأعز نصره وقهر من خالفه وأنجز له وعده وختم به رسله وقبضه مؤدياً لأمره مبلغاً لرسالته ناصحاً لأمته ، مرضياً مهتـدياً إلى أكرم مآب المنقلبين وأعلى منازل أنبيائه المرسلين وعباده الفائزين . فصلى الله عليه أفضل صلاة وأتمها وأجلها وأعظمها وأزكاها وأطهرها ، وعلى

آله الطيبين . والحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين من سلفه الراشدين المهتدين ورثة خاتم النبيين وسيد المرسلين والقائمين بالدين والمقومين لعباده المؤمنين والمستحفظين ودائع الحكمة ومواريث النبوة ، والمتخلفين في الأمة والمنصورين بالعزة والمنعة والتأييد والغلبة حتى يظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون . وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة من شبهة قد دخلتهم في أديانهم وفساد قد لحقهم في معتقدهم ، وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم ونطقت بها ألسنتهم على غير معرفة ولا روية ، قلدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة ولا بصيرة ، وخالفوا السنن المتبعة إلى الأهواء المبتدعة . قال الله عز وجل : ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين[1] . خروجاً عن الجماعة ومسارعة إلى الفتنة ، وإيثاراً للفرقة وتشتيتاً للكلمة ، وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة ، وبتر منه العصمة وأخرجه من الملة وأوجب عليه اللعنة ، وتعظيماً لمن صغر الله حقه وأوهن أمره وأضعف ركنه من بني أمية الشجرة الملعونة ، ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة وأسبغ عليهم به النعمة من أهل بيت البركة والرحمة . قال الله عز وجل : يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم[2] .

فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك ، ورأى في ترك انكاره حرجاً عليه في الدين وفساداً لمن قلده الله أمره من المسلمين ، وإهمالاً لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين ، وإقامة الحجة على الشاكين وبسط اليد على العاندين . وأمير المؤمنين يرجع

(١) سورة القصص : الآية ٥٠ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧٤ .

اليكم معشر الناس بأن الله عز وجل لما ابتعث محمداً وأمره بأن يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربه ، وأنذرهم وبشرهم ونصح لهم وأرشدهم ، فكان من استجاب له وصدق قوله واتبع أمره نفر يسير من بني أبيه من بين مؤمن بما أتى به من ربه ، وبين ناصر له وإن لم يتبع دينه اعزازاً له وإشفاقاً عليـــه لماضي علم الله فيمن اختار منهم ونفذت مشيئته فيما يستودعه إياه من خلافته وأرث نبيه ، فمؤمنهم مجاهد بنصرته وحميته يدفعون من نابذه وينهرون من عاره وعانده ، ويتوثقون له ممن كانفه وعاضده ، ويبايعون له من سمح بنصرته ، ويتجسسون له أخبار أعدائه ، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأي العين حتى بلغ المدى وحان وقت الاهتداء فدخلوا في دين الله وطاعتـــه وتصديق رسوله والإيمان بـــه بأثبت بصيرة وأحسن هدى ورغبة ، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة وأهل بيت الدين الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ومعدن الحكمة وورثة النبوة وموضع الخلافة وأوجب لهم الفضيلة وألزم العباد لهم الطاعة . وكان ممن عانده ونابذه وكذبه وحاربه من عشيرته العدد الأكبر والسواد الأعظم يتلقونه بالتكذيب والتثريب ، ويقصدونه بالأذية والتخويف . ويبارزونه بالعداوة ، وينصبون له المحاربة ويصدون عنه من قصده ، وينالون بالتعذيب من اتبعـــه ، وأشدهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفـة ، وأولهم في كل حرب ومناصبة ، لا يرفع على الاسلام براية الا كان صاحبها وقـائدها ورئيسها في كل مواطن الحرب من بدر وأُحد والخندق والفتح أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتـاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله في عدة مواطن وعدة مواضع لمـاضي علم الله فيهم وفي أمرهم ونفاقهم وكفر أحلامهم ، فحارب مجاهداً وواقع مكابداً وأقام

منابذاً حتى قهره السيف وعلا أمر الله وهم كارهون . فتقول بالاسلام غير منطوٍ عليه ، وأسر الكفر غير مقلع عنه ، فعرفه بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون ، وميّز له المؤلفة قلوبهم فقبله وولده على علم منه . فمما لعنهم الله به على لسان نبيه ﷺ وأنزل به كتاباً قوله : والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً (١) . ولا اختلاف بين أحد انه أراد بها بني أمية . ومنه قول الرسول عليه السلام وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به : لعن الله القائد والراكب والسائق . ومنه مايرويه الرواة من قوله : يابني عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة ، فما هناك جنة ولا نار . وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . ومنه مايروونه من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده : ههنا ذببنا محمداً وأصحابه . ومنها الرؤيا التي رآها النبي ﷺ فوجم لها ، فما رؤي ضاحكاً بعدها ، فأنزل الله : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس (١) . فذكروا انه رأى نفراً من بني أمية ينزون على منبره . ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاصي لحكايته إياه والحقه الله بدعوة رسوله آية باقية حين رآه يتلجلج فقال له : كن كما أنت . فبقي على ذلك سائر عمره ، إلى ما كان مروان في افتتاحه أول فتنة كانت في الاسلام واحتقابه لكل دم حرام سفك فيها أواريق بعدها .

ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر : ليلة القدر خير من

(١) سورة الاسراء : الآية ٦٠ .

ألف شهر (١) ، عن ملك بني أمية . ومنه أن رسول الله ﷺ دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه ، فدافع بأمره واعتل بطعامه ، فقال النبي : لا أشبع الله بطنه . فبقي لا يشبع ويقول : والله لا أترك الطعام شبعاً ولكن إعياءً . ومنه ان رسول الله ﷺ قال : يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي ، فطلع معاوية . ومنه ان رسول الله ﷺ قال : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه . ومنه الحديث المرفوع المشهور انه قال : ان معاوية في تابوت من نار في اسفل درك منها ينادي : ياحنان يامنان ، الآن وقد عصيتُ قبل وكنتُ من المفسدين .

ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الاسلام مكاناً وأقدمهم اليه سبقاً وأحسنهم فيه أثراً وذكراً علي بن أبي طالب ينازعه حقه بباطله ويجاهد أنصاره بضُلاله وغواته ، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجحود دينه ؛ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

يستهوي أهل الغباوة ويموه على أهل الجهالة بمكره وبغيه اللذين قدم رسول الله ﷺ الخبر عنهما فقال لعمار : تقتلك الفئة الباغية تدعوهم الى الجنة ويدعونك الى النار ؛ مؤثراً للعاجلة كافراً بالآجلة خارجاً من ربقة الاسلام ، مستحلاً لـلدم الحرام حتى سفك في فتنته وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والناصرين لحقه ، مجاهداً لله مجتهداً في أن يعصي الله فلا يطاع ، وتبطل أحكامه فلا تقام ، ويخالف دينه فـلا يدان ، وأن تعلو كلمة الضلالة وترتفع

---

(١) سورة القدر : الآية ٣ .

دعوة الباطل ، وكلمة الله هي العليا ودينه المنصور وحكمه المتبع النافذ وأمره الغالب ، وكيد ما حاده المغلوب الداحض حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما أتبعها ، وتطوق تلك الدماء وما سفك بعدها ، وسن سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها الى يوم القيامة ، وأباح المحارم لمن ارتكبها ومنع الحقوق أهلها ، واغتره الإملاء واستدرجه الإمهال ، والله له بالمرصاد .

ثم مما أوجب الله له به اللعنة قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة مثل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي ممن قتل أمثالهم في أن يكون له العزة والملك والغلبة ، ولله العزة والملك والقدرة ، والله عز وجل يقول : ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً [1] .

ومما استحق به اللعنة من الله ورسوله ادعاؤه زياداً ابن سمية جرأة على الله . والله يقول :

ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله [2] . ورسول الله ﷺ : ملعون من ادعى الى غير أبيه وانتمى الى غير مواليه . ويقول : الولد للفراش وللعاهر الحجر . فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ جهاراً وجعل الولد لغير الفراش والعاهر لا يضره عهره ؛ فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة زوجة النبي ﷺ وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرمه الله ، وأثبت بها قربى قد باعدها

---

(١) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٥ .

الله ، وأباح بها ما قد حظره الله مما لم يدخل على الاسلام خلل مثله ، ولم ينل الدين تبديل شبهه .

ومنه إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله الى ابنه يزيــد المتكبر الخمير صاحب الديوك والفهود والقرود ، وأخــذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرهبة ، وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه ويعاين سكراته وفجوره وكفره ، فلما تمكن منه ما مكنه منه ووطــأه له وعصى الله ورسوله فيه طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلــين ، فأوقع بأهل الحرة الوقيعة التي لم يكن في الاسلام أشنع منها ولا أفحش مما ارتكب من الصالحين فيها ، وشفى بذلك عَبَدَ[1] نفسه وغليله ، وظن أن قــد انتقم من أولياء الله ، وبلّغ النوى[2] لأعداء الله ، فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركــه .

ليت اشياخي ببـدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الإسل
قد قتلنا القرم من ساداتكم	وعدلنا ميل بــدرٍ فاعتدل
فأهلوا واستهلوا فرحـاً	ثم قالوا : يا يزيـد لا تُسل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل
ولعبتْ هاشمُ بالملك فــلا	خبر جـاء ولا وحي نزل

هذا هو المروق من الدين وقول من لا يرجع الى الله ولا الى دينه ولا الى كتابه ولا الى رسوله ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله .

ثم من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اخترم سفكه دم الحســين بن

(١) العبَد : الغضب .

(٢) النوى هنا : الحاجة والشيء الذي تنويه .

علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، مع موقعـه من رسول الله ﷺ ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل وشهادة رسول الله ﷺ له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة ؛ اجتراءً على الله وكفراً بدينه وعداوة لرسوله ومجاهدة لعترته واستهانة بحرمته ، فكأنما يقتل بـه وبأهل بيته قوماً من كفار الترك والديلم ، لا يخاف من الله نقمة ولا يرقب منه سطوة ، فبتر الله عمره واجتث أصله وفرعه وسلبه ما تحت يده ، وأعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته .

هـذا الى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل احكامه واتخاذ مال الله دولاً بينهم ، وهدم بيته ، واستحلال حرامـه ونصبهم المجانيق عليه ، ورميهم إياه بالنيران ، لا يألون له احراقاً واخراباً، ولما حرم الله منه استباحة وانتهاكاً ، ولمن لجأ اليه قتلاً وتنكيلاً ، ولمن أمنه الله به إخافة وتشريداً ؛ حتى إذا حقت عليهم كلمة العذاب واستحقوا من الله الانتقام ، وملؤا الأرض بالجور والعدوان ، وعموا عباد الله بالظلم والاقتسار ، وحلت عليهم السخطة ونزلت بهم من الله السطوة أتاح لهم من عترة نبيه وأهل وراثته من استخلصهم منهم بخلافته ، مثل ما أتاح الله من اسلافهم المؤمنـين وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين ، فسفك الله بهم دماءهم مرتدين ، كما سفك بآبائهم دماء آباء الكفرة المشركين ، وقطع الله دابر القوم الظالمين ، والحمد لله رب العالمين . ومكن الله للمستضعفين، ورد الله الحق الى أهله المستحقين كما قال جل شأنه : ونريـد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين(١) .

---

(١) سورة القصص : الآية ٥ .

واعلموا أيها الناس أن الله عز وجل إنما أمر ليطاع ومثّل ليتمثل، وحكم ليقبل، وألزم الأخذ بسنة نبيه ﷺ ليتبع؛ وان كثيراً ممن ضل فالتوى، وانتقل من أهل الجهالة والسفاه ممن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وقد قال الله عز وجل: فقاتلوا أئمة الكفر (١).

فانتهوا معاشر الناس عما يسخط الله عليكم، وراجعوا ما يرضيه عنكم، وارضوا من الله بما اختار لكم، والزموا ما أمركم به وجانبوا ما نهاكم عنه، واتبعوا الصراط المستقيم والحجة البينة والسبيل الواضحة، وأهل بيت الرحمة الذين هداكم الله بهم بدئياً، واستنقذكم بهم من الجور والعدوان أخيراً، وأصاركم الى الخفض والأمن والعز بدولتهم، وشملكم الصلاح في أديانكم ومعايشكم في أيامهم، والعنوا من لعنه الله ورسوله، وفارقوا من لا تنالون القربة من الله إلا بمفارقته:

اللهم العن أبا سفيان بن حرب ومعاوية ابنه ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده. اللهم العن أئمة الكفر وقادة الضلالة وأعداء الدين ومجاهدي الرسول ومغيري الأحكام ومبدلي الكتاب وسفاكي الدم الحرام.

اللهم إنا نتبرأ اليك من موالاة أعدائك، ومن الاغماض لأهل معصيتك كما قلت: لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله (٢).

يا أيها الناس: اعرفوا الحق تعرفوا أهله، وتأملوا سبل الضلالة

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

تعرفوا سابلها ، فإنه إنما يبين عن الناس أعمالهم ، ويلحقهم بالضلال والصلاح آباؤهم ، فلا يأخذكم في الله لومـــة لائم ، ولا يميلنّ بكم عن دين الله استهواء من يستهويكم وكيد من يكيدكم وطاعة من تخرجكم طاعته الى معصية ربكم .

أيها الناس : بنا هداكم الله ، ونحن المستحفظون فيكم أمر الله ، ونحن ورثة رسول الله والقائمون بدين الله ، فقفوا عندما نقفكم عليه ، وانفذوا لما نأمركم به ، فإنكم ما أطعتم خلفاء الله وأئمـة الهدى على سبيل الإيمان والتقوى . وأمير المؤمنين يستعصم الله بكم ويسأله توفيقكم ويرغب اليه في هدايتكم لرشدكم ، وفي حفظ دينه عليكم ، حتى تلقوه به مستحقين طاعته، مستحقبين [1] لرحمته . والله حسب أمـير المؤمنين فيكم وعليه توكله . وبالله على ما قلده من أموركم استعانته ، ولا حول لأمير المؤمنين ولا قوة إلا بالله ، والسلام عليكم .

وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة أربـع وثمانين ومائتـين [2] .

تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٨ ، ١٨٣ - ١٨٩ .

---

(١) مستحقبين : حاملين .

(٢) أورد السيوطي في تاريخ الخلفاء ٧٥-٨٥ نصاً موجزاً كل الايجاز لمـا سبق أن ذكرنا أعلاه .

٧ - المقتدر ٢٩٥ - ٣٢٠هـ/٩٠٨ - ٩٣٢ م

٢٣ - منشور أصدره وزيره ابن مقلة باسمه الى ولاة الولايات وقواد الجيش يخبر فيه بهزيمة الرجالة المصافية وهي فرقة مشاة من فرق الجيش تحكمت في بغــداد وعاثت فيها فساداً فحاربها الجيش حتى أخضعها .

بسم الله الرحمن الرحيم . قد جرى - أعزك الله - من أمر الرجالة المصافية بالحضرة ما قد اتصــل بك وعرفت جملته وتفصيله وجهته وسبيله . وقد خار الله عز وجل لسيدنا أمير المؤمنين وللناس بعده بما تهيأ من قمعهم وردعهم خير ظاهرة متصلة بالكفاية الشاملة التامة بيمن الله وفضله . ولم ير سيدنا - أيــده الله - استصلاح أحد من هذه العصبة إلا السودان ، فهم كانوا اخف جنـاية وأيسر جريرة ، فرأى - أعلى الله رأيه - إقرارهم على أرزاقهم القديمة ، وتصفيتهم بالعرض على المحنة لعلمه أن العساكر لابد لها من رجالة . وأمر - أعلى الله أمره - أن يستخدم بحضرته من تؤمن بوائقه وتخف مؤونته وترضى استقامته . وبالله ثقة أمير المؤمنين وتوفيقه . وقبلك وقبل مثلك رجالة أنت أعلم بمن مرضت طاعته منهم ، ومن يعود الى صحة وصــلاح ، فإن قنع من ترضاه منهم بأصل الجاري عليه ، فتمسك به وأقره على جاريه ، ومن رأيت الاستبدال به فأمره اليك . والله المستعان .

صلة تاريخ الطبري لعريب القرطبي ص ١٠٤ .

٢٤ - رسالة المقتدر الى مؤنس الخادم والجيش لما ثاروا به وهموا بخلعه وقتله .

... وأمــا نازوك فلست أدري سبب عتبه واستيحاشه ، فوالله

ما أعنت عليه هارون حين حاربه ، ولا قبضت يده حين طالبه . والله يغفر له سوء ظنه . وأما عبد الله بن حمدان فلا أعرف شيئاً أحفظه إلا عزله عن الدينور ، وما كنا عرفنا رغبته فيها وإنما أردنا نقله الى ما هو أجل منها ، وما لأحد عندي إلا ما أحب لنفسه . فإن أريد بي نقض البيعة فإني مستسلم لأمر الله وغير مسلم حقاً خصني الله به ، وأفعل كما فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه ولا ألزم نفسي حجة ولا آتي في سفك الدماء ما نهى الله عنه إلا في المواطن التي حدها الله في الكافرين والبغاة من المسلمين . ولست أستنصر إلا بالله لما أؤمله في الفوز في الآخرة . وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

صلة تاريخ الطبري لعريب القرطبي ص ٩٧ ــ ٩٨ .

٨ ــ القاهر بالله ٣٢٠ ــ ٣٢٢ هـ / ٩٣٢ ــ ٩٣٤ م

٢٥ ــ رسالة ابن مقلة للقاهر من اجل التمويه عليه .

عزم ابن مقلة ومؤنس الخادم على خلع القاهر وأذاعا أن القرامطة دخلوا الكوفة . وكان التدبير أن يأتي علي بن بليق قائد الجيش المرسل الى الكوفة لوداع الخليفة ، فإذا حضر أمامه قبض عليه وخلعه ونصب غيره مكانه ، ولذلك أرسل ابن مقلة الى الخليفة يقول :

إني قد جهزت جيشاً مع علي بن بليق ليسير يومنا هذا . والعصر يحضر الى الخدمة ليأمره مولانا بما يراه .

ولكن المؤامرة لم تنجح إذ تسرب خبرها الى القاهر فأخذ حذره وبطش بالمتآمرين .

الكامل لابن الأثير جـ ٨ ــ ٢٥٣ .

٩ — الراضي بالله ٣٢٢ - ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ - ٩٤١ م

٢٦ - دعاء الخليفة لما خرج فصلى بالناس بناء على طلب جنده حتى يراه الناس معهم ولا يتوهموا وجود خلاف .

... اللهم إن هؤلاء الغلمان بطانتي وظهارتي ، فمن أرادهم بسوء فأرده ، ومن كادهم فكده .

المنتظم لابن الجوزي ج ٦ — ٢٨١ .

٢٧ - رسالة الراضي إلى اخيه الأصغر ابي اسحاق [الذي اصبح فيا بعد خليفة باسم المتقي لله] وقد وقع بينهما خلاف .

بسم الله الرحمن الرحيم . أنا معترف لـك بالعبودية فرضاً ، وأنت معترف لي بالأخوة فضلاً ، والعبد يذنب والمولى يعفو . وقد قال الشاعر :

ياذا الذي يغضب من غير شيء اعتب فعتبـاك حبيب إليّ
أنت ، على أنك لي ظـالم أعـز خلـق الله إليّ

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ — ١٤٤ .

١٠ — المطيع لله ٣٣٤ - ٣٦٣ هـ / ٩٤٥ - ٩٧٤م

٢٨ - عهد المطيع لله بالتنازل عن الخلافة لولده الطائع لله .

هـذا ما أشهد على متضمنه أمير المؤمنين الفضل المطيع لله حين نظر لدينه ورعيته وشغل بالعلة الدائمة عن ما كان يراعيه من الأمور الدينية اللازمة ، وانقطع إفصاحه عن بعض ما يجب لله عز وجل في ذلك . فرأى اعتزال ما كان اليه من هـذا الأمر وتسليمه الى ناهض

به قائم بحقه بمن يرى له الرأي عقده له ، وأشهد بذلك طوعاً في يوم الأربعاء الثالث عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

وكتب فيه القاضي محمد بن صالح

شهد عندي بذلك أحمد بن حامد بن محمد وعمر بن محمد بن أحمد وطلحة بن محمد بن صفر ، وكتب محمد بن صالح (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ - ٦٦ .

١١ ـــ القادر بالله ٣٨١ - ٤٢٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٣١ م

٣٩ ـ رسالة الخليفة الى بهاء الدولة البويهي لما اصبح خليفة .

خلع بهاء الدولة الخليفة الطائع لله ونصب مكانه القادر بالله ، وكان القادر ملتجئاً الى البطيحة خوفاً من الطائـع . وهناك وافته رسل بهاء الدولة بالخلافة فكتب اليه من هناك هذه الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين الى بهاء الدولة وضياء الملة أبي نصر بن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإن أمير المؤمنـين يحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ ، تسليما . أما بعد : أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك ، وأحسن امتاع أمير المؤمنين بك وبالنعمة فيك وعندك ، فإن كتابك الوارد في صحبة الحسن بن محمد بن نصر ـ رعـاه الله ـ عرض على أمير المؤمنين تالياً لما تقدمه ، وشافعاً ما سبقه ومتضمناً مثل ما حواه الكتاب قبله من

(١) أورد ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ج٤ـ ١٠٥ نصاً لايختلف كبير اختلاف عن نصنا أعلاه .

إجماع المسلمين قبلك ، الخاص والعام ، بمشهد منك على خلع العبـاس المتلقب بالطائع عن الإمامة ونزعه عن منصب الخلافة لبوائقـه المستمرة وسوء نيته المدخولة ، ولشهادته على نفسه بنكوله وعجزه وإبرائه الكافة من بيعته وخروجهم من عهده وذمته ، ومبادرة الكبير والصغير إلى المبايعة لأمير المؤمنين ، واصفاقهم واتفاقهم عليهـا بانشراح في صدورهم وانفساح عن آمالهم ، واستتباب ذلك بتلطفك من حسن الارتياد للمسلمين وانتظامه بغضبك لله ولأمير المؤمنين حتى ناديت بشعاره في الآفـاق ، وأقمت الدعوة له في الأقطار ، ورفعت من شأن الحق ما كان العاصي خفضه وقمت من عماد الدين ما كان المخلوع رفضه ، ووقف أمير المؤمنين على ذلك كله وأحاط علمه بجميعه ، ووجدك ـ أدام الله تأييـدك ـ قد انفردت بهذه المأثرة واستحققت بها من الله تعالى جليل الاثرة ، ومن أمير المؤمنين سنيّ المنزلة وعليّ المرتبة ، وكانت هذه المنزلة عليك موقوفة ، كما كانت الظنون اليك مصروفة حتى فزت بها مايقابلك في الدنيا ذكره وفخره ، وفي الآخرة ثوابه وأجره ، فأحسن الله عن هذه الأفعـال مكافأتك ، وأجزل عاجلاً وآجلاً مجازاتك ، وشملك من توفيقه وتسديده ومعونته وتأييده بما يديم نظر أمير المؤمنين بك ، وظفره على يدك ، وجعلك أبداً مخصوصاً بفضل السابقة في ولائه ، متوحداً بتقدم القدم في اصفائه ، فقد أصبحت وأمسيت سيف أمير المؤمنين لأعدائه ، والحاظي دون غيرك بجميل رأيه ، والمستبد بحماية حوزته ورعاية رعيته ، والسفارة بينه وبين ودائع الله عنده . وقد برزت راية أمير المؤمنين عن الصليق متوجهة نحو سريره الذي حرسته ، ومستقر عزه الذي شيدته ، ودار مملكته التي أنت عمادها ، ورحى دولته التي أنت قطبها ، معتقداً لك مايعتقد في المخلص طاعة ومشايعة ، والمهذب نية وطوية ، من صنوف

الاختصاص الذي لا يضرب معك فيه بسهم دانٍ ولا قاصٍ ، وتوفى على كل سالف ، ويفوت كل انف ويعجز كل منـــاوٍ ، ويفحم كل سام ومساوٍ ، ولا يبقى أحـــد إلا علم انه منزاح عنك غير متواز لك فاحببت[1] لمحلك وقصر خطاه عن مجازاتك ، ووقع دون موقعك ، وتزحزح لك عن موضعك . وقد وجد أمير المؤمنين الحسن بن محمـد بن نصر ـ كلأه الله ـ مصدقاً بفعله وصفك ، محققاً ثناءك ، مستوجبـاً لما أهلته ورشحته القيام به من المسير في خدمته والحقوق [2] فيما يبـديه له . وعلم أمير المؤمنين انك لم تتلقه إلا بأوثق خواصك في نفسك وأوفرهم عندك ، فأحمد في ذلك اعتمادك ، وأضافه إلى سوالف أمثاله عندك ، فاعلم ذلك ـ أدام الله تأييدك ـ واجرِ على عادتك الحسناء وطريقتك المثلى في النيابة تبقى ، وواصل حضرة أمير المؤمنين بالانهاء والمطالعة إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . كتب ليلة الأحد لثلاث ليال بقين من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة .

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ١٥٩ ـ ١٦٠

٣٠ - رسالة القادر إلى الآفاق بتعيين ولده ولياً للعهد

... وإن أمير المؤمنين لمـا تأمل ماوهبه الله تعـالى من سلالته أبي جعفر عبد الله ، وجده شهاباً لا يخبو ، وخبر من مغيبات أحواله مالم يزل يستوضحه فولاه .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٤٩

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب ماحييت .
(٢) كذا بالأصل ولعل الصواب والخفوف .

٣١ – نص الدعاء الذي تقرر أن يدعو به الخطباء لولي عهد القادر بعد أبيه .

جعل القادر إبنه أبا الفضل ولياً لعهده ، ولقبه الغالب بالله وذلك سنة ٣٩١ هـ ، وأمر أن يخطب له على نسخة بحضرته هذا نصها وذلك بعد إتمام الخطيب الدعاء للخليفة :

اللهم وبلغه الأمل في ولده أبي الفضل الغالب بالله تعالى ولي عهده في المسلمين . اللهم والِ من والاه من العباد ، وعاد من عاداه في الأقطار والبلاد ، وانصر من نصره بالحق والسداد ، واخذل من خذله بالبغي والعناد ، اللهم ثبت دولته وشعاره ، وانبذ إلى من نابذ الحق وأنصاره .

تاريخ الصابيء ص ٣٩٣

٣٢ – رسالة جلال الدولة البويهي إلى القادر بالله لما سمى ولده ولياً للعهد .

سلام على أمير المؤمنين ، أما بعد : أطال الله بقاء سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين ، فإن كتابي صادر إلى الحضرة القاهرة القادرية المحفوفة بالبركات النبوية وما استأمن فيه من أمور الرعايا وحفظ نظام العسكر مستمر بمبذول الامكان والاجتهاد ، فما أزال أعمل فكراً في مصالح المسلمين ، وأدأب سعياً في حراسة شملهم . وعلم سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين محيط بأن الله تعالى جعل لكل شيء أمداً ، وسوى في ثقل الخلق فلم يخل من حتمه نبياً ولا صفياً . وقد سار مولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين بأحسن السير ، حامياً للخواص والعوام من الغير والاشه (١) تسمية النظر في حاضر يومه لغده ،

(١) كذا بالأصل .

واعداد مايستظهره من عدده ، حتى لا يسأله الله يوم المعاد عن حق أهمل وقد تعين وجوده . وإن أولى ما اعتمده النظر لأمة محمد ومن في ذمتها ، والنص على مايمهد الله بسياستها حتى لا تكون مهملة في وقت . وان الحنبة[1] العزيزة الجعفرية مستحقة لولاية العهد بعد الأمد الفسيح الذي أسأل الله أن يطيله وأرغب إلى الموقف القادري أن يشد إزر الخلافة بامضاء العقد المتين لها وصلة اسمها بالاسم العزيز في إقامة الدعوة وإنشاء الكتب إلى البلاد بما رأى في ذلك ليكون سيدنا ومولانا أمير المؤمنين بعد الأمد الفسيح قد سلم الأمة الى راعٍ ، فإن رأت الحضرة الشريفة النبوية الانعام بالاجابة إلى المرام أنعمت بذلك . وأصدرت هذه الخدمة يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة احدى وعشرين واربعمائة .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ، ٤٨ - ٤٩

١٢ ـ القائم بأمر الله ٤٢٢ ـ ٤٦٧ هـ / ١٠٣١ ـ ١٠٧٤ م

٣٣ ـ رسالة الجند الأتراك له يطالبون بتسليم أحد الأفراد لهم ليقتصوا منه لأنه قتل أحدهم .

حدث شغب بين الأتراك أثناء مبايعة القائم بالخلافة وطالبوا برسم البيعة ، وتكلم تركي بما لا يليق بحق الخليفة والخلافة فقتله هاشمي ، فثار الأتراك وأرسلوا الى الخليفة يقولون :

إن كان هذا بأمر الخليفة خرجنا من البلد ، وإن لم يكن فيسلم إلينا القاتل .

---

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب الحضرة .

٣٤ ـ توقيع الخليفة جواباً على هذا الطلب .

إنـه لم يجر ذلك بإرادتنا ، وإنما فعله رعاع في مقابلة قول تجاوز به عدوه ، ونحن نطلب القاتل ونقيم فيه حد الله تعالى .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ ـ ٥٩ .

٣٥ ـ نص قسم الخليفة القائم بأمر الله بالوفاء لجلال الدولة وذلك إثر توليه الخلافة سنة ٤٢٢ هـ .

والله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب المدرك المهلك ، عالم السر والعلانية ، وبحق رسوله محمـــد ﷺ ، وبحق القرآن العظيم والآيات والذكر الحكيم ، لأقيمن لركن الدولة جـلال الدولة أبي طاهر بن بهاء الدولة أبي نصر على إخـــلاص النية والصفاء ، ولألتزمنّ له شروط الموافقة والوفاء ، من غير إخلال بما يصلح حاله ويحفظ عليه مكانه ، ولأكونن له على أفضل ما يؤثره من حراسته في نفسه وما يليه ، ولوزير الوزراء أبي القاسم وسائر حاشيته وإقراره على رتبته ، وله عـلي بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذه على ملائكته المقربين وأنبيائـه المرسلين . والله شهيد على ذلك .

وهذه اليمين يميني والنية فيها نية جلال الدولة أبي طاهر .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ ـ ٦٦ .

٣٦ ـ رسالة القائم إلى الجند الأتراك الذين ثاروا بوزير السلطان البويهي واتهموه بعدم إعطائه رواتبهم حتى أضطر الوزير إلى الهرب واستمر شغب الجند بشكل متزايد حتى أرسل لهم الخليفة يقول :

قد عرفتم طلبنا للوزير وقبضنا على أصحابه ، وهذا غاية الممكن .

ولم يبق إلا الفتنة التي تهلك الناس . فإن كانت مطلوبكم فأمهلونا أياماً الى أن نتأهب لسفرنا ونخرج الى حيث يعرف فيه حقنا .

فأجابوا بالسمع والطاعة .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ١٦٠ .

٣٧ - وصية القائم بأمر الله قبل موته مباشرة سنة ٤٦٧ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم . إن أمير المؤمنين بحكم ما وكله الله اليه من أمور عباده وبلاده ، وأوجبه عليه من صلة طريقه في إحسان الايالة بقلاده أن ينتهي في مراعاة أحوال المسلمين والنظر في مصالحهم ، وإسباغ ظل العاطفة على أكابرهم وأصاغرهم الى الحد الذي على شارتهم من ملابس الحذر ، فلذلك تنصب عزائمه الميمونة إحضار وزير دولته الناظر في خدمته محمد بن محمد بن جهير وولده ونقيب النقباء طراد بن محمد وقاضي القضاة محمد بن علي والمعمر بن محمد نقيب الطالبيين ومحمد بن محمد البيضاوي وعبد الله بن عبد السيد السيبي وعبد الله بن محمد الدامغاني في ليلة الأحد التاسع من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، فحين مثلوا بين سدته الشريفة أنعم متبرعاً في إيصاله من رأيه ونفاذ عزائمه بمشافهة سلالته الطاهرة ابي القاسم عبيد الله بن محمد أمير المؤمنين بتوليته العهد وتصييره خليفة بعده في المسلمين ، ووصاه بما يطابق الشرع في هذه الحال ، ويحل من رضى الله أجل المحال حيث وجده أهلاً لذلك ورآه واستوثق كل مسمى له في الرشاد وارتضاه ، وألفاه ناهضاً بأعباء ما ولاه ، ناهجاً للسنن الذي أوجبه جميل خلاله وأوصاه ، مجتمعة فيه شرائط ما فوضه اليه واستكفاه . والله يمد أمير المؤمنين

بالتوفيق في إيجابه وعزائمه ، ويقرن القشديد [1] بفاتح أمره وخواتمه وتحسين الخيرة له ولولي عهده ولكافة المسلمين فيما أذن فيه وقصد به احكام دعائم الصلاح ومبانيه بمنه .

وهناك سطران ملحقان :

لا يغير للخدم حال ولا يزعجوا في ملك ولا اقطاع .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ، ٢٩٠ - ٢٩١ .

١٣ ــ الراشد بالله ٥٢٩ - ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ - ١١٣٦ م

٣٨ - نص يمينه للسلطان مسعود السلجوقي لما أصبح خليفة .

إنني متى جندت أو خرجت أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الأمر .

الكامل لابن الأثير ج ١١ - ٤٢ .

١٤ ــ المستنجد بالله ٥٥٥ - ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ - ١١٧٠ م

٣٩ - رسالته لوزيره يخبره فيها بوفاة والده المقتفي وتوليه هو منصب الخلافة .

الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون . تسليما لأمر الله وقضائه ، فصبراً لحكمه النافذ ومصابه في الإمام السعيد الذي عظم مصابه واعتاض حلو العيش صابه ، وفت في عضد الاسلام وغدا

---

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب التسديد .

به الدين واهي النظام . إن الصبر عليه لبعيد والكمد عليه مع الأيام جديد . لقد كان سكينة مغشية المراد ورحمة منتشرة في العباد ، براً بهم رؤوفاً ، متحنناً عليهم عطوفاً ، فجدد الله سبحانه لديه من كراماته الرائحة وتحياته الغادية الرائحة ما يحله بحبوحة جنانه وينيله مبتغاه من إحسانه ، ومع ما من الله عليه من استقرار الأمر في نصابه وحفظه على من هو أولى به فليس إلا التسليم الى المقدور والتفويض اليه سبحانه في جميع الأمور ، فهو يوفي المثوبة والأجر . والسعيد من كان عمله في دنياه لأخراه ، ورجوعه الى الله سبحانه في بدايته وعقباه . والله تعالى يوفق أمير المؤمنين لما عاد برضاه وصلاح رعاياه ليعود النظام الى اتساقه ونور الامامة الى إشراقه . فانهض أنت الى الديوان لتنفيذ المهام ، ولتثق بشمول الانعام . ولتأمر الحاضرين بالإنكفاء الى الخدمات وليتقدم بضرب النوبة في أوقات الصلوات .

المنتظم لابن الجوزي جـ ١٠ ، ١٩٣ – ١٩٤ .

١٥ ـ الظاهر بالله ٦٢٢ ـ ٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ ـ ١٢٢٦ م

٤٠ – رسالته الشفوية التي وجهها لأرباب الدولة وأتبعها بمرسومه إلى جميع موظفي الدولة .

أما الرسالة الشفوية فنصها كما يلي :

أمير المؤمنين يقول : ليس غرضنا أن يقال برز مرسوم أو نفذ مناك ثم لا يبين له أثر ، بل أنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى إمام قوال .

وأما المرسوم الذي عممه على جميع الموظفين فنصه كما يلي :

اعلموا أنـه ليس إمهالنا إهمالاً ولا إغضاؤنا إغفالاً ، ولكن لنبلوكم أيكم أحسن عملاً . وقد عفونا لكم ما سلف من إخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح السمعة وإظهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي حيلة ومكيدة ، وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاءً واستدراكاً لأغراض انتهزتم فرصتها مختلسة من براثن ليث باسـل ، وأنياب أسد مهيب ، تنفقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد ، وأنتم أمناؤه وثقاته ، فتميلون رأيـه الى هواكم ، وتمزجون باطلكم بحقه فيطيعكم وأنتم له عاصون ، ويوافقكم وأنتم له مخالفون . والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم أمناً وبفقركم غنىً ، وبباطلكم حقاً ، ورزقكم سلطاناً يقيل العثرة ويقبـل المعذرة ، ولا يؤاخـذ إلا من أصر ، ولا ينتقم إلا ممن استمر ، يأمركم بالعدل وهو يريده منكم ، وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم . يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره ، ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته ، فإن سلكتم مسالك خلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقه ، وإلا هلكتم ، والسلام (١) .

الكامل لابن الأثير جـ١٢ ، ٤٥٦ – ٤٥٧ .

---

(١) ورد نص هذا المرسوم دون الرسالة الشفوية في كل من البـداية والنهاية لابن كثير حـ ١٣ – ١١٣ وفي مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل حـ٤ – ١٩٢ مع وجود خلافات ثانوية لاتغير الموضوع .

ـ الوزارة والوزراء ـ

٤١ ـ رسالة شفوية من ابن الفرات وزير المقتدر إلى محمد بن داود بن الجراح :

حدثت حركة انقلابية سنة ٢٩٦ هـ ضـد المقتدر بالله هدفها خلعه وتنصيب ابن المعتز مكانه ، ولكن الحركة لم تنجح واعتقـل أقطابها وقتل ابن المعتز . وكان محمد بن داود بن الجراح ممن اشترك في هذه الحركة ، واستتر عقيب اخفاقها . فلما طال عليه الأمد ارسل الى ابن الفرات يسأله التوسـط لدى الخليفة للعفو عنه ، فأجابه ابن الفرات شفوياً مع ثقة له بما يلي :

ليس جرمك يسيراً والعهد به قريب ، والاستتار صناعة فيجب أن تصبر على استتارك أربعة أشهر حتى ينسى قصتك . ثم دعني والتدبير في أمرك ، فإني ، بإذن الله ، أسفر بعد هذه المدة في صلاحك وآخذ لك أمان الخليفة بخطه وأقول له : إنه دخـل فيما دخل فيه القواد وكتابهم ، وقد دعت الضرورة الى الصفح عنهم ، ولهذا بهم أسوة . وأشير عليه بما يصلح أمرك .

تجارب الأمم لابن مسكويه جـ١ ـ ١٠ .

٤٢ ـ نص خاتمة رسائل علي بن عيسى وزير المقتدر للعمال .

أصبح علي بن عيسى وزيراً للمقتدر سنة ٣٠١ هـ ، فـدبر الأمور بشكل جيد ، وكان يختم رسائله الى جميع العمال بما يلي :

وهذا عنفوان السنة وأول الافتتاح ووقت جموع الخراج ، ولست أعلم ما يجب أن أطالبك بـه فأذكره وأخاطبك عليه ، ولكني آمرك

أن تحمل صدرا من المال يتوفر مقداره ، وتنفذ الرسائل بذلك مع الجواب عن كتابي هذا عند نظرك فيه ، وتكتب إليّ بشرح الحال في أمور نواحيك وتنفذ موافقة نقف عليها وبها على موقع أثرك فيها ومخائل تدبيرك في توفيرها وتثميرها ؛ وتتوقف عن إمضاء التسبيبات وما يجري مجراها الى أن يرد عليك كتبي وتوقيعاتي في استبار رأيك عما يكون عملك عليه ، وتمكّن في نفسك أنسه لا رخصة عندي ولا هوادة في حق من حقوق أمير المؤمنين أغضى عنه ، ولا درهم من ماله أسامح فيه ، ولا تقصير في شيء من أمور العمل اصبر لقريب أو بعيد عليه . ولا تكون بإظهار أثر جميل في ذلك أشد عناية منك بإنصاف الرعية والعدل عليها ورفع صغير المؤن وكبيرها عنها . فإني أطالبك بذلك كما أطالبك بتوفير حقوق السلطان وتصحيحها وصيانة الأموال وحياطتها ، وتابع كتبك بما يكون منك وقتاً وقتاً لأعرفه إن شاء الله .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ١ - ٢٧ .

٤٣ - رسالة علي بن عيسى وزير المقتدر إلى العمال برفع المظالم والتحقيق فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم . سبيل ما يرفعه اليك كل واحد من المتظلمين قبل النوروز من مظلمته ويدعي أنه تلف بالآفة من غلته أن تعتمد في كشف حاله على أوثق ثقاتك وأصدق كفاتك حتى يصح لك أمره فيزيل بالظلم فيه (١) ، فترفعه وتضع الانصاف موضعه ، وتحتسب من المظالم بما يوجب الوقوف عليه حسب وتستوفي الخراج

(١) كذا بالأصل ،

بعده من غير محاباة للأقوياء ولا حيف على الضعفاء .

فاعمل فيما رسم لك ما يظهر ويذيع ويشتهر ويشيع ، ويكون العدل به على الرعية كاملاً ، والانصاف لجميعهم شاملاً إن شاء الله .

تجارب الأمم لابن مسكويه جـ ١ – ٢٨ .

٤٤ – رسالة المقتدر إلى جميع عماله بعودة الوزير ابن الفرات إلى الوزارة للمرة الثانية سنة ٣٠٤ هـ .

والرسالة من إنشاء محمد بن جعفر بن ثوابة الكاتب .

لما لم يجد أمير المؤمنين غنى عنه ، ولا للملك بدأ منه ، وكان كتاب الدواوين على اختلاف أقـــدارهم وتفاوت ما بين أخطارهم ، مقرين برياسته ، معترفين بكفايته ، متحاكمين اليه إذا اختلفوا واقفين عنـــد غايته إذا استبقوا ، مذعنين بأنه الجوّل القلّب المحنك المجرب ، العالم بدرّةِ المـال كيف تحلب ، ووجوهه كيف تطلب ، انتضاه من غمده فعاود ما عرف من حده فنفذ الأعمال كأن لم يغب عنها ، ودبر الأمور كأن لم يخل منها .

ورأى أمير المؤمنين ألا يدع شيئاً من أسباب التكرم كان قديمـــاً جعله له إلا وفّاه إياه ، ولا نوعاً من أنواع المثوبة والجزاء كان أخره عنه الا حباه به فخاطبه بالتلبية (١) .

معجم الادباء لياقوت الحموي ج ١٨ ، ٩٧ – ٩٨

(١) ورد نص مشابه كل المشابهة ، باستثناء بعض الخلافات البسيطة ، في تجارب الأمم لابن مسكويه حـ١ – ٤٢ .

٤٥ – رسالة ابن الفرات إلى سليمان بن الحسن بن مخلد

كان بين ابن الفرات وابن مخلد مصافاة ومودة ، فلما صار ابن الفرات وزيراً حسده ابن مخلد على مكانته ، فكتب رقعة ذكر فيها أملاك ابن الفرات وأمواله وأسبابهـا وأراد إيصالها إلى المقتـدر حتى يصادر ابن الفرات وينكبه ، ولكن حدث ان الرقعة وصلت إلى يـد الوزير ابن الفرات فغضب على ابن مخلد وصادره واعتقله ، ثم بعد مدة أراد العفو عنه فكتب اليه يقول :

نظرت – أعزك الله – في حقك علي وجرمك إلي ، فرأيت الحق موفياً على الجرم ، وتذكرت من سالف خدمتك ماعطفني عليك وثناني اليك ، وأعادني لك إلى أفضل ماعهدت وأجمل ماألفت .

وعفا عنه وأطلق له عشرة آلاف درهم .

الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٨ – ١٠

٤٦ – رسالة شفوية من الوزير ابن الفرات إلى الخليفة المقتدر

أحس ابن الفرات تغير الخليفة عليه ، ونجحت المساعي المبذولة لدى الخليفة لإيغار صدره عليه فانكمش وانقبض ، فأراد الخليفـة تطمينه وتسكينه فأرسل له رسالة شفوية بهذا المعنى حملهـا له نسيم مولى أمير المؤمنين ، فأجابـه ابن الفرات برسالة شفوية حملها نسيم للخليفـة نصها كما يلي :

قل له : انت تعلم ، يا أمير المؤمنين ، إني عاديت في استيفـاء حقوقك الصغير والكبير ، واستخرجت لك المال من الدنيّ والشريف ، وبلغت غاية ما أمكنني في تأييد دولتك ، ولم أفكر في أحد مع سلامة نيتك وما قربني منك واجتلب لي حسن رأيك ، فلا تقبل فيّ قول

من يريد إبعادي عن خدمتك ، ويغريك بما لا فائدة فيه ويدعوك إلى ماتذم عواقبه . وبعد فطالعي وطالعك واحـد وليس يلحقني شيء إلا يلحقك مثله . فلا تلتفت إلى مايقال ، فقد علمت الخاصة والعامة إني اطلقت للرجال النافذين إلى طريق مكة مالم يطلقه أحد تقدمني ، واخترت رؤساء الجند والقواد وشجعان الرجال ، وأزحت العلة في كل ما التمس مني ، فحدث من قضاء الله عز وجل على الحاج ماقد حدث مثله في أيام المكتفي بالله رحمه الله ، فما أنكره على وزيره ولا ألزمه جريرته ولا أفسد عليه رأيه ...

وتكلم بهذا المعنى ماشاكله .

تجارب الامم لابن مسكويه ج ١ - ١٢٤

٤٧ - رسالة ابن الفرات الشفوية إلى الوزير الخاقاني لما أصبح

هذا وزيراً واعتقل ابن الفرات وابنه وبـدأ في مناظرتها واستجوابها وتحصيل الاموال منها . ذلك ان الخاقاني قرر استعمال الرفق معه في تحصيل الاموال وأرسل له شخصاً يداريه ويطلب منه الإقرار بالأموال التي عنده فقال للشخص الذي أرسله الخاقاني :

قل للوزير : لست حدثاً غراً فتحتال علي في المنـاظرة ، ولست أقول اني لا أقدر على المال ، ولكن إذا وثقت لنفسي بالحيوة فديتهـا بالمال ، وإنما أثق بذلك إذا كتب أمير المؤمنين بخطه لي أماناً وشهد الوزير والقضاة بخطوطهم ، ويكتب لي الوزير - أيـده الله - أماناً بخطه ويسلمني إلى أحد رجلين : إما مؤنس المظفر ، وإن كان عدوي وإما شفيع اللؤلؤي ؛ فإن لم يفعل ذلك فقد وطنت نفسي على التلف .

٤٨ ـ فأجابه الخاقاني :

إني لو قدرت على التوثق لك لتوثقت ، ولكن إن تكلمت في هذا المعنى عاداني خواص الدولة لأجلك ، ثم لم تنتفع أنت بذلك ، وقد رد الخليفة أمرك إلى هرون بن غريب .

تجارب الامم لابن مسكويه ج١ ـ ١٣٠

٤٩ ـ رسالة ابن مقلة وهو معتقل إلى الوزير ابن الفرات يطلب منه العفو والعمل على إطلاق سراحه .

أمسكت ـ أطال الله بقاء الوزير ـ عن الشكوى ، حتى تناهت البلوى ، في النفس والمال والجسم والحال إلى مافيه شفاء المنتقم وتقويم المجترم وحتى أفضيت إلى الحيرة والتبلد ، وعيالي إلى الهتكة والتشرد ، وما أبداه الوزير ـ أيده الله ـ في أمري إلا بحق واجب وظن غير كاذب . وعلى كل حال فلي ذمام وحرمة وصحبة وخدمة ، إن كانت الإساءة أضاعتها ، فرعاية الوزير ، أيده الله تعالى بحفظه ، ولا مفزع إلا إلى الله بلطفه وكنف الوزير وعطفه ، فإن رأى ـ أطال الله بقاءه ـ أن يلحظ عبده بعين رأفته وينعم بإحياء مهجته وتخليصها من العذاب الشديد والجهد الجهيد ، ويجعل له من معروفه نصيباً ، ومن البلوى فرجاً قريباً .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٣ ، ٢٦٨ ـ ٢٦٩

٥٠ ـ رسالة القاهر بالله الى ابن مقلة لما استوزره وخلع عليه وكناه سنة ٣٢١ هـ

يا أبا علي : أدام الله إمتاعي بك . محلك عندي جليل ، ومكانك من قلبي مكان مكين . وأنا حامد لمذهبك مرتض لأفعالك ، عارف

بنصيحتك ، ولم أجد ، مع قصور الأحوال ، مما أضمره لك مايزيد في محلك وكمال سرورك غير تشريفك بالكنية . وأنا أسأل الله عوناً على ما أحبه لك .

المنتظم لابن الجوزي ج٦ – ٣٤٩

٥١ – رسالة ابن مقلة الوزير إلى أبي عبد الله البريدي

أرسل ابن مقلة أبا عبد الله الكوفي إلى الأهواز لإقناع المتغلب عليها أبي عبد الله البريدي بارسال الأموال والخراج إلى الخليفة الراضي في بغداد ، ولكن أبا عبد الله الكوفي فعل العكس وحرض البريدي على عدم إرسال شيء وأطلعه على ضعف الخليفة والوزير ، ووصل الخبر إلى ابن مقلة بذلك فأرسل إلى البريدي يقول :

الويل للكوفي الغاصّ مني ، أنفذته ليصلحك لي فأفسدك عليّ وأطمعك وأصغيت بالشره اليه . والله لأقطعن يديه ورجليه . أما أنت فأرجو ألا تصر على كفر نعمتي وإحساني اليك ، وأن تنيب بك الروية إلى رعاية حقوق اصطناعي لك فترضيني من نفسك وتعينني في مثل هذه الحالة الصعبة ، التي لم يُدفع من جاس مجلسي في دولة من الدول إلى مثلها ، وأن تخبرني بما أظلني بمال تحمله فتحفظ به نعمتيك التي إحداهما في يدي والأخرى في يدك ، إن شاء الله .

تجارب الامم لابن مسكويه ج١ – ٣٢٩

٥٢ – رسالة المتقي لابن مقلة

أصبح توزون صاحب السلطة في بغداد وسيطر على الخليفة المتقي لله ، وطمع ابن مقلة في أن يصبح وزيراً فأرسل إلى المتقي يطلب منه

تقليده الوزارة وضمن لقاء ذلك مالاً فأرسل اليه المتقي يقول :

إني راغب فيك مائل إليك ، محب لتقليدك ، ولكن ليس يجوز أن ابتدىء بذكرك ، فاصلح أمرك مع الترجمان وقل له يسميك مع جماعة فإني أختارك من بينهم .

وقد تم الأمر كما رسم المتقي واختير ابن مقلة وزيراً . والترجمان هو محمد بن ينال .

تجارب الامم لابن مسكويه ج٢ – ٤٣

٥٣ ــ مرسوم أصدره القائم بأمر الله بتعيين فخر الدولة بن جهير وزيراً سنة ٤٧٢ هـ من إنشاء العلاء بن موصلايا

أما بعد : فالحمد لله ذي الالاء الصافية الموارد ، والنعماء الصادقة الشواهد ، والطول الجامع شمل أسباب المنح الشوارد ، ذي القدرة المصرفة على حكمها مجاري القدر ، والمشيئة الحالية بالنفـــاذ في حالتي الورد والصدر ، المذل بجميل صنعه أعناق المصاعب ، المديم (١) بكريم لطفه من امتداد النوائب ، الذي جل عن إدراك صفاته بِعَدّ أوحـــــد ، ودل بباهر آياتــه على كونه الفرد الولي بكل شكر وحمد ، سبحانــه وتعالى عما يصفون .

والحمد لله الذي اختص محمداً ﷺ بالرسالة واجتباه ، وحبــــاه بالكرامة بما أشرق له مطلع الجلال ، واختاره وبعثه لإظهار كلمة الحق بعد أن مد الضلال رواقه ، فلم يزل باعزاز الشرع قائمــاً ، ولساعات زمانه في طلب رضا الله قاسماً ، لا ينحرف عن مقاصد الصواب ولا

(١) كذا بالاصل ولعل الصواب : المديل بدلاً من المديم .

يميل ، ولا يخلي مطايا جده في تقوية الدين مما يتابع فيه الرسيم والذميل ، إلى أن أزال عن القلوب صدأ الشكوك وجلا ، وأجلى مسعاه عن كل ما أودع نفوس أحلاف الباطل وجلا ، ومضى وقد أضاء للايمان هلالٌ أمينٌ سراره ، وانتضى لإبادة الشرك حساماً لا ينبو قط غراره ، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتخبين صلاة يتصل الأصيل فيها بالغدو ، وتُرى قيمتها في الأجر وافية العلو والغلو . والحمد لله الذي أصار إلى أمير المؤمنين من إرث النبوة ماهو أحق به وأولى ، وأنار له من مطالع العز ماأسدى به كل نعمة وأولى . وأحله من شرف الإمامة بحيث عنت لطاعته أعناق الرقاب الصعاب ، وأذعنت له القلوب بالإنطواء على الولاء الفسيح الرحاب والشعاب ، وجعل أيامه بالنضارة آهلة المغاني متقابلة أسماؤها في الحسن بالمعاني ، فما يجري فيها إلا ما الصواب في فعله كامن ، والحظ بانتهاج سبله كائن ، إبانة عن اقتران الرشد بعزائمه في حالتي العقد والحل ، واقتراب مرام كل مايحـــل من الصلاح في الدهر أفضل حل .

ثم إنه يرى من إقرار الحقوق في نصابها . وإمرار حبال التوفيق في جانبها من الممتدة إلى اغتصابها مايعرب إلى الاهتداء إلى طرق الرشد، والاقتداء بمن وجد ضالة المراد حين تشد ، ويقصد من تجديد العوارف عند كل عالم بقدرها في الزمان عارف ، مايحلو جني ثمره في كل أوان ويحدو انتشار خبره على إعانة كل فكر في وصفـه عنوان . فيتناقل الرواة ذكر ذلك غوراً ونجداً ، وتلقى الهمم العلية إدخار الجمال به أنفع من كل قنية وأجـدى ، استمراراً على شاكلة تحلت بالكرم ، وحلت من الجلال في القلل والقمم ، وحلّتْ آثارها في إبلاء نفيس المنح وجزيل القسم .

ولما عدا منصب الوزارة موقوفاً على الذين طالما جزوا بهممهم نواصي الخطوب ، وحازوا بذممهم المنال في مقاصد استشهدوا بها على إحراز كل فضيلة واستدلوا ، وكفّوا بكفاياتهم أكف الفساد وردوا ، وحازوا الفعال في كل ماسعوا له وجدّوا ، وخلا الزمان ممن ينهض بعبء هذا الأمر الجسيم ، وتصبح أنباؤه فيه ذكية الأرج والنسيم ، لم يبق غيرك ممن يستحق التخييم في عراصه ، والتحكيم في اجتناء الفخر منه واستخلاصه وكان القدر سبق بانفصالك عن الخدمة لا لضعف سريرة ولا لقوة جريرة ولا لكدر سيرة ، وكيف وأنت المتفرد بالكمال والمتجرد في كل مقام ، سلم حدّ تقربك من حـــادث الكلال ، ولك في الدولة الحقوق التي أعْتَمَدَتْ لك من وقع الاستزادة مجنّاً ، والمواقف التي اغتذت من درة الإحماد بما أيّن (١) الظئر لها وأنّا ، والمقاصد التي أعدمت لك البدل ، ولا انحرف لك سعي عن مناهج الإصابة ولا عدل ، وتمكنت فيها من عنان التوفيق بما لا يُجارى سيفك فيه قط ، ولا يحسن له حالَ المسرى إليه الحط ، والآثار التي أثارت من كوامن الرضا أفضل مايذخر ويقتنى ، وأنارت من دلائل الزلفى مايتتجر به وعد المنى ويقتضى ، لكن كان ذلك مسطوراً في الكتاب ، ليتبين أنـه لا عوض عنك في الإستحقاق للأمر والإستيجاب ، لم يوجد لهذه الرتبة كفواً سواك ، ولا ينزهها عن العطل غير رائق جلاله . فرأى أمير المؤمنين تسليم مقاليدها إليك ، إذ كنت أحق بها وأهلها ، وممن يجمع بعـــد الشتات شملها ، فطوقك من قلائدها ماهو بأعطافك الصق ، وبتمام أوصافك أليق ، لتدرع من عز الوزارة جلباباً لا تخلق الأيام له جدّة ، ولا تزال السعود بما يئول إلى دوام مدته ممتدة ، وترتضع من لبان خلالها مايقضي لك بأن تقف

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب أوّن يقال شرب الرجل حتى أوّن أي امتلأ .

نفسها عليك ، وتقف آمال الأمثال دون ما انتهت الغاية فيه إليك ، وتعتمد فيما عدقه بك منها وناطه ووفاك فيه حقوق النظر واشتراطه ، بحكم توحدت في إحراز أدواتها التي لا يبلغ أحد لك فيها مدى ، ولم يمد طامع إلى مساجلتك فيها يداً ، مايرضي الله تعالى ويرضيه ، ويخص ذكرك بالطيب ويحيطه فتفوز فوزاً كبيراً ، وتعيد الساعي في إدراك شأوك ظالعاً حسيراً .

ثم إنه شفع هذه المنحة التي قمصك مجاسد فخرها بالوجوب ، وعوضك فيها الدهر بحادث البشر عن سابق القطوب ، بإيصالك إلى حضرته وإدنائك من سدته ومناجاتك بما يتيح لك امتطاء غارب المجد وصهوته ، والإحتواء على خالص السعد وصفوته ، وحبائك من صنوف التشريفات التي تروق جلى خلالها ، وتتوق الآمال إلى إدراكها ومنالها ، وصفت الكرامات التي وفت المنى بها بعد مطالها ، ونفت القذى عن مقل مغضوضة بسوء فعال الأيام ومقالها ، بما يوطىء عقبك الرجال ، ويضيق على من يحاول مجاراتك المسرح والمجال ، ولم يقتنع بذلك في حق النعمى التي أعداك فيها على الغير ، وأغداك منها في ظل من الأمن البادي الأوضاح والغرر ، حتى ألحق بسماتك **تاج الوزراء** تنويهاً بذكرك في الزمان ، وتنبيهاً على اختصاصك لديه بوجاهة الرتبة والمكان ، فصار مكروه الأيام في محبوبها سبباً ، وخبت نار كل من سعى في تضليل النظام وجيفاً وخبباً ، حتى الآملون أن يحملوا تحت الخلافة زمناً ، وتصبح رباعه بعد النضارة دمناً ، ليعقبهم ذاك نيل ماوصلت إليه الإمضاء (؟) لهذا العزم ، وبالجملة فالسآمة واقعة من تتابع هذه الشكاوي ، وقد كان الأحب أن لا يضمن الكتب النافذة سوى تعهد الأنباء ، لازال عرفها أرجاً من سائر الأرجاء والنواحي . لكن تأتي

لمجاري الأقدار ودواعي الإضطرار إلى مايرنق ماء الإرادة والإيثار . والآن فقد بلغ الماء ، وجلب من عدم الصبر الحناء ، ولم يبق غير هزة دينية منك تكشف بها هذه المعرة ، وتتحف بها أمير المؤمنين بما يتم لديه أكمل المسرة ، فقم في ذلك مقام مثلك ــ وإن كان لانظير لك يوجد ــ تحظ بما يمضي لك فيه إستحقاق كل الحمـــد ويوجب ، إن شاء الله تعالى (١) .

صبح الأعشى للقلقشندي ج١ ، ٢٣٤ - ٢٣٧

٥٤ ـ رسالة عميد الملك الكندري الشفوية إلى نظام الملك

كان عميد الملك وزيراً لطغرلبك وألب أرسلان السلجوقيين في بغداد ، ثم عزل عميد الملك وحل محله نظام الملك ، وظل يكيد بعميـد الملك حتى تقرر قتله ، فلما أخذ للقتل قال للجلاد : قل للوزير نظام الملك : بئس مافعلت ، علمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ، ومن حفر مهواة وقع فيها ، ومن سنَّ سنة سيئة فعليه وزرهـا ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

وفيات الأعيان لابن خلكان ج٤ ـ ٢٢٦

٥٥ ـ رسالة المقتدي بالله إلى وزيره بكف يده بناء على طلب ملك شاه ونظام الملك

وقعت وحشة بين وزير الخليفة عميد الدولة محمد بن محمد بن جهير وبين ملك شاه ونظام الملك فطالبا الخليفة بعزله وأرسلا سعد الدولة من

---

(١) أورد ابن الجوزي في منتظمه حـ٨ ـ ٢٥٣ بعض فقرات من هذا المرسوم وهي قصيرة جداً وتختلف في مبناها عما ورد أعلاه كقوله . . . وقف على ما أنهيتـــه وحصولك واستقرارك بمقر عز خدمتك من الديوان ..

طرفهما إلى الخليفة لتحقيق ذلك ، ورغم تمسك الخليفة به إلا أنه اضطر إلى لزوم داره فخرج توقيع الخليفة يقول :

" عرف محمد بن محمد بن جهير ماعليه جلال الدولة ونظام الملك من المطالبة بصرفه سأل الإذن في ملازمة داره إلى أن نكاتبها بحقيقة حاله وما هو عليه من الولاء والمخالصة .

المنتظم لابن الجوزي ج٨ – ٣١٨

٥٦ – نص كتاب المقتدي بعزل وزيره محمد بن محمد بن جهير بعد أن أصر ملك شاه ونظام الملك على ذلك

لكل أجل كتاب . انصرف من الديوان إلى دارك ، وخل ماأنت منوط به من نظرك .

المنتظم لابن الجوزي ج٩ – ٥

٥٧ – تعيين الخليفة المسترشد علي بن طراد نائباً للوزير

محلك يانقيب النقباء من شريف الآباء ، وموضعك الحالي بالإختصاص والإختيار مايقتضيه إخلاصك المحمود إختياره ، الزاكية آثاره ، فوجب التعويل عليك في تنفيذ المهام والرجوع إلى استصوابك في النيابة التي يحسن بها القيام . وجماعة الأولياء والأتباع مأمورون بمتابعتك وامتثال ماتصرفهم عليه من الخدم في إبدائك وإعادتك . فاحفظ نظام الدين وتقدم إلى من جرت عادته بملازمة الخدمة وسائر الأعوان ، وتوفر على مراعاة الأحوال بانشراح صدر وفراغ بال ، فإن الإنعام لك شامل ، وبنيل أمالك كافل ، إن شاء الله .

المنتظم لابن الجوزي ج٩ – ٢٣٤

٥٨ ـ رسالة الناصر لدين الله إلى ناظر واسط في تقليد ابن زيادة الوزارة

قلد الناصر ابن زيادة الوزارة وكان مقيماً في واسط ، فأرسل له زبزباً مع رسول إلى ناظر واسط ورسالة يقول له فيها :

قد بعثنا خلعة ودواة لابن زيادة ، فتحمل الخلعة على رأسك والدواة على صدرك وتمشي راجلاً اليه وتلبسه الخلعة وتجهزه الينا وزيراً.

وفيات الأعيان لابن خلكان ج٥ ـ ٢٩١

٥٩ ـ رسالة للناصر من مملوكه أمير الحج مظفر الدين سنقر الذي هرب إلى الشام سنة ٦٠٣ هـ من وزيره نصير الدين

إنني هربت من يد الوزير

٦٠ ـ رسالة أخرى للناصر من أخص مماليكه جمال الدين قشتمر الذي هرب من الوزير يقول فيها :

إن الوزير يريد أن لا يبقي في خدمة الخليفة أحداً من مماليكه ، ولا شك أنه يريد أن يدعي الخلافة .

الكامل لابن الأثير حـ١٢ - ٢٧٦

٦١ ـ رسالة الشريف نصير الدين العلوي للخليفة الناصر لما عزله من الوزارة سنة ٦٠٤ هـ .

نجحت دسائس اعداء الوزير وأقاله الخليفة ، وكان الوزير ذا مال وافر فخاف أن يذهب المال وتذهب روحه أيضاً فكتب إلى الناصر :

إني قدمت إلى هنا وليس لي دينار ولا درهم . وقد حصل لي من الأموال والأعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسمائة ألف دينار .

وسأل أن يؤخذ الجميع ويفرج عنه ويسكن المشهد أسوة ببعض العلويين .

٦٢ – جواب الناصر للوزير المعزول نصير الدين العلوي :

إننا ما أنعمنا عليك بشيء فنوينا استعادته منك ولو كان ملء الأرض ذهباً . غير أن الأعداء قد أكثروا فيك القول فاختر لنفسك مكاناً تنتقل إليه موقراً محترماً .

فاختار أن يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة لئلا يتمكن منه عدو فتذهب نفسه ، وقد فعل به ذلك[1] .

تاريخ ابن الفرات جـ ٥ ، ٦٢ – ٦٣ .

ـ القضاء والقضاة ـ

٦٣ – مرسوم صادر عن أحمد بن طولون بتقليد أحد القضاة القضاء في ثغر برقة من إنشاء ابن عبد كان :

إن أحق من آثر الحق وعمل بـه ، وراقب الله في سر أمره وجهره ، واحترس من الزيغ والزلـل في قوله وفعله ، وعمل لمعاده ورجعته ، إلى دار فاقته وفقره ومسكنته ، من جُعل بين المسلمين حاكماً ، وفي أمورهم ناظراً ، فأراق الدماء وحقنها ، وأحل الفروج وحرمها وأعطى الحقوق وأخذها . ومن علم أن الله تبارك وتعالى

(١) اورد ابن الأثير في الكامل جـ١٢ – ٢٧٧ نصاً لايختلف كبير اختلاف عن نصنا أعلاه .

سائله عن مثقال الذرة من عمـــله ، وانه إنما يتقلب في قبضته أيام مدته ، ثم يخرج من دنياه كخروجه من بطن أمه ، إما سعيداً بعمله ، أو شقياً بسعيه .

وإنا لما وقفنا عليه من سديد مذهبك وقويم طريقتك وجميـــل هديك وحسن سيرتك ورجوناه فيك وقررناه عندك : من سلوك الطريقة المثلى واقتفاء آثار أئمة الهدى والعمل بالحق لا بالهوى ، رأينا تقليدك القضاء بين أهل ثغر برقـــة ، وأمرناك بتقوى الله الذي لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب ، وبطاعته التي من آثرها سعد ، ومن عمل بها حمد ، ومن لزمها نجا ، ومن فارقها هوى ؛ وأن تواصل الجلوس لمن بحضرتك من الخصوم صابراً بنفسك على تنازعهم في الحقوق وتدافعهم في الأمور ، غير برم بالمراجعات ولا ضجر بالمحاكمات ؛ فإن من حاول إصابة فصل القضاء وموافقة حقيقة الحكم بغير مادة من حلم ولا معونة من صبر ولا سُهمة من كظم ، لم يكن خليقاً بالظفر بها ، ولا حقيقاً بالدرك لها ، وأن تقسم بين الخصمين إذا تقدما اليـــك وجلسا بين يديك ، في لحظك ولفظك ، وتوفي كل واحد منها قسمه من إنصافك وعدلك ، حتى ييأس القوي من ميلك ويأمن الضعيف من حيفك ؛ فإن في إقبالك بنظرك وإصغائك بسمعك إلى أحـد الخصمين دون صاحبه ما أضل الآخر عن حجته ، وأدخـل الحيرة على فكره ورويته ، وأن تحضر مجلس قضائك من يستظهر برأيه ومن يرجع الى دين وحجا وتقى فإن أصبت أيدك وإن نسيت ذكرك ، وأن تقتدي في كل ما تُعمل فيه رويتك وتمضي عليه حكمك وقضيتك بكتاب الله الذي جعـــله صراطاً مستقيما ونوراً مستبيناً ، فشرع فيه أحكامه وبيّن حلاله وحرامه

وأوضح به مشكلات الأمور فهو شفاء لما في الصدور . وما لم يكن في كتاب الله جل وعز نصه ، فإن فيما يؤثر عن النبي ﷺ حكمه، وما لم يكن في حديث رسول الله ﷺ إقتفيت فيه سبيل السلف الصالح من أئمة الهدى ، رضي الله عنهم ، الذين لم يألوا الناس اختباراً، ولا ادخروهم نصيحة واجتهاداً ، عالماً أنك أسعد بالعدل ممن تعدل عليه ، وأحظى بإصابة الحق ممن تصيبه فيه ، لما تتعجله من جميل أحدوثته وذكره ، ويُدَّخَرُ لك من عظيم ثوابه وأجره ، ويصرف عنك من حوب ما تتقلده ووزره ؛ وأن يكون الذين تحكم بشهادتهم من أهل الثقة في أديانهم والمعروفين بالأمانة في معاملاتهم ، والموسومين بالصدق في مقالاتهم ، والمشهورين بالتقدم في عدالاتهم ، فإنك جاعلهم بين الله وبينك في كل كلام تصدره وحكم تبرمه ، وحقيق بأن لا ترضى لنفسك منهم إلا بما يُرضي منك وتعلم أن ذلك هو الصدق ، وإنك قد أبليت عذرك في تخيرهم ، فإنه يعلم أن ذلك هو الصدق من نيتك والصحة من يقينك ، تحسن عليه معونتك ، ويحضرك التوفيق في جميع أقضيتك ، وأن يكون من تستعين بـه على المسألة عن أحوال هؤلاء الشهود ومذاهبهم وما يعرفون به وينسبون إليه في رحالهم ومساكنهم أهل الورع والأمانة ، والصدق والصيانة ، وأن تجدّد المسألة عنهم في كل مرة ، وتفحص عن خبرهم في كل قضية ، ثم لا يمنعك وقوفك على سقوط عدالة من تقدمت بتعديله من استقبال الواجب في مثله واستعمال الحق في أمره ، وأن تشرف على أعوانك وأصحابك ومن تجري أمورك على يديه من خلفائك وأسبابك إشرافاً يمنعهم من الظلم للرعية ، ويقبض أيديهم عن المآكل الردية ، ويدعوهم إلى تقويم أودهم وإصلاح فاسدهم ، ويزيد في بصيرة ذوي الثقة والأمانة منهم ؛ فمن وقفت منه على امتثال

لمذهبك وقبول لأدبك واقتصار فيما يتقلده لك أقررته ، أحسنت مكافأته ومثوبته ، ومن شممت منه حيفاً في حكمه وتعدياً في سيرته وبسطاً ليده إلى ما لا يجب له تقدمت في صرفه وألزمته في ذلك ما يلزمه .
وأن تختار لكتابتك من تعرف سداد مذهبه واستقلاله بما يتقلده ، وإيثاراً لبرس[1] (؟) من صحته ، ومن تقدر عنده تقويماً في نصيحتك فيما يجري على يديه ، وتوخياً لصدقك فيما يحضره وتغيب عن مشاهدته فإنك تأمنه من أمر حكمك على ما لا يؤتمن على مثله إلا الأمين ، وتفوض اليه من حجج الخصوم المرفوعين إليك ما لا يفوض إلا لذي العفاف والدين ؛ وأن تتفقد مع ذلك أمره وتتصفح عمله وتشرف على ما تحت يديه بما يؤديك إلى إحكامه وضبطه ، ويؤمنك من وقوع خلل فيه ، وأن تختار لحجابتك من لا يتهجم الخصوم ولا يختص بعضها دون بعض بالوصول ، وتوعز اليه في بسط الوجه ولين الكنف وحسن اللفظ ورفع المئونة وكف الأذى .

فتقلد ما قلدناك من ذلك عاملاً بما يحق عليك لله جل وعز ذكره ومستعيناً به في أمرك كله ، فإنا قلدناك وحملناك عظيماً وتبرأنا اليك من وزره وإصره ، واعتمدنا عليك في توخي الحق وإصابته ، وبسط العدل وإفاضته ، واقبض لأرزاقك وأرزاق كتابك وأعوانك ومن يحجبك ولثمن قراطيسك وسائر مؤنك في كل شهر أربعين ديناراً ، فقد كتبنا إلى عامل الخراج بإزاحة ذلك أوقات استحقاقك إياه ووجوبه لك ، وإلى عامل المدينة بالشد على يدك والتقوية لأمرك وضم العدة التي كانت تضم الى القضاة من الأولياء إليك ، وهما فاعلان ذلك إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١١ ، ٢٩ - ٣٢ .

---

(١) كذا بالأصل .

٦٤ - رسالة القاضي أبي خازم إلى المعتضد وجوابها :

كان أبو خازم قاضياً في الشرقية من بغداد ، فارتفع إليه خصمان فاجترأ أحدهما بحضرته بما أوجب تأديبه ، فأمر بتأديبه فمات في الحال فكتب إلى المعتضد يقول :

أعلم أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ أن خصمين حضراني فاجترأ أحدهما بما أوجب عليه معه الأدب عندي فأمرت بتأديبه فأدب فمات فإذا كان المراد بـه مصلحة المسلمين فمات في الأدب فالدية واجبة في بيت مال المسلمين ، فإن رأى أمـير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ أن يأمر بحمل الدية إليّ لأحملها الى ورثته فعل .

٦٥ - جواب المعتضد للقاضي :

إننا قد أمرنا بحمل الدية إليك (١) .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١١ - ٦٤ .

٦٦ - رسالة القاضي أبي خازم الى الوزير عبد الله بن سليمان

خاطب الوزير القاضي أبا خـازم في بيع ضيعة ليتيم تجاور بعض ضياعه فكتب إليه يقول :

إن رأى الوزير ـ أعزه الله ـ أن يجعلني أحد رجلين : إما رجلاً صين الحكم به ، أو صين الحكم عنه ، والسلام (٢) .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١١ - ٦٢ .

---

(١) أورد ابن الجوزي في المنتظم ح٦ - ٥٤ نص رسالة القاضي وجوابها مـع شيء يسير من الإختلاف عن نصنا .

(٢) أورد ابن الجوزي في المنتظم ح٦-٥٤ نص رسالة القاضي الى الوزير مع شيء يسير من الإختلاف عن نصنا .

٦٧ — عهد المطيع إلى محمد بن صالح الهاشمي بتعيينه قاضياً للقضاة :

هذا ما عهده عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين الى محمد بن صالح الهاشمي حين دعـا إلى ما يتولاه من القضاء في مدينة المنصور والمدينة الشرقية من الجانب الغربي والجانب الشرقي من مدينة السلام ، والكوفة وشقي الفرات وواسط وكوخي وطريقي الفرات ودجلة وطريقي خراسـان وقرقيسين وحلوان وديار مضر وديار ربيعة وديار بكر والموصل والحرمين واليمن ودمشق وحمص وجند قنسرين والعواصم ومصر والاسكندرية وجندي فلسطين والأردن وأعمال ذلك كلها ، وما يجري مع ذلك من الإشراف على ما يختاره لنقابة العباسيين بالكوفـة وشقي الفرات وأعمال ذلك وما قلده إياه من قضاء القضاة وتصليح أحوال الحكام واستشراف ما يجري عليه أمر الأحكام من سائر النواحي والأمصار والبلاد والأقطار التي تشتمل عليها المملكة وتنتهي اليها الدعوة وإقرار من يحمد هديه وطريقته ، واستبدال من يذم سمته وسجيته نظراً منه للكافة ، واحتياطاً للخاصة والعامة ، وحنواً على الملة والذمة ، عن علم أنه المقدم في بيته وشرفه ، المبرز في عفافه وظلفه ، المزكى في دينه وأمانته ، الموصوف في ورعه ونزاهته ، المشار اليه بالعلم والحجا المجمع عليه في الحلم والنهى ، البعيد من الإدناس ، اللابس من النقـاء أجمل لباس ، النقي الجيب المحبور بصفاء الغيب ، العالم بمصالح الدنيا ، العارف بما يفيد سلامة العقبى .

أمره بتقوى الله فإنها الجنة الواقية ، وأن يجعل كتاب الله في كل ما يعمل فيه رويته ويرتب عليه حكمه وقضيته ، إمامـه الذي يفزع

اليه ، وعماده الذي يعتمد عليه ، وأن يتخذ سنة محمد رسوله ﷺ مطلوباً يقصده ومثالاً يتبعه ، وأن يراعي الإجماع ، وأن يقتدي بالأئمة الراشدين ، وأن يعمل اجتهاده فيما لا يوجد فيه كتاب ولا سنة ولا إجماع وأن يحضر مجلس قضائه من يستظهر بعلمه ورأيه ، وأن يسوي بين الخصمين إذا تقدما اليه في لحظه ولفظه ، ويوفي كلاً منهما نصيبه من إنصافه وعدله حتى يأمن الضعيف من حيفه وييأس القوي من ميله ، وأمره أن يشرف على أعوانه وأصحابه ومن يعتمد عليه من أمنائه وأسبابه إشرافاً يمنع من التخطي الى السيرة المحظورة ويدفع عن الإسفاف الى المكاسب المحظورة ...

وذكر من هذا الجنس كلاماً كثيراً (١).

المنتظم لابن الجوزي جـ ٧ ، ٦٤ – ٦٥ .

٦٨ - عهد المطيع الى الحسين بن موسى العلوي بالنظر في المظالم في بغداد وسوادها واعمالها ، إنشاء أبي إسحاق الصابيء :

هذا ما عهد عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين إلى الحسين بن موسى العلوي ، حين اجتمع فيه شرف الأعراق والأخلاق ، وتكامل فيه يمن النقائب والضرائب ؛ وعرف أمير المؤمنين فيه فضل الكفاية والغناء ، ورشاد المقاصد والانحاء ، في سالف ما ولاه إياه من أعماله الثقيلة التي لم يزل فيها محمود المقام ، مستمراً على النظام ، مصيب النقض والإبرام ، سديد الإسداء والإلهام ، زائداً على المزايدين ، راجحاً على الموازين ، فائتاً للمحاذين ، مبراً على المبارين ، فقلده النظر في المظالم

(١) ذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء نص عهد مشابهاً لنصنا هذا إلى حد كبير ص ٤٠٣-٤٠٤ .

بمدينة السلام وسوادها وأعمالها ، وما يجري معها ، ثقة بعلمه ودينه ، واعتماداً على بصيرته ويقينه ، وسكوناً إلى أن الأيام قد زادته تحليماً وتهذيباً ، والسن قد تناهت به تحنيكاً وتجريباً ، وأن صنيعة أمير المؤمنين مستقرة منه عند أكرم أكفائها وأشرف أوليائها برحمه المتّاء الدانية ، وحرمته الشامخة العالية ، ومعرفته الثاقبة الداعية إلى التفويض إليه ، الباعثة على التعويل عليه . وأمير المؤمنين يستمد الله في ذلك أحسن ما عوده من هداية وتسديد ومعونة وتأييد ، وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله التي هي الجنة الحصينة والعصمة المتينة والسبب المتصل يوم انقطاع الأسباب ، والزاد المبلغ إلى دار الثواب ، وأن يستشعرها فيما يسر ويعلن ، ويعتمدها فيما يظهر ويبطن ، ويجعلها إمامه الذي ينحوه ، ورائده الذي يقفوه ، إذ هي شيمة الأبرار والأخيار ، وكان أولى من تعلق بعلائقها وتمسك بوثائقها لمفخره الكريم ومنصبه الصميم ، واستظلاله مع أمير المؤمنين بدوحة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، التي يكتنفان في فنائها ، ويأويان إلى أفيائها ، وحقيق على من كان هذا منزعه وإليها مرجعه أن يكون طيباً زكياً ، طاهراً نقياً ، عفيفاً في قوله وفعله ، نظيفاً في سره وجهره . قال الله تعالى : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً[1] .

وأمره بتلاوة القرآن ، وتأمل ما فيه من البرهان ، وأن يجعله نصباً لناظره ومألفاً لخاطره ، فيأخذ به ويعطي ، ويأتمر له وينتهي فإنه الحجة الواضحة والمحجة اللائحة والمعجزة الباهرة والبينة العادلة ، والدليل الذي من

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

اتبعه سلم ونجا ، ومن صدف عنه هلك وهوى . قال الله عز من قائل : وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد [١] .

وأمره أن يجلس للخصوم جلوساً عاماً ويقبل عليهم إقبالاً تاماً ، ويتصفح مايرفع إليه من ظلاماتهم ، وينعم النظر في أسباب محادثاتهم ، فما كان طريقه طريق المنازعة المتعلقة بنظر القضاة وشهادات العدول رده إلى المتولي للحكم ، وما كان طريقه الغصوب المحتاج فيها إلى الكشف والفحص والإستشفاف والبحث نظر فيه نظر صاحب المظالم ، وانتزع الحق ممن غصب عليه ، واستخلصه ممن امتدت له يد التعدي والتغرز اليه ، وأعاده إلى مستحقه ، وأقره عند مستوجبه ، غير مراقب كبيراً بكبره ، ولا خاصاً لخصوصه ، ولا شريفاً لشرفه . ولا متسلطناً لسلطانه ، بل يقدم أمر الله جل ذكره في كل مايأتي ويذر ، ويتوخى رضاه فيما يورد ويصدر ، ويكون على الضعيف المحق حدباً رؤوفاً حتى ينتصر وينتصف ، وعلى القوي المبطل شديداً غليظاً حتى ينقاد ويذعن. قال الله جل وعز : ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب [٢] .

وأمره أن يفتح بابه ويسهل حجابه ويبسط وجهه ويلين كنفه ، ويصبر على الخصوم الناقصين في بيانهم حتى تظهر حجتهم ، وينعم النظر في أقوال أهل اللسن والبيان منهم حتى يعلم مصيبهم ، فربما استظهر الغرّيض المبطل بفضل بيانه على العاجز المحق لعي لسانه ، وهنالك يجب

---

(١) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

(٢) سورة ص : الآية ٢٦ .

أن يقع التصفح على القولين ، والإستظهار للأمرين ؛ ليؤمن أن يزول الحق عن سننه ، ويزور الحكم عن طريقه . قال الله عز وجـــل : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومـاً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين (١) .

وأمره بأن لا يرد للقضاة حكماً يمضونه ولا سجلاً ينفذونه ، ولا يعقّب ذلك بفسخ ، ولا يطرّق عليه النقض ، بل يكون لهم موافقـاً مؤازراً ، ولأحكامهم عاضداً ناصراً ، إذ كان الحق واحداً وإن اختلفت المذاهب إليه ، فإذا وجد القصة قد سبقت والحكومة قد وقعت ، فليس هناك شك يوقف عنده ولا ريب يحتاج إلى الكشف عنه . وإذا وجد الأمر مشتبهاً ، والحق ملتبساً والتغرر مستعملاً والتغلب مستجـازاً ، نظر فيه نظر الناصر لحق المحقين ، الداحض لباطـل المبطلين ، المقوي لأيدي المستضعفين ، الآخذ على أيدي المعتدين . قال الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبـــيراً (٢) .

وأمره أن يستظهر على معرفته بمشاورة القضاة والفقهـاء ومباحثته الربانيين والعلماء ، فإن اشتبه عليه أمر استرشدهم ، وإن عزب عنـه صواب استدل عليه بهم ، فإنهم أزمة الأحكام وإليهم مرجع الحكام ، وإذا اقتـدى بهم في المشكلات وعمل بأقوالهم في المعضلات أمن من زلة العاثر وغلطة المستأثر ، وكان خليقاً بالأصالة في رأيه والإصابة في

(١) سورة الحجرات : الآية ٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

أبحاثه . وقد أمر الله ـ تقدست أسماؤه ـ بالمشاورة فعرف الناس فضلها وأسلكهم سبلها بقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله : وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين [1] .

وأمره أن يكتب لمن توجب له حق من الحقوق إلى صاحب الكوفة بالشد على يده والتمكن له منه ، وقبض الأيدي عن منازعته وحسم الأطماع في معارضته ، إذ هو مندوب لتنفيذ أحكامه ، ومأمور بإمضاء قضاياه . ومتى أخذ أحد من الخصوم إلى مكاذبة في حق في حكم عليه به ، أخذ على يده وكفه عن عدوانه ورده إلى حكم الله الذي لا يعدل عنه . قال الله عز وجل : ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون [2] .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عليك ، قد أرشدك وذكرك وهداك وبصرك ، فكن اليه منتهياً وبه مقتدياً واستعن بالله يعنك واستكفه يكفيك . وكتب الناصح أبو طاهر في تاريخ كذا .

صبح الأعشى للقلقشندي ج١٠ ، ٢٤٣ ـ ٢٤٧

٦٩ ـ عهد الطائع لله إلى الحسين بن موسى العلوي في النظر بالأوقاف من كتابة أبي إسحاق الصابيء

هذا ماعهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى الحسين بن موسى العلوي حين طابت منه العناصر ووصلته بأمير المؤمنين الأواصر ، جمع إلى شرف الأعراق الذي ورثه شرف الخلق الذي اكتسبه ووضحت آثار دينه وأمانته ، وبانت أدلة فضله وكفايته في جميع

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

ما أسنده أمير المؤمنين اليه من الأعمال وحمله إياه من الأثقال . فأضاف إلى ما كان ولاه من ذلك النظر في الوقوف التي كانت يدُ فلان فيها بالحضرة وسوادها ، ثقة بسداده وسكوناً إلى رشاده وعلماً بأنه يعرف حق الصنيعة ويرعى مايستحفظه من الوديعة ، ويجري في المنهل الذي أحمده أمير المؤمنين منه ووكل اليه . والله يمد أمير المؤمنين بصواب الرأي فيما نحاه وتوخاه ، ويؤمنه في عاقبته الندم فيما قضاه وأمضاه ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله التي هي عماد الدين وشعار المؤمنين ، وأن يعتقدها في سره ونجواه ، ويجعلها الذخيرة لأولاه وأخراه ، ويتجنب الموانع المونية ويتوقى الموارد المردية ، ويغض طرفه عن المطامع المغوية ويذهب بنفسه عن المطارح المخزية ؛ فإنه أحق من فعل ذاك وآثره ، وأولى من اعتمده واستشعره بنسبه الشريف ومفخره المنيف وعادته المشهورة وشاكلته المأثورة ؛ وتلاوة كتاب الله الذي هو وعترة رسول الله الثقلان المخلفان في الأمة ، وقد جمعته وآخرهما الأنساب وجمعته والثاني عصمة أولي الألباب . وتوجهت حجة الله بما يرجع من هذه الفضائل إليه وأنه غصن من دوحة أمير المؤمنين التي تحداها الله بالإنذار قبل الخلائق أجمعين ، إذ يقول لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله : وأنذر عشيرتك الأقربين (١) . وقد حض تبارك وتعالى على التقوى ووعد عباده عليها الزلفى فقال : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (٢) .

وأمره بالاشتمال على ماأسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوقوف

(١) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ .
(٢) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

مستنفداً طوقه في عمارتها . مستفرغاً وسعـه في مصلحتها ، دائبـاً في استغلالها وتثميرها ، مجتهداً في تدبيرها وتوفيرها ؛ وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذي يخرج منه للنفقـة على حفظ أصله واستدرار حلبه والمئونة الراتبة للقوام عليه والحفظـة له ، إلى أربابه الذين يعود ذلك عليهم في وجوهها التي سُبل لها ووقف عليها ، واضعاً جميع ذلك مواضعه ، موقعاً له مواقعه ، خارجاً إلى الله من الحق فيـه ، مؤدياً الأمانة إليه ، وأن يشهد على القابضين بما يقبضونه من وقوفهم ، ويكتب البراءات عليهم بما يستوفونه من أموالهم ، ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ماينفقه من أموال هذه الوقوف على مصالحه ، ويصرفه منها إلى أهلها ويخرجه منها في حقوقها وأبواب برها ، وسائر سبلها ووجوهها ، سالكاً في ذلك مذهبه المعروف في أداء الأمانة واستعمال الظلف والنزاهة ، معقباً على من كان ناظراً فيها من الخونة الذين لم يرعوا عهداً ولم يتصونوا عن سُحت المطاعم وظلم المآثم .

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد مشهور بالرشاد ، معلوم منـه نصيحة الأصحاب والضبط للحساب ، وتفويض ديوان الوقوف وتدبيره إليه ، وتوصيته بصيانة مايشتمل عليه من أصول الأعمال وفروعها ، وقليل الحجج وكثيرها ، وأن يحتاط لأربابها في حفظ رسومها ومعاملاتها وحراسة طسوقها ومقاسماتها حتى لا يستمر عليها حيف يبقى أثره ، ولا يتغير فيها رسم يخاف ضرره ، وأن ينصف الأكرة فيها والمزارعين وسائر المخالطين والمعاملين ، ولا يجشمهم حيفاً ولا يسومهم خسفاً ، لا يغضي لهم عن حق ولا يسمح لهم بواجب خلا ماعادت السماحة به بزيادة عمارتهم وتأليف نياتهم واجتلاب الفائدة منهم والعائدة بهم ، فإنه مؤتمن في ذلك كله أمانة ، وعليه أن يؤديها ويخرج عن الحق فيها .

وأمره باختيار خازن حصيف ، قشوم أمين يخزن حجج هـذه الوقوف وسجلاتها وسائر دفاترها وحسباناتها فإنها ودائع أربابها عنده ، وواجب أن يحتاط عليها جهده ، فمتى شك في شرط من الشروط أو حد من الحدود ، أو عارض معارض أو شاغب مشاغب في أيام نظره وأيام من عسى أن تنقل ولاية هذه الوقوف إليه وينىاط تدبيرها بـه ، دُفع مايحدث من ذلك بهذه الحجج التي هي معارف البرهان وقواعد البنيان ، وإليها المرجع في كل بينة تنْتَصَر وتقام ، وشبهة تدحض وتضام.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ووثيقته الحاصلة في يـديك ، فاتبع آثار أوامره وازدجر عن نواهيه وزواجره ، واستمسك به تنج وتسلم ، واعمل عليه تفز وتغنم ، واسترشد الله يرشدك ، واستهده يهـدك ، واستعن به ينصرك ، وفوض إليه يعصمك إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج١٠ ، ٢٥٩ – ٢٦٢

٧٠ – عهد القادر بالله ورسالته إلى محمد بن عبد الله بن الحسن لما ولاه القضاء والصلاة في بلاد جيلان .

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أحمد الإمـام القادر بالله إلى محمد بن عبد الله بن الحسن حـين بلا حقائق أخباره واستشعر مواقع آثاره ، وأنهى إلى أمير المؤمنين رسوخه في العلم وسمته بالفهم ، فاستخار الله عز وجل فيما يعتمده عليه وسأله التسديد فيما يفوضه إليه ، فقلده الصـلاة والخطابة على المنابر والقضاء والحكم ببلاد بجيلان : أسودها وأبيضها ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه توكله وإليه في كل حالة موئله ، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل .

أمره بخشية الله فإنها مزية العلماء ، ومراقبته فإنها خاصة الأدباء ،

وتقواه ما استطاع فإنها سكة من أطاع وجنة من تجاذبه الأطماع ، وأن يأخذ لأمر الله أهبته ويعدّ له عدته ، ولا يترخص فيه فيفرط ، ولا يضيع وظيفة من وظائفه فيتورط ، وأن يستعمل نفسه في المهل ويؤذنها بقرب الأجل ولا يغرها أنه منظر ، وإن عصى فيغفر ، فقد قال الله تعالى : حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو اليه المصير[1] .

وأمره بقراءة القرآن وتلاوته والمحافظة عليه ودراسته ، وأمره بمداومة الطهر فإنه أمان من الفقر ، ولا يقنع به في الجوارح ، وأن يكون مثله فيما بين الجوانح ، فإن النقاء هناك هو النقاء الذي يتم به البهاء ، وحينئذٍ تكمل الطهارة وتزول الأدران . وأمره بمراعاة مواقيت الصلاة للجمع فإذا حانت سعى اليها . وإذا وجبت جمع إليها بالأذان الذي يسمع به مؤذنوه الملأ ، والإقامة الذي يقوم به فرض الله عز وجل. وأمره بالإحسان في الموعظة مستقصياً للمناصحة ، وأمره بالنداء على المنابر وفي سائر المحافل والمعاقل بالشعار الأعلى والفرض الأوفى من ذكر دولة أمير المؤمنين وحث الأمة على طاعته أجمعين .

قال الله عز وجل : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم[2] . وأن يديم التصفح لأحوال البلاد التي ولى فيها ما وليه من قواعد الشريعة ، وليقابل نعمة الله بشكر الصنيعة ، فإن وجد فيها نافراً عن فريضة الدعوة الشريفة القادرية اجتذبه إليها بالموعظة الحسنة والدلالة الصريحة ، فإن استبصر لرشده وراجع المفروض بجهده فقد فاز

---

(١) سورة غافر : الآية ٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ٥٩ .

وغنم ، وإن تشاوس وعند ، استنفر عليه الأمم وقمعه بما يوجبه الحكم ، وأمره بصلوات الأعياد والخسوف والإستسقاء ؛ وأمره أن يكون لأمر الله متأهباً ولنزول الموت مترقباً ولطروقه متوقعاً ، وأمره أن لا يخلي عن ما فوضه إليه من ظهير يستنيبه ؛ وأمره أن يتبع شرائع الاسلام وأن يواصل تلاوة القرآن ويستنبط منه ويهتدي به ، فإنه جلاء للبصائر ومنار الحكم ولسان البلاغة ؛ وأمره أن يخلي ذهنه إذا انتدب للنظر ويقضي أمامه كل وطر ، ويأخذ لجوارحه بحفظ بقيتها ، فإن القلب إذا اكتنفته المآرب يمرض له التعب ؛ وأمره بالجلوس للخصوم في مساجد الجوامع ليتساووا في لقائه ، وأن يقسم لحظه ولفظه بين جمهورهم ، وأمره بالنظر في الأمور بالعدل ، وأمره بانتخاب الشهود والفحص عن أحوالهم ، وأمره بالتناهي في تفقد الأيتام ، فإنهم أسراء الإسلام ؛ وأمره بتعهد الوقوف وإجراء أحوالها على ما يوجبه التوقيف من أربابها .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته المنعم بها عليك وتذكرته المستودعة فوائد توفيقه ، فانصب لمحاورته ، وأصيخْ لمخاطبته واغرس مواعظه في قلبك تجن من ثمرها الفوز عند ربك . وكتب علي بن عبد العزيز بن إبراهيم في شهر ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة .

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ، ٢٠٨ - ٢٠٩ .

٧١ - عهد القائم بأمر الله بتعيين أبي عبد الله الحسين بن علي قاضياً للقضاة :

... وإن أمير المؤمنين أعمل فكره وأدام سيره في اختيار من يسند اليه الأحكام ويجعله حجة بينه وبين الله تعالى في هذا المقام ،

وكان الحسين بن علي قاضي القضاة منتهى رأيه ومقر اختياره لما عهد من عفافه واستقامة طريقته .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ – ٩٢ .

٧٢ – عهد المقتدي بتعيين ابي منصور محمد بن محمد بن الحسين قاضياً على المظالم سنة ٤٧٩ هـ .

... ولما رأى أمير المؤمنين في محمد بن محمد بن الحسين من العفاف والديانة والثقة والصيانـــة قلده المظالم ، وقد أخذ عليه تقوى الله وطاعته والسعي في كل ما كان يزلفه عنده ويقربه من أمير المؤمنين .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٩ – ٢٦ .

٧٣ – عهد المسترشد بالله بتقليد قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي القضاء في بغداد وسائر الجهات .

هذا ما عهد عبد الله أبو منصور الفضل الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين إلى قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي : لمـــا تأمل طريقته وشحذ عقيدته وأحمـــد مذاهبه وارتضى ضرائبه وتكاثرت دواعيه وحسنت مساعيه ، ووجده عند الإختبار وفي مضمار الإعتبار راجعاً إلى عقل رصين ودين متين وأمانة مشكورة ونزاهة مخبورة ، وورع ثمر المشرع ، عار عن دنس المطمع ، وعـــلم توفر منه قسمه وأصاب فيه سهمه . وحين راعى فيه موردات شرف النسب إلى شرف العلم المكتسب مع ما سلف لبيته من الحرمـــات المرعية المتأكدة والقربات المرضية المتمهدة ، والسوابق المحكمة المرائر ، الحميدة المبادىء والمصاير ، فقلده قضاء القضاة بمدينة السلام وسائر الأمصار في الآفاق والأقطار ، شرقاً وغرباً

وبعداً وقرباً إنافة بــه إلى ما أصبح له مستحقاً ، واستمر استيجابه مسترقاً ، وجذباً بضبعه إلى ما يتحقق نهوضه بأعبائـه وحسن استقلاله به وغنائه ، واقتفاءً لآثار الأئمـــة الراشدين في إيداع الودائع عند مستحقها وتفويض الأمور إلى أكفائها وأهلها ، ولا سيما أولياء دولتهم وأغذياء نعمتهم ، الذين كشفت عن سجف خبرتهم التجارب ، ووردوا من الخلال الرشيدة أعـذب المشارب ، وانتهجوا الجدد الواضح وتقبلوا الخلق الصالح . والله تعالى يقرن عزائم أمير ا ؤمنين بالخيرة في كل ما يرتئيه ، وأمر يؤمه وينتحيه ويصدق مخيلته في كل حال يأتيها ويمضي عزمه فيها ، وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله التي لا يسعد أحد إلا بالتمسك بسببها ، ولا يشقى إلا مع إضاعتها ، فإنها الجناب المريع والعقل المنيع والنجاة يوم الفزع الأكبر ، والعدة النافعة في المعاد والمحشر ، والعصمة الحامية من نزغات الشيطان ومخايله ، المنقذة من أشراكه وحبائله ، وبهـا تمحص الأوزار وتنال الأوطار وتدرك المآرب ، وتنجح المطالب . قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم (١) .

وأمره باستشعار خشية الله سبحانه في قوله وفعله ، واختلاف أطواره وأحواله ، وتذكر ما هو قادم عليه ووافـد اليه : يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً . فـلا يقوده الهوى الى اتباع شهوة أو إجابة داعي هفوة أو صبوة ، إلا كان الخوف قادعه والحذار مانعه ، وأن يجعل التواضع والوقار شيمته والحلم دأبه وخليقته

(١) سورة الأنفال : الآية ٢٩ .

فليكظم غيظه عند احتدام أواره واضطرام ناره ، مجتنباً عزة الغضب الصائرة إلى ذلة الإعتـــذار ، ومتوخياً في كل حال المقاصد السليمة الإيراد والإصدار ، وأن يتأمل أحوال غيره تأمـل من جعلها لنفسه مثالاً ، واتخذها لنسجه منوالاً ، فما استحسنه منها فيأتيه وما كرهه فيجتويه ، غير ناهٍ عما هو من أهله ، ولا آمرٍ بما هو مجانب لفعـــله . قال الله جلت عظمته : أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنـتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون [1] .

وأمره بتـلاوة كتاب الله مواظباً ، والإكثار من قراءته دائباً ، وأن يجعله إماماً يقتضيه ودليلاً يتبعه فيهديه ، ونوراً يستضيء بـــه في الظلمات وهادياً يسترشده عند اعتراض الشبهات ، وموئلاً يستند إليه في سائر أحكامه ، وحصناً يلجأ إليه في نقضه وإبرامـــه ، عاملاً بأوامره ومزدجراً بزواجره ومنعماً نظره في محكم آياته وصادع بيناته ، ومعملاً فكره في خوض غمـاره واستخراج غوامض أسراره فإنه الحق الذي لا يجور متبعه ، والمتجر الذي لا يبور متبضعه ، والمنار الذي به يقتدى والمنهج الذي بأعلامه يهتدى ، والمصدر الذي تعزى به الأمور في ملبس الإشكال ، وتشرع معه الأحوال المستبهمة في ورود الوضوح السلسال ؛ وينبوع الحكمة الذي ضرب الله فيه الأمثال وفرق بين الحرام والحلال ، والهداية والضلال . قال الله سبحانه : ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين [2] .

(١) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٢) سورة النحل : الآية ٨٩ .

وأمره بدراسة السنن النبوية صلوات الله على صاحبها ، والإقتداء بما جاءت به من مكارم الأخـــلاق التي ندب إليها وحض عليها ، وتتبع ما يتداخلها من الأخبار الجريحة والروايات غير الصحيحة ، والفحص عن طرقها وأسنادها وتمييز قويمها ومیادها ، والبحث عن رواتها : منحوزها وثقاتها ؛ فما ألفاه بريئاً من الطعن ، آمناً من القدح والوهن ، عارياً عن ملابس الشك والإرتياب ، عاطلاً عن حلى الشبهة والإعتياب اتبعه واقتفاه وتمثله واحتذاه ، وكان به حاكماً ، ولإدواء الباطل باتباعه حاسماً ؛ وما كان مترجحاً بين كفتي الشك واليقين ، ولم تبدُ فيه مخايل الحق المبين ، جعل الوقف حكمه وردع عن العمل بـــه عزمه ، إلى أن يصح الحق فيه فيعتمد ما يوجبه ويقتضيه : فإنه ـ عليه السلام ـ الداعي إلى الهدى والرحمة التي عصم الله بها من دواعي الردى ، والهادي الذي لم يفصل بين العمل بفرائض كتابه وسنته في قوله تقدست أسماؤه وجلت آلاؤه : ما أتاكم الرسول فخـــذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب[1] .

وأمره بإقامة الصلوات الخمس المفروضـة في أوقاتها والمبادرة اليها قبل فواتها والإتيان بشرائطها المحدودة وأركانها .

وأمره بمجالسة العلماء ومباحثة الفقهاء ومناقشة ذوي البصيرة والفهم والفطنة والحزم ومشاورتهم في عوارض الأمور المشكلة وسوانح الأحكام المستبهمة المعضلة ، حتى يُصَرِّحَ محضُ رأيه وآرائهم عن زبدة الصواب وتنتـــج أفكارهم باستجامها نظراً شافياً بالجواب ، رافعاً عنه منسدل الحجاب ؛ وإن في ذلك ثلجاً للصدور واستظهاراً في الأمور ، واحترازاً

(١) سورة الحشر : الآية ٧ .

من دواعي الزلل واستمرار الخلل، وأمناً من غوائل الانفراد، وحطاً للتعويل على الإستبداد، فلرب ثقة أدت إلى خجل، وأمنٍ أفضى إلى وجل، وما زالت الشورى مقرونة بالإصابة، محكمة عرى الحق وأسبابه حارسة من عواقب الندم، داعية إلى السلامة من زلة القدم، وقد أمر الله نبيه صلى الله وسلم عليه وأزلف محله لديه، بالإستظهار بالمشاورة مع عظم خطره وشرف قدره فقال: وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين (١)

وأمره أن يختار للحكم الأماكن الفسيحة الأرجاء الواسعة الفضاء، وينظر في أمور المسلمين نظراً تفتر ثغور العدل فيه، وتلوح خشية الله من مطاويه، فيوصِّل إليه كافة الخصوم، ويبرز لهم على العموم، غير مشدد حجابه، ولا مرتج دون المترافعين إليه بابه، وأن يولي كلاً من الإقبال عليه وحسن الإصغاء إليه، ما يكون بينهم فيه مساوياً، ولهم في مجمع الموازاة محاذياً، ولا يعطي من التفاته إلى الشريف لشرفه، وذي الشارة الحسنة من أجل ثوبه ومطرفه، ما يمنعه مَنْ تقتحمه العيونُ وتترجم في خموله الظنون، فإن ذلك مطمع لذوي الرواء في دفع الحق إذا وجب عليه، والتماس الباطل وإن ضعفت الدواعي إليه، مُؤْيِسٌ لذي الخمول من الإنتصار لحقه وإن أسفر صبح يقينه ونطقت ألسنة أدلته. فالناس، وإن تباينوا في الأقدار والقيمة، وتفاوتوا في الأرزاق المقسومة، فالإسلام لهم مجتمع، والحق أحق أن يتبع، وهم عند خالقهم سواء إلا من ميزته التقوى وتمسك بسببها الأقوى.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

قال الله تعالى : إن أكرمكم عند الله أتقاكم[1] . وقال تعالى : إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وأن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً[2] .

وأمره أن يتأمل أحوال المترافعين إليه والخصوم لديه ، ويتطلب ما وقع نزاعهم لأجله في نص الكتاب ، ويعدل إلى السنة عند عدمه من هذا الباب . فإن فقد من هذين الوجهين فليرجع إلى ما اختاره السلف المهتدون وأجمع عليه الفقهاء المجتهدون ؛ فإن لم يلف فيه قولاً ولا إجماعاً ، ولا وجد إليه طريقاً مستطاعاً ، أعمل رأيه واجتهاده ، وامتطى ركاب وسعه وجياده مستظهراً بشورة الفقهاء فى هذه الحال ومستخلصاً من آرائهم ما يقع عليه الإتفاق إلا من الإعتلال : والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وأمره باستعمال الأناة عند الحكومات واستماع الدعاوي والبينات ، من غير سرعة تحدث خطلاً ، ولا إفراط في التأني يورث مللاً ؛ فإن الحق بين ذينك على شفا خطر وظهر غرر ، ولا سيما إذا كان أحد الخصمين منطقياً ، ينمق كلامه تنميقاً ، فإنه يجلب ببلاغة نطقه مستمعه ويغطي وجه الباطل بألفاظه الموشعة ، فإذا اتفق لديه ما هذا سبيله ، شحذ له غريب فطنته ، وأرهف غرار فكره وبصيرته ، ومنح كلا من الإنصات ما يجتلي وجه النصف منيراً ، ويغدو لأشياع الجور مبيراً ، وإنْ ذو اللسن روعه وأوهمه أن الحق معه بما يلفقه من كلام يقصر خصمه عن جوابه ، ويحصر عن جداله وإستيفاء خطابه ، مع عدم البينة

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

المشهورة ، وتعذر الحجة الموجودة استمداد كلامه واستنطقه واستوضح مغزاه وتحققه من غير إظهار إعجاب بما يذكره ، ولا اغترار بما يطريه وينشره ، ولا إصغاء يبدو أثرُ الرغائب من فحواه ، ولا اختصاص له بما يمنع صاحبه شرواه [1] ، لئـــلا يولد ذلك له اشتطاطاً ويحدث له انطلاقاً في الخصومة وانبساطاً ، حتى إذا ابتسم الحق وانتصر الصـدق وفلج أحدهما بحجته ولحن ببينته ، أقر الواجبَ في نصابه ، وأداله من جنود الظلم وأحزابه ، وأمضى الحكم فيه بإعتزام صادق ورأيٍ محصّدِ الوثائق ، غير ملتفت إلى مراجعة الخصوم وتشاجرهم وشكواهم وتنافرهم اعتماداً للواجب وانتهاجاً لجدد العدل اللاحب . قال الله تعالى : يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بـين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عـذاب شديد بما نسوا يوم الحساب [2] .

وأمره إذا انتُدب للقضاء أن يفْرِغَ باله ، ويقضي أمامه أوطاره وأشغاله ، ويخلي من أحوال الدنيا سره ، ويشرح لمـــا هو بصدده صدره ، فلا تنزع نفسه إلى تحصيل مأرب ولا تتطلع إلى درك مطلب فإن القلب إذا اكتنفته شجونه وأحاطت به شئونه كان عرضـــة لتشعب أفكاره وحمله على مركب اضطراره الجاري بضـــد إيثاره واختياره ، حرياً بالتقصـــير عن الفهم والإفهام ، والضجر عند مشتجر الخصام .

وأمره بالتثبت في الحدود ، والإستظهار عنـد إقامتها بمن يسكن

---

(1) شرواه : مثاله .

(2) سورة ص : الاية ٢٦ .

إلى قوله من الشهود ، والاحتياط من عَجَلٍ يحيل الحكم عن بيانه ، أو ريث يرجيه عند وضوحه وتبيانه ، وأن يتجافى عما لم يصرح له بذكره وشرحه ، ولا يسرعَ إلى تصديق ساعٍ وإن تشبه بالناصحين في نصحه ، حتى يستبين له الحق فيمضيه عاملاً بما يوجبه حكم الله فيه ، وأن يدرأ من الحدود ما اعترضت الشبهة دليله ، وكانت شواهده مدخولة ؛ ويقيم منها ما قامت شهوده ولم يمكن إنكاره وجحوده . قال الله تعالى مكبراً لتجافيها ومعظماً للتجوز فيها : ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (١) .

وأمره بتصفح أحوال الشهود المعدلين المسموعة أقوالهم في أمور المسلمين وأحوال الدين ، ومواصلة البحث عن طرائقهم واستشفاف خلائقهم ، مستخدماً في ذلك سره وجهره ، وواصلاً بعوان دأبه فيه بكره ، فمن علمه سليماً في فعله غير ظنين في أصله متحرياً في كسبه مرضياً في مذهبه ، حافظاً لكتاب الله سبحانه ، متمسكاً من علم الشريعة بما يلوي عن مهاوي الخطأ عنانه ، حالياً بالديانة المنيرة المطالع ، حامياً نفسه عن الإسفاف إلى دنايا المطامع ، حاوياً من الظلف والأمانة ، والقدر والصيانة والاحتراس والتحفظ والتحرز والتيقظ ما تميز به على أشكاله وأترابه وطال مناكب أمثاله وأضرابه ، فقد كملت صفاته واقتضت تقديمه أدواته ، ووجب أن يمضي كونه عدلاً ، ويجعله لقبول الشهادة أهلاً ، ومن رآه عن هذه الخلال مقصراً ، وببعضها مستظهراً ، وكان موسوماً بديانة مشكورة ونزاهة مأثورة ، رضي بذلك منه قانعاً وحكم بقوله سامعاً ، ومن كان عن هذين الفريقين نائياً ، ولأحوالهم المبين ذكرها نافياً ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

ألغى قوله مطرحاً، ورد شهادته مصرحاً، فإن هؤلاء الشهود أعوان الحق على انتصاره وحرب الباطل على تبييره وبواره، ومحجة الحاكم إلى قضائه ووزره الذي يستند إليه في سائر أنحائه؛ فإذا أعذر في إرتيادهم واستفرغ وسعه في انتقادهم فقد خرج من عهدة الإجتهاد واستحق من الله جزاء المجتهدين يوم التناد، ومتى غرَّر في ذلك توجهت اللائمة عليه وكان قمناً بنسبة التقصير في الإحتياط إليه. والله يتولى السرائر ويبلو خفيات الضمائر. قال سبحانه: ممن ترضون من الشهداء (١). وقال جل ذكره: ستكتب شهادتهم ويسألون (٢).

وأمره أن يكل أمور اليتامى في أملاكهم وأموالهم ومراعاة شئونهم وأحوالهم إلى الثقات الأعفاء والكفاة الأتقياء الذين لا يستهويهم دواعي الطمع ولا يوردهم الإسفاف موارد الطبَع، وأن يتبع أمورهم ويتصفحها ويشارفها بنفسه ويستوضحها، عالماً أنه عما في أيديهم مسئول فإن عذره في إهمالٍ يتخلله غير مقبول، وهو سبحانه يقول:

إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً (٣).

وأن يوعز إليهم بالإنفاق على أربابها بالمعروف: لينتهجوا فيها جدد القصد المألوف، حتى إذا بلغوا الحلم وأونس منهم الرشد وعلم، وساغ لهم التصرف في نفوسهم ووثق منهم بإستدرار معايشهم دفع إليهم أموالهم محروسة ووفاهم إياها كاملة غير منقوصة، مستظهراً بالشهادة عليهم والبراءة منها بتسليمها إليهم إتباعاً لقوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٢) سورة الزخرف: الآية ١٩.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٠.

وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ، ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ، وكفى بالله حسيباً[1] .

وأمره بتزويج الأيامى اللواتي فقدن الأولياء واعتدى عليهن صرف الدهر وأساء ، واضرّ بهن طول الإرمال ، وبدت عليهن آثار الخلة في الحال فينكحهن أكفاءهن من الرجال ، ويتم عقد مهورهن على مهور الأمثال.

وأمره بتفويض أمر الوقوف الجارية في نظره إلى من يأمنه ويختاره وتقرن بإعلانه في ارتضائه أسراره ، من أهل التجربة والحياء ذوي الاضطلاع والغناء فإنهم أقل إلى المطامع تشوفاً ، وأبعدُ في عواقب الأمور نظراً وتلطفاً ، وأن يوسع عليهم في الأرزاق فيوصلها إليهم مهنأة عند الوجوب والإستحقاق ، فبذلك يملك المرء نفسه ويستصلحها ، ويتجنب مواقف التهم ويطرحها ، وتجب عليه الحجة إن ثلم أمانة ، أو قارف خيانة ، مستظهراً بترتيب المشرفين الذين خبر أحوالهم وسبر أفعالهم ، وأن يتقدم إلى المستنابين قبله بالإنفاق عليها حسب الحاجة إلى محصولها حافظاً بما تعمده من ذلك لأصولها وجباية ارتفاعها من مظانها ، والتماسْ حقوقها في أوانها وصرفها في وجوهها التي شرطها واقفوها ، وعين عليها أربابها وأهلوها ، غير مخل مع ذلك بالإشراف والتطلع ، ولا مهمل للفحص والتبلغ ، فمن ألفاه حميد الأثر ورضي العيان والخبر عول عليه وفوض مستنيماً اليه ، ومن وجده قد مد إلى خيانة يده استبدل به وعزله جزاء بما فعله : إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً .

---

(1) سورة النساء : الآية ٦ .

وأمره أن يستخلف على ما نأى عنه من البـــلاد من جمع إلى الوقار الحلم ، وإلى الدراية الفهم ، وإلى التيقظ الإستبصار ، وإلى الورع الإستظهار ، ممن لا يضيق بالأمور ذرعاً ولا تحـدث له مراجعة الخصوم ضجراً ولا تبرماً ، ولا يتمادى في أسباب الزله ، ولا يقصر عن الرجوع إلى الحق إذا اتضح له ، ولا يكتفي بأدنى معدلة عن بلوغ أقصاها ، ولا تتهافت نفسه على طاعـــة هواها ، ولا يرجىء الأخذ بالحجة عند انكشافها ، ولا يعجل بحكم مع اعتراض الشبهة واكتنافها ، ولا يستميله إغراء ولا يزدهيه مدح وإطراء ، وأن يعهد بمثل ما عهد أمير المؤمنين إليه ، ويعذر في الإجهاد بإيجاب الحجـــة عليه : ليبرأ من تبعة بادرة عساه يأتيها ، أو مزلقة تناديه فيهب ملبياً لداعيها . قال الله تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب(1) .

وأمره أن يمضي ما أمضاه الحكام قبله ، ولا يتعقب أحكامهم بتأويل، مجتنباً تتبع عثراتهم والبحث عن هفواتهم ؛ ومهما رفع إليه من ذلك مما الإجماع عليه موافق ، ولسان الكتاب والسنة بـه ناطق أمضاه وحكم به ، وإن كان مبايناً لمذهبه : فإن الحكومات كلها ماضية على اختلاف جهاتها ، مستمرة على تنافي صفاتها ، محمية عن التأويـــل والتعليل ، محروسة من التغيير والتبديـــل ، ما كان لها مخرج في بعض الأقوال ، أو وُجد لها عند الفقهاء احتمال ، إلا أن يكون الإجماع منعقداً على ضدها ، آخذاً بإلغائها وردها ، فيستفرغ في إيضاحها جهده ، وينفق في تلافيها من الإستطاعة وُجـده ، حتى يعيدها إلى مقرها من الواجب ،

(1) سورة المائدة : الآية 2 .

ويمضيها على الحق اللازب . قال الله عز وجل : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون [1] .

وأمره أن يتخذ كاتباً بالظلف موسوماً ، وبأدق ما يناط به قئوماً ، خبيراً بما يسطره عالماً بما يذكره عارفاً بالشروط والسجلات وما يتوجه نحوها من التأويلات ويتداخلها من الشبه والتلبيسات ، مطلعاً على أسرارها وعللها وتصاريف حيلها ، متحرزاً في كل حـال ، متنزهاً عن مذموم الفعال ، متخذاً خشية الله شعاراً ، مسبلاً دون عصيانه من التقى أستاراً ، فإنها نظاماته التي يرجع إليها ويده التي يبطش بها ويعول عليها ، ومتى لم يكن له من نفسه وازع ولا من عقله ودينه رادع ، لم يؤمن أن تدب عقاربه ليلاً ، ويسحب على الغوائل والموبقات ذيلاً ، فيعم الضرر بمكانه ويشرع أذاه إلى المسلمين حد سنانه ، وأن يتخير حاجباً طاوياً كشحه دون الأشرار ، جامعاً لأدب الأخيار ، مدرعاً جلباب الحياء ، طلق الوجه عند اللقاء ، سهل الجانب لينه ، مستشعر الخير متيقنه ، غير متجهم للناس ولا معاملهم بغير البشاشة والإيناس ، فإنـه الباب إليه والمعتمد في لقائه عليه ، فلينتخبه انتخاب من علم أن حسن الثناء خير زاد وأنفس ذخر وعتاد ؛ ورأى طيب المحمدة أجمل كسب مراد وحظ مجسد مستفاد ؛ ومتى كان عن هـــذه الخلال متخلياً وبخلافها متحلياً اعتاض منه بمن هو أسلم غيباً وآمن ريباً وأنقى جيباً وأقـل عيباً . قال الله سبحانه : وما كنت متخذ المضلين عضداً [2] .

وأمره أن يتسلم ديوان القضـــاء وما فيه من الحجج والسجلات والوثائق والكفالات والمحاضر والوكالات بمحضر من العدول ليكونوا له

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤٥ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٥١ .

مشاهدين وعليه شاهدين ؛ وأن يجعل خزانها من يرتضيه باجتماع أدوات الخير فيه ، عاملاً في حفظها بما تقتضيه الأمانـة التي أشفقت السموات والأرض والجبال منها وأقررن بالعجز عنهـا ، متحرياً من أمر يبوء معه بالآثام في دار المقام . قال الله تعالى : إنا عرضنا الأمانـــة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً [1] .

وأمره بمراعاة الحسبة فإنها أكبر المصالح وأهمها وأجمعها لنفع الناس وأعمها وأدعاها إلى تحصين أموالهم وانتظـــام أحوالهم وحسم مواد الفساد وكف يده عن الإمتداد ، وأن يتقدم إلى المستناب فيها بمداومة الاطـلاع على كمية الأسعار والفحص عن مادة المخلوقات في الإنقطاع والاستمرار ، ومواصلة الجلوس في أماكن الأقوات ومظانها ، ليكون تسعيرها بمقتضى زيادتها ونقصانها ، غير خارج في ذلك عن حد الاعتدال ولا مائل إلى ما يجحف بالفريقين من إكثار وإقلال . وأن يراعي عيار المكاييل والموازين ، ليميز ذوي الصحة من المطففين ، فيقول لمن حسن اعتباره متوخى ، ويقابل من ساء اختياره بما يجعله لأمثاله رادعاً حتى يزنوا بالقسطاس المستقيم ، ويتجنبوا التطفيف بقلب من إضمـار المعاودة سليم . قال الله تعالى : ويـــل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين [2] .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عند الله تعالى عليك ، وقفك

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٧٢ .

(٢) سورة المطففين : الآيات ١-٦ .

فيه على منهج الصلاح وأعلقك منه ، إن اتبعته ، بأسباب النجاح ، وأدرّ به عليك خلف السعادة إن أمتريته (١) بيد القبول ، وجمع لك مع احتذائـــه بدائد المأمول ، وعطف عليك متى تمثلته شوارد السول ، وأوجدك ضالة متاعك إن أصغيت إليه سامعاً مطيعاً ، وأعـاد ، إن إئتمرت بأوامره شمل أقوالك جميعاً ، وأرادك مرعى النجاة إن نهضت بأعبائه مَريعاً ، لم يدخرك فيه شفيقاً ولا حقرك إرشاداً وتعريفاً ، خلع بـــه ربقة الأمانة من عنق اجتهاده وأوضح لك ما يُسأل غداً عن فعله واعتماده .

فبادر إلى العمل به مسرعاً ، وقم بالمحدود فيه مضطلعاً ، واعلم أن لكل عـــالم هفوة ، ولكل جواد كبوة ، فاغضض من مطامح الهوى طرفك ، واثن عن أضاليل الدنيا الغرارة عطفك ، واخش موقفاً تشخص فيه الأبصار وتعدم الأعوان والأنصار ، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، وتنقطع الوسائل إلا ممن أطاع الله واتقاه ، ينعم عوفك (٢) ، ويأمن يوم القيامة خوفك ، ومهما عرض لـك من شبهة لم تلف مخرجاً منها ولا صدراً عنها ولا وجدت لستقيها هناء ولدائها شفاءً ، فطالع حضرة أمير المؤمنين بحالها مستعلماً ، وأنهها إليه مستفتحاً باستدعاء الجواب عما أصبح لديك مستغلقاً مبهماً ، يمدك منه بما يريك صبح الحق منبلجـاً وضيق الشك منفرجاً ، عن عـــلم عنده البحر كالقياس ، إلى أوشال الناس . والله تعالى يعضد آراء أمير المؤمنين بالصواب ويمده بالتوفيق في سائر الآراب ويقود لمراده أزمة جوامحها الصعاب ما أنجم سحاب وأثجم رباب بمنه وسعة فضله .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ٢٦٤ – ٢٧٦ .

---

(١) أمرى الدم : إستخرجه .

(٢) العوف : البال .

٧٤ – منشور أصدره الخليفة الراشد لما أصبح خليفة برد المظالم التي كانت موجودة زمن المسترشد :

بسم الله الرحمن الرحيم . لما أحل الله [أمير المؤمنين] محل أنبيائه ، وجعله نائباً عنه في أرضـــه ، أمراً (١) في سمائه ، وارتضاه خليفة على عباده وعاملا بالحق في بلاده ، تقدم بتصفح ما كان يجري على أيدي النواب في الأيام المسترشدية ، سقاها الله رحمة مستهلة السحاب ، وما عساه كان يتم من أفعالهم الذميمة فوقف من ذلك على سهم المطالبة بغـير حق ، فاقتضى رأيـــه الشريف التقدم برفع المطالبة عنهم وأبرز كل ما وجد ، وأوعز برده على أربابه ليحظى الإمام الشهيد بزلفى ثوابـه وليعلم الخاصة والعامة من رأي أمير المؤمنين إيثاره رضا الله سبحانه .

المنتظم لابن الجوزي جـ ١٠ – ٥١ .

٧٥ – مرسوم أصدره الخليفة العباسي الناصر بتقليد القاضي محي الدين أبي عبد الله محمد بن فضلان قضاء القضاة شرقاً وغرباً ، من إنشاء أستاذ الدار عضد الدين بن الضحاك :

هذا ما عهد عبد الله وخليفته في العالمين المفترض الطاعة على الخلق أجمعين أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين إلى محمد بن يحيى ابن فضلان حين سبر خـــلاله واستقراها ، واعتبر طرائقه واستبراها ، فألفاه رشيداً في مذاهبه ، سديداً في أفعاله وضرائبه موسوماً بالرصانة حالياً بالورع والديانـة ، مبرزاً من العلوم في فنونها ، عالـماً بفروض الشريعة المطهرة ومسنونها ، مدرعاً ملابس العفاف قد أناف على أمثاله

(١) كذا بالأصل .

في بوارع الأوصاف ، فقلده قضاء القضاة في مدينة السلام وجميع البلاد والأعمال والنواحي والأمصار شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً ؛ سكوناً إلى ما علم من حاله وإضطلاعه بالنهضة المنوطة بـه واستقلاله ، وركوناً إلى قيامه بالواجب فيما أسند إليه ونهوضه بعبء ما عول في حفظ قوانينه عليه ، وإستنامة إلى حلول الإصطناع عنـده ، ومصادفته منه مكاناً تبوأه بالإستحقاق وحـده ، والله تعالى يعضد آراء أمير المؤمنين بمزيد التوفيق في جميع الأمور ، ويحسن له الخيرة فيما يؤمه من مناظم الدين وصلاح الجمهور ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

وأمره بتقوى الله تعالى في إعلانـه وإسراره وتقمص شعارها في إظهار أمره وإضماره ، فإنها العروة الوثقى والذخر الأبقى والسعادة التي ما دونها فوز ولا فوقها مرقى ، وهي حلية الأبرار وسيما الأخيار والمنهج الواضح والمتجر الرابح والسبيل المؤدي إلى النجـاة والخلاص ، يوم لاوزر ولات حين مناص ، وأنفع العـدد والذخائر وخير العتاد يوم تنشر الصحف وتبلى السرائر ، يوم تشخص الأبصار وتعدم الأنصار : وترى المجرمين يومئذٍ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النـار . ولا ينجو من عذاب الله يومئذٍ إلا من كان زاده التقوى ، وتمسك منها بالسبب الأقوى . قال الله تعالى : وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقونِ يا أولي الألباب[1]

وأمره أن يجعل كتاب الله إماماً يهتدي بمناره ويستصبح ببواصر أنواره ويستضيء في ظلم المشكلات بمنير مصباحـه ، ويقف عند حدود

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

محظوره ومباحه ويتخذه مثالاً يحتذيه ودليلا يتبع أثره فيهديه ، ويعمل به في قضاياه وأحكامه ، ويقتدي بأوامره في نقضه وإبرامه ، فإنه دليل الهدى ورائده ، وسائق النجح وقائده ومعدن العلم ومنبعه ، ومنجم الرشاد ومطلعه ، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله ﷺ في الأمة ، والذكر الذي جعله الله تعالى تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة فقال عز من قائل : ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين (١) .

وأمره بانتزاع (٢) الآثار النبوية ، صلوات الله على صاحبها وسلامه ، والإهتداء بشموسها التي تتجلى بها دُجُنَّة كل مشكل وظلامة ، والاقتداء بسنة الشريعة المتبوعة وتصفح الأخبار المسموعة والعمل منها بما قامت أدلة صحته من جميع جهاته ، واستحكمت الثقة بنقلته عنه ـ عليه السلام ـ ورواته ، وسلمت أسانيده من قدح ورجاله من ظنة وجرح ، فإنها التالية للقرآن المجيد في وجوب العمل بأوامره والإنتهاء بروادعه وزواجره ؛ وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ الصادق الأمين الذي ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى . وقد قرن الله سبحانه طاعته بطاعته ، والعمل بكتابه والأخذ بسنته فقال عز من قائل : وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٣) .

وأمره بمجالسة العلماء ومباحثة الفقهاء ومشاركتهم في الأمور المشكلة وعوارض الحكومات المعضلة ، لتستبين سبيل الصواب ويُمرى

---

(١) سورة النحل : الآية ٨٩ .
(٢) الإنتزاع : التمثل والإستنباط .
(٣) سورة الحشر : الآية ٧ .

الحكم من ملابس الشبه والإرتياب ، ويخاص من خطأ الإنفراد وغوائل الإستبداد ، فالمشورة باليمن مقرونة ، والسلامة في مطاويها مضمونة ، وقد أمر الله تعـالى نبيه ﷺ ، مع شرف منزلته وكمال عصمته وتأييده بوحيه وملائكته فقال سبحانه : وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين (١)

وأمره بفتح بابه ورفع حجابه ، وأن يجلس للخصوم جلوساً عاماً ، وينظر في أمورهم نظراً حسناً تاماً ، مساوياً بينهم في نظره ولحظـه وإصغائه ولفظه ، محترزاً من ذي اللسن وجرأة جنانه ، متأنياً بذي الحصر عند إقامة برهانه ، فربما كان أحد الخصمين ألحن بحجته ، والآخر ضعيفاً عن مقاومته ؛ هذا مقام الفحص والإستفهام والتثبت وإمضاء الأحكام : ليسلم من خديعة محتال وكيد مغتال ، مائلاً في جميع ذلك مع الواجب ، سالكاً طريق العدل اللاحب ، غير فارق في إمضاء الحكم بـين القوي والضعيف والمشروف والشريف ، والمـالك والمملوك والغني والصعلوك . قال الله تعالى : إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فـلا تتبعوا الهوى إن تعدلوا (٢) . وقال سبحانه وتعالى : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (٣) .

وأمره أن يتصفح أحوال الشهود المسموعـة أقوالهم في الحقوق والحدود ، المرجوع إلى أماناتهم المعمول بشهادتهم ، الذين بهم تقام الحجج وتدحض ، وتبرم الأحـكام وتنقض ، وتثبت الدعاوي وتبطل ، وتمضى القضايا وتسجل ، مجتهداً في البحث عن طرائقهم وأحوالهم وانتقـاد

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .
(٢) سورة النساء : الآية ١٣٥ .
(٣) سورة المائدة : الآية ٤٤ .

تصاريفهم وأفعالهم ، واستشفاف سجاياهم وعرفان مزاياهم ، مخصصاً بالتمييز من كان حميد الخصال مرضّى الفعال ، راجعاً إلى ورعٍ ودين ، متمسكاً من الأمانة والنزاهة بالسبب المتين . قال الله تعالى : وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم (١) .

وأمره بالنظر في أمور اليتامى وأموالهم ومراعاة شئونهم وأحوالهم وأن يرتّب ، بسبب إتساق مصالحهم ، الثقات الأعفّاء والأمناء الأتقياء ممن ظهرت ديانته وحسنت سريرته واشتهر بالظلف والعفاف ، والتنزه عن الطمع والإسفاف ، ويأمرهم بحفظها من خلل يتخللها ويد خائنة تدخلها ، وليكن عليهم حدباً ، وفي فرط الحنو أباً ، وخلفاً من آبائهم في الإشفاق عليهم وحسن الإلتفات إليهم : فإنه عنهم مسئول ، والعذر عند الله تعالى في إهمالهم غير مقبول ، وأن يأذن لهم في الإنفاق عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقتير ولا تضييق ولا تبذير ، فإذا بلغ أحدهم النكاح وآنس منه أمارات الرشد والصلاح دفع ماله إليه وأشهد بقبضه عليه ، على الوجه المنصوص غير منقوض ولا منقوص ، ممتثلاً أمر الله تعالى في قوله سبحانه : فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً (٢) .

وأمره بتزويج الأيامى اللواتي لا أولياء لهن من أكفائهن بمهور أمثالهن ، وأن يشمل ذوات الغنى والفقر منهن بعدله ، ويتحرى لهن المصلحة في عقده وحله .

وأمره أن يستنيب فيما بعُدَ عنه من البلاد ودنا ، وقرب منه ونأى كل ذي علم واستبصار وتيقظ في الحكم وإستظهار ، ونزاهة

---

(١) سورة الطلاق : الآية ٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦ .

شائعة ، وأوصاف لأدوات الإستحقاق جامعة ، ممن يتحقق نهوضه بذلك واضطلاعه ويأمن استنزاله وإنخداعه ، وأن يعهد إليهم في ذلك بمثل ما عُهِد إليه ، ولا يألوهم تنبيهاً وتذكيراً . وإرشاداً وتبصيراً . قال الله تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان (١) .

وأمره بامضاء ما أمضاه قبله الحكام من القضايا والأحكام ، غير متعقب أحكامهم بنقض ولا تبديل ولا تغيير ولا تأويل ، إذا كانت جائزة فى بعض الأقوال ، ممضاة على وجه من وجوه الإحتمال ، غير خارقة الإجماع ، عارية من ملابس الإبتداع ، وإن كان ذلك منافياً لمذهبه ، فقد سبق حكم الحاكم به . قال الله تعالى : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٢) .

وأمره أن يتخذ كاتباً قيماً بشروط القضايا والسجلات ، عارفاً بما يتطرق نحوها من الشبه والتأويلات ، ويتداخلها من النقص والتلبيسات ، متحرزاً في كل حال ، متنزهاً عن ذميم الفعال ، وأن يتخير حاجباً نقي الجيب مأمون المشهد والغيب ، مستشعراً للتقوى في السر والنجوى ، سالكاً للطريقة المثلى ، غير متجهم للناس ولا معتمد ماينافي بسط الوجه لهم والإيناس ، فإنه وُصْلَتُهم إليه ، ووجهه المشهود قبل الدخول عليه ، فلينتخبه من بين أصحابه وممن يرتضيه من أمثاله وأضرابه .

وأمره بتسلم ديوان القضاء والحكم والإستظهار على ما في خزائنه بالإثبات والختم والإحتياط على مابه من المال والسجلات والحجج والمحاضر والوكالات والقبوض والوثائق والإثبات والكفالات ، بمحضر من العدول

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤٥ .

الأمنـاء الثقات ، وأن يرتب لذلك خازناً يؤدي الأمانة فيه ، ويتوخى ماتوجبه الديانة وتقتضيه .

وأمره بمراعاة الحسبة : فإنها من أكبر المصالح وأهمها وأجمعهـا لمنافع الخلق وأعمها ، وأدعاها إلى تحصين أموالهم وانتظـام أحوالهم ، وأن يأمر المستناب فيها باعتبار سائر المبيعات فيها : من الأقوات وغيرها في عامة الأقوات ، وتحقيق أسباب الزيادة والنقصان في الأسعار ، والتصدي لذلك على الدوام والاستمرار ، وأن يُجري الأمر فيها بحسب ماتقتضيه الحال الحاضرة والموجبات الشائعة الظاهرة ، واعتبار الموازين والمكاييل وإعادة الزائد والناقص منها إلى التسوية والتعديل . فإن اطلع لأحـد من المتعاملين على خيانة في ذلك ، وفعل ذميم أو تطفيف عدل فيه عن الوزن بالقسطاس المستقيم أناله من التأديب وأسباب التهذيب مايكون له رادعاً ، ولغيره زاجراً . قال الله تعالى : ويـل للمطففين الذين إذا اكتالوا على النـاس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين (١) .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عند الله تعالى عليك ، قد أولاك من صنوف النعم والآلاء وجزيل الكرم والحباء مايوجب عليك الإعتراف بقدره واستيزاع شكره ، ووقف بك على محجـة الرشاد وهداك إلى منهج الحق وسنن السداد ، ولم يألك تثقيفاً وتبصيراً وتنبيهاً وتذكيراً ، فتأمل ذلك متدبراً ، وقف عند حدود أوامره ونواهيـه مستبصراً ، واعمل به في كل ماتأتيه وتذره وتورده وتصدره ، وكن للمخيلة في ارتيادك محققاً ، وللمعتقد فيك مصدقاً تفز من خير الدارين بمُعلَّى القِداح ، وإحماد السرى عند الصباح ، وحسب أمـير المؤمنين الله ونعم الوكيل .

صبح الأعشى للقلقشندي ج١٠ ، ٢٨٦ - ٢٩١

---

(١) سورة المطففين : الآيات ١-٦ .

٧٦ - رسالة عضد الدولة إلى العزيز بالله الفاطمي مع رسول له هو أبو محمد العماني القاضي وذلك جواباً عن رسالة أرسلها العزيز الفاطمي لعضد الدولة مع رسول من قبله إسمه أبو الوليد عتبة بن الوليد.

كان أبو الوليد عتبة بن الوليد ورد علينا وافداً عن تلك الحضرة الشريفة — حرسها الله تعالى — ومتحملاً رسائل يعتقد بمثلها المودة . ويستصفى بحكمها الثقة ، فأصخنا له وأعدنا أبا الوليد إلى تلك الحضرة المحروسة موصول الجناح برسولنا فلان .

أخبار الدول المنقطعة لجمال الدين علي بن ظافر ص ٣٣ — ٣٤

٧٧ — جواب العزيز بالله لعضد الدولة البويهي .

من عبد الله ووليه نزار أبي منصور الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين إلى عضد الدولة الإمام نصير ملة الإسلام أبي شجاع بن أبي علي . سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله الصلاة على جده محمد رسول العالمين وحجة الله على الخلق أجمعين، صلاة باقية نامية متصلة دائمة بعترته الهادية وذريته الطيبة الطاهرة . وبعد : فإن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك ، فأدى ماتحمله من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق إمامته ، ومحبتك لآبائه الطائعين الهادين المهديين ، فسر أمير المؤمنين بما سمعه عنك ووافق ما كان يتوسمه فيك وأنك لا تعدل عن الحق ...

ثم ذكر كلاماً كثيراً إلى أن قال :

وقد علمت ماجرى على ثغور المسلمين من المشركين وخراب الشام وضعف أهله وغلاء الأسعار ، ولولا ذلك لتوجه أمير المؤمنين بنفسه إلى الثغور ، وسوف يقدم إلى الحيرة ، وكتابه يقدم عليك من قريب فتأهب إلى الجهاد في سبيل الله ... وكتبه يعقوب بن يوسف بن كلس عند مولانا أمير المؤمنين .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٤ ، ١٢٤ — ١٢٥

٧٨ — موسوم الطائع لله بتقليد الشريف أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي نقابة الطالبيين والاشراف على المساجد .

من إنشاء أبي إسحاق الصابي .

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى محمد بن الحسين بن موسى العلوي ، حين وصلته بـه الأنساب ، وقُرِنَتْ لديه الأسباب ، وظهرت دلائل عقله ولبابته ، ووضحت مخايل فضله ونجابته ، ومهد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر ابن عضد الدولة ما مهد عند أمير المؤمنين من المحل المكين ، ووصفه به من الحلم الرزين وأشار به من رفع المنزلة وتقديم الرتبة والتأهيل لولاية الأعمال وتحمل الأعباء والأثقال ، وحيث رغبه فيه سابقة الحسين أبيه في الخدمة والنصيحة والمشايعة الصحيحة والمواقف المحمودة والمقامات المشهودة التي طابت بها أخباره وحسنت فيها آثاره . وكان محمد متخلقاً بخلائقه وذاهباً على طرائقه علماً وديانة وورعاً وصيانة وعفة وأمانة وشهامة وصرامة ، وتفرداً بالحظ الجزيل من الفضل الجميل والأدب الجزل والتوجه في الإيفاء ، والإيفاء في المناقب على لداته وأترابه ، والإبرار على قرنائه وأضرابه . فقلده ما كان داخلاً في أعمال أبيه من نقابة نقباء الطالبيين

بمدينة السلام وسائر الأعمال والأمصار ، شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً ، واختصه بذلك جذباً بضبعه ، وإنافة بقدره وقضاءً لحق رحمه وترفيهاً لأبيه وإسعافاً له بإيثاره فيه ، إلى ما أمر أمير المؤمنين بإستخلافه عليه من النظر في المظالم وتسيير الحجيج في أوان المواسم . والله يعرف أمير المؤمنين الخيرة فيما أمر ودبر ، وحسن العاقبة فيما قضى وأمضى ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين وسيما الصالحين وعصمة عباد الله أجمعين ، وأن يعتقدها سراً وجهراً ، ويعتمدها قولاً وفعلاً ، فيأخذ بها ويعطي ، ويريش ويبري ، ويأتي ويذر ، ويورد ويصدر ، فإنها السبب المتين والمعقل الحصين والزاد النافع يوم الحساب ، والمسلك المفضي إلى دار الثواب . وقد حضّ الله أولياءه عليها ، وهداهم في محكم كتابه إليها . فقال : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١) . وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (٢) .

وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مواظباً ، وتصفحه مداوماً ملازماً والرجوع إلى أحكامه فيما أحل وحرم ، ونقض وأبرم ، وأثاب وعاقب وباعد وقارب ، فقد صحح الله برهانه وحجته وأوضح منهاجه ومحجته ، وجعله فجراً في الظلمات طالعاً ونوراً في المشكلات ساطعاً ، فمن أخذ به نجا وسلم ، ومن عدل عنه هلك وهوى وندم . قال الله عز وجل : وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٣) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٣) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

وأمره بتنزيه نفسه عما تدعو إليه الشهوات وتتطلع إليه النزوات، وأن يضبطها ضبط الحكيم، ويكفها كف الحليم، ويجعل عقله سلطاناً عليها، وتمييزه آمراً ناهياً لها، فلا يجعل لها عذراً إلى صبوة ولا هفوة، ولا يطلق منها عناناً عند ثورة ولا فورة، فإنها أمارة بالسوء، منصبّة إلى الغي، فالحازم يتهمها عند تحرك وطره وأربه، واهتياج غيظه وغضبه، ولا يدَعْ أن يغضها بالشكيم ويعركها عرك الأديم، ويقودها إلى مصالحها بالخزائم، ويعتقلها عن مقارفة المحارم والمآثم، كيما يعز بتذليلها وتأديبها، ويجل برياضتها وتقويمها؛ والمفرّط في أمره تطمح به إذا طمحت، ويجمح معها أنّى جمحت، ولا يلبث أن تورده حيث لا صدر، وتلجئه إلى أن يعتذر، وتقيمه مقام النادم الواجم، وتتنكب به سبيل الرشاد السالم، وأحق من تحلى بالمحاسن وتصدى لاكتساب المحامد، من ضرب بمثل سهمه في نسب أمير المؤمنين الشريف، ومنصبه المنيف، واجتمع معه في ذؤابة العترة الطاهرة، واستظل بأوراق الدوحة الفاخرة، فذلك الذي تتضاعف له المآثر إن آثرها، والمثالب إن أسفّ إليها، ولا سيما من كان مندوباً لسياسة غيره، مرشحاً للتقليد على أهله، إذ ليس يفي بإصلاح من وُلّيَ عليه من لا يفي بإصلاح مابين جنبيه، وكان من أعظم الهجنة أن يأمر ولا يأتمر ويزجر ولا يزدجر. قال الله عز وجل: أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون[1]؟.

وأمره بتصفح أحوال من ولي عليهم واستقراء مذهبهم والبحث عن بواطنهم ودخائلهم، وأن يعرف لمن تقدمت قدمه منهم وتظاهر فضله

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٤.

فيهم منزلته ، ويوفيه حقه ورتبته ، وينتهي في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي توجبها أنسابهم وأقدارهم ، وتقتضيها مواقفهم وأخطارهم ، فإن ذلك يلزمه لشيئين : أحـدهما يخصه وهو النسب الذي بينه وبينهم ، والآخر يعمه والمسلمين جميعاً وهو قول الله جل ثناؤه : قل لا أسألـكم عليه أجراً إلا المودة في القربى[1] . فالمودة لهم الإعظام لأكابرهم ، والإشبال على أصاغرهم واجب متضاعف الوجوب عليه ، ومتأكـد اللزوم له ، وقد كان منهم في دون تلك الطبقة من أحـــداث لم يحتنكوا ، أو جذعان لم يقرحوا ، مجرين إلى ما يزري بأنسابهم ويغض من أحسابهم ، عـذلهم ونبههم ونهاهم ووعظهم ، فإن نزعوا وأقلعوا فذاك المراد بهم والمقصود إليه فيهم ، وإن أصروا وتتابعوا أنالهم من العقوبة بقدر ما يكف ويردع فإن نفع وإلا تجاوزه الى ما يوجع ويلذع ، من غـــير تطرق لأعراضهم ولا انتهاك لأحسابهم ، فإن الغرض منه الصيانـة لا الإهانة ، والإدالة لا الإذالة ، وإذا وجبت عليهم الحقوق أو تعلقت بهم دواعي الخصوم ، قادهم إلى الإغضاء بما يصح منها ويجب ، والخروج إلى سنن الحق فيما يشتبه ويلتبس ، ومتى لزمتهم الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها بعـد أن تثبت الجرائم وتصح ، وتبين وتتضح ، وتتجرد عن الشك والشبهة ، وتتجلى من الظن والتهمـــة ، فإن الذي يُستحب في حدود الله أن تدرأ عن عباده مع نقصان اليقين والصحة ، وأن تمضى عليهم مع قيام الدليل والبينة . قال الله عز وجل : ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون[2] .

---

(١) سورة الشورى : الآية ٢٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

وأمره بحياطة هذا النسب الأطهر والشرف الأفخر عن أن يدعيه الأدعياء أو يدخل فيه الدخلاء، ومن انتمى إليه كاذباً وانتحله باطلاً، ولم يوجد له بيت في الشجرة ولا مصداق عند النسابين المهرة، أوقع به من العقوبة ما يستحقه ووسمه بما يُعلم به كذبه وفسقه، وشهره شهرة ينكشف بها غشه ولبْسه، وينزع بها غيره ممن تسول له مثل ذلك نفسه، وأن يحصن الفروج عن مناكحة من ليس لها كفؤاً، ولا مشاركها في شرفها وفخرها، حتى لا يطمع في المرأة الحسيبة النسيبة إلا من كان مثلاً لها مساوياً ونظيراً موازياً. فقد قال الله تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً [1].

وأمره بمراعاة متبتلي أهله ومتهجديهم وصلحائهم ومجاوريهم وأراملهم وأصاغرهم، حتى يسد الخلة من أحوالهم، ويدر الموارد عليهم، وتتعادل أقساطهم فيما يصل إليه من وجوه أموالهم، وأن يزوج الأيامى ويربي اليتامى ويلزمهم المكاتب ليتلقنوا القرآن ويعرفوا فرائض الإسلام والإيمان ويتأدبوا بالآداب اللائقة بذوي الأحساب، فإن شرف الأعراق محتاج إلى شرف الأخلاق، ولا حمد لمن شرف نسبه وسخف أدبه، إذ كان لم يكسب الفخر الحاصل له بفضل سعي ولا طلب، ولا إجتهاد ولا دأب، بل بصنع من الله عز وجل له، ومزيد من المنة عليه، وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية والإعتداد بما فيها من المزية، وإعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب، والترفع عن الرذائل والمثالب.

وأمره بإجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره أمير

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

المؤمنين بإستخلافه عليه من النظر في المظالم ، والأخذ للمظلوم من الظالم ، وأن يجلس للمترافعين إليه جلوساً عاماً ، ويتأمل ظلاماتهم تأملاً تاماً ، فما كان منها متعلقاً بالحاكم رده اليه ، ليحمل الخصوم عليه ، وما كان طريقه طريق الغشم والظلم ، والتغلب والغصب ، قبض عنه اليد المبطلة وثبت فيه اليد المستحقة ، وتحرى في قضاياه أن تكون موافقة للعدل ومجانبة للخذل ، فإن غايتي الحاكم وصاحب المظالم واحدة ، وهي إقامة الحق ونصرته ، وإبانته وإثارته ، وإنما يختلف سبيلاهما في النظر : إذ الحاكم يعمل على ما ثبت وظهر ، وصاحب المظالم يفحص عما غمض واستتر ، وليس له مع ذلك أن يرد لحاكم حكومة ولا يحل له قضية ولا يتعقب ما ينفذه ويمضيه ، ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه ، والله يهديه ويسدده ويوفقه ويرشده .

وأمره أن يسير حجيج بيت الله الى مقصدهم ويحميهم في بدأتهم وعودتهم ، ويرتبهم في مسيرهم ومسلكهم ، ويرعاهم في ليلهم ونهارهم حتى لا تنالهم شدة ، ولا تصل إليهم مضرة ، وأن يريحهم في المنازل ويوردهم المناهل ، ويتناوب بينهم في النهل والعلل ، ويمكنهم من الإرتواء والإكتفاء ، مجتهداً في الصيانة لهم ، ومعذراً في الذب عنهم ، ومتلوماً على متأخرهم ومتخلفهم ، ومنهضاً لضعيفهم ومهيضهم ، فإنهم حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر الرسول عليه السلام . قد هجروا الأوطان وفارقوا الأهل والإخوان ، وتجشموا المغارم الثقال وتعسفوا السهول والجبال ، يلبون دعاء الله عز إسمه ، ويطيعون أمره ويؤدون فرضه ويرجون ثوابه . وحقيق على المسلم المؤمن أن يحرسهم متبرعاً ويحوطهم متطوعاً ، فكيف بمن تولى ذلك وضمنه وتقلده واعتنقه . قال الله : ولله

على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً [١] .

وأمره أن يراعي أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها وأقطارها وأكنافها ، وأن يجبي أموال وقوفها ويستقصي جميع حقوقها ، وأن يلم شعثها ويسد خللها بما يتحصل من هذه الوجوه قبـله ، حتى لا يتعطل رسم جرى فيها ، ولا تنقض عادة كانت لها ، وأن يثبت اسم أمـير المؤمنين على ما يعمره منها ويذكر إسمه بعده بأن عمرانها جرى على يديه ، وصلاحها أداه قول أمير المؤمنين إلى فعله ، فقد فسح له أمـير المؤمنين بذلك تنويهاً بإسمه وإشـادة بذكره ، وأن يولي من قبله من حسنت أمانته وظهرت عفته وصيانته . فقد قال الله تعالى : إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصـلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين [٢] .

وأمره أن يستخلف على ما يرى الإستخلاف عليه من هذه الأعمال : في الأمصار الدانية والبلاد القريبة والبعيدة ، من يثق به من صلحاء الرجال وذوي الوفاء والاستقلال ، وأن يعهد إليهم مثل الذي عهد إليه ، ويعتمد عليهم في مثل ما اعتمد عليه ، ويستقري مع ذلـك آثارهم ويتعرف أخبارهم ، فمن وجده محموداً أقره ولم يزله ، ومن وجده مذموماً صرفه ولم يمهله ، واعتاض منه من تُرجى الأمانة عنده ، وتكون الثقة معهودة منه ، وأن يختـار لكتابته وحجبته والتصرف فيما قرب منه وبعد عنه ، من يزينـه ولا يشينه ، وينصح له ولا يغشه ويجمله ولا يهجنه ، من الطبقة المعروفة بالظلف المتصونة عن النَطَف [٣] ، ويجعل

(١) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٨ .

(٣) النطف : العيب .

لهم من الأرزاق الكافية والأجرة الوافيـــة ما يصدهم عن المكاسب الذميمة والمآكل الوخيمة ، فليس تجب عليهم الحجة إلا مع إعطـاء الحاجة . قال الله تعالى : وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى [1] .

وأمره بأن يكتب لمن يقوم ببينة عنده وتنكشف حجته له ، إلى أصحاب المعاون بالشد على يديه وإيصال حقه إليه وحسم الطمع الكاذب فيه ، وقبض اليد الظالمـــة عنه ، إذ هم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه ، والوقوف عند رسمه وحده .

هذا عهد أمـير المؤمنين إليك ، وحجته لك وعليك ، قد أنار فيه سبيلك وأوضح دليلك ، وهداك وأرشدك وجعلك على بينة من أمرك ، فاعمل به ولا تخالفه ، وانته إليه ولا تتجاوزه ، وإن عرض لك أمر يعجزك الوفاء بـه ويشتبه عليك وجه الخروج منه ، أنهيته إلى أمير المؤمنين مبادراً ، وكنت إلى ما يأمرك به صائراً ، إن شاء الله تعالى . وكتب في مستهل شعبان سنة ثمانين وثلثمائة .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ٢٤٧ - ٢٥٤ .

٧٩ - نص محضر الطعن في نسب العلويـين الفاطميين الذي تم إصداره في بغداد سنة ٤٠٢ هـ .

نسخة ما قرىء منها ببغداد وأخذ فيه خطوط الأشراف والقضاة والفقهاء والصالحين والمعدلين والثقات والأماثل مما عندهم من العـــلم والمعرفة بنسب الديصانية وهم منسوبون إلى ديصـان بن سعيد الخرمي أحزاب الكافرين ونطف الشياطين شهادة متقرب إلى الله جلت عظمته

---

(١) سورة النجم : الآيات ٣٩-٤١ .

وممتعض للدين والإسلام ومعتقد إظهار ما أوجب الله تعالى على العلماء أن يبينوه للناس ولا يكتمونه .

« شهدوا جميعاً أن الناجم بمصر وهو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي والنكال والاستيصال ابن معد ابن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله ، فإنه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي ، ومن تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ولا يتعلقون به بسبب وإنه منزه عن باطلهم وإن الذي ادعوه من الإنتساب إليه باطل وزور ، وإنهم لا يعلمون أن أحداً من أهل بيوتات الطالبيين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء . وقد كان هذا الانكار لباطلهم ودعواهم شائعاً بالحرمين وفي أول أمرهم بالمغرب منتشراً إنتشاراً يمنع من أن يتدلس على أحد كذبهم ، أو يذهب وهم إلى تصديقهم ، وإن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفساق فجار ملحدون زنادقة معطلون ، وللإسلام جاحدون ، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج وأحلوا الخمور وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية » وكتب في ربيع الآخر من سنة اثنتين وأربعمائة [1] . وكتب في المحضر خلق كثير من العلويين منهم الرضي والمرتضى .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٧ ـ ٢٥٥ .

---

(١) وردت مقتطفات كثيرة من هذا المحضر الشهير في كل من مرآة الجنان لليافعي جـ٣ـ ٤ ، والعبر للذهبي جـ٣ـ ٧٧ ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي جـ ٤ ، ٢٢٩ـ٢٣٠ والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء جـ٢ ، ١٤٢ـ١٤٣ ولكن نصنا هذا هو أكمل نص وأوفاه .

٨٠ – رسالة القادر بالله إلى جلال الدولة وصاحب الجيش والوزير

وذلك إثر الهجوم العنيف من جمهور المصلين من الشيعة في مسجد براثا مقر الشيعة في بغداد ووكرهم على خطيب المسجد الذي أرسله القادر لخطبة الجمعة هناك فهاجمه الشيعة وضربوه ومنعوه من إتمام الخطبة . ووصل الخبر إلى القادر فغضب وأرسل الرسالة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم . إذا بلغ الأمر – أطال الله بقاء صاحب الجيش – إلى الجرأة على الدين وسياسة الدولة والمملكة – ثبتها الله – من الرعاع والأوباش فلا صبر دون المبالغة بما توجبه الحمية . وبغير شك إنه قد بلغه ماجرى في يوم الجمعة الماضية من مسجد براثا الذي يجمع الكفرة والزنادقة ومن قد تبرأ الله منه فصار أشبه شيء بمسجد الضرار ، وذلك أن خطيباً كان فيه يجري إلى ما لا يخرج به عن الزندقة والدعوى لعلي بن أبي طالب عليه السلام ما لو كان حياً فسمعه لقتل قائله ، وقد فعل مثل ذلك في الغواة أمثال هؤلاء الغثاء الذين يدعون لله ماتكاد السموات يتفطرن منه ، فإنه كان في بعض مايورده هذا الخطيب – قبحه الله – بعد الصلاة على النبي ﷺ فيقول : وعلى أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مكلم الجمجمة ومحيي الأموات البشري الإلاهي ، مكلم فتية أصحاب الكهف ، إلى غير ذلك من الغلو المبتدع الذي تقشعر منه الجلود ويتحرك منه المسلمون وتنخلع قلوبهم ويرون الجهاد فيه كجهاد الثغر . فلما ظهر ذلك قبض على الخطيب وأنفذ ابن تمام ليعتمد إقامة الخطبة القويمة ، فأورد الرسم الذي يطرق الاسماع من الخطبة ولم يخرج عن قوله : اللهم صل على محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين

وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، وذكر العباس وعلياً عليهما السلام ثم قال في التفاته المعهود عن يمينه : أللهم صل على محمد وعلى آل محمد إمام أئمة الهدى ، وعن يساره أللهم صل على محمد الشفيع المشفع في الورى . وأقام الدعوتين الجليلتين ونزل ، فوافاه الآجر كالمطر فخلع كتفه وكسر أنفه وأدمى وجهه ، وهو لما به ، وأشيط دمه لولا أن كان هناك أربعة من الأتراك - أيدهم الله - فنفروا وأجهدوا في أن حموه لكان قد هلك . وهذه هجمة على دين الله وفتكة في شريعة رسول الله ﷺ ، وخلاعة ذكر الربوبية . والحاجة صادقة والضرورة ماسة إلى أن يقصد الإمتعاض البالغ في هذه الحال العظيمة الهائلة التي ارتكبها الكفرة الفجرة وأقدموا على ما أقدموا عليه وبقي التضافر على اقتناصهم وأخذ البريء بالسقيم وإباحة الدماء الواجب سفحها وكسر الأيدي والأرجل التي يجب إبانتها عن أجسادها ، والشد على أيـدي أصحاب المعونة فيما يقصدونه من ذلك ، والعمل على ركوب الجم الغفير وجمهور كـبراء العسكر - أدام الله عزهم - في يوم الجمعة الآتية ليكون الخطيب - أيده الله - في صحبتهم ، ويجري الأمر في الخطبة الإسلامية على تقويها ورغم من رغم ، ولا يكون ذلك إلا بعد نكاية تظهر وتعم ، فإن هؤلاء الشيع قد درسوا الإسلام ، وقد بقيت منه بقية ، وإن لم تدفع هؤلاء الزنادقة المرتدة عن سنن الإسلام وإلا هدم وذهبت هذه البقية . وله - أدام الله تأييده - سامي رأيه في العرف على ذلك والجري على العادة في كفاية هذا المهم ، وإجابتي عن هذه الرقعة بما أنهيه فيقع السكون إليه والإعتماد عليه إن شاء الله . بعـد فقد لحق تماماً الخطيب في نفسه وولده ماستنشر معرفته ، وقد انتهك محرمه ويحتاج إلى أن يستدعي صاحب المعونة ليستكشف عن حقيقة الحال ومن الذي جنى هذه الجناية ، ويتعرف من الملاحين الذين في

المشارع من أي جهة وردوا وإلى أين صدروا ، ويتعرف ذلك من حراس الدروب بعد الارهاب الذي يعمل في مثله ، ويطالع بما ينتهي إليه الاجتهاد إن شاء الله (١) .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ ، ٤٢ – ٤٣

٨١ - عهد القادر بالله إلى المرتضى العلوي بتوليته نقابة الأشراف والحج والمظالم سنة ٤٠٧ هـ . جاء فيه :

... هذا ماعهد عبد الله أبو العباس أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى علي بن موسى العلوي حين قربته إليه الأنساب الزكية ، وقدمته إليه الأسباب القوية ، واستظل معه بأغصان الدوحة الكريمة ، واختص عنده بوسائل الحرمة الأكيدة فقلد الحج والنقابة ، وأمره بتقوى الله ...

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ – ٢٧٦

٨٢ - رسالة القادر بالله إلى والد الشريف الرضي بالله لما بلغته الأبيات التي قالها مدحاً في خلفاء الفاطميين .

غضب القادر بالله كل الغضب لما وصلت مسامعه الأبيات الشعرية التي تنسب إلى الشريف الرضي ويذكر فيها إقامته على الذل في العراق وهناك في مصر الخليفة العلوي ، فأرسل إلى والده الشريف أبي أحمد بهذه الرسالة مع القاضي أبي بكر :

قد علمت موضعك منا ومنزلتك عندنا ، وما لا نزال من الإعتداد بك والثقة بصدق الموالاة منك ، وما تقدم لك في الدولة العباسية من خدم سابقة ومواقف محمودة . وليس يجوز أن تكون على خليقة

---

(١) أورد اليافعي في مرآة الجنان حـ٣-٣٤ بعض فقرات من الكتاب المذكور أعلاه.

نرضاها ويكون ولدك على مايضادها ، وقد بلغنا انه قـال شعراً هو كذا ، فياليت شعرنا على أي مقام ذل أقام ، وما الذي دعـاه إلى هذا المقـال ، وهو ناظر في النقابة والحج فيما هو أجـل الأعمال وأقصاها علواً في المنزلة ، وعساه لو كان بصر لما يخرج من جملة الرعية ، وما رأينا ، على بلوغ الإمتعاض منا مبلغه ، أن نخرج بهذا الولد عن شكواه إليك وإصلاحه على يديك .

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ - ٢٨٢

٨٣ - رسالة القائم بأمر الله العباسي إلى المعز بن باديس الذي قطع خطبة الفاطميين وخطب للعباسيين في القيروان وأرسل إلى القائم يعلمه بذلك ويطلب التقليد :

من عبد الله ووليه أبي جعفر القائم بأمر الله أمـير المؤمنين إلى الملك الأوحد ثقة الاسلام وشرف الإمام وعمدة الأنام ، ناصر دين الله قاهر أعداء الله ومؤيد سنة رسول الله ﷺ ، أبي تميم المعز بن باديس ابن المنصور ولي أمـير المؤمنين بولاية جميع المغرب ، وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين .

الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٩ ، ٥٢١ - ٥٢٢

٨٤ - مرسوم الناصر لدين الله العباسي بتقليد محمد بن محمد نقابة الطالبيين في بغداد .

بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا ماعهد عبد الله وخليفته الإمـام المفترض الطاعة على سائر الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين إلى محمـد ابن محمد بن المختار حين وجده مرضي الخلائق سوي الطرائق محمود السجايا والشيم ، متمسكاً من الديانة بأمتن سبب وأوثق معتصم ، سالكاً في

الركانة والرصانة لأحب جدد وأقوم لقم ، متحلياً من التقى والورع بأحسن لباس وأبهى مدرع ، قد فاق بكفايته الأكفاء ، وبرع واستشرف إلى محامد الخلال ومحاسن الخصال كل مطلع ، فقلده نقابة العترة الكريمة العلوية والأسرة الجليلة الطالبية بمدينة السلام وسائر بلاد الإسلام شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً . مقدراً فيـه الإضطلاع بالأعباء والقيـــام بحسن الإستخدام والإستكفاء ، والنهوض بتأدية حق النعماء . والله تعالى يقرن آراء أمير المؤمنين بالتأييد والتوفيق في كل ماينتحيه الإسلام والمسلمين من المصالح . ويدني له في كل مايبتغيه من مناظم الدين كل بعيد نازح إنه سميع مجيب ، ومـا توفيق أمـــير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

أمره بتقوى الله تعالى واستشعار مراقبته في سره وعلانيته ، فإنها الفريضة اللازمة والسنة القائمة واللباس الأحسن الأروع والحرز الأحصن الأمنع ، وأفضل ما اعتقده المتقدون ودعا إليه الصالحون ووزن بـه المرء مراجع لحظه ومخارج لفظه ومسارح خواطره ومطارح نواظره ، وأوضح سبل الرشاد وميز الزاد ليوم المعاد . قال الله تعالى : وتزودوا فإن خير الزاد التقوى (١) وقال سبحانه : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (٢) . فطوبى لمن سمع قوله فاتبعه وتجلبب لباس مراقبته وادرعه واقتدى بكتابه فاستخرج كنوز المراشد من عيابه ، واقتنى ذخائر ثوابه فتوقى به أليم عقابه ، أولئك الذين أنعم الله عليهم بالعقائد الصحائح وأثقل موازين توفيقهم الرواجح وهداهم بما كتب في قلوبهم من الايمان إلى الجدد اللاحب والمنهج الواضح ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

فعمل في دنياه لأخراه ، وقوم بالمهدي بالجد في المعـاد جدواه (١) . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .

وأمره بأن يتأمل أحوال من فوض أمره من أهل بيته إليـه ، وعول في زعامته من ذوي الرحمة عليه ، ويعتبر طرائقهم ويختبر شيمهم وخلائقهم ، وينزلهم منازلهم التي يستوجبونها بكرم العناصر ويستحقونها بتباين المساعي والمآثر . قال الله تعالى : يرفـع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (٢) . فمن كان منهم رشيد المنهج متنكباً عن الطرق الأعوج ، متحلياً من الدين والعلم بما يناسب نسبه ويلائم محتده الكريم ومنصبه ، يحق (؟) له من الإكرام ، وخصه من الإنعام والتودد والإحترام بما يرفع منزلته ويحث على اكتساب فضيلته من تأخر عن غلوته ، ليشيع فيهم المناقب والفضل ، ويسفروا عن المناظر المهيبة في النوادي والمحافـل ، ويستضيفوا إلى شرف الأبوة فضل البنوة ويتقبلوا آثار من قـال الله عنهم : أولئك الذين آتينـاهم الكتاب والحكم والنبوة (٣) . فإنهم أغصان تلك الدوحة الشريفـة والشجرة المباركة المنيفـة .

وأمره أن يعاملهم برفق لا يشينه ضعف ، وتهذيب لا يهجنه عنف ممن بـدت من بادرة أو عثرة نادرة أقالها وألحق جناح المباشرة وأذيالها وتجد له (٤) من التأنيب بما يجنبه أمثالها . قال الله تعالى : وليعفوا

---

(١) كذا بالأصل والمعنى غير واضح .

(٢) سورة المجادلة : الآية ١١ .

(٣) سورة الانعام : الآية ٨٩ .

(٤) كذا بالأصل .

وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم[1] . وقال رسول الله ﷺ : أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم . فليس من كانت بادرة زلته ومبتكرة خطيئته كمن كان في الغي منهوكاً وبعرى الإصرار عليه متمسكاً ، ومن صادفه جاهلاً بقدره ونابذاً مصلحته وراء ظهره وعرف خلوص دخلته وسلامة صدره ، إلا أنه عن مصلحة شأنه غافل ، وعن حلي العلم الذي هو قيمة المرء عار عاطل أيقظه من هجوع الاعتزاز بالأمل ونبهه على أن النسب لا يغني بغير عمل . والنبي ﷺ أوحى إليه : وأنذر عشيرتك الأقربين . وقال : يابني هاشم ، يابني عبد المطلب : إنني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، إيتوني بأعمالكم ولا تأتوني بأنسابكم ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ومن ألفاه منهم ذاهباً في مجاهل الجهال وسادراً في مهاوي الضلال ، ومشايعاً في احتقاب الأوزار ، وهاتكاً لأستار التصون والإستتار ، واجهه خالياً بالتقريع والتقييد وزجره بالإخافة والوعيد ؛ فإن نجع ذلك وأفاد ، ورجع عن جهالته وعاد ، وإلا قوّم من ميده واعوجاجه ، ووقف به على سبيل الحق ومنهاجه . وإن قرف أحدهم بجريمة أو رمي بجريرة ، فلا يعجل عليه بالمؤاخذة ولا يسرع إليه باجراء المقابلة ، بل يتثبت إلى أن يقف بالبحث والإيضاح على الحق المحض الصراح . قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين[2] . فإن اتضح ماقرف منه وزن بسببه نظر فإن كان مما أوجب الله تعالى فيه حداً من الحدود أقامه من غير تعد على سلكه المحدود فيه ونظامه . قال الله سبحانه وتعالى : تلك حدود الله فلا

---

(١) سورة النور : الآية ٢٢ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ٦ .

تعتدوها [1] . وقال تعالى : ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون [2] . وقال سبحانه : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون . ولا يحرمنه احتقابه الجرائم من نظر اعتنائه ، ولا إقامة حد الله فيه من ملاحظته وإرعائه ، فهذا النسب الكريم ، وإن تفاوتت أحوالهم وتباينت أعمالهم خصوا بالإصطفاء وسموا بالإجتباء . قال الله تعالى : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير [3] .

وأمره أن يصرف همته إلى مصالح اليتامى وتخصيصهم من الإعتناء وتخويلهم من الإرعاء بما ينسيهم ذلة اليتم وفقد الآباء ، فمن كان منهم غنياً فيثمر ماله ويهذب خلاله وينفق عليه بالمعروف لا شطط ولا تبذير ، ولا تضييق ولا تقتير ؛ فإذا بلغ الرشد وأنس منه الرشد سلم ماله موفوراً إليه وأشهد بقبضه عليه . قال الله تعالى : وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح ، فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ... إلى قوله : فأشهدوا عليهم [4] . من كان فقيراً فليثن عنان العناية إلى مايعود باصلاح أمره وليصرف همته إلى جبر كسره إلى حين استهوائه وتهذب إنمائه ، وليدر عليه من الوقوف بالمعروف وليكن به عطوفاً وله أباً رؤوفاً .

وأمره بالنظر في أمر الأيامى بعين الاعتناء وتزويجهن من الأضراب والأكفاء وتحصينهن بالإحصان ، لا بالمنع والنسيان ، فإن التناكح مدد

---

(1) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .
(2) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .
(3) سورة فاطر : الآية ٣٢ .
(4) سورة النساء : الآية ٦ .

الوجود وقوامه وبه يستتب أمره ويتسق نظامه . قال الله تعالى : وأنكحوا الأيامى منكم[1] . وقال رسول الله ﷺ : تناكحوا تناسلوا أباه بكم الأمم يوم القيامة . وليتوخ تطهير عقود نكاحهن من أدناس الإلتباس وينزهها من أدران الأرجاس . قال الله تعالى : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً[2] .

وأمره بصون هذا النسب الكريم والبيت الماجد العظيم من تنحل الأدعياء وانتماء الزنماء ، فإن صادف من يدعي من ذلك ما لا يقوم البرهان على صحته وتشهد الاستفاضة والشيوع بدحض حجته صب عليه سوط التأديب وردعه بزواجر التهذيب ، فإن كفه الردع وزجره المنع ، وإلا وسمه بميسم يعرف به تنحله ويشيع به كذبه وتقوله . قال رسول الله ﷺ : ملعون ملعون من انتسب إلى غير أبيه وادعى إلى غير مواليه .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عليك هداك به إلى طريق الرشاد وحداك في سبل السداد ، فاهتد بأنواره واتبع لرشيد آثاره تظفر بغنائم الرشاد وتفز في المبدأ والمعاد . والله ولي التوفيق لأرشد جدد وأقوم طريق . وكتب في سادس عشر ربيع الأول من سنة ثلاث وستمائة . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي المصطفى وآله وسلامه . رب اختم بخير

صورة العلامة الشريفة

تحت البسملة « الناصر لدين الله » صورة خط الوزير نصير الدين أبي الحسن ناصر بن مهدي العلوي بين سطوره :

---

(١) سورة النور : الآية ٣٢ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

« عرض هذا العهد بمقام العز المقدس وشريف العرض ومخايم الطاعة على أهل الأرض حضرة سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على سائر الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، ظاهر الله سلطانه ، وأعلى بإعلاء كلمته كلمة الحق وشأنه ، فشرفه بالتتويج والإمضاء ، وأوضح فيه من المراشد كل محجة بيضاء . والله تعالى يعضد آراء سيدنا ومولانا أمير المؤمنين بمداد التوفيق والتأييد ، ويوزع الأمة شكر ما مد عليهم من ظل إمامته المزيد بمنه وطوله . الحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد النبي وآله وسلامه . وهو حسبنا ونعم الوكيل . رب اختم بخير » .

الجامع المختصر لابن الساعي ١٩٣ — ١٩٩

— القرامطة —

٨٥ - نص كتاب القرامطة الذي فيه تعاليمهم الأساسية وقد أطلع حمدان قرمط عليه الحسين الأهوازي لما وثق به وذلك في حدود سنة ٢٧٨ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم . يقول الفرج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها نصرانة ، داعية إلى المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل . وذكر أن المسيح تصور له في جسم إنسان وقال له إنك الداعية وإنك الحجة وإنك الناقة وإنك الدابة وإنك روح القدس وإنك يحيى بن زكرياء ؛ وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل

غروبها ، وأن الآذان في كل صلاة أن يقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله أشهد أن نوحاً رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفيــة رسول الله . وأن يقرأ في كل ركعة الإستفتاح وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة إلى بيت المقدس ، والحج إلى بيت المقدس ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء .

والسورة : الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه . قل إن الأهلة مواقيت للناس ، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرّفوا عبادي سبيــلي ؛ اتقون يا أولي الألباب . وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في جنتي وأخلدته في نعمتي ، ومن زال عن أمري وكذب رسلي أخلدتــه مهاناً في عذابي ، وأتممت أجلي وأظهرت أمري على ألسنة رسلي ، وأنا الذي لم يعلُ عليّ جبار إلا وضعته ولا عزيز إلا ذللته ، وليس الذي أصر على أمره وداوم على جهــالته وقالوا : لن نبرح عليه عاكفين وبه مؤمنين أولئك هم الكافرون .

ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : اللهأعلى الله أعلى اللهأعظم اللهأعظم (1).

تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٨ ، ١٦١ - ١٦٢ .

---

(1) ذكر المقريزي في كتابه إتعاظ الحنفا ص ١٠٣-١٠٤ نص كتاب حمدان هذا . وكذلك فعل ابن الأثير في الكامل جـ٧ ، ٤٤٧-٤٤٩ ، ولكن نص الطبري أوفى وأكمل وأغزر في التفاصيل .

٨٦ – صورة مطلع الخطاب الذي كان يرسله زكرويه القرمطي صاحب الشامة إلى عماله :

من عبد الله المهدي المنصور بالله ، الناصر لدين الله القائم بدين الله الحاكم بحكم الله الداعي لكتاب الله الذاب عن حرم الله ، المختار من ولد رسول الله ﷺ ، أمير المؤمنين وإمام المسلمين ومذل المنافقين وخليفة الله على العالمين ، وحاصد الظالمين وقاصم المعتدين ومهلك المفسدين وسراج المستبصرين وضياء المبصرين ومشتت المخالفين ، والقيم بسنة المرسلين وولد خير الوصيين صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين إلى جعفر بن حميد الكردي . سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد جدي . أما بعد : ماهو. كيت وكيت ... (١) .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٣ ، ١٠٦ – ١٠٧

٨٧ – خطاب أحمد بن القاسم بمثل زكرويه صاحب الشامة في القرامطة .

انشق القرامطة على أنفسهم إلى فرقتين : فرقة تزعمها الذئب بن القائم وفرقة ظلت على ولائها لزكرويه ؛ واقتتلت الفرقتان ، ثم ارتحلت إحداهن إلى عين التمر ، ووصل الخبر إلى زكرويه فأرسل أحمد بن القاسم الذي تمكن من جمع الفريقين وخاطبهم قائلاً :

أنا رسول وليكم وهو عاتب عليكم فيا أقدم عليه الذئب بن القائم ، وإنكم قد ارتددتم عن الدين .

(١) أعطى المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا ص ١٧٤-١٧٥ نصاً لايختلف عن نصنا أعلاه إلا في بعض التفصيلات البسيطة .

فاعتذروا إليه وحلفوا له فقال لهم :

قد جئتكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدمني ، يقول لكم وليكم : قد حضر أمركم وقرب ظهوركم . وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفاً ، ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم الذي ذكره الله في شأن موسى صلى الله عليه وسلم وعدوه فرعون ، إذ يقول : موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فأجمعوا أمركم وسيروا إلى الكوفة فإنه لا دافع لكم عنها ومنجز وعدي الذي جاءتكم به رسلي .

اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ١٧٦ - ١٧٧

٨٨ - نسخة كتاب أرسله إلى القرمطي صاحب الشامة زكرويه أحد أتباعه .

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله الإمام المهدي المنصور بالله الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله الداعي إلى كتاب الله الذاب عن حرم الله المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين وإمام المسلمين ومذل المنافقين خليفة الله على العالمين وحاصد الظالمين وقاصم المعتدين ومبيد الملحدين وقاتل القاسطين ومهلك المفسدين وسراج المبصرين وضياء المستضيئين ومشتت المخالفين والقيم بسنة سيد المرسلين وولد خير الوصيين ، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وسلم كثيراً . ثم بعد ذلك من عامر بن عيسى العنقائي . سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . أما بعد : أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام الله عزه وتأييده ونصره وسلامته وكرامته ونعمته وسعادته ، وأسبغ نعمه عليه وزاد في إحسانه إليه وفضله لديه ، فقد كان وصل كتاب سيدي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، يعلمه فيه ما كان من نفوذ بعض الجيوش المنصورة مع قائد

من قواده إلى ناحيتنا لمجاهدة أعداء الله بني الفصيص والخائن ابن دحيم وطلبهم حيث كانوا ، والإيقاع بهم وبأسبابهم وضياعهم ؛ ويأمرني ، أدام الله عزه ، عند نظري في كتابه بالنهوض فى كل من قدرت عليه من أصحابي وعشائري للقائهم ومكانفة الجيش ومعاضدتهم والمسير بسيرهم والعمل بكل مايومون إليه ويأمرون به وفهمته ، ولم يصل إليّ هذا الكتاب ـ أعز الله أمير المؤمنين ـ حتى وافت الجيوش المنصورة فنالت طرفاً من ناحية ابن دحيم وانصرفوا بالكتاب الوارد عليهم من مسرور ابن أحمد الداعية ليلقوه بمدينة أفامية ، ثم ورد عليّ كتاب مسرور ابن أحمد في درجة الكتاب الذي اقتصصت مافيه في صدر كتابي هذا يأمرني فيه بجمع من تهيأ من أصحابي وعشيرتي والنهوض إلى ماقبله ويحذرني التخلف عنه ، وكان ورود كتابه عليّ وقت صح عندنا نزول المارق سبك عبد مفلح مدينة عرقة في زهاء ألف رجل مابين فارس وراجل ، وقد شارف بلدنا وأطل على ناحيتنا . وقد وجه أحمد بن الوليد عبد أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، إلى جميع أصحابه ، ووجهت إلى جميع أصحابي فجمعناهم إلينا ، ووجهنا العيون إلى ناحية عرقة لتعرف أخبار هذا الخائن وأين يريد ، فيكون قصدنا ذلك الوجه ، ونرجوا أن يظفر الله به ويمكن منه بمنه وقدرته ، ولولا هذا الحادث ونزول هذا المارق في هذه الناحية وإشرافه على بلدنا لما تأخرت في جماعة أصحابي عن النهوض إلى مدينة أفامية لتكون يدي مع أيدي القواد المقيمين بها لمجاهدة من بتلك الناحية حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . وأعلمت سيدي أمير المؤمنين ، أدام الله عزه ، بالنفوذ إلى أفامية كان نفوذي برأيه وامتثلت مايأمرني به إن شاء الله ، أتم الله على أمير المؤمنين نعمته وأدام عزه وسلامته وهنأه كرامته وألبسه عفوه

وعافيته ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين الأخيار .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج٨ — ٢٢٤

٨٩ — رسالة القائد محمد بن سليمان الذي أرسله الخليفة المكتفي لحرب القرامطة إلى الوزير بالنصر على القرامطة .

بسم الله الرحمن الرحيم . قد تقدمت كتبي إلى الوزير — أعزه الله — في خبر القرمطي اللعين وأشياعه بما أرجو أن يكون قد وصل إن شاء الله . ولما كان يوم الثلاثاء لست ليال خلون من المحرم رحلت عن الموضع المعروف بالقراونة نحو موضع يعرف بالعليانة في جميع العسكر من الأولياء ، وزحفنا بهم على مراتبهم في القلب والميمنة والميسرة وغير ذلك ، فلم أبعد أن وافاني الخبر بأن الكافر القرمطي أنفذ النعمان ابن أخي إسماعيل بن النعمان أحد دعاته في ثلاثة آلاف فارس وخلق من الرجالة ، وإنه نزل بموضع يعرف بتمنع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً ، فاجتمع إليه جميع من كان بمرة النعمان وبناحية الفصيص وسائر النواحي من الفرسان والرجالة ، فأسررت ذلك عن القواد والناس جميعاً ولم أظهره وسألت الدليل الذي كان معي عن هذا الموضع وكم بيننا وبينه فذكر أنه ستة أميال . فتوكلت على الله عز وجل وتقدمت إليه في المسير نحوه فمال بالناس جميعاً وسرنا حتى وافيت الكفرة فوجدتهم على تعبية ورأينا طلائعهم ، فلما نظروا إلينا مقبلين زحفوا نحونا وسرنا إليهم فافترقوا ستة كراديس ، وجعلوا على ميسرتهم على ما أخبرني من ظفرت به من رؤسائهم مسروراً العليصي وأبا الحمل وغلام هارون العليصي وأبا العذاب ورجاء وصافي وأبا يعلى العلوي في ألف وخمسمائة

فارس ، وكمنوا كميناً في أربعمائة فارس خلف مسيرتهم بإزاء ميمنتنا ، وجعلوا في القلب النعمان العليصي وثلاثة آلاف راجل ، وفي ميمنتهم كليبا العليصي والمعروف بالسديد العليصي والحسين بن العليصي وأبا الجراح العليصي وحميد العليصي وجماعة من نظرائهم في ألف وأربعمائة فارس وكمنوا مائتي فارس ، فلم يزالوا زفاً إلينا ونحن نسير نحوهم غير متفرقين ، متوكلين على الله عز وجل وقد استحثثت الأولياء والغلمان وسائر الناس وغيرهم ووعدتهم ، فلما رأى بعضنا بعضاً حمل الكردوس الذي كان في ميسرتهم ضرباً بالسياط فقصد الحسين بن حمدان وهو في جناح الميمنة ، فاستقبلهم الحسين ـ بارك الله عليه وأحسن جزاءه ـ بوجهه وبموضعه من سائر أصحابه برماحهم فكسروها في صدورهم فانفلوا عنهم، وعاود القرامطة الحمل عليهم فأخذوا السيوف واعترضوا ضرباً للوجوه فصرع من الكفار الفجرة ستمائة فارس في أول وقعة ؛ وأخذ أصحاب الحسين خمسمائة فرس وأربعمائة طوق فضة وولوا مدبرين مفلولين ، واتبعهم الحسين فرجعوا إليه فلم يزالوا حملة وحملة ، وفي كل خلال ذلك يصرع منهم الجماعة بعد الجماعة حتى أفنام الله عز وجل ، فلم يفلت منهم إلا أقل من مائتي رجل . وحمل الكردوس الذي كان في ميمنتهم على القاسم بن سيما ويمن الخادم ومن كان معهما من بني شيبان وبني تميم فاستقبلوهم بالرماح حتى كسروها في صدورهم ، واعتنق بعضهم بعضاً ، فقتل من الفجرة جماعة كثيرة ، وحمل عليهم في وقت حملتهم خليفة بن المبارك ولؤلؤ ، وكنت قد جعلته جناحاً لخليفة في ثلاثمائة فارس وجميع أصحاب خليفة وهم يعاركون بني شيبان وبني تميم ، فقتل من الكفرة مقتلة عظيمة واتبعوهم . فأخذ بنو شيبان منهم ثلاثمائة فرس ومائة طوق ، وأخذ أصحاب خليفة مثل ذلك . وزحف النعمان ومن

معه في القلب إلينا فحملت ومن معي ، وكنت بين القلب والميمنـة ، وحمل خاقان ونصر القشوري ومحمـد بن كمشجور ومن كان معهم في الميمنة ، ووصيف موشكير ومحمد بن إسحق بن كنداجيق وابنا كيغلغ والمبارك القمي وربيعة بن محمد ومهاجر بن طليق والمظفر بن حـــاج وعبد الله بن حمدان وحي الكبير ووصيف البكتمري وبشر البكتمري ومحمد بن قراطُغال ، وكان في جناح الميمنة جميع من حمل على من في القلب ومن انقطع ممن كان حمل على الحسين بن حمـدان ، فلم يزالوا يقتلون الكفار فرسانهم ورجالتهم حتى قتلوا أكثر من خمسة آلاف . ولما أن تجاوزت المصاف بنصف ميل خفت أن يكون من الكفار مكيدة في الإحتيال على الرجالة والسواد فوقفت إلى أن لحقوني وجمعتهم وجمعت الناس إلي وبين يدي المطرد المبارك مطرد أمير المؤمنين . وقد حملت في الوقت الأول وحمل الناس، ولم يزل عيسى بن النوشزي ضابطاً للسواد من مصاف خلفهم مع فرسانه ورجالته على مارسمته له لم يزل عن موضعه إلى أن رجع الناس جميعـاً إليّ من كل موضع وضربت مضربي في الموضع الذي وقفت فيه حتى نزل الناس جميعاً ، ولم أزل واقفاً إلى أن صليت المغرب حتى استقر المعسكر بأهله . ووجهت في الطلائع ثم نزلت وأكثرت حمـد الله على ماهنأنا به من النصر ، ولم يبق أحد من قواد أمير المؤمنين وغلمانه ولا العجم وغيرهم غاية في نصر هذه الدولة المباركة في المناصحة لها إلا بلغوها ، بارك الله عليهم جميعاً. ولما استراح الناس خرجت والقواد جميعاً لنقيم خارج المعسكر إلى أن يصبح الناس خوفاً من حيلة تقع، وأسأل الله تمام النعمة وإيزاع الشكر. وأنا ـ أعز الله سيدنا الوزير ـ راحل إلى حماة ثم أشخص إلى سلمية بمن الله تعالى وعونه . فمن بقي من هؤلاء الكفار مع الكافر فهم بسلمية فإنه قد صار إليها منذ ثلاثة أيام ، وأحتاج إلى أن يتقدم

الوزير بالكتاب إلى جميع القواد وسائر بطون العرب من بني شيبان وتغلب وبني تميم يجزيهم جميعاً الخير على ما كان في هذه الرقعة ، فما بقّى أحد منهم ، صغير ولا كبير غاية والحمد لله على ماتفضل به . وإياه أسأل تمام النعمة . ولما تقدمت في جمع الرؤوس وجد رأس أبي الحمل ورأس أبي العذاب وأبي البغل ، وقيل ان النعمان قد قتل . وقد تقدمت في طلبه وأخذ رأسه وحمله مع الرؤوس إلى حضرة أمير المؤمنين إن شاء الله .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج٨ ، ٢٢٦ - ٢٢٨

٩٠ - رسالة قائد المكتفي القاسم بن سيما بالتغلب على جماعة من القرامطة .

استأمن جماعة من القرامطة إلى القائد القاسم بن سيما ، ولكنه لاحظ منهم ميلاً للنكث فأوقع بهم وكتب بذلك يقول :

إن الأعراب الذين استأمنوا ممن كان يتبع القرمطي نكثوا وغدروا وعزموا أن يكبسوا الرحبة يوم الفطر عند اشتغال الناس بالصلاة ، فإني أوقعت بهم فقتلت وأسرت .

المنتظم لابن الجوزي ج٦ - ٤٤

٩١ - رسالة أبي سعيد الجنابي القرمطي الشفوية إلى الخليفة المعتضد .

هزم قرامطة هجر الذين رئيسهم أبو سعيد الجنابي جيشاً للخليفة المعتضد وأسروا شخصاً من خاصته اسمه العباس بن عمرو الغنوي ، وهو قائد الجيش المهزوم ، فأطلقه أبو سعيد وحمله إلى المعتضد رسالة شفوية هذا نصها :

يا هذا : لم تخرق هيبتك وتقتل رجالك وتطمع أعداءك في نفسك ، وتبعث في طلبي الجيوش ؟ وأنا رجل مقيم في فلاة لا زرع فيها ولا ضرع ، وقد رضيت لنفسي بخشونة العيش والعز بأطراف هذه الرماح ، ولا اغتصبتك بلداً ولا أزلت سلطانك عن عملك ، ومع هذا فوالله لو أنفذت إلي جيشك كله ماجاز تظفر بي لأني رجل نشأت في العسف فاعتدته أنا ورجالي ولا مشقة علينا فيه ، وأنت تنفذ جيوشك من الجيوش ، والثلج والريحان فيجيئون من المسافة البعيدة الشاقة وقد قتلهم السفر قبل قتالنا ، وإنما غرضهم أن يبلغوا غرضاً من موافقتنا ساعة ثم يهربون ، وإن هم هزموني بعدت عشرين فرسخاً أو ثلاثين وجلت في الصحراء شهراً أو شهرين ثم كسبتهم على غرة فقتلتهم ، وإن كانوا محترزين فما يمكنهم أن يطوفوا خلفي في الصحارى ، ولا تحملهم الإقامة في أماكنهم . فأنت تنفق الأموال وتكلف الرجال الأخطار . وأنا سليم من ذلك ، وهيبتك تنخرق في الأطراف كلما جرى عليك هذا . فإن اخترت بعدُ محاربتي فاستخرت الله ، وإن أمسكت فذلك إليك (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج٥ - ١٣٤

٩٢ - رسالة جوابية لوزير المقتدر علي بن عيسى من أولاد أبي سعيد الجنابي القرمطي .

أرسل الوزير علي بن عيسى إلى أبي سعيد الجنابي رسالة يعظم جريرته وخروجه على إمام المسلمين ويعظه . ولكن أبا سعيد توفي قبل استلام الرسالة فاستلمها أولاده وأجابوا الوزير بما يلي :

---

(١) أورد المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا ص ١٩ نصاً اقل تفصيلاً عن النص المذكور أعلاه لرسالة أبي سعيد الجنابي للمعتضد .

قالوا بعد حمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ وتعظيم الخليفة وشكر مابلغهم عن الوزير من العدل :

إنا لم نخرج من الطاعة ، ولكنا كنا قوماً مستورين فنقم علينا ذلك فُجّارٌ من الناس لا دين لهم فشنعوا علينا وقذفونا بالكبائر ثم خرجوا إلى سبنا وضربنا ، ثم نادوا : قد أجلناكم ثلاثة أيام فمن أقام بعدها أحل بنفسه العقوبة ، فخرجنا فوثبوا علينا قبل الأجل وضربونا وأغرمونا الأموال ، فسألناهم أن يؤمنونا على أنفسنا فلم يفعلوا ، وأمر بصاحب البلد بقتلنا فهربنا فأخذوا حرمنا وسلبوهم سلباً قبيحاً ، وانتهبوا منازلنا فلجأنا إلى البادية ، فخرج ناس إلى المعتضد بالله فشنعوا علينا فصدق مقالتهم وبعث إلينا يخاصمنا فدافعنا عن أنفسنا ، فقويت وحشتنا من الخلق . وأما مادعي علينا من ترك الصلاة وغيرها ، فلا يجوز قبول دعوى إلا ببينة ، وإذا كان السلطان ينسبنا إلى الكفر بالله تعالى فكيف يسألنا أن ندخل في طاعته ؟ (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج٦ – ١٢٢

٩٣ – رسالة مؤنس إلى الخليفة المقتدر .

أرسل المقتدر مؤنساً الخادم على رأس جيش لقتال القرامطة وغرم على الجيش مالاً كثيراً ، ولكن مؤنساً تباطأ في القتال فأرسل إليه المقتدر يستعجله حربهم ويستكثر ماأنفق من مال على الجيش فأجاب مؤنس :

إن في مقامنا ـ أطال الله بقاء مولانا ـ نفقة المال ، وفي لقائنا نفقة الرجال ، ونحن أحرياء باختيار نفقة المال على نفقة الرجال .

---

(١) أورد ابن كثير في البداية والنهاية حـ١١–١٢١ نصاً يختلف بعض الاختلاف وأقل تفصيلاً عن نصنا أعلاه .

٩٤ – رسالة مؤنس إلى أبي طاهر القرمطي زعيم القرامطة .

ويلك ! ظننتني كمن لقيك ، أبرز لك رجالي ! والله مايسرني أن أظفر بـك بقتل رجل مسلم من أصحابي ، ولكني أطـاولك وأمنعك مأكولاً ومشروباً حتى آخذك أخذاً بيدي إن شاء الله .

اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ١٨١ – ١٨٢

٩٥ – رسالة معز الدولة البويهي الشفوية إلى قرامطة هجر .

زحف معز الدولة بجيش إلى البصرة ، فلمـا صار إلى البرية ورد عليه رسول القرامطـة بكتاب منهم في الإنكار عليه في سلوك البرية من غير إذنهم ، فقال للرسول :

ومن أنتم حتى تستأذنوا في سلوك البرية ، وكأني أنا أقصد البصرة إنما قصدي بلدكم وإليكم بعد فتحي إياها ، وستعرفون خبركم(١) .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج٢ – ١١٢

٩٦ – رسالة أبي تغلب بن ناصر الدولة الحمداني إلى زعيم القرامطة.

كان الأخشيديون يرسلون ٣٠٠ ألف دينار سنوياً للقرامطة ، فلمـا دخل المعز لدين الله مصر قطعها عنهم فحرضهم بقـايا الأخشيدية على قصد مصر ، كذلك فعـل نفس الشيء أبو تغلب الحمداني وأرسل إلى زعيم القرامطة الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي رسالة يقول فيها بعد أن حرضه على قصد مصر .

هذا شيء أردت أن أسير أنا فيه بنفسي وأنا مقيم في هذا الموضـع

---

(١) أورد ابن الجوزي في المنتظم حـ٦–٣٠٦ نصاً مشابهاً لنصنا هذا مع بعض التفاصيل اليسيرة .

إلى أن يرد عليّ خبرك ، فإن احتجت إلى مسيري سرت إليك .

اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ١٨٧

٩٧ - رسالة أخي أبي طاهر القرمطي للمطيع لله لما أعاد الحجر الأسود إلى الكوفة .

إنا أخذنا هذا الحجر بأمر وقد رددناه بأمر من أمرنا بأخذه ليتم حج الناس ومناسكهم .

البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ - ٢٢٣

ـــ شؤون ادارية ـــ

٩٨ - رسالة محمد بن عبد الله بن طاهر إلى عماله بتولية أخيه عبيد الله مكانه وذلك قبيل وفاته زمن المعتز سنة ٢٥٣ هـ .

أما بعد : فإن الله عز وجل جعل الموت حتماً مقضياً جارياً على الباقين من خلقه حسبما جرى على الماضين ، وحقيق على من أعطى حظاً من توفيق الله أن يكون على استعداد لحلول ما لا بد منه ولا محيص عنه في كل الأحوال . وكتابي هذا وأنا في علة قد اشتد الإشفاق منها وكاد الأياس يغلب على الرجاء فيها : فإن يَبُلّ الله ويدفع فبقدرته وكريم عادته ، وإن يحدث بي الحدث الذي هو سبيل الأولين والآخرين فقد استخلفت عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين أخي الموثوق باقتفائه أثري وأخذه بسد ما أنا بسبيله من سلطان أمير المؤمنين إلى أن يأتيه من أمره ما يعمل بحسبه فاعلم ذلك وأئتمر فيما تتولاه بما يرد به

كتب عبيد الله وأمره ان شاء الله . وكتب يوم الخميس لثلاث عشره خلت من ذي القعدة سنة ٢٥٣ ﻫ .

تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٧ ، ٥١٦ - ٥١٧

٩٩ - منشور الراضي بالله ضد الحنابلة وقد أصبحوا قوة وأثاروا الشغب وتعصبوا ضد أصحاب المذاهب الأخرى . وهذه مقتطفات :

. . . تارة انكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين ، وهيئتكم الرذلة على هيئته ، وتذكرون الكف والأصابع والرجلين والنعلين المذهبين والشعر القطط والصعود إلى السماء والنزول إلى الدنيا . تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً . ثم طعنكم على خيار الأئمة ونسبتكم شيعة آل محمد ﷺ إلى الكفر والضلال ، ثم استدعاؤكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن ، وإنكاركم زيارة قبور الأئمة وتشنيعكم على زوارها بالابتداع وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام ليس بذي شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله ﷺ وتأمرون بزيارته وتدعون له معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، فلعن الله شيطاناً زين لكم هذه المنكرات ما أغواه .

وأمير المؤمنين يقسم بالله قسماً جهداً إليه يلزمه الوفاء به : لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقكم ليوسعنكم ضرباً وتشريداً وقتلاً وتبديداً ، وليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالكم (١) .

الكامل لابن الأثير جـ ٨ ، ٣٠٨ - ٣٠٩

---

(١) يذكر ابن مسكويه في تجارب الأمم جـ ١ ، ٣٢٢-٣٢٣ منشوراً للراضي يشبه إلى حد بعيد منشورنا أعلاه مع وجود بعض الزيادة والخلافات البسيطة . أما أبو الفداء في المختصر جـ ٢-٨٢ وابن العبري في مختصر الدول ١٦٣ فيكتفيان بمقتطفات صغيرة جداً .

١٠٠ – رسالة المقتدر إلى مؤنس الخادم يرد بها على رسالة أرسلها إليه مؤنس

يذكر فيها استياء الجيش من تسلط الخدم والحرم والنساء على شؤون الدولة ومنحهم الإقطاعات ومشاركتهم الرأي ويطالب بإبعادهم .

بسم الله الرحمن الرحيم . أمتعني الله بك ولا أخلاني منك ولاأراني سوءً فيك . تأملت الحال التي خرج أولياؤنا وصنائعنا وشيعتنا إليها ، وتمسكوا بهـــا وأقامـوا عليها ، فوجدتهم لم يريدوا إلا صيانة نفسي وولدي وإعزاز أمري وملكي ، واجتلاب الخير والمنفعة من كل جهة وتطلبها بكل سبيل بارك الله عليهم ، وأحسن إليهم وأعانني على صالح ما أنويه فيهم . وأما أنت يا أبا الحسن المظفر لا خلوت منك فشيخي وكبيري ومن لا أزول ولا أحول عن الميل إليه والتوفر عليه والتحقق به والإيجاب له ، اعترض بيننا هذا الحادث أم لم يعترض ، وانتقض الأمـر الذي يجمعنا أم لم ينتقض ، وأرجـــو ألا تشك في ذلك إذا صدقت نفسك وحاسبتها وأزلت الظنون السيئة عنها أدام الله حراستها ، والقوة بالله . والذي خاض أصحابنا فيه من أمر الخـدم والحرم الذين يخرجون من الدار ويباعدون منها وتسقط رسومهم في الخدمـة ويمنعون منها ويبرأون من نعمهم ويحال بينهم وبينها إلى أن يفرجوا عما في أيديهم من المال والضياع ويردوها إلى حقوقها قول ، إذا تبينوه حق تبينه وتصفحوه كنه تصفحه ، علموا أنه قول جافٍ والبغي عليّ فيه غـــير مستتر ولا خافٍ . ولإيثاري موافقتهم واتباعي مسرتهم مـا أجبتهم إلى المتيسر في أمر هـذه الطبقة خاصة فأتقدم بقبض بعض إقطاعاتهم وحظر تسويغاتهم وبسط إيغارتهم وإخراج من يجوز إخراجه من داري ولا أطلق للباقين الدخول في تدبيري ورأيي ، وأوعـز بمكاتبة العمال

في استيفاء حق بيت المال في ضياعهم الصحيحة الملك دون مـا يقال أنه قد لابسه الريب والشك ، وأنظر بنفسي في أمر الخاصة والعامـة وأبلغ في إنصافها والإحسان إليها الغاية ، ولا أعتمد في ذلك على وزير ولا سفير البتة ، وأنتصب لإثارة الأموال وجمعها ووضعها في مواضعها وأحميها من كل ما يثلمها وينتقصها ، وأشمر في ذلك وأبلغ في مناهضة الأعداء قرباً وبعداً ، وهذا إنما قعدت عنه إعتماداً عليكم وتفويضاً اليكم وثقـة بأنكم شركائي وسهامي ، المخصوصون بخير أيامي وشرها وحلوها ومرها ، ولو علمت أنه يجعل ذلك ذنباً لي وجرماً يتجنى بـه علي لكنت أول شاخص إلى كل تعب وأول مبادر نحوه من غير إبطـاء عنه ولا ريث . فأما أنتم فمعظم نعمكم مني وما كنت لأغور عليكم في شيء سمحت به لكم ورأيته في وقته وأراه الآن زهيداً في جنب استحقاقكم وأنا بتثميره أولى وبتوفيره أحرى . والله المطلع على جميل معتقدي للجماعة فيها والشاهد على محبتي لإيصالها إلى أقصى أمانيها . ونازوك فلست أدري من أي شيء عتب ولا لأية حال استوحش واضطرب ، لأني لم ألمـه على محاربة هرون بن غريب الخال ولم أمنعه من الإنتصار منه والأخذ بثـأره عنده ، ولا أمرت بمعاونة هرون عليه ولا قبضت يده عما كانت طويلة إليـه منبسطة فيه متمكنة منـه ، ولا غيرت له حالاً ولا حزت له مالاً ولا سمع مني ولا بلغه عني مـا يسوء موقعه وينفر منه ، والله يغفر لنا وله . وعبد الله بن حمدان فالذي أحفظه صرفه عن الدينور ، وقـد كان تهيأ إعادته إليها إن كان راغباً فيهـا فيسعف بمسئلته ، وأن يستدعي تعويضه من الاعمال ما هو أعظم خطراً من الدينور فلا نقصر عن إرادته ، ومـا عندي له ولنازوك والعصاة كلها إلا التجاوز والإبقاء والإغضاء . وقبل هذا وبعده فلي في أعناقكم

بيعة قد وكدتموها على أنفسكم دفعة بعد دفعة ، ومن بايعني فإنما بايع الله ، ومن نكث إنما نكث عهد الله » ولي أيضاً عليكم نعم وأياد وعندكم صنائع وعوارف آمل أن تعترفوا بها وتلتزموها ولا تكفروها وتشكروها ، وإن راجعتم الجميل وتلافيتم هذا الخطب الجليل وفرقتم جموعكم ومزقتموها وعدتم إلى منازلكم واستوطنتموها وأقبلتم على شؤونكم وتشاغلتم بها ، وأجريتم في الخدمة على عادتكم فلم تقصروا فيها ، كنتم بمنزلة من لم يبرح من موضعه ولم يأت بما يعود بتشعث محله وموقعه ، وكنت الذي تعرفونه في الثقة بكم والإيثار لكم والسكون إليكم والإشتمال عليكم ، لكم بذلك عهد الله إن عهده كان مسؤولاً . وإن أبيتم إلا مكاشفة ومخالفة وإثارة فتنة وتجديد محنة فقد وليتكم ما توليتم وأغمدت سيفي منكم وتبرأت إلى الله أن أمد باعي إلى أحد منكم ، ولجأت في نصري ومعونتي وكفايتي إلى الله عز وجل ولم أخرج من منزلي ولم أسلم الحق الذي جعله الله لي إلا كما خرج عثمان بن عفان من داره وكما سلم حقه لما خذله عامة ثقاته وأنصاره ، وكان ذلك حجة فيما بين الله عز وجل وبيني ومعذرة وسبباً بإذن الله لما أؤمله من الفوز في الدنيا والآخرة . والله بصير بالعباد وللظالمين بالمرصاد ، وحسبي الله ونعم الوكيل .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ١ ، ١٨٩ - ١٩٢

١٠١ – رسالة الوزير حامد للخليفة المقتدر من أجل الحلاج .

قبض على الحلاج وحوكم وحكم بإعدامه وأرسل الحكم إلى الخليفة للتصديق عليه ، ويبدو أن تصديق الخليفة تأخر فأرسل الوزير إلى الخليفة يستعجله ويقول :

إن ما جرى في المجلس قد شاع وانتشر ، ومتى لم يتبعه قتل الحلاج إفتتن الناس به ولم يختلف عليه إثنان .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٨ – ١٣٩

١٠٢ – رسالة المقتدر إلى الوزير حامد باعدام الحلاج سنة ٣٠٩ هـ

إذا كان فتوى القضاة فيه بما عرضت فأحضره مجلس الشرطة واضربه ألف سوط ، فإن لم يمت فتقدم بقطع يديه ورجليه ثم اضرب عنقه وانصب رأسه وأحرق جثته .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ١ - ٨١

١٠٣ – رسالة الوزير ابن الفرات إلى أبي زنبور والي مصر من أجل شخص زور كتاباً على لسان الوزير إلى الوالي بالوصية به فشك العامل بالأمر وأرسل يستوضح الوزير فأتاه الجواب الآتي :

هذا كتابي ، ولا أعلم لأي سبب أنكرته ولا لأي سبب استربت به ، وحرمة صاحبه بي وكيدة وسببه عندي أقوى مما تظن فأجزل هديته وتابع بره .

المنتظم لابن الجوزي ج ٦ – ١٩١

١٠٤ – رسالة إلى المقتدر بالله من صاحب بريد الدينور يخبر أن بغلة ولدت فلوة :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الموقظ بعبره قلوب الغافلين ، والمرشد بآياته ألباب العارفين ، الخالق ما يشاء بلا مثال ذلك الله البارىء المصور في الأرحام ما يشاء . وإن الموكل بخبر التطواف بقرماسين رفع يذكر أن بغلة لرجل يعرف بأبي بردة من أصحاب

أحمد بن علي المري وضعت فلوة ويصف اجماع النـاس لذلك وتعجبهم لما عاينوا منه ، فوجهت من أحضرني البغلة والفلوة فوجدت البغـلة كمتـاء خلافية ، والفلوة سوية الخلق تامـة الأعضاء ، منسدلة الذنب . سبحان الملك القدوس لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

صلة تاريخ الطبري لعريب القرطبي ص ٢٨

١٠٥ – تقليد صادر عن أحد الخلفاء (لعله الطائع لله ؟) بتقليد حمايـــة الكوفة لأبي طريف بن عليان العقيلي من إنشاء أبي إسحاق الصابىء :

قد رأينا تقليدك – أطال الله بقاءك – الحماية بالكوفة وأعمالهـا ومـا يجري معها ثقـة بشهامتك وغنائك ، وسكونا إلى استقلالك ووفائك ، واعتقاداً لاصطناعك واصطفائك ، وحسن ظـن بك في شكر ما يسدى إليك ، ومقابلته بمـا يحق عليك من الأثر الجميل فـيما تولاه ، والمقام الحميد فيما تستكفاه ، فتول – أيدك الله – ذلك مقدماً تقوى الله ومراقبته ومستمداً توفيقه ومعاونته ، واحرس الرعية في مساكنها ، والسابلة في مسالكها ، وادفع عن عملك ونواحيه أهل العيث جميعاً ، واطلبهم طلباً شديداً ، واطرقهم في مكامنهم ، وتولج عليهم في مظانهم ، ونكل بمن تظفر به منهم نكالاً تقيم بـه حكم الله عليهم وحدوده في أمثالهم ، وبالغ في ذلـك مبالغة تخيف الظنين وتوجسه ، وتؤمن السليم وتؤنسه ، وراع الأكرة والمزارعين حتى ينبسطوا في معايشهم ، ويتصرفوا في مصالحهم ، وتتيسر عواملهم في عمارتهـا ومواشيهم في مسارحها ، ومتى طُرِدت لأحد منهم طريدة أو امتدت إليهم يد عاقية ارتجعتَ ما أخذ له ورددته بعينه أو قيمة مثـله ، وخفف عمن وليت عليه

الوطـأة وارفع عنهم المؤونة والكلفة ، وخذهم بالتناصف واقبضهم عن التظـــالم ، وامنع قويهم من تحيف المضعوف ، وشريفهم من استضامة المشروف ، وأولهم من عدلـك وحسن سيرتك واستقامـة طريقتك مايتصل عليه شكرك ويطيب بـه ذكرك ، ويقتضي لك دوام الولاية وتضاعف العناية .

واعلم أنك فيا وليته من هذا الأمر متضمن للمال والدم ، مأخوذ بكل ما يهمك من ذمة ومحرم ، فليكن اجتهادك في الضبط والحماية ، واحتراسك من الإهمال والإضاعة بحسب ذلك . واكتب بأخبارك على سياقتها ، وآثارك لأوقاتها ؛ ليتصل لك الإحماد عليها والمجازاة عنها إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

١٠٦ ـ كتاب أصـــدره صمصام الدولة بن عضد الدولة بإذن الخليفة الطائع ، لمحمد بن عبـد الله بن شهرام بإقطاعه إقطاعاً من بيت المال .

هـذا كتاب من صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليجار بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين لمحمد بن عبد الله بن شهرام .

إنك ذكرت حال ضياعك المعروفـة برسدولا والبدرية من طسوج نهر الملك ، والحظائر والحصة بنهر ُقلاّ من طسوج قطربل وما لحقها من اختلال الحال ونقصان الارتفاع واندواب (١) المشارب واستئجام المزارع

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب فيها واندثار ، إذ لامعنى لكلمة اندواب.

وطمع الجاورين وضعف الأكرة والمزارعـــين وظلم العمال والمتصرفين لتطاول غيباتك عنها ، وانقطاعك بالأسفار المتصلة عن استيفاء حقوقها وإقامة عماراتها والإنفاق على مصالحها ، والإنتصاف من الجاورين لهـا والمعاملين فيها ، ووصفت ما تحتاج إلى تكلفه من الجملة الوافرة لاحتفار أنهارها وإحياء مواتها واعتمال متعطلها وإعادة رسومها وإطلاق البذور فيها وإبتياع العوامل لها واختلاف الأكرة لها .

وسألت أن تقاطع عن حق بيت المـال فيها وجميع توابعه وسائر لزومه على ثلاثـــة آلاف درهم في كل سنة معونة لك على عمارتها ، وتمكيناً من إعادتها الى أفضل أحوالها ، وتوسعة عليك في المعيشة منها .

فأنهينا ذلك إلى أمير المؤمنـــين الطائع لله ، وأفضنا بحضرته فيما أنت عليه من الخلائق الحميدة والطرائق الرشيدة وما لك من الخدمات القديمـــة والحديثة الموجبة لأن تلحق بنظرائك من الخدم المختصين والحواشي المستخلصين ، بإجابتك الى ما سألت وإسعافك بما التمست ، فخرج الأمر ــ لا زال عالياً ــ بالرجوع في ذلـك الى كتّاب الدواوين وعمال هذه النواحي ، وتعرّف ما عندهم فيه مما يعود بالصلاح ويدعو الى الإحتياط ، فرَجَعْنا إليهم فيما ذكرته وحكيته فصدقوك في جميعه وشهدوا لك بصحته ، وتردد بينك وبينهم خطاب في الارتفاع الوافر القديم وما توجبه العبر لعدة سنين ، الى أن استقر الأمر على أن توقفت على هذه الضياع المسماة في هـــذا الكتاب خمسة آلاف درهم ورقاً مرسلاً بغير كسر ولا كفاية ولا حق خزن ولا جهبذة ولا محاسبة ولا غير ذلك من المؤن كلها .

ثم أنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله ، فأمر ــ زاد الله أمره

علواً ـ بإمضاء ذلك على أن يكون هـــذا المال ، وهو خمسة آلاف درهم ، مؤدى في الوقت الذي تفتتح فيه المقاطعـات : وهو أول يوم من المحرم في كل سنة ، على استقبال السنة الجـارية سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة الخراجية ، عن الخراج في الغـــلات الشتوية والصيفية والمحدثة والمبكرة الجارية على المساحة والحاصـل من الغلات الجارية على المقاسمة والجوالي والمراعي والأرحاء وسائر أبواب المال ووجوه الجبايات وتقسيط المصالح والحماية مع ما يلزم ذلك من التوابع كلها : قليلها وكثيرها ، والرسوم الثابتة في الدواوين بأسرها ، وعن كل ما أحدث ويُحدَث بعدها على زيادة الارتفاع ونقصانه وتصرف جميـــع حالاته : مقاطعة مقررة مؤبدة ممضاة مخلدة على مرور الليـالي والأيام وتعاقب السنين والأعوام ؛ لك ولولدك وعقبك من بعدك ، ومن عسى أن تنتقل هـذه الضياع اليه بميراث أو بيـع أو هبة أو تمليك أو مناقلة أو وقف أو إجارة أو مبادرة أو مزارعة أو غير ذلك ولا يُغيَّر ولا ينقض ولا يبدل ولا يزال عن سبيله ولا يحال عن جهته ، ولا يعترض عليك ولا على أحد من الناس فيه ولا في شيء منه ولا يتـأول عليك ولا على غيرك فيه ، بزيادة عمارة ولا زكاء ربع ولا غلو سعر ولا إصلاح شرب ولا إعتمال خراب ولا إحياء موات ولا بغير ذلـك من سائر أسباب وفور الارتفاع ودرور الاستغلال .

وحظر مولانا أمير المؤمنين الطائع لله ، وحظرنا بحظره على كتاب الدواوين : أصولها وأزمَّتها وعمال النواحي والمشرفين عليها ، وجميـع المتصرفين على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم ، الإعتراض عليك في هـذه المقاطعة أو إيقاع ثمن أو مساحة على ما كان منها جارياً على الخراج ، أو تقرير أو حزر أو قسمة على ما كان منها جارياً على المقاسمة ، أو

أن تدخلها يـــد مع يدك لناظر أو حاظر أو مستظهر أو معتبر أو متصفح ، إذ كان ما يظهر منها من الفضـل على مرور السنين مسوغاً لك ، لا تُطالَب به لا بمرفق عنه ولا على ما ظهر عليه وعلى شيء منه ، ولا يلتمس منك تجديد كتاب ولا إحضار حجة ولا توقيعٌ به ولا منشور بعد هذا الكتاب ، إذ قد صار ذلك لك وفي يدك بهذه المقاطعة ، وصار ما يجب من الفضل بـين ما توجبه المسائح والمقاسمات وسائر وجوه الجبايات ، وبين مال هـذه المقاطعة المحدودة المذكورة في هـــذا الكتاب خارجاً عما عليه العمال ، ويرفعه منهم المؤتمنون ويوافق عليه المتضمنون على مرور الأيام والشهور وتعاقب السنين والدهور ، فلا تُقبلُ في ذلك نصيحة ناصح ولا توفير موفر ولا سعاية ساعٍ ولا قذف قاذفٍ ولا طعن طاعن .

ولا يلزم عن إمضاء هذه المقاطعة مئونة ولا كلفة ولا مصانعة ولا مصالحة ولا ضريبة ولا تقسيط ولا عمل بريد ولا مصلحة من المصالح السلطانية ولا حق حمـاية ولا خفارة ولا غير ذلك من جميع الأسباب الـــتي يتطرق بها عليك ولا على من بعدك ، لزيادة على مالها المحصور المذكور في هذا الكتاب ، ولا حق خزن ولا جهبذة ولا محاسبة ولا مئونة ولا زيادة ، ومتى استخرج منك شيء أو من أحد من أنسبائك ، أو ممن عسى أن تنتقل إليه هـذه المقاطعة بشيء زائـد عليها على سبيل الظلم والتـأول والتعنت لم يكن ذلك فاسخاً لعقدها ولا مزيـــلا لأمرها ولا قادحاً في صحتها ، وكان لك أن تطالب برد المأخوذ زائداً على مالها . وكان على من ينظر في الأمـــور إنصافك في ذلك ورده عليك ، وكانت المقاطعة المذكورة ممضاة على تصرف الأحوال كلها .

ثم إنا رأينـا بعدما أمضاه أمـير المؤمنين وأمضيناه لك من ذلك

وتمامه وإحكامه ووجوبه وثبوته أن سوغناك هذه الخمسة آلاف درهم المؤداة عن هذه المقاطعة على استقبال سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة الخراجية تسويغاً مؤبداً ماضياً على مر السنين ليكون في ذلك بعض العوض عن باقي أملاكك وضياعك التي قبضت عنك ، وبعض المؤونة فيما أنت متصرف عليه من خدمتنا ومتردد فيه من مهمات أمورنا ، وأوجبنا لك في هذا التسويغ جميع الشروط التي تشترط في مثله مما ثبت في هذا الكتاب ومما لم يثبت فيه : لينحسم عنك تتبع المتتبعين وتعقب المتعقبين وتأول المتأولين على الوجوه والأسباب .

وأمرنا - متى وقع على مال هذا التسويغ (وهو خمسة آلاف درهم) ارتجاع ، بحدث يحدث عليك ، أو بتعويض تُعوّض عنه أو بحال من الأحوال التي توجب ارتجاعه - أن يكون أصل المقاطعة ممضيء لك ، ورسمها باقياً عليك وعلى من تنتقل هذه الضياع إليه بعدك على ما خرج به أمر أمير المؤمنين في ذلك من غير نقض ولا تأول فيه ولا تغيير لرسم من رسومه ولا تجاوز لحد من حدوده على كل وجه وسبب .

فليعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين الطائع لله وأمره ، ومن امتثالنا وإمضائنا ، وليعمل فيه جماعة من وقف على هذا الكتاب : من طبقات الكتاب والعمال والمشرفين والمتصرفين في أعمال الخراج والحماية والمصالح وغيرهم ، وليحذروا من مخالفته ، وليمضوا بأمرهم لمحمد بن عبد الله بن شهرام ومن بعده جميعه ، وليحموه على مايوجبه، وليقرّ هذا الكتاب في يده وأيديهم بعده حجة له ولهم ، ولينسخ في جميع الدواوين إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج١٣ ، ١٣٩ - ١٤٣

١٠٧ - رسالة من الغزالي إلى مؤيد الملك بن نظام الملك يعتذر فيها عن العودة للتدريس في المدرسة النظامية في بغداد :

تحية لمولانا ملاذ العالمين ــ متع الله المسلمين بطول بقائه . إن هذا الضعيف قد دعى من حضيض خرابة طوس إلى ذروة معمورة دار السلام بغداد ــ عمرها الله تعالى . وهذا محلى الكرم والعظمة . ومن واجب هذا الحق دعوة مولاه للصعود من حضيض الإنسانية إلى مراتب الملائكة وترغيبه في ذلك . أيها العزيز : الطريق إلى الله من بغداد ومن طوس واحد ، ولكن ما أعظم التفاوت بين أوج الإنسانية وحضيض الحيوانية . أما عن صدور أمركم بالتماس حضور هذا الفقير ، فلا شك أن الوقت وقت فراق ، لا وقت سير إلى العراق أيها العزيز ! إفترض أن الغزالي وصل إلى بغداد وامتثل أمركم ، لكن لا تعاود التفكير في أن أتولى التدريس مرة أخرى ، وتصور أن هذا هو اليوم نفسه وارفع يدك عن هذا البائس ، والسلام والإكرام ، والله يدعو إلى دار السلام [١] .

مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي ص ١٢٨

---

(١) يشك المؤلف في صدور هذه الرسالة عن الغزالي مقتبساً آراء وأقوال بويج وغيره من العلماء . كذلك يورد هو نفسه ص ١٢٩ من نفس الكتاب نصاً آخر للرسالة بالعربية . إذ أن الرسالة السابقة نصها فارسي ونقلها المؤلف إلى العربية . وهي مختصرة بعض الاختصار ، وفيها بعض الخلاف وقد نشرت في مقدمة كتاب معيار العلم . « قد دعاني صدر الوزراء من المرتبة العليا إلى المرتبة الدنيا ، وأنا أدعوه من المرتبة الدنيا إلى المرتبة العليا التي هي أعلى عليين . والطريق إلى الله من بغداد ومن طوس ومن كل المواضع واحد ، ليس بعضها أقرب من بعض ، أسأل الله أن يوقظه من نومة الغفلة لينظر في يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده والسلام » .

لم يذكر محقق كتاب معيار العلم صبري الكردي الذي أورد هذه الرسالة (طبعة القاهرة، ١٩٢٧ م ص ١٢) المصدر الذي استقى منه هذه الرسالة وهل هو مصدر عربي أم فارسي؟

١٠٨ – رسالة وجهها بأمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله وزيره قوام الدين يحيى بن زيادة إلى طغرل مقْطَع البصرة :

عندما فارق الجماعة وترك البصرة نازحاً لأحد الأطراف لأن الديوان الخليفي طالبه ببعض المال ، فلما اطلع عليها عدل عن الخروج وعاد إلى الطاعة وصفح عنه الخليفة .

أصدرتْ هذه الخدمة إلى الجناب الكريم الأميري الأسفهسلاري الأجلي الكبيري السيدي العمادي الركني الظهيري المحترمي العزي الجمالي أمير الجيوش ، أطال الله بقاءه وأدام علوه ونعمته ، وأنا أوقع الأقوال المتواترة والأموال المتناصرة ، مستغرباً لها متعجباً منها ، كأني أسمعها في المنام وتخاطبني بها أضغاث أحلام ، فلو لا أن الأيام صحائف العجائب ، ولا يأنس بتجدداتها إلا من حنكته التجارب ، لم أصدق هذه الحركة المباركة التي وقعت منه بسعادته ، فإني لا أراها إلا عثرة من جواد ، وعورة على كماله ، وإلا فمن أين يدخل الزلل على ذلك الرأي السديد والعقل الراجح والفكر الصائب ، الذي يعلم الآراء كيف تنير ، ويعرّف النجوم كيف تسير ، ويهدي غيره في المشكلات إلى صواب التدبير . والفائت لا كلام فيه ، غير أن العقل يقضي باستدراك الممكن وتلافيه ، بالانحراف عن الهوى إلى الرأي الصادق ، والرجوع عن تأويل النفس إلى مراجعة الفكر الناضج ، فالعود إلى الحق أولى من التمادي على الباطل . وأحب أن تسمع ما أقول بأذن واعية وقلب حاضر ، وحوشي أن تستدفعه الكواذب عن تدبر الحقائق وعرفان النصائح ، فإن من القول ما برهانه لايحتاج إلى شاهد من غيره .

قبل كل شيء : ما الذي احوج إلى هـذه الحال القبيحة السمجة وركوب الخطر في هذه الحركة واحتمال هذه المشاق والانزعاج من غير أن تدعو إليه حاجة ؟ هل هو إلا شيء جرت العادة بمثله ، وبعطالبة ديوانه بما كان يندفع الأمر ببعضه ؟ كما جرت عادة الدواوين وخدام السلاطين . ثم أنـه محمد ـ أدام الله نعمته ـ بأول خاطره وبادىء رأيه في هذه العجلة من غير تثبت ولا روية ، لِمَ لا راجع فكره الكريم ويقول لنفسه : إلى أين أمضي ؟ ولمن أخدم ؟ وعلى أي باب أقف ؟ وتحت أي لواء أسير ؟ وبـأي غبار أكتحل ؟ وفضل مـن أطلب ؟ وعلى حكم من أنزل ؟ بعد أن ربيت في عرصة الخلافة ودار النبوة وحضن المملكة ، أنشأني نعيمها صغيراً وقدمني كبيراً ، وكنت مأموراً فجعلني أميراً ، وطار صيتي في الدنيا ولم أكن شيئاً مذكوراً فـأنا خير من ملك أقصده ، وأمثـل من كل من أرجوه وأستنجده . أفأنزل من السماء إلى الحضيض وأهدم ما بنى الإنعام عندي في الزمن الطويل العريض ؟ هذا هو المكروه الأعظم الذي تعوذ منه رسول الله ﷺ حين قال : اللهم إني أعوذ بك من الحَوْر بعـد الكَوْر . ومن يكون حضين خلافة كيف يرضى أن يكون تابع إمارة ؟! ولو لم يكن ما هجم عليه إلا هذا لكفى ، ثم لِمَ لا يلتفت في هـذه الحال التي هو عليها ، التي صحبته بوفائها ويسمع خطابها بلسان حالها ثمّ تقول له : يا عماد الدين ، أما هذه خيام الإنعام عليك ؟ أمـا هذه الخيل المسومة تحتك ؟ أما هذه ملابسه الفاخرة مفاضة عليك ؟ أما هذه مماليكه حافة بك ؟ أليس الاصطناع رفع قدرك إلى المنزلة التي ثقل عليك بعض الإنحطاط عنها ، ووهب لك الهمة الـتي أبيت الضيم بها ؟ فحوشيت أن تكون ممن تواترت عليه النعم فملها ، وتكاثرت

عليه فضعف عن حملها ، فياليت شعري مــاذا يكون جوابها ؟ والله إني أقول له بسعادته ولا أعقب ، ولو أنه قد تحقق ـ والعياذ بالله ـ وقوع كل محذور وحلول كل مكروه ، لم يكن في هذه الحركة معذوراً فكيف بظنٍّ مُرَجَّمٍ وقول مسوف متوهم ، ورأي فطير غير مختمر . ولقـد كان استسلامه لمالك الرق ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ أحسن في الدنيا وأحمد في العقبى ، واقعـاً ذلك من أحواله حيث وقــع . والآن فالوقت ضاق في إصدار هــذه المكاتبة عـن استقصاء العقاب والحاقة ، وإيراد كل ما تلزم به الحجة، ولكني أقول على سبيل الجملة : إني أخاف على سديد ذلك الرأي إجابة داعي الهوى ، فـإن اللجاج من أوسع مداخل الشيطان على الإنسان ؛ حوشي كما له من هـذا القســم .

والثـاني : استشعاره بسعادته من بادرتــه واستيحاشه من عجلته ، وهــذا أيضاً من أدق مكايـد النفس الأمارة بالسوء ، فإنها تؤمن من المخوف وتخوف من المأمون وتسحر العقل بالتحير والشك ، فـلا تصح له عزيمة ولا تصفو له فكرة . وهذا النوع إذا عرض في الصدر يجب دفعه بالنظر إلى الحق وشجاعة القلب ، والاخلاد إلى مناظرة النفس ، فإن الإنسان ليس بمعصوم ، والزلل في الرأي ليس من أوصاف الجماد ، بــل من الأوصاف اللازمة للبشرية ، وليس الكمال لأحد إلا للواحد الصمد ، فإذا عرض له بسعادته هذا الإستشعار فيدفعه عن نفسه ، فليس سلطان الوسواس الخناس إلا في صدور الناس ، فلهذا لا ينبغي لمذنب أن يقنط ، ولا لمسيء أن يستوحش ، ولا ســيما إذا أتبع الذنب بالإستقالة والإستغفار والإعتذار والإقـلاع ، وعلى الخصوص إذا كانت الخيانة عند من لا يتعاظمه عفوها ولا يضيق حلمه عنها ، فـإن

كل كبيرة توجب المخافة ، تغرق في بحر عفو الخلافة ، فيجب أن يقرر بسعادته ذلك في نفسه ، ويُخرج سوء الظن والاستشعار من خياله ؛ فإن مثله من خلصان المماليك لا يُسمح به ولا يُشغب عليه عند هفوة باردة .

والثالث الإنقباض والحياء ، فإنه ربما يقول في نفسه : بأي وجه ألقى مولاي ؟ وبأي عين أبصر مواطن الدار العزيزة ؟ رباني وأنشأني وهذا أيضاً لا يصلح خطوره بباله في هذا المقام ، فإنه من ضعف النحيزة والميل مع خوادع الطبع عن نصائح العقل والشرع ؛ فإن الحياء اتباع زلة القدم بالندم والاعتذار ، لا التهوك في اللجاج والإصرار . فقد قال بعض الملوك لخصيص من خواصه عصاه في شيء أمره : بأي عين تلقاني وقد عصيت أمري ؛ فقال : بالعين التي ألقى بها ربي في الصلوات الخمس وهو سبحانه يراني على فواضح المعاصي . وقد أثني الله سبحانه على من أذنب ثم تاب وشرد عن طاعته ثم أناب . وبحمد الله تعالى ما جرى ما يقتضي فرط الإستشعار . هل هو إلا عبد خاف بادرة مولاه ، فتنحى عن مكانه إلى أن يعطف عليه برحمته ؟ وليس هذا ببديع ولا من الصفح ببعيد . على أنه بسعادته لو أنصف من نفسه لما استشعر ، فكم أخرجت الخزانة الشريفة عليه من الأموال حتى نبت عرقه وأورق غصنه وكبر شأنه ، وجميع ضمان البصرة عشر معشار ذلك .

والرابع إصغاؤه – والعياذ بالله – إلى قول من لا ينصحه ويغويه ولا يرشده ويتقرب إليه بمتابعة هواه ، وهذا ما لا يخفى عن لمة النافث ، ولا يحتاج في الإعراض عنه إلى باعث ، فقديماً قيل : صديقك من نهاك وعدوك من أغراك . والله تعالى يوفقه لتحقيقه النظر

في هـــذه الأقسام الأربعة ، التي أحذّرها له ، وأحذره منهـا ، وييسره لليسرى .

وبعد ذلك فأنا أنصفه من نفسي وأقول الحق : إن نفساً رباهـــا خليفة الله في أرضه – صلوات الله عليه وسلامه – بإنعامــه ، وأعلى همتها باختصاصه وشرفها بنسب عبوديته لا تحتمل الهوان ولا تقر على الإبتذال ، فغالبُ ظني أن نفوره بسعادته إنما هو من ديوان الزمام المعمور . والآن فأنا وهو بسعادته عبدان ، ولكني أنفرد عنــه بالسن والتجريب ، وطريقتي هو بسعادته يعرفها ، وأنني لا أدخر عن أحد نصحاً . فالصواب أن يقبل قولي ويتحقق صحة مقصدي في نصيحته ومقصده فإني أوجب ذلك له على نفسي ، وأراه من واجبات خدم مالك الرق – صلوات الله عليه وسلامه – أيضاً .

وقد علم الله تعالى إني قد أوضحت من عذره وأحسنت المناب عنه بسعادته ما لو حضره وتولاه بنفسه لمـا زاد عليه ، ورأيتُ الإنعام يستغني عن كل شرط ولا يحتاج إليه . وتقررت قاعدته بسعادته أن لا يكون له مــع ديوان الزمام المعمور حديث . ولا مع غيره ممــن لا يعرف حقه من الاحترام واجبه . فإن أمر أن أتولى وساطته فأنا أعتمد ذلك في مراضيه وتمشية أمره أكثر مما في نفسه ، وإن اختار بسعادته أن يكون غيري وسيطه وسفيره فيعين من يختاره : ليكون حديثه معه . وقد أسلفتُ من وظائف إحسان المناب أنني تنجزت له بسعادته أماناً متوجاً بالقلم الاشرف المقدس ، على نفسه الكريمة وماله وأولاده – والأمان المذكور طي كتابي هذا – مقروناً بخاتم أمانٍ ثانٍ ، فيجب أن يكون هو بسعادته جواب ذلك ، إذ لا يجوز أن يكون الجواب إلا هو نفسه الكريمة ، فلا يشعر بــه أحد إلا وهو

مقابل التاج الشريف ، ملقياً نفسه بين يدي مالكها الذي هو أرحم لها وألطف بها وأشفق عليها منها . تالياً ما حكاه القرآن المجيد عن يونس عليه السلام : إذ نادى وهو مكظوم سبحانك إني كنت من الظالمين ، فإنه يرى – بمشيئة الله تعالى وتوفيقه – كل ما يحب ، ويأمن كل ما يحذر . وأنا أستسرع وصوله عن استعراض مهماته ، ولرأيه كرمه ، إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي جـ ٨ ٢٦٩ – ٢٧٤

١٠٩ – تقليد أصدره الناصر العباسي للقاضي محي الدين محمد ابن فضلان بتعيينه مدرساً في المدرسة النظامية في بغداد سنة ٦١٤ هـ .

أحق من أفيضت عليه مجاسد [1] النعم ، وجذب بضبعه إلى مقام التنويه وتقدم القدم ، من اسفر في أقضية الفضائل صباحه وانتشر في العالم علمه وازهر مصباحه .

ولما كان الأجل الأوحد العالم محيي الدين حجة الإسلام رئيس الأصحاب مفتي الطريقين مفيد العلوم أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان ، أدام الله رفعته ، ممن نظم فرائد المحامد عقده النضيد ، وآوى من العلم والعمل إلى ركن شديد ، وثبتت قدمه من الديانة على مستثبت راسخ وقرار مهيد ، رؤي التعويل في تفويض التدريس بالمدرسة النظامية إليه ، ثقة باضطلاعه واستقلاله وتبريزه في حلبات الإستباق على نظرائه وأمثاله ، وتراجع المساجلين له عن فوت غايته وبعد مناله ، وأسنيد إليه – أدام الله رفعته – النظر في أوقاف المدرسة المذكورة

(١) مجاسد جمع مجسد وهي الثياب التي تلي الجسد، وقد تكون الثياب المصبوغة بالجسد وهو الزعفران .

بأجمعها ، واعتماد ماشرطه الواقف في مصارفها وسبلهـــا ، سكوناً إلى كفايته وركوناً إلى سداده وأمانته .

ورسم له تقديم تقوى الله تعالى التي مازال منتهجاً لطرائقهـــا ، متمسكاً بعصمها ووثائقها ، وأن يشرح صدره المتعلمين ، ولا تأخذه ضجرة من المستفيدين ، ولا تعدو عيناه عن جهـــلاء الطالبين ، ولا يتبرم بالمبالغة في تفهيم المبتدي ، ولا يغفل عن تذكير المنتهي ، فإنه إذا احتمل هذه المشقة وأعطى كل تلميذ حقه كان الله تعالى كفيـــلاً بمعونته بحسب مايعلم من حرصه عليهم وإخلاص نيته ، وليكن بسائر المتفقهة معتنياً رفيقاً ، وعليهم حدباً شفيقاً ، يفرّعُ لهم من الفقـــه ماوضح وتسهل ، ويبين لهم ما التبس من غوامضه وأشكل حتى تستنير قلوبهم بأضواء علوم الدين ، وتنطق ألسنتهم فيها باللفظ الفصيح المبين وتظهر آثار بركاته في مراشده وتبين ، ولتتوفر همته في عمارة الوقوف واستنمائها ، والتوفر على كل ماعاد بتزايدها وزكائها ، بحيث يتضح مكان نظره فيها ويبلغ الغاية الموفية على من تقدمه ويوفيها ، ولا يستعين إلا بمن يؤدي الأمانة ويوفّيها ، ويقوم بشرائط الإستحفاظ ويكفيها . وهو ـ أدام الله رفعته ـ يجري من عوائـــد المدرسين والمتولين قبله على أوفى معهود ، ويسامي به إلى أبعد مرتقى ومقام محمود . وأذن له في تناول إيجاب التدريس ونظر الوقوف المذكورة ، أسوة من تقدمه في التـــدريس والنظر في الوقوف ، على ماشرط الواقف في كل ورد وصدر ، واعتماد كل ماحده في ذلك ومثّله من غير تجاوز .

صبح الأعشى للقلقشندي ج١٠ ، ٢٩٢ – ٢٩٣

١١٠ – رسالة شريف مكة قتادة بن إدريس العلوي الجوابية إلى الناصر لدين الله العباسي عن رسالة أرسلها له الناصر يعتب عليه عدم تلبيته طلب أمير الحاج العراقي أن يحضر عنده . وهي شعر :

ولي كف ضرغام أدل ببطشها وأشري بها بين الورى وأبيع
تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها وفي وسطها للمجدبين ربيع
أأتركها تحت الرحا ثم أبتغي خلاصاً لها ؟ إني إذاً لرقيع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة يضوع وأما عندكم فيضيع

مفرج الكروب لابن واصل ج٤ – ١٢٢

١١١ – مرسوم الناصر العباسي بتنظيم الفتوة سنة ٦٠٤ هـ .

حصلت فتنة في بغداد بين الفتيان ، وكان الناصر مهتماً بالفتوة كل الإهتمام ، ووصل الخبر إليه فغضب وقرر تنظيم الفتوة بشكل لايعود معها الفتيان للشغب ، فأنشأ محمد بن محمد القمي مرسوماً بذلك وجمع الفتيان وقرأه عليهم ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من المعلوم الذي لايُتمارى في صحته ولا يرتاب في براهينه وأدلته أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – هو أصل الفتوة ومنبعها ومنجم أوصافها الشريفة ومطلعها ، وعنه تروى محاسنها وآدابها ، ومنه تشعبت قبائلها وأحزابها ، وإليه دون غيره تنتسب الفتيان ، وعلى منوال مؤاخاته النبوية الشريفة نسج الرفقاء والإخوان ؛ وإن كان – عليه السلام – مع كمال فتوته ووفور رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها ويستوفيها من أصناف الحسبات [١] على تباين جناياتها ومللها ونحلها ومذاهبها ، غير مقصر عما

(١) يقول الأب أنستاس كرملي أن الحسبات جمع حسبة وهي الطبقة المحسوبة من الناس .

أمر به الشرع المطهر وقرره ، ولا مراقب فيما رتّبه من الحدود وقرره إمتثالاً لأمر الله تعالى في إقامة حدوده وحفظاً لمناظم الشرع وتقويم عموده ؛ فإنه ، عليه السلام ، فعــل ذلك بمرأى من السلف الصالح ومسمع ومشهد من أخيار الصحابة ومجمع ، فلم يسمع أن أحداً من الأمة لامه ولا طعن عليه طاعن في حدّ أقامه . وحقيق بمن أورثــه الله مقامه وناط به شرائع الإسلام وأحكامه وانتمى إليه عليــه السلام في فتوته واقتفى شريف شيمه وكريم سجيته أن يقتدي به عليــه السلام في أفعاله ، ويحتذي في ما استرعاه الله تعالى واضح مثاله ، غير ملوم في ماياًتيه من ذلك ولا معارض فتوة ولا شرعاً فيما يورده ويصدره .

وقد رسم ـ أعلى الله المراسم العلية المقدسة النبوية الإمامية وزادها نفاذاً معضوداً بالصواب ، وتأييداً ممتد الأطناب محكم الأسباب على كل من تشرف بالفتوة برفاقة الخدمة الشريفة المقدسة المعظمة الممجدة المكرمة الطاهرة الزكية النبوية الامامية الناصرة لدين الله تعالى شرف الله مقامها وخلد أيامها وأعلى كلمتها ونصر رايتها ـ أنه من قتل له رفيـــق نفساً نهى الله تعالى عن قتلها وحرمه ، وسفك دمـــاً حقنه الشرع المطهر وعصمه ، وصار بذلك مما قال الله تعالى في حقه حيث ارتكب هذا الجرم واحتقب عظيم هذا المأثم : ﴿ومن يقتل مؤمنـــاً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها...﴾[1] الآية ، أن ينزل عنه في الحال في جمــع الفتيان عند تحققه لذلك ومعرفته ويبادر إلى تغيير رفقته مخرجاً له بذلك عن دائرة الفتوة التي كان متسماً بها ، مسقطاً لها من عداد الرفاقة التي لم يقم بواجبها : ﴿ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عـــذاب

(١) سورة النساء : الآية ٩٣ .

عظيم . وإن كل فـــتى يحوي قاتلاً ويخفيه ويساعده على أمره ويؤويه ينزل كبيره عنه ويغير رفاقته ويتبرأ منـــه ، وإن من حوى ذا عيب فقد عاب وغوى ، ومن آوى طريد الشرع فقد ضل وهوى . والنبي عليه السلام يقول : من آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والنـــاس أجمعين ، لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . ولا حدث أكبر من قتل النفس عدواناً وظلماً ، ولا ذنب أعظم منه وزراً وإثماً ؛ فإن الفتى متى قتل فتى من حزبه سقطت فتوته ووجب أن يؤخذ منه القصاص عملاً بقوله : وكتبنا عليهم أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص[1] . وإن من قتل غير فتى عوناً من الأعوان أو متعلقاً بديوان في بلد سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين فقد عيب هذا القاتل في حرم صاحب الحزب بالقتل ، فكأنمـا عيب على كبيره فسقطت فتوته بهذا السبب الواضح ووجب أخذ القصاص منه عنـد كل فتى راجح . وليعلم الرفقة الميمونة ذلك وليعملوا بموجبه وليجروا الأمر في أمثال ذلك على مقتضى المأمور به ، وليقفوا عند المحدود في هذا المرسوم المطاع وليقابلوه بالانقياد والإتباع ـ إن شاء الله تعالى ـ وكتب في تاسع صفر سنة أربع وستمائة .

وسلم إلى كل واحد من رؤساء الأحزاب منشور بهذا المثال فيـــه شهادة ثلاثين من العـــدول ، ثم كتب تحت كل مرسوم ومنشور ما هذا صورته :

قابل العبد ماتضمنه هذا المرسوم المطاع ، وقابله بما يجب عليه من

---

(1) سورة المائدة : الآية ٤٥ .

الإنقياد والاتباع والامتثال ، وهو الذي يجب العمل به فتوة وشرعاً . وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلاً . وقد ألزمت نفسي إجراء الأمر على ماتضمنه هذا المرسوم الأشرف ، فمتى جرى ماينافي المأمور به المحدود فيه كان الدرك لازماً لي ، والمؤاخذة مستحقة على مايراه صاحب الحزب ـ ثبت الله دولته وأعلى كلمته . وكتب فلان بن فلان في تاريخه .

الجامع المختصر لابن الساعي ص ٢٢٣ - ٢٢٦

شؤون الخراج والضرائب والمال

١١٢ - مرسوم المعتضد إلى جميع ولاة وعمال مملكته بتأخير افتتاح الخراج وجعله يفتتح في حزيران من كل عام .

لاحظ المعتضد أن افتتاح الخراج في النوروز الفارسي أدى إلى افتتاحه في الربيع نظراً لقصر السنة الفارسية عن الشمسية ، فأمر بافتتاح الخراج بالحادي عشر من حزيران بالرومي من كل سنة ، ويسمى هذا بالنوروز المعتضدي . وإليك صورة المرسوم :

أما بعد : فإن الله لما خول أمير المؤمنين المحل الذي أحله بـه من أمور عباده وبلاده ، ورأى أن من حق الله عليه أن لا يكلفهـا إلا ما به العدل والإنصاف لهـا والسيرة القاصدة ، وأن يتولى لهـا صلاح أمورها ويستقرى السير والمعاملات التي كانت تعامل بها ويقر منها ما أوجب الحق إقراره ، ويزيل ما أوجب إزالته غير مستكثر لهـا كثير ما يسقطه العدل ولا يستقل لها قليل ما يلزمه إياهـا الجور .

وقد وفق الله أمير المؤمنين لما يرجو أن يكون لحق الله فيها قاضياً ولنصيبها من العدل موازياً . وبالله يستعين أمير المؤمنين على حفظ ما استرعاه منها وحياطة ما قلده من أمورها وهو خير موفق ومعين، وإن أبا القاسم عبيد الله رفع إلى أمير المؤمنين ، فيما أمر أمير المؤمنين به من رد النوروز الذي يفتتح به الخراج بالعراق والمشرق وما يتصل بهما ويجري مجراهما من الوقت الذي صار فيه من الزمان إلى الوقت الذي كان عليه متقدماً مع ما أمر به في مستقبل السنين من الكبس حتى يصير العدل عاماً في الزمان كله ، باقياً على غابر الدهر ومر الأيام ، مؤامرة أمير المؤمنين فأمر بتسجيلها إليك في آخر كتابه مع ما وقع به فيها لتمثيله ، فافعل ذلك إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة من ذي الحجة سنة إحدى وثمانين ومائتين .

ـ نسخة المؤامرة ـ

أنهيت إلى أمير المؤمنين أن مما أنعم الله به على رعيته ورزقها إياه من رأفته وحسن نظره وإقامته عليها من عدله وانصافه ورفعه عنها في خلافته من الظلم الشامل ما كان الأقصى والأدنى والصغير والكبير والمسلم والذمي فيه سواء ، ما حررته من نقل كتب الخراج عن السنة التي كانت تنسب إليها من سني الهجرة إلى السنة التي فيها تدرك الغلات ويستخرج المال ، وان ذلك ما كان بعض أهل الجهل حاوله وبعض المتغلبين استعمله من تثبيت الخراج على أهله ومطالبتهم به قبل وقت الزراعة واعيائهم بذكر سنة من السنتين ينسب الخراج لإحداهما

وتدرك الغلات ويقع الإستخراج في الأخرى منها في حساب شهور الفرس التي عليها يجري العمل في الخراج بالسواد وما يليه والأهواز وفارس والجبل وما يتصل به من جميع نواحي المشرق وما يضاف إليه ، إذ كان عمل الشام والجزيرة والموصل جرى على حساب شهور الروم الموافقة للأزمنة ، فليست تختلف أوقاتها مع الكبيسة المستعملة فيها ، والعمل في خراج مصر وما والاها على شهور القبط الموافقة لشهور الروم ، وكانت من شهور فارس قد خالفت مواقفها من الزمان بما ترك من الكبس منذ أزال الله ملك فارس وفتح المسلمين بلادهم ، فصار النوروز الذي كان الخراج يفتتح فيه بالعراق والمشرق قد تقدم من ترك الكبس شهرين وصارا بينه وبين إدراك الغلة ، فأمر أمير المؤمنين بما جبل الله عليه رأيه في التوصل إلى كل ما عاد بصلاح رعيته وحسماً للأسباب المؤدية إلى اعيائها بتأخير النوروز الذي يقع في شهور سنة اثنتين وثمانين ومائتين من سني الهجرة عن الوقت الذي يتفق فيه أيام سنة الفرس وهو يوم الجمعة لإحدى عشرة تخلو من صفر مثل عدد أيام الشهرين من شهور الفرس التي ترك كبسها وهي ستون يوماً حتى يكون نوروز السنة واقعاً يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثمانين ومائتين ، وهو الحادي عشر من حزيران ، وهو يتصل بها ويجري مجراها وينسب ويضاف إليها وبسائر أعمالهم وبما يعمله أصحاب الحساب من التقويمات وجميع الأعمال وما يعده الفرس من شهورهم إلى شهوره الكبيسة الأول والآخر ، ثم يكبس بعد ذلك في كل أربع سنين من سني الفرس ولا يقع تفاوت بينه وبينها على مرور الأيام . وليكن أبداً واقعاً في حزيران وغير خارج عنه ، وان يلغى ذكر كل سنة من أربع سنين تنسب إلى

الخراج بالعراق وفي المشرق والمغرب وسائر النواحي والآفاق إذ كان مقدار سني أيام الهجرة والسنة الجامعة للأزمنة التي تتكامل فيها الغلات وأن يخرج التوقيع بذلك لتنشأ الكتب بــه من ديوان الرسائل إلى ولاة المعاون والأحكام وتقـرأ على المنابر ويحمل أصحاب المعاون الرعية عليه ، وتأخذها بامتثال ما أمر بــه أمير المؤمنين وسنة الحكام في ديوان حكمهم لتمثيل الضمان والمقاطعين ذلك على حسبه . واستطلع رأي أمير المؤمنين في ذلك فرأي أمير المؤمنين في ذلك موفق إن شاء الله تعالى . وتكتب نسخة التوقيع بتنفيذ ذلك إن شاء الله تعالى وكتب في شهر ذي الحجة لسنة إحدى وثمانين ومائتين (١) .

الخطط المقريزي ج ٢ ، ٢١ – ٢٢

١١٣ – وثيقة سجلها أحد كتاب الدواوين وفيها بيان لواردات الدولة العباسية ونفقاتها طول مدة خلافة المقتدر أي أنها سجل رسمي لموازنة الدولة العباسية خلال تلك الفترة :

بسم الله الرحمن الرحيم .

الذي كان في بيت مال الخاصة لما تقلد المقتدر الخلافة أربعة عشر ألف ألف دينار . وافتتح أبو الحسن ابن الفرات أعمال فارس وكرمان سنة مائتين وتسع وتسعين فارتفع من مــال الخراج والضياع العامة والمعروف بالامراء في كل سنة : ثلاثة وعشرون ألف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم . منها من مال فارس : ثمانيــة عشر ألف ألف درهم .

---

(١) أورد القلقشندي في صبــح الأعشى ج ١٣ ، ٦٣–٦٥ نص مرسوم المعتضد المذكور أعلاه .

ومن مال كرمان خمسة آلاف ألف درهم يكون ذلك في مدة إحدى وعشرين سنة آخرها سنة ثلثمائة وعشرين الخراجية بعد وضع ثمانمائة ألف درهم كانت تنكسر من مـــال البقايا أربعمائة ألف ألف درهم وثلاثة وثمانين ألف ألف درهم . وإذا وضع من ذلك مـا كان يحمله من يتغلب على فارس وكرمان إلى بيت مال العامة بالحضرة وهو نحو أربعة آلاف ألف في السنة ومبلغه في هذه السنين : ثلاثة وثمانـــين ألف ألف درهم كان الباقي بعـد ذلك أربعمائة ألف ألف درهم قيمتها ثمانية وعشرون ألف ألف دينار .

ومن أموال مصر والشام في هذه السنين زيادة على مـا كان يحمل منها في أيام المعتضد ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف دينار ، وأخـــذ المقتـدر من أموال علي بن محمـد بن الفرات في مصادرته ومصادرات كتابه وأسبابه أربعة آلاف ألف وأربعمائة ألف دينار ، منها في الدفعة الأولى : ألفي ألف وثلاثمائة ألف دينار ، وفي الدفعة الثانية ألف ألف ومائة ألف دينار ، وفي الثالثة ، مع ما أخذ من زوجة المحسن دولة تسعمائة ألف دينار . وما حصل من ارتفاع ضياع ابن الفرات الملك سوى الإقطاع والإيغار في مدة سبع عشرة سنة ، مع ما انصرف في ذلك من المبيع والمقطع والموغر للحاشية حساباً في السنة : مائتي وخمسين ألف دينار ، أربعة آلاف ألف ومائتي وخمسون ألف دينار .

وما صح مما أخذ لأبي عبد الله الجصاص الجوهري دون ما كان يذكره وهو يتكثر به من العين : ألفي ألف دينار . وما حصل من ضياع العباس بن الحسن بعـد قتله في مدة أربع وعشرين سنة حساباً في السنة : مائة وعشرين ألف دينار : ألفي ألف وثمانمائة ألف دينار .

وما أخذ من أموال حامد بن العباس وأسبابه ومع مايرتفع من ضياعه إلى أن ردت على ولده ألفي ألف ومائتي ألف دينار .

وما أخذ من أموال الحسين بن أحمد ومحمد بن علي الماردائيين في أيام وزارة أبي علي الخاقاني ووزارات ابن الفرات الثلاث وأيام أبي القاسم الخاقاني وأبي العباس الخصيبي وأبي الحسن علي بن عيسى الثانية وأبي علي ابن مقلة : ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار .

وما أخذ من أموال علي بن عيسى وابن الحواري وسائر الكتاب ووجوه العمال المصادرين ألفي ألف دينار .

وما أخذ من تركة الراسبي : خمسمائة ألف دينار .

وما أخذ من تركة إبراهيم السمعي : ثلاثمائة ألف دينار .

وما حصل من ثمن المبيع في أيام الوزراء وازداده الفضل بن جعفر ثلاثة آلاف ألف دينار .

وما حصل من أموال أم موسى وأخيها وأختها وأسبابها ألفي ألف دينار .

فصار الجميع من العين : ثمانية وستين ألف ألف وأربعمائة وثلاثين ألف دينار . وضع من ذلك لارتفاع ماخرج عن المبيع من سنة ٣١٧ إلى آخر سنة ٣٢٠ هـ حساباً في السنة على التقريب تسعمائة ألف دينار ، ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف دينار .

الباقي بعد ذلك مما حصل في خزانة المقتدر زائداً على ما كان يحمل إلى بيت مال الخاصة في أيام المعتضد والمكتفي من أموال الضياع والخراج بالسواد والاهواز والمشرق والمغرب أربعة وستين ألف الف وثمانمائة وثلاثين الف دينار . وقد كان كل واحد من المعتضد والمكتفي يستفضل في كل سنة من سني خلافته من أموال النواحي بعد الذي يصرف في

اعطيات الرجال والغلمان والخدم والحشم وجميع النفقات الحادثة ماكان يحصله في بيت مال الخاصة : الف الف دينار .

وكان سبيل المقتدر أن استفضل مثلها فيكرن مبلغه في خمس وعشرين سنة خمسة وعشرين ألف ألف دينار فيكون جملة مايجب ان يحضر في بيت مال الخاصة للمقتدر بالله في هذه السنين إلى آخر سنة عشرين : تسعة وثمانين ألف ألف دينار وثمانمائة ألف وثلاثين ألف دينار ، خرج من ذلك ما لا يجري مجرى التبذير وهو ما أطلق في البيعة ثلاث دفعات ، وما أنفق على فتح فارس وكرمان : بضعة عشرة ألف ألف دينـــار وبقي بعد ذلك مابذر وأتلف نيف وسبعون ألف ألف دينار .

تجارب الأمم لابن مسكويه جـ ١ ، ٢٣٨ – ٢٤١

١١٤ – كتاب عن المقتـدر باسقاط المواريث من إصدار ابن الفرات الوزير .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن أمير المؤمنين المقتـــدر بالله يؤثر في الأمور كلها ماقربه من الله عز وجل واجتلب له جزيل مثوبته وواسع رحمته وحسنته العائدة على كافة رعيته ، كما جعـل في طبعه وأولج في بيته من التعطف عليهـا وإيصال المنافع إليهـا وإبطال رسوم الجور التي كانت تعامل بها ، جارياً على أحكام الكتاب والسنة عاملاً بالآثار عن الأفاضل من الأئمة . وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين وإليه يفوض وبه يستعين . وأنهى إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله أبو حسن علي بن محمد الوزير مايلحق كثيراً من النـاس من التحامل في مواريثهم وما يتناول على سبيل الظلم من أموالهم ، وإنه قـــد كان شكى إلى المعتضد بالله مثل ذلك فكتب إلى القاضيين يوسف بن يعقوب وعبد الحميد

يسألهما عن العمل في المواريث فكتبا إليه أن عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ومن اتبعهم من الأئمة وعلماء هذه الأمة رحمهم الله رأوا أن يرد على أصحاب السهام من القرابة مايفضل عن السهام المفروضة لهم في كتاب الله عز وجل من المواريث إن لم يكن للمتوفى عصبة يرثون مابقي ، ممتثلين في ذلك كتاب الله عز وجل « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ومحتملين على سنة رسول الله في توريث من لا فرض له في كتاب الله من الخال وابن الأخت والجدة . وإن تقليد العمال أمر المواريث دون القضاة شيء لم يكن إلا في خلافة المعتمد على الله فإنه خلط في ذلك ، فأمر المعتضد بإبطال ما كان الأمر جرى عليه أيام المعتمد في المواريث وترك العمل فيها بما روي عن زيد بن ثابت بأن يرد على ذوي الأرحام ما أوجب الله رده وأولو العلم من الأئمة . فأمر أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يجري الأمر على ذلك ويعمل به . وكتب يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٣١١ هـ .

صلة تاريخ الطبري لعريب القرطبي ٨٠ - ٨١

١١٥ – رسالة أحد عمال الخراج في بادرويا إلى الوزير علي بن عيسى الجراح يستأذنه في ضرب من استحق عليه الخراج ولم يدفعه ، وذلك بعد أن اعتقل عدداً من أمثال هؤلاء وأرسل إلى الوزير يقول :

إن هؤلاء قوم يدلون بالجلد وعليهم أموال وقد ألطوا وصبروا على الحبس والقيد ، ومتى لم تطلق اليد في تقويمهم واستخراج المال منهم كسروه وتأسى بهم اهل السواد فبطل الارتفاع والوزير أعلى عيناً وما يراه .

١١٦ - جواب الوزير علي بن عيسى على الرسالة سالفة الذكر

الخراج - عافاك الله - دين ، وليس يجب فيه غير الملازمة فلا تتعدّ ذلك إلى غيره ، والسلام .

تجارب الأمم لابن مسكويه جـ ١ - ٣١

١١٧ - منشور المطيع لله في تحويل السنة الخراجية من إنشاء أبي إسحاق الصابي .

أما بعد : فإن أمير المؤمنين لا زال مجتهداً في مصالح المسلمين وباعثاً لهم على مراشد الدنيا والدين ومهيئاً لهم أحسن الإختيار فيما يوردون ويصدرون ، وأصوب الرأي فيما يبرمون وينقضون ، فلا يلوح له خـلة داخلة على أمورهم إلا سدها وتلافاها ، ولا حال عائدة بحظ عليهم إلا اعتمدها وأتاها ولا سنة عادلة إلا أخذهم بإقامة رسمها وإمضاء حكمها والإقتداء بالسلف الصالح في العمل بها والإتباع لها . وإذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها وتجهله العامة بقصور أفهامها ، وكانت أوامره فيه خارجة إليك وإلى أمثالـك (١) من أعيان رجاله وأماثل عماله الذين يكتفون بالإشارة ويجتزون بيسير الإبانة والعبارة ، لم يـدع أن يبلغ من تخليص اللفظ وإيضاح المعنى إلى الحد الذي يلحق المتأخر بالمتقدم ويجمع بين العالم والمتعلم ولاسيما إذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات الرعيـــة ، ومن لا يعرف إلا الظواهر الجلية دون البواطن الخفية ولا يسهل عليه الإنتقال عن العادات المتكررة إلى الرسوم المتغيرة ليكون القول بالمشروح لمن برز في المعرفـة مذكراً ، ولمن تأخر فيها مبصراً ،

---

(١) الخطاب هنا موجه من الخليفة الى وزيره .

ولأنه ليس من الحق أن تمنع هذه الطبقة من برد اليقين في صدورها ، ولا أن يقتصر على الصحة الدالة في مخاطبة جمهورها حتى إذا استمرت الأقـــدام بطوائف الناس في فهم ما أمروا به وفيقه ما دعوا إليه وصاروا على حكمه سواء لا يعترضهم شك الشاكين ولا إسترابة المستريبين اطمأنت قلوبهم وانشرحت صدورهم وسقط الخـــلاف بينهم واستمر الاتفاق بهم واستيقنوا أنهم مؤسسون على استقامة من المنهاج ومحروسون من حزائز الزيغ والإعوجـاج ، فكان الإنقياد منهم وهم دارون عالمون لا مقلدون مسلمون وطائعون مختارون لا مكرهون ولا مجبرون . وأمير المؤمنـــين يستمد الله تعالى في جميع أغراضه ومراميه ومطالبه ومغازيه مادة من صنعه يقف بها على سنن الصلاح ويفتح له أبواب النجاح وينهضه لما أهّله لحمله من الأعباء التي لا يدعى الاستقلال بها إلا بتوفيقه ومعونته ، ولا يتوجه فيها إلا بدلالته وهدايته ، وحسب أمـــير المؤمنين الله ونعم الوكيل .

يرى ان أولى الأقوال ان يكون سداداً . وأحرى الأفعال أن يكون رشاداً ماوجد له في السابق من حكم الله أصول وقواعد ، وفي النص من كتابه آيات وشواهد ، وكان منصباً بالأمة إلى قوام من دين أو دنيا ووفاق في آخرة أو أولى . فذلك هو البناء الذي يثبت ويعلو ، والغرس الذي ينبت ويزكو ، والسعي الذي تنجح مباديه وهواديــــه وتبهج عواقبه وتواليه وتستنير سبله لسالكيها وتوردهم موارد السعود في مقاصدهم فيها غير ضالين ولا عادلين ولا منحرفين ولا زائلين . وقـد جعل الله عز وجل لعباده من هذه الأفلاك الدائرة فيما تتقلب عليه من اتصال وافتراق . ويتعاقب عليها من اختلاف واتفاق ومنافع تظهر في كرور الشهور والأعوام ومرور الليالي والأيام وتفـاوت الضياء والظلام

واعتدال المسالك والأوطان وتغاير الفصول والأزمان ، ونشوء النبات والحيوان مما ليس في نظام ذلك خلل ولا في صنعه زلل ، بل هو منوط بعضه ببعض ومحوط من كل ثلمة ونقض . قال الله تعالى : وهو الذي جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلا بالحق [1] . وقال جل من قائل : ألم ترَ أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى ، وأن الله بما تعملون خبير [2] . وقال تعالى : والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم [3] . وقال عزت قدرته : والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم [4] ففصل الله تعالى بهذه الآيات بين الشمس والقمر وأنبأنا في الباهر من حكمه والمعجز من كلامه أن لكل منهما طريقاً سخر فيها وطبيعة جبل عليها ، وأن تلك المباينة والمخالفة في المسير يؤديان إلى موافقة وملازمة في التدبير ، فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وربعاً بالتقريب المعول عليه وهي المدة التي تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة ، ونقصت الهلالية فصارت ثلثمائة وأربعة وخمسين يوما وهي المدة التي يجامع القمر فيها الشمس اثنتي عشرة مرة ، واحتيج إذا انساق هذا الفضل إلى استعمال النقل الذي يطابق إحدى السنتين الأخرى إذا افترقتا ويداني بينهما إذا تفاوتتا ، وما زالت الأمم السالفة تكبس زيادات السنين على افتنان من طرقها ومذاهبها . وفي كتاب

(١) سورة يونس : الآية ٥ .
(٢) سورة لقمان : الآية ٢٩ .
(٣) سورة ياسين : الآية ٣٨ .
(٤) سورة ياسين : الآية ٣٩ .

الله عز وجل شهادة بذلك إذ يقول في قصة أهل الكهف : ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعاً[1] . فكانت هذه الزيادة بأن الفضل من السنين المذكورة على تقريب التقريب . فأمـــا الفرس فإنهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهورهـا اثنا عشر شهراً وأيامها ثلثمائة وستون يوماً ولقبوا الشهور بإثني عشر لقباً وسموا أيام الشهر منها بثلاثين إسماً ، وأفردوا الخمسة الأيام الزائدة وسموها المسترقة وكبسوا الربع في كل مائة وعشرين سنة شهراً ، فلما انقرض ملكهم بطل في كبس هذا الربع تدبيرهم وزال نوروزهم عن سنته وانفرج مابينه وبين حقيقة وقته انفراجاً هو زائـــد لايقف ، ودائر لاينقطع ، حتى أن موضوعهم في النوروز أن يدخل في مدخل الصيف وسينتهي إلى أن يقع في مدخل الشتاء ويتجاوز ذلك ، وموضوعهم في المهرجان أن يقع في مدخـل الشتاء وينتهي إلى أن يقع في مدخل الصيف ويتجاوزه . وأما الروم فكانوا أتقن منهم حكمة وأبعد نظراً في العاقبة لأنهم رتبوا شهور السنة على أرصاد شهروهـا وأنواء عرفوها ، وقضوا الخمسة الأيام على الشهور وساقوها على الدهور وكبسوا الربع كل أربع سنين يوماً ورسموا أن يكون إلى شباط مضافاً فقربوا ما بعُده غيرهم وسهلوا على الناس أن يقتفوا اثرهم . لا جرم أن المعتضد بالله رحمه الله ، على أصولهم بنى ولمثالهم احتذى في تصييره نوروزه الحادي عشر من حزيران حتى سلم مما لحق النواريز في سالف الأزمان وتلافوا الأمر في عجز سني الهلال عن سني الشمس بأن جبروها بالكبس ، فكلما اجتمع فى فصول سني الشمس وما بقي تمام شهر جعلوا السنة هلالية يتفق ذلك فيهـا ثلاثة عشر هلالاً ، فربما تم الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين ، وربما تم في سنتين بحسب

---

(1) سورة الكهف : الآية ٢٥ .

مايوجبه الهلال فتصير سنتا الشمس والهلال عندهم متقاربتين أبداً لايتباعد مابينهما . وأما العرب فإن الله تعالى فضلها على الأمم الماضية وورثها ثمرات مشاقها المتعبة وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها وزكاة أهل ملتهـا وجزية أهل ذمتها على السنة الهلالية وتعبدها فيها برؤية الأهلة إرادة منه أن تكون مناهجها واضحة وأعلامها لائحة فيتكافأ في معرفة الفرض ودخول الوقت الخاص منها والعام ، والناقص الفقه والتام ، والأنثى والذكر ، والصغير والكبير والأكبر فصاروا حينئذ يحسبون في سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة وخراج الأرض الممسوحة ، ويجبون في سنة الهلال الجوالي والصدقات والأرجاء والمقاطعات والمستغلات وسائر مايجري على المشاهرات ؛ وحدث من التداخل بين السنين ما لو استمر لقبح جداً وازداد بعداً ، إذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي ينتهي إليها تنسب إلى الشمسية وإلى ماقبلها ، فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلغى ويتجاوز إلى مابعدها ويتخطى ، ولم يجز لهم أن يعتدوا لمخالفتهم في كبس السنة الهلالية بشهر ثالث عشر ، لأنهم لو فعلوا ذلك لزحزحت الأشهر الحرم عن مواقفها وارتجت المناسك عن حقائقها ، ونقصت الجباية في سني الأهلة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها ، فانتظروا بذلك الفصل إلى أن تتم السنة ، وواجب الحساب المقرب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثاً وثلاثين سنة هلالية ، فنقلوا المتقدمة إلى المتأخرة نقلاً لايتجاوز الشمسية ، وكانت هذه الكلفة في دنياهم مستسهلة مع تلك النعمة في دينهم . وقد رأى أمير المؤمنين نقل سنة خمسين وثلثمائة الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين وثلثمائة الهلالية جمعاً بينهما ولزوماً لتلك السنة فيها . فاعمل بما ورد به أمر أمير المؤمنين عليك وتضمنه كتابه هذا إليك ومر الكتاب قبلك أن يحتذوا

رسمه فيما يكتبون به إلى عمال نواحيك ويخلدونه في الدواوين من ذكورهم ورفوعهم ، ويعدونه من خروج الأموال وينظمونه في الدواوين والأعمال ويثبتون عليه الجماعات والحسبانات ويوعزون بكتبه من الروزنامجات والبراءات ، وليكن المنسوب من ذلك إلى سنة خمسين وثلثمائة التي وقع النقل إليها ، وأقم في نفوس من بحضرتك من أصناف الجند والرعية وأهل الملة والذمة إن هذا النقل لا يغير لهم رسماً ولا يلحق بهم ثلماً ولا يعود على قابضي العطاء بنقصان ما استحقوا قبضه ، ولا على مؤدي حق بيت المال بإغضاء عما وجب أداؤه ، فإن قرائح أكثرهم فقيرة إلى إفهام أمير المؤمنين الذي آثر أن تزاح فيه العلة ويسد به سهم الخلة ، إذ كان هذا الشأن لا يتجدد إلا في المدد الطوال التي في مثلها يحتاج إلى تعريف الناس . وأجب بما يكون منك جواباً يحسن وقعه إن شاء الله تعالى (١) .

الخطط للمقريزي ج٢ ، ٢٨ - ٣١

ـ الثورات والثوار ـ

١١٨ – رسالة من علي بن الحسين والي فارس من قبل المعتز بالله إلى يعقوب الصفار لما زحف نحو فارس يريد احتلالها .

إن كنت تطلب كرمان فقد خلفتها وراءك ، وإن كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين لتسليم العمل لأنصرف .

---

(١) أورد القلقشندي في صبح الأعشى ج١٣ ، ٦٥-٧٠ نصاً مشابهاً لنصنا ولكن نص المقريزى أكمل .

فأجابه الصفار بجواب لم يقنع به علي بن الحسين وترددت الرسل بين الطرفين وأخيراً أرسل يعقوب الصفار إلى علي بن الحسين الكتاب التالي :

١١٩ – فهمت كتابك وذكرك أن ورودي هذا البلد العظيم خطأ بغير إذن أمير المؤمنين ، فإني لست ممن تطمع نفسه في محاولة ظلم ولا ممن يمكنه ذلك ، وقد أسقطت عنك مؤونة الاهتمام في هذا الباب :

فإن البلد لأمير المؤمنين ونحن عبيده نتصرف بأمره في أرضه وسلطانه وفي طاعة الله وطاعته ، وقد استمعت من رسولك ورجعت إليه في جواب ما حملته وأدائه ما يورده عليك مما رجوت لنا ولك فيه صلاحاً ، فإن استعملته ففيه السلامة إن شاء الله تعالى ، وإن أبيت فإن قدر الله تعالى نافذ لا محيص عنه ونحن نعتصم بالله من الهلكة ونعوذ به من دواعي البغي ومصارع الخذلان ، ونرغب إليه في السلامة في ديننا ودنيانا بلطفه . مد الله في عمرك . وكتب يوم الاثنين لليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين ومائتين .

وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٥ ، ٤٤٩ – ٤٥١

١٢٠ – مقتطفات من منشور أذاعه المعتمد بالنصر على يعقوب الصفار .

نشبت معركة كبرى بين جيش المعتمد وبين يعقوب الصفار هُزِم على أثرها الصفار وولى مجروحاً مهزوماً وتخلص من أسره محمد بن طاهر ، وأصدر المعتمد منشوراً قرىء على الناس ، وفيما يلي بعض ما جاء فيه :

ولم يزل الملعون المارق المسمى يعقوب بن الليث الصفار ينتحل الطاعة حتى أحدث الأحداث المنكرة من مصيره إلى صاحب خراسان وغلبته إياه عليها ، وتقلده الصلاة والأحداث فيها ومصيره إلى فارس مرة بعد مرة واستيلائه على أموالها ، وإقباله إلى باب أمير المؤمنين مظهراً المسألة في أمور أجابه أمير المؤمنين فيها ما لم يكن يستحقه إستصلاحاً له ودفعاً بالتي هي أحسن ، فولاه خراسان والري وفارس وقزوين وزنجان والشرطة بمدينة السلام ، وأمر بتكنيته في كتبه وأقطعه الضياع النفيسة ، فما زاده ذلك إلا طغياناً وبغياً ، فأمره بالرجوع فأبى ، فنهض أمير المؤمنين لدفع الملعون حين توسط الطريق بين مدينة السلام وواسط ، وأظهر يعقوب أعلاماً على بعضها الصلبان ، فقدم أمير المؤمنين أخاه أبا أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين في القلب ومعه أبو عمران موسى بن بغا في الميمنة ، في الجناح اليميني إبراهيم بن سيا وفي الميسرة أبو هاشم مسرور البلخي ، وفي جناح الميسرة الديراني ؛ فتسرع وأشياعه في المحاربة فحاربه حتى أثخن بالجراح وحتى انتزع أبو عبد الله محمد بن طاهر سالماً من بين أيديهم وولوا منهزمين مجروحين مسلوبين ، وسلم الملعون كل ما حواه ملكه . كتاباً مؤرخاً بيوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من رجب [1] .

تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٨ ـ ٢٣

---

(١) ذكر ابن الجوزي في المنتظم جـ ٥ ـ ٣٣ نصاً أقل تفصيلاً من نصنا هذا .

١٤١ — نص مقدمة الخطبة التي كان يخطب بها صاحب الزنج لما أعلن ثورته زمن المهتدي .

ثار صاحب الزنـج وكان يرى رأي الخوارج وكان يقول في أول كل خطبة من خطبه ما يلي :

الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، لا حكم إلا لله .

مروج الذهب للمسعودي جـ ٤ – ١٩٥ .

١٢٢ — رسالة صاحب الزنج إلى أحد قواده علي بن أبان في التحالف مع شخص اسمه محمد بن عبيد الله .

أوقع أحــــد قواد صاحب الزنج واسمه علي بن أبان بأحد قواد الأكراد واسمه محمد بن عبيد الله وأسره حتى اضطره لفدي نفسه بالمال وبعد فترة طلب علي بن أبان من صاحب الزنج أن يسمح له بالتحالف مع محمد بن عبيد الله للقضاء على فئة كردية مارقة تهــــدد الطرفين ، فكتب اليه صاحب الزنج بما يلي :

وجه الخليل بن أبان وبهبوذ بن عبد الوهاب وأقم أنت ، ولا تنفذ جيشك حتى تتوثق من محمد بن عبيد الله برهائن تكون في يدك منه تأمن بها من غدره ، فقد وترته وهو غير مأمون على الطلب بثأره .

١٢٣ — رســــالة أخرى من صاحب الزنج لعلي بن أبان عن نفس الموضوع .

كاتب علي بن أبان محمد بن عبيد الله وتحالف معه ولكنه لم يأخذ رهائن منه وهاجم مع حليفه الأكراد ، ولكن محمد بن عبيد الله تخلى

عنه في الحرب وهُزم علي بن أبان وكتب إلى صاحب الزنج يخـبره بما تم فأرسل إليه يعنفه ويقول :

قد كنت تقدمت إليك ألا تركن إلى محمد بن عبيد الله وأن تجعل الوثيقة بينك وبينه الرهـائن فتركت أمري واتبعت هواك فذاك الذي أرداك وأردى جيشك .

١٢٤ - رسالة تهديد من صاحب الزنج إلى محمد بن عبيد الله بعد الذي حدث .

إنه لم يخف علي تدبيرك على جيش علي بن أبان ولن تعدم الجزاء على ما كان منك .

تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٨ - ٥٢

١٢٥ - رسـالة جوابية من هارون الشاري الخارجي إلى نصر القشوري قائد جيش الخليفة المعتضد .

ثار هارون الشاري في شمال الموصل فأرسل له المعتضد جيشاً بقيادة نصر القشوري واقتتل الطرفان ولم تكن المعارك حاسمة ، وصدف أن قتل جند الخليفة شخصاً من أعيان أصحاب هارون اسمه جعفر فعظم ذلك على هارون الشاري فأمر أتباعه بالعيث فساداً في الأقليم . فأرسل نصر إلى هارون رسالة يتهدده بقرب وصول الخليفـــة إليه بنفسه فأجابه بقوله :

أما ما ذكرت من أراد قصدي ورجع عني ، فإنهم لما رأوا جدنا واجتهادنا كانوا بإذن الله فراشاً متتابعاً وقصباً أجوف ، ومن صبر لنا منهم ما زاد على الإستتار بالحيطـان ونحن على فرسخ منهم . وما غرك

إلا ما أصبت به صاحبنا فظننت أن دمه مطلول ، أو أن وتره متروك لك ؛ كلا إن الله تعالى من ورائك وآخذ بناصيتك ومعين على إدراك الحق منك ؛ ولِمَ تعيرنا بغيرك وتدع أن يكون مكان ذلك إبــداء صفحتك وإظهار عداوتك ؟ وإنا وإياك كما قيل :

فلا توعدونا باللقاء وابرزوا إلينا سواداً نلقه بسواد

ولعمر الله ما ندعو إلى البراز ثقة بأنفسنا ولا عن ظن أن الحول والقوة لنا ، ولكن ثقة بربنا واعتماداً على جميل عوائده عندنا .

وأما ما ذكرت من أمر سلطانك ، فإن سلطانك لا يزال منــا قريباً وبحالنا عالماً ، فلا قدم أجـلاً ولا أخره ، ولا بسط رزقاً ولا قبضه ، قد بعثنا على مقابلتك ، وستعلم عن قريب إن شاء الله تعالى .

وقد اطلع المعتضد على هذه الرسالة وحارب هاروناً الشاري وهزمه ثم قتل فيما بعد .

الكامل لابن الأثير جـ ٧ ، ٤٧٠ – ٤٧١

١٢٦ – رسالة من المعتضـــد إلى نجاح الخادم أحد قواد جيشه يخبره بظفره في إحدى المعارك ضد الأعراب والأكراد .

بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي هذا وقت العتمة ليلة الجمعة ، وقد نصر الله وله الحمد على الأكراد والأعراب وأظفرنا بعالم منهم وبعيالاتهم ولقـد رأيتنا ونحن نسوق البقر والغنم كما كنا نسوقها عاماً أولاً ، ولم تزل الأسنة والسيوف تأخذهم ، وحال بيننا وبينهم الليـل . وأوقدت النيران على رؤوس الجبال ، ومن غد يومنا فيقع الإستقصاء ، وعسكري يتبعني إلى الكرخ . وكان وقاعنا بهم وقتلنا إياهم خمسين ميلاً فلم يبق منهم مخبر والحمد لله كثيراً ، فقد وجب الشكر لله علينا والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم كثيراً .

تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٨ ، ١٦٨ – ١٦٩

١٢٧ – رسالة المقتدر إلى أحمد بن نصر القشوري يأمره باعتقال الأخوة البريديين الثلاثة في الأهواز سنة ٣١٨ هـ .

ولي أحمد بن نصر أعمال المعاون في الأهواز وكان بينه وبين المقتدر وحشة يحب أن يزيلها . وكان المقتدر يستوحش من البريديين الأخوة الثلاثة في الأهواز وهم أبو عبد الله وأبو يوسف وأبو الحسين فأراد اعتقالهم فأرسل المقتدر سراً إلى أحمد بن نصر رسالة يقول له فيها :

يا أحمد : قد عرفتَ ذنبك الذي جنيته وحرمت به نفسك رأيي ، وقد تيسر لك تلافيه بامتثال أمري فيما أضمنه توقيعي هذا : اقبض على البريديين الثلاثة وحصلهم في دارك ، وإياك أن تفرج عنهم إلا بتوقيع يرد عليك بخط كهذا الخط الذي في هذا التوقيع ، وثق مني بالعود الك إذا فعلت ذلك إلى ما يرفع منك ويصلح حالك ويعيد منزلتك .

وقد تم الأمر كما رسم المقتدر واعتقل الثلاثة وأرسلوا إليه .

تجارب الأمم لابن مسكويه جـ ١ ، ٢٠٥ – ٢٠٦

١٢٨ – رسالة إلى ياقوت أحد قواد الراضي بالله من البريدي المستبد بالأهواز .

كان ياقوت من أصحاب القوة في الدولة وأحسن إلى البريدي وسلمه الأهواز فاستبد بها ، وقد صدف أن بعض جند ياقوت شغب ضده فأرسلهم إلى البريدي الذي استمالهم حتى انضموا إليه وبقي ياقوت في شرذمة قليلة ثم اضطر أن يلجأ إلى عسكر مكرم ، وأراد البريدي أن يتخلص منه نهائياً فأرسل إليه يقول :

إن العسكر الذين شغبوا قد اجتهدت في إصلاحهم وعجزت عن ذلك ولست آمنهم أن يقصدوك ، وبين عسكر مكرم والأهواز ثمانية فراسخ . والرأي أن تتأخر إلى تستر لتبعد عنهم ، وهي حصينة .

١٢٩ – رسالة ثانية من البريدي إلى ياقوت .

استقر ياقوت في تستر ولكن البريدي خاف من جنده المقيمين معه أن يشغبوا ضده فأرسل إليه يقول :

إن كتاب الخليفة ورد عليّ يأمرني أن لا أتركك تقيم بهذه البلاد ، وما يمكنني مخالفة السلطان ، وقد أمرني أن أخيرك إما أن تمضي إلى حضرته في خمسة عشر غلاماً ، وإما إلى بلاد الجبل ليوليك بعض الأعمال ، فإن خرجت طائعاً وإلا أخرجتك قسراً .

الكامل لابن الأثير جـ ٨ ، ٣١٨ – ٣١٩

١٣٠ – رسالة ابن رائق الذي أصبح أمير الأمراء في بغداد زمن الراضي بالله إلى البريدي الذي استبد بالأهواز ومنع الأموال عن ابن رائق فقرر قصده ، ولكنه أرسل له هذه الرسالة قبل الزحف عليه يتهدده ويقول :

وإنه إن حمل الواجب عليه وسلم الجند الذين أفسدهم أقره على عمله ، وإن أبى قوبل بما يستحقه .

الكامل لابن الأثير جـ ٨ – ٣٣٠.

١٣١ – رسالة ثانية من ابن رائق إلى البريدي .

أفسد البريدي أهل البصرة ضد ابن رائق وخوفهم من هجوم أبي طاهر القرمطي عليهم وأن ابن رائق لن يدافع عنهم فغضب ابن رائق وأرسل للبريدي رسالة يقول فيها :

إن الذي أنكرته قبولك الحجرية ، فإما أن تردهم وإما أن تطردهم وإن استأذنوك في ناحيـة يقصدونها فاضمم إليهم من رأيت من قوادك وأنفذهم إلى الجبل . وهذا العسكر الذي أنفذته إلى حصن مهدي ، فأنا أعلم أنه لما اتصل ورود الهجري إلى الكوفة استظهرت بإنفاذه ليعين من فيها عليه إن احتيج إلي ذلك ، وقد استغنى الآن عنهم ، وفي مقامهم بالحصن مع الإستغناء عنهم تسليط الظنون السيئة عليك وإيجاد أعدائك سبيلاً إلى التضريب بيني وبينك .

وبلغني أنك قـد كنت أنفذت أبا جعفر محمداً غلامك إلى السوسي وأمرته أن يقصـــد الطيب ويقيم بها إشفاقاً من أن يلحقني وهن من القرامطة ، فإن احتيج إليه لحماية واسط كان قريباً ، وإني لما وافيت كاتبته بالإنصراف فعاد إلى الأهواز . وهذا مشكور فاعمل في أمر إقبال ومن أنفذته إلى حصن مهدي كهذا العمل ثم إنا لك على الوفاء .

١٣٢ — أجابه البريدي بقوله :

إن جيشه القديم متشبثون بالحجرية لأنهم أقاربهم وبين القوم وصل ورحم وبلدية ولا يمكن إخراجهم جملة واحـــدة ، ولكنه على الأيام يفرق شملهم ، وإن الأخبار تواترت بأن القرمطي لـما انصرف عن الكوفة قصد البصرة واستجار به أهلها ، فأنفذ هـذا العسكر إشفاقاً عليها وإنهم قد حصلوا بها .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ١ ، ٣٦٨ — ٣٦٩

١٣٣ — رسالة البريدي الشفوية للخليفة المتقي .

احتـل البريدي بغداد وهرب الديلم وطالب البريدي المتقي لله بالأموال ومقدارها ٥٠٠ ألف دينار ، فأرسل له المتقي بعضاً ومطله

بالبعض ، فأرسل البريدي للخليفة مع القاضي أحمد الخرقي .

انصحه وقل له : أما سمعت خبر المعتز بالله والمهتدي بالله والمتوكل على الله ؟ والله لئن خليتك والأولياء لتطلبن نفسك فلا تجدها وأنت أبصر . إنما الديلم وافوا لأجل المال الذي أخذته لا إلى بغداد ، وعندهم أنهم أحق به منك ولا يعرفون البيعة ولا منن لك في رقابهم .

فلما أبلغه الرسالة أرسل له المال .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ – ١٦

١٣٤ – رسالة المتقي لله الى توزون .

نفر المتقي من توزون المتغلب عليه وانضم إلى آل حمـــدان في الموصل ، وتحارب توزون مع آل حمدان فهزمهم وهربوا وهرب الخليفة إلى الموصـل ومنها إلى نصيبين . ومن هناك أرسل الخليفة إلى توزون يقول في رسالة حملها له أبو زكريا السوسي .

إني استوحشت منك لأجـل البريديين بقبـح ما يفعلونه دفعة بعد دفعة ، وأبلغتُ أنكما اجتمعتما وصرتما يداً واحـــدة فخرجت من الحضرة . والآن قـد مضى ما مضى فإن آثرت رضائي فصالح ناصر الدولة وارجـع إلى الحضرة فإني إذا رأيتك مطيعاً لي عدت واستقامت لك الأمور بي وبرضائي وكان الله عونك .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج ٢ – ٤٩

١٣٥ – رسالة الطائع لله إلى صمصام الدولة لما قضى على فتنة وثورة كردويه . من إنشاء أبي إسحاق الصابي .

من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى صمصام

الدولة وشمس الملة أبي كاليجار بن عضـــد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ . أما بعد ـ أطـال الله بقاءك ـ فإن أمير المؤمنين ، وإن كان بوأك المنزلة العليا وأنالك من إثرته الغاية القصوى ، وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة رحمة الله عليه من القدر والمحل ، والموضع الأرفع الأجـل ، فإنه يوجب لك عنده بذلك أثراً يكون لك في الخدمـــة ، ومقام حمد تقومه في حماية البيضـة ، إنعاماً يظاهره وإكراماً يتابعه ويواتره . والله يؤيدك من توفيقه وتسديده ويمدك بمعونته وتأييده ، ويخير لأمير المؤمنين فيما رأيه مستمر عليه من مزيدك وتمكينك والإبقاء بك وتعظيمك ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

وقد عرفت ـ أدام الله عزك ـ ما كان من أمر كردويه كافر نعمة أمير المؤمنين ونعمتك وجاحد صنيعته وصنيعتك ، في الوثبة التي وثبها والكبيرة التي ارتكبها ، وتقريره أن ينتهز الفرصة التي لم يمكنه الله منها بل كان من وراء ذلك دفعه ورده عنها ، ومعاجلتك إياه الحرب التي أصـــلاه الله نارها وقنعه عارها وشنارها ، حتى انهزم الأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنـة على أقبح أحوال الذلة والقلة ، بعد القتـل الذريع والاثخان الوجيع . فالحمد لله على هذه النعمة التي جل موقعها وبان على الخاصة والعامة أثرها ، ولزم أمير المؤمنين خصوصاً ، والمسلمين عموماً نشرها والحديث بها ، وهو المسئول إقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يجازيك عن هذا الفتح العظيم ، والمقام المجيد الكريم ، بخلع تامة ودابتين ومركبين ذهباً من مراكبه ، وسيف

وطوق وسوار مرصع ، فتلق ذلك بالشكر عليه ، والاعتداد بنعمته فيه ؛ والبس خلع أمير المؤمنين وتكرمته ، وسر من بابه على حملاته، وأظهر ماحباك به لأهل حضرته ، ليعز الله بذلك وليه ووليك ، ويذل عدوه وعدوك إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

١٣٦ – رسالة الطائع لله إلى الثوار الثائرين في صحار وسوادها وجبال عمان وأعمالها يدعوهم إلى الاجتماع والطاعة ونبذ الفرقة من إنشاء أبي إسحاق الصابي .

أما بعد : فإن أمير المؤمنين ، للذي حمله الله من أعباء الامامة ، وأهّله له من شرف الخلافة واستودعه من الأمانة في حياطة المسلمين والاجتهاد لهم في مصالح الدنيا والدين ، يرى أن يراعي من بعد منهم ونأى ، كما يراعي من قرب ودنا ، وأن يلاحظ جماعتهم بالعين الكالية ، ويطلبهم بالعين الوافية ، ويتصفح ظواهر أمورهم وبواطن دواخلهم ، فيحمد من سلك نهج السلامة ، ويرشد من عدل عن الاستقامة ، وينظم شمل الجماعة على الإلفة التي أمر الله بها ، وحض عليها ، ويزيلهم عن الفرقة الذي ذمها ونهى عنها ، إذ يقول جل من قائل : «وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»[1] . فلا يزال أمير المؤمنين يعرفهم ما افترض الله عليهم من طاعة الأئمة وأولي الأمر الذين لا عصمة لمخالفهم ولا ذمة لمعاندهم ، ولا عذر لمسلم ولا معاهد نأى بجانبه ، وضل بوجهه عن سبيلهم ، إذا كان الإمام حجة الله على خلقه وخليفته في أرضه ، وكانت الطاعة واجبة له ولمن قلده أزمة أموره واستنابه في حمل الأعباء عنه ،

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٦ .

فمن آنس منه الهداية أحمده ، ومن أنكر منه الغواية أرشده بالوعظ ما اكتفى به ، أو بالبسط إن أحوج إليه . وإن أمير المؤمنين يسأل الله أن يوفقه للرأي السديد ويمده بالصنع والتأييد ويتولاه بالمعونة على كل مالم الشعث وسد الخلل وقوم الأود وعدل الميل ، وأحسن العائدة على المسلمين جميعاً في شرق الأرض ومغربها وسهلها وحزنها ؛ إنه بذلك جدير وعليه قدير وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

وقد علمتم أن أمير المؤمنين أحسن إلى الرعية بما كان فوضه إلى عضد الدولة وتاج الملة – رحمة الله عليه – من سياستهم بادياً ، ثم أحسن باستخلاف عديله وسليله صمصام الدولة وشمس الملة ثانياً : إذ كان خيرة أمير المؤمنين وصفوته وحسامه ومجنه ، والمورد والمصدر عنه بالعهدين المستمرين : من أمير المؤمنين بالنص عليه ومن الوالد رحمه الله بالوصية إليه . وإن هذه العقود المؤكدة والعهود المشددة موجبة على الكافة طاعة من حصلت له ، أو استقرت بوثائقها في يده ، إذ لا يصح من حاكم حكم ولا من عاقد عقد ولا من والٍ إقامة حد ، ولا من مسلم تأدية فرض حتى يكون ذلك مبنياً على هذا الأصل ، ومداراً على هذا القطب . وإن كان خارج عنها وراض بخلافها خرج عن دينه ، أثم بربه ، برىء من عصمته . وأنتم من بين الرعية فقد خصصتم سالفاً بحسن النظر بكم ، وعرفت الطاعة الحسنة منكم ، فتقابلت النعمة والشكر تقابلاً طاب به الذكر وانتظم به الأمر . ثم حدثت الهفوة المعترضة قبيلُ ، فكان أمير المؤمنين موجباً للمعاقبة الموجبّة على الجاهل الموضع في الفتنة ، والمعاتبة الممضة على الحكيم منكم القاعد عن النصرة ، إلى أن وردت كتب استاذ هرمز بن الحسن ،

حاجب صمصام الدولة ، باستمراركم على كلمة سواء في نصرة الأولياء والمحاماة دونهم ، ومدافعة الأعداء والمراماة لهم ، فوقع ذلك من أمير المؤمنين أحسن مواقعه . ونزل لديه ألطف منازله ، وأوجب لكم به رضاه المقترن برضا الله سبحانه ، الموجب للقربة والزلفى عنده . وأمير المؤمنين يأمركم بالدوام على ما أنتم ، والثبات على ما استأنفتم ، والمبادرة إلى كل ما يأمركم بـه فلان الوالي عليكم من صمصام الدولة بالاستخلاف والتفويض ، ومن أمير المؤمنين بالإمضاء لما أمضاه ، والرضا بما يرضاه فاعلموا ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره ، وانتهوا فيه إلى حـــده ورسمه ، وكونوا لفلان الوالي خير رعية يكن لكم خـير راعٍ ، فقد أمر فيكم بحسن السيرة وإجمال المعاملة وتخفيف الوطأة ورفع المئونة ؛ وجُعِل إليه عقاب المسيء وثواب المحسن ومسالمة المسالم ومحاربة المحارب وأمان المستأمن وإقالة المستقيل وحمـــل الجماعة على سواء السبيل إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج٦ ، ٤١٣ – ٤١٤

١٣٧ – منشور بالأمان أصدره صمصام الدولة زمن الطائع لله لجماعة من عرب المنتفق تكلم في أمرهم محمـــد بن المسيب من إنشاء أبي إسحاق الصابي .

هذا كتاب منشور من صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليجـار بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ابن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين لجماعة من عرب المنتفق الراغبين في الطاعة والداخلين فيها مع أولياء الدولة :

إن محمد بن المسيب سأل في أمركم وذكر رغبتكم في الخدمة والإنحياز

إلى الجملة ، والتمس أمانكم على نفوسكم وأموالكم وعشيرتكم ، على أن تلزموا الإستقامة وتسلكوا سبيل السلامة ولا تخيفوا سبيلاً ولا تسعوا في الأرض فساداً ، ولا تخالفوا للسلطان وولاة أعماله أمراً ، ولا تؤوا له عدواً ولا تعادوا له ولياً ، ولا تجيروا أحداً خرج عن طاعته ، ولا تُذيموا لأحد طلبه ولا تخونوه في سر ولا جهر ولا قول ولا عمل ، فرأينا قبول ذلك منكم ، وإجابة محمد إلى مارغب فيه عنكم وتضمنته العهدة فيما عقد من هذا الأمان لكم على شرائطه المأخوذة عليكم : في الكف على الرعية والسابلة وأهل السواد والحاضرة ، وترك التعرض للمال والدم ، أو الانتهاك لذمة أو محرم ، أو الارتكاب لمنكر أو مأثم .

فكونوا على هذه الحدود قائمين ، وللصحة والاستقامة معتقدين ، ولأحداثكم ضابطين ، وعلى أيدي سفهائكم آخذين ، وأنتم مع ذلك آمنون بأمان الله جل جلاله وأمان رسوله ﷺ وأمان مولانا أمير المؤمنين وأماننا : على نفوسكم وأموالكم وأحوالكم ، وكل داخل في هذا الأمان وشرائطه معكم من أهلكم وعشيرتكم وأتباعكم ومن ضمته حوزتكم .

ومن قرأ هذا الكتاب من عمال الخراج والمعاون والمتصرفين في الحمارة والسيارة وغيرهم من جميع الأسباب فليعمل بتضمنه وليحمل جماعة هؤلاء القوم على موجبه إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي جـ ١٣ – ٣٣٨

١٣٨ – رسالة قريش إلى البساسيري حول الخليفة القائم بأمر الله وعلاقتها به وبالمستنصر الفاطمي .

ثار البساسيري بالعراق ودعا للخليفة المستنصر بالله الفاطمي في مصر ، ولجأ القائم بأمر الله العباسي إلى أحد زعماء القبائل العربية الذي حماه

وتحالف البساسيري مع زعيم بدوي آخر اسمه قريش . وتوقع الثائران المعونة من مصر وخليفتها ولكن لم يصلها شيء ، ووصلت الأخبار تقول إن طغرلبك السلجوقي قادم لمحاربتها وإعادة القائم إلى الخلافة فأرسل قريش إلى البساسيري يحذره من اقتراب طغرلبك ويقول له :

قد دعوت إلى سلطان على ستمائة فرسخ فخدمناه وفعلنا مالم يكن بظنه ، ومضى لنا ستة أشهر منذ فتحنا العراق ماعرفنا منه خبراً ولا كتب إلينا حرفاً ولا فكر فينا ، وقد عادت رسلنا بعد سنة وكسر صفراً من شكر وكتاب فضلاً عن مال ورجال ، ومتى تجدد خطب فما يشقى به غيري وغيرك . والصواب المهادنة والمسالمة ورد الخليفة إلى أمره والدخول تحت طاعته وأن يستكتب أمنه .

المنتظم لابن الجوزي ج ٨ - ٢٠٢

١٣٩ - رسالة القائم بأمر الله إلى السلطان مسعود بن محمود الغزنوي في النصر على البساسيري وقتله وذلك بعد أن حضر طغرلبك السلجوقي بجيوشه إلى العراق وقتل البساسيري وأعاد القائم إلى الخلافة . والكتاب من إنشاء أبي سعيد العلاء بن موصلايا .

أما بعد : فالحمد لله منير الحق ومبديه ، ومبير الباطل ومرديه ، الكافل بإعزاز حزبه وإذلال حربه ، المؤيـــد في نصرة دينه خصب الدهر بعد إمحاله وجدبه ، الناظم شمل الشرع بعد شتاته وتفرقـه ، الحاسم داعي الفساد بعد استيلائه وتطرقه ، ذي المشيئة النافذة الماضية والعزة الكاملة الوافرة والعظمة الظاهرة البادية والبراهين الرائعة الرائقة والدلائل الشاهدة بوحدانيته الناطقة ، حمداً لا انتهاء لأمده ، ولا إحصاء لعدده . والحمد لله الذي اختص محمداً ﷺ برسالته وحباه ، وأولاه من كرامته ما حاز له به الفضل وحواه ، وبعثه على حين فترة من الرسل وخلاء

من واضح السبل ، فجاهد بمن أطاعه من عصاه ، وبلغ في الإرشاد أقصى غايته ومداه ، ولم يزل مبدياً أعلام الإعجاز ، وملحقاً الهوادي بالأعجاز ، إلى أن دخل الناس في الدين أفواجاً ، وسلكوا في نصرته جدداً واضحاً ومنهاجاً ، وغدت أنوار الشرع ضاحكة المباسم ، وآثار الشرك واهية الدعائم ، ومناهل الهدى عذبة صافية . فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتخبين وخلفائه الأئمة الراشدين وسلم تسليماً . والحمد لله الذي أصار إلى أمير المؤمنين من تراث النبوة ما استوجبه واستحقه ، وأنار لديه من طلائع الجلال ما تملك به الفخر واسترقه ، ومنحه من حسن التمكين والإظفار وإجراء الأقضية على مراده والأقدار ، ما رد صرف الدهر عن حوزته مفلول الحد ، ومد باع مجده إلى أقصى الغاية والحد ، وحمى سرب إمامته من دواعي الخوف والحذر ، ووقى مشرب خلافته من عوادي الرنق والكدر ، وجعل معالم العدل في أيامه مشرقة الأوضاع والحجول ، مفترة النواجذ من الكمال الضافي الأهداب والذيول ، مؤذنة باستقرار إمداد السعادة واستمرار الأحوال على أفضل الرسم والعادة . وهو يستديه من لطيف الصنع وجميله ، ووافي الطول وجزيله ، ما يزيد آراءه سداداً ورشاداً وأرومة عزه اتساعاً وامتداداً ، ومجاري الأمور لديه اتساقاً على المراد واطراداً ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

ومعلوم ما اعتمده شاهنشاه المعظم بعد مسيره إلى العراق في الجيوش التي يضيق بها الفضاء ويجري على مرادها القضاء ، قاصداً تلبية الدعوة وخاضداً شوكة كل من سد عن الدين أسباب المضرة والمعرة (١) ،

---

(١) كذا بالأصل والمعنى غير مفهوم ولعل الصواب : وخاضداً شوكة كل من شذ عن الدين (وجلب له) أسباب المضرة والمعرة .

ومعتمداً ما حمى حوزة أمير المؤمنـين من الشوائب المعترضة ، وحوى أقسام الفخار في اتباع شروط الخدمة الملتزمة المفترضة ، من المبادرة للكع اللعين البساسيري ولفيفه المخاذيـــل ، مدرعاً من الاعتضاد بالله تعالى أقوى الجنن وأسبغ السرابيل ، ليطهر الأرض من دنس كفرهم ، ويوفر الجد في قصم حدهم وحسم كيدهم ، فأطل على بلاد الشام متطلباً من ألجأه حـــذره إلى الإمعان في الهرب ، وقطع كل آخية وسبب ، ومعتزماً الإتمام إلى مصر لانتزاعها وبقية الأعمال ، من أيدي أحلاف الغواية والضلال ، وقرّبَ الأمرَ فيا حاوله من ذلك ورامه إعتادُه فيه صنوف التجـــدد وأقسامه ، فاعترضه من عصيان إبراهيم إينال وعقوقه وخروجه عن زمرة أبناء الطاعة ومروقه ، بإفساد اللعين إياه وإحالته بمكره عن مناهج هـداه ، ما أحوجه إلى ترك ما هو بصدده واللحاق بأثره ، حذاراً من استفحال خطبه ، وبداراً إلى فل حـــده وغربه . فعاد ذلك بتجمع الأعداء واحتشادهم ، وسلوكهم المحجة التي خصوا فيها بعدم توفيقهم ورشادهم ، وإقدامهم على فضل الإمامة المكرمة بالمحاربـــة ، وإطراحهم في منابذتها حكم الاحتشام والمراقبة ، ووقوع التظافر على المجاهرة بخلافها ، والتظاهر بشمار أشياع الغواية وأحلافها : جرأة على الله تعالى واستنزالاً لعقابه ، وإطراحاً لمـــا توجبه الجناية العظمى من توقع العذاب وارتقابه ، وادراعــاً لملابس الخزي في الدنيا والآخرة ، وإتباعاً لداعي الضلالة المغوية في البدء والخاتمة . فاقتضى حكم الإستظهار الإنتقال من دار الخلافة بمدينة السلام إلى حديثة عانة ، لمـا هي عليه من امتناع الجانب وشدة الحصانـــة . إلى أن أسفر خطب شاهنشاه ركن الدين ـ أمتع الله بـه ـ عن إدراك المطالب وتيسر المصاعب ، فعاد بنصرة الدولة العباسية الإمامية القائمية ، مستنفداً في

ذلك أقسام الوسع والاجتهاد ، ومستنجداً بمعونـة الله تعالى على إبادة الكفر بصنوف القراع والجهاد . ولم يزل ساعياً في إزالة العار وانتزاع المغتصب وارتجاع المستعار إلى أن صـدق الله تعالى الأمل وحققه ، وأصفى منهل العز من كل ما شابه ورنقه ، وأطلع شمس الحق بعـد غروبها ، ومنّ بخضد شوكة الباطل وفل غروبها .

وعاد أمير المؤمنين إلى دار ملكه ومقر مجده في يوم كـذا ضافية على راياته جلابيب النصر والظفر ، جارية على إرادته تصاريف القضاء والقدر ، بيمن نقيبة شاهنشاه الذي أدى في الطاعـة الفرض الواجب ، وتمسك من المشايعة بأفضل ما تضم عليه الرواجب ، وغـــدا للدولة عضداً ووفياً على الأمثال ، في دفعه عن الإسلام وذبه ، ومتقمصاً للجلاد بحسن إخلاصه في حالتي بعده وقربـه . وما زالت ثقة أمير المؤمنين مستحكمة بالله تعالى عندما ألم بـه من تلك الحال ، ودهم من الخطب المحتف به سطوة الإشتداد والاستفحال ، في إجرائه على ما ألفه من النصر والإعزاز وإظهار آلائه في تأييده والإعجاز ، إذ لم يكن ما عراه استعادة للحق المسلم إليه ، والموهبة الـتي ضفت جلابيبها عليه ، بل جعل الله ذلك إلى امتحان صبره سبيلا ، وعلى وفور أجره دليلا ، وبإبادة كل ناعق في الفتنة كفيلا ، لتزداد أنوار علاه نضارة وحسناً ، وأعلام جلاله سعادة ويمناً ، ورباع عزه سكوناً وأمناً ، لطفاً منه جلت آلاؤه في ذلك ومنّاً ، وتلا هذه النعمة التي جددت عهود الشرع وافية النضارة ، وأزالت عن الدين مفاسده العارضـة ومضاره ، ما سهله الله وهناه ، وأجزل به صنيعه الجزيل وأسناه ، من ظفر السرايا التي توردها لاصطلام اللعناء واجتياحهم وحسم فسادهم وهدم عراصهم ، وإخماد ما أضرموه من نار الشرك وشبوه ، وإبطـال ما أحدثوه من رسم الجور

وسنوه ، وأفضى الحال إلى النصر على الأعداء من كل جانب ، وقهر كل منحرف عن الرشاد ومجانب ، وحلول التأييد على الرايات المنصورة ، العباسية التي لم تزل مكنوفة على صرف الدهر أشياعها وأنصارها ، وإجلاء الحرب عن قتل اللعين البساسيري وأخـــذ رأسه ، وتكذيب ظنه في احترازه من طوارق الغير واحتراسه ، وإراحة الأرض وأهلها من دنسه وعدوانه ، وكون من ضامّه من طبقـات العرب والأكراد والأتراك البغداديين والعوام بين قتيل مرمل[1] بدمـه ، وأسير تلقى المنون بغصة أسفه وندمه ؛ وصريع في بقية من ذمائه[2] ، وهارب والطلب واقع من ورائه . فأنجز الله وعده في هذا المارق والعبد الآبق ، الذي غره إمهال الله تعالى إياه فنسي عواقب الإهمال في الغواية ، والإمهال في الطغيان إلى أقصى الحد والغاية ، وحمل رأسه إلى البـاب العزيز فتقدم بالتطواف به في جانبي مدينة السلام وشهره ، إبانة عن حـاله وإيضاحاً لجلية أمره ، وكُفِي مايوجبه إقدامه على العظائم التي علم الله تعالى سوء مصيرها ومآلها ، وحرم الرشد من التمسك والتشبث بأذيالها. وتلك عاقبة من بغى واعتدى ، وأتزر بالغدر والردى ، وأمعن في الضلة واعتدى . والجد واقع من بعـــد في المسير للإحتواء على بلاد المخالفين الدانية والقاصية ، والأخذ مع مشيئة الله تعـالى بنواصي كل فئة طاغية عاصية .

فالحمد لله على هذه النعمة التي بشرت الإسلام بجبر كسره ، وأنقذت الهدى من ضيق الكفر وأسره ، وأبدت نجوم العدل بعد أن أفلت وغارت ، وأردت شيعة الباطل بعد أن اعتدت على الحق وأغارت ، وهو

---

(١) المرمل : الملطخ .

(٢) الذماء : بقية النفس .

المسئول صلتها بأمداد لها تقضي إذ ذاك سائر الأغراض وبلوغها ، وتقضي بكمال رائق اللألاء وسبوغها .

إقتضى مكانك — أمتع الله بك — من رأي أمير المؤمنين ، الذي وطأ لك معاقد العز وهضابه وكمل لديك دواعي الفخر وأسبابه ، ونحلك من إيجابه الذي وصلت به الى ذروة العلاء ، وصُلت على الأمثـــال والنظراء ، إشمارك بما جدده الله تعالى من هذه النعمة التي غدت السعود بها جمة المناهل ، سامية المراقب والمنازل ، لتأخذ من حظك بها ، والشكر لله تعالى على ماتفضل به فيها بالقسم الأوفى ، كفاء مايوجبه ولاؤك الذي امتطيت به كاهل الجد ، واصطفيت به كامـل السعد ، وكونك لدولة أمير المؤمنين شهابها المشرق في الحنادس ، وصفيها الرافل من إخلاص مشايعتها في أفخر الحلل والملابس ، والله تعالى لا يخليك من كل ماتستدر به أخلاف معاليك ، ولا يعدم أمـير المؤمنين منك الولي الحميد السيرة ، الرشيد العقيدة والسريرة ، الشديد الشاكلة والوتيرة .

هـــذه مناجاة أمير المؤمنين لك ، أجراك فيها على ماعودك من التجمل والإكرام ، وحباك فيها بمـا هو مبشر لك بالسعادة الوافيـة الأصناف والأقسام ، فتلقها بالجـذل والاستبشار ، وواصل شكر الله تعالى على ماتضمنته من حسن مجاري الأقضية والأقدار ، وطالع حضرة أمير المؤمنين بأنبائك وتابع إنهـاء مايتشوف نحوه من تلقائك إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٦ ، ٤٠٤ ـ ٤٠٩

- أهل الذمة ومعاملتهم -

١٤٠ — مرسوم المقتدر بالله بعدم استخدام أهل الذمة في الدواوين وغيرها سنة ٢٩٥ هـ .

عوائد الله عند أمير المؤمنين توفى على غاية رضاه ونهاية أمانيه ، وليس أحد يظهر عصيانه إلا جعله الله عظة للأنام وبادره بعاجل الإصطلام . والله عزيز ذو انتقام ، فمن نكث وطغى وبغى وخالف أمير المؤمنين وخالف محمداً ﷺ ، وسعى في إفساد دولة أمير المؤمنين ، عاجله أمير المؤمنين بسطوته وطهر من رجسه دولته ، والعاقبة للمتقين .

وقد أمر أمير المؤمنين بترك الاستعانة بأحد من أهل الذمة فليحذر العمال تجاوز أمر أمير المؤمنين ونواهيه .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٣ - ٣٦٩

١٤١ - مرسوم بتوقيع الخليفة العباسي القائم بأمر الله أصدره سنة ٤٢٩ هـ بإلزام أهل الذمة الغيار ، وقرىء أمام القضاة والشهود والجاثليق ورأس جالوت اليهود ، وكان فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن الله تعالى بعزته التي لا تحاول وقدرته التي لا تطاول اختار الإسلام ديناً وارتضاه وشرفه وأعلاه . وبعث به محمداً واجتباه وأذل من ناوأه فقال تعالى : وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا (١) . وقال : ليظهره على الدين كله (٢) . وأمير المؤمنين يرى أن من أقرب الوسائل إلى الله به بقاءً ما كان حافظاً للشرع ومجدداً لمعالمه . وقد كان الخلفاء

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤١ .

(٢) سورة الفتح : الآية ٢٨ .

الراشدون فرضوا على أهل الذمة المعاهدين حدوداً معقودة على الاستشعار والإخبات والاستكانة والتفرد عن المسلمين إعظاماً للإسلام وأهله . ولما تطرق على هذه السنة إغفال واستمر فيها الإهمال اطرحت هذه الطائفة دواعي الاحتراس وتشبهت بالمسلمين في زيهم ، فرأى أمير المؤمنين الإيعاز إلى جميع أهل الذمة بتغيير اللباس الظاهر مما يعرفون به عند المشاهدة. فليعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين .

المنتظم لابن الجوزي ج٨ ، ٩٦-٩٧

١٤٢ - كتاب القائم بأمر الله بتقليد عبد يشوع الفطرك جاثليقاً من إنشاء العلاء بن موصلايا .

هذا كتاب أمر بكتبه عبد الله أبو جعفر عبد الله الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين لعبد يشوع الجاثليق الفطرك .

أما بعد : فالحمد لله الواحد بغير ثانٍ القديم لا عن وجود زمان الذي قصرت صنيعة الأوهام عن إدراكه وحارت ، وضلت صنيعة الأفهام عن بلوغ مدى صفاته وحالت ، المتنزه عن الولد والصاحبة ، العاجزة عن إحاطة العلم به دلائل العقول الصافية الصائبة ، ذي المشيئة الحالية بالمضاء ، والقدرة الجارية عليها تصاريف القدر والقضاء ، والعظمة الغنية عن العون والظهير المتعالي بها عن الكفء والنظير ، والعزة المكتفية عن العضد والنصير : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

والحمد لله الذي اختار الإسلام ديناً فارتضاه ، وشام [1] به عضب الحق على الباطل وانتضاه ، وأرسل محمداً - ﷺ - منقذاً من إشراك

---

(١) شام السيف : سله من غمده .

الضلة وكاشفاً عن الإيمان ماغمره من الإشراك وأظله ، وبعثه ماحياً أثر الكفر من القلوب والأسماع ، وناحياً في اتباع أوامره ماجـــدٌ في البدار إليه والإسراع ، وأدى ماحُمله أحسن الأداء ، وداوى بمعجزة النبوة من النفوس معضل الداء ، ولم يزل لأعلام الهدى مبنياً ولحبائل الغي حاسماً مبيناً ، إلى أن خلص الحق وصفا ، وغدا الدين من أضداده منتصفاً ، واتضح للجائر سنن الرشد ، وانقـاد الأبيُّ باللين والأشد ، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتخبين وخلفائه الأئمـــة الراشدين وسلم تسليماً .

والحمد لله الذي استخلص أمير المؤمنين من أزكى الدوحة والأرومة . وأحله من عز الإمامة ذروة للمجد غير مرومة ، وأصار إليه من تراث النبوة مـاحواه الإستحقاق والوجوب ، وأصاب بـــه مرامي الصلاح ماحُمِيَت شموسه من الأفـول والوجوب . وأولاه من شرف الخلافـــة ما استقدم به الفخر فلبّى ، واستخدم معه الدهر فمـا تأبّى ، ومنح أيامـــه من ظهور العدل فيها وانتشاره ، ولقاح حوامل الإنصاف فيها ووضع عشاره مافضل به العصور الخالية . وظلت السير متضمنـة من ذكرها ماكانت من مثله عارية خالية . وهو يستديه ـ سبحانـه ـ المعونة على مايقرب لديه ويزلف عنده ، ويستمده التوفيق الذي يغدو لعزائمه الميمونة أوفى العضد والعدة . وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

وأمير المؤمنين ، مع ما أوجب الله تعالى عليه من اختصاص رعاياه بالمواهب التي يمد عليهم رواقها ، ويرد بها إلى أغصان صلاحهم أوراقها ، ويلقي على أجيادهم عقودها ، ويقي رياح ائتلافهم ركودها ، يرى ان يولي أولي الإستقامة من أهل ذمته ضروب الرأفة وصنوفها ، وأقسام

العاطفة الدافعة عنهم حوادث الغـير وصروفها ، بمقتضى عهودهم القوية القوى ، وأذمتهم التي يلزم أن يحافظ عليها أهل العدل والتقوى ، ويغتمدهم من الضرر الغامر والإجمام المضاهي الآنفُ منه الغابرَ ، بما يقبض يـد الضيم وكفه ، وأن يحبوهم من الحياطة بما يحرس رسومهم المستمرة من أسباب الاختلال ، ويجريهم فيها على ماسنه السلف معهم من مـــألوف السجايا والخلال .

ولما أُنهِيَ إلى أمـــير المؤمنين تمييزك عن نظرائك ، وتحليك من السداد بما يستوجب معه أمثالك المبالغة في وصيتك وإطرائك ، وتخصصك بالانحاء التي فُتَّ فيها شأو أقرانك ، وأفدت بها ماقصّر معه مساجلك من أبناء جنسك أن يعدلك في ميزانك ، وما عليه أهل نحلتك من حاجتهم إلى جاثليق كافل لأمورهم ، كافٍ في سياسة جمهورهم ، مستقل بما يلزمه القيام به ، غير مقل بما يتعين مثله في أدوات منصبه . وإن كلا ممن يرجع إليه منهم لما تصفح أحوال متقدمي دينهم واستشف ، وأعمل الفكر في اختيار الأرجح منهم والأشف ، واتفقوا من بعد على إجالة الرأي الذي أفاضوا بينهم قداحه ، وراضوا به زند الإجتهاد إلى أن أورى حين راموا اقتداحه ، فلم يصادفوا من هو بالرياسة عليهم أحق وأحرى ، وللشروط الموجبة التقديم فيهم أجمع وأحوى ، وعن أموال وقوفهم أعف وأورع ، ومن نفسه لداعي التحري فيهـا أطوع وأتبع ، منك ، اختاروك لهم راعياً ، ولمـــا شد نظامهم ملاحظاً مراعياً ، وسألوا إمضاء نصبهم عليك والإذن فيه ، وإجراء الأمر فيما يخصك أسدّ مجاريه ، وترتيبك فيما أُهِّلتَ له وحُمِّلتَ ثقله ، واختصاصك على من تقدمك من الأضراب بمزيـد من الإرعـاء والإيجاب ، وحملك وأهـل نحلتك على الشروط المعتادة والرسوم الـــتي إمضاءُ الشريعة

الإسلامية لها أوفى شهادة - رأى أمير المؤمنين الإجابة إلى ما وجهت إليه فيه الرغبة ، واستخارة الله تعالى في كل عزم يطلق شباه ويمضي غربه ، مقتدياً فيما أسداه إليك وأسناه من أنعمه لديك بأفعال الأئمة الماضين والخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين مع أمثالك من الجثالقة الذين سبقوا وفي مقامك اتسقوا ، وأوعز بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام وسائر البلاد والأصقاع ، وزعيماً لهم وللروم واليعاقبة طراً ، ولكل من تحويه ديار الإسلام من هاتين الطائفتين ممن بها يستقر وإليها يطرأ ، وجعل أمرك فيهم ممتثلاً ، وموضعك من الرئاسة عليهم متأثلاً ، وأن تنفرد بالتقدم على هذه الطوائف أجمع ليكون قولك فيما يجيزه الشرع فيهم يُقبل ، وإليك في أحوالهم يُرجع وأن تتميز بأهبة الزعامة في مجامع النصارى ومصلياتهم عامة ، من غير أن يشركك فيها أو يشاكلك في النسبة الدالة عليها مطران أو أسقف للروم أو اليعاقبة ، لتغدو شواهد ولايتك بالأوامر الأمامية بادية للسامع والناظر ، وآثار قصورهم عن هذه الرتبة التي لم يبلغوها كافة للمجادل منهم والمناظر ، ومنعوا بأسرهم عن مساواتك في كل أمر هو من شروط الزعامة ورسومها ، والتزيي بما هو من علاماتها ورسومها ، إذ لا سبيل لأحدهم أن يمد في مباراتك باعه ، ولا أن يخرج عن الموجب عليه من الطاعة لك والتباعة . وحملك في ذلك على ما يدل عليه المنشور المنشأ لمن تقدمك ، الممضى لك ولكل من يأتي بعدك ، المجدد بما حواه ذكر ما نطقت به المناشير المقررة في أيام الخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، لمن تقدمك في مقامك ، وأحرز سبق مغزاك ومرامك : من كون المنصوب في الجثلقة إليه الزعامة على ما تضمه ديار الإسلام من هذه الفرق جمعاً ، المنصوص عليه في التقدم الذي

ليس لغيره من رياضه مرعى . وتقدم أمير المؤمنين بحياطتك وأهـــل نحلتك في نفوسكم وأموالكم وبيعكم ودياركم ومقـــار صلواتكم وحراسة أموالكم ، واعتمادكم باقسام الكلاءة على أجمل الرسم معكم ، وأن تحموا من نقض سنة رضية قررت لكم ، ودحض وتيرة حميدة استعملت في فرضكم ، وأن تقبض الجزية من رجالكم ذوي القدرة على أدائها بحسب ما جرت به عادتكم دون النساء ومن لم يبلغ الحـــلم دفعةً واحدة في السنة ، وتجروا في ذلك على السجية التي تناقلها الرواة وتداولتها الألسنة من غير تثنية ولا تكرير ولا ترنيق لمنهل المعدلة عندكم ولا تكدير ، وأن تحبى بالشد دائماً وتقوية يـدك على من نصبته في أمورهم ناظراً ولشملهم ناظماً ، ويفسح لك في فصل مـــا يشجر بينهم على سبيل الوساطة ، لتقصد في ذلك ما يحسم دواعي الخلف ويطوي بساطه ، وأن تمضي تثقيفك لهم وأمرك عليهم أسوة ما جرت عليه الأمر مع من كان قبلك يليهم ، لتحسن معهم السيرة العادلة عليهم بحفظ السوام، المطابقة للشروط السائغة في دين الإسلام .

وأمر بانشاء هذا الكتاب ، مشتملاً على ماخصك به ، وأمضى أن تعامل بموجبه ، فقابل نعمة أمير المؤمنين عندك بما يستوجبه من شكر تبلغ فيه المدى الأقصى ، وبشرٍ لا يوجد التصفح له عندك قصوراً ولا نقصاً . وواظب على الإعتراف بما أوليته من كل ماجملك وصدّق ظنك وأملك ، واستزد الإنعام بطاعة تطوى عليها الجوانح وأدعية لأيامه تُشْيع الغادي منها بالرائح . وتجنب التقصير فيما بـه عُدِق ، وإليك وكل وعليك عُلّق . واحتفظ بهذا الكتاب جنة تمنع عنك ريب الدهر وغيره، وحجة تحمل فيها على مايحمي مامُنِحته من كل ماشعثه وغيره . وليعمل بهذا المثال كافة المطارنة والأساقفة والقسيسين والنصارى أجمعين ،

وليعتمدوا من التباعة لك مايستحقه تقديمك على الجماعة ، وليثقوا بما يغمرهم من العاطفة الحامية سربهم من التفريق والإضاعة إن شاء الله تعالى .

وكتب في شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وأربعمائة .

صبح الأعشى للقلقشندي ج١٠ ، ٢٩٤ – ٢٩٩

١٤٣ – توقيع المقتدي بالله بإلزام اليهود عدم تغيير ملابسهم وعدم تظاهرهم بمركوبهم ، وذلك أثر فعلهم ذلك سنة ٤٧٨ هـ .

قد رفع إلى مجلس العرض الأشرف حال بني اليهود وتظاهرهم بما حظر على أهل الذمة المظاهرة به ، فمتى تعدوا شرطاً مما أخذ فيهم نقضوا العهد وبرئت منهم الذمة ، قال الله تعالى : فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج٩ – ١٤

١٤٤ – رسالة الوزير ابن مهدي إلى الخليفة الناصر لدين الله العباسي من أجل ابن ساوة النصراني :

كان للناصر خادم اسمه إيتامش أقطعه دجيل ، وكان هناك نصراني من جهة الوزير ابن مهدي يؤذي الناس وخاصة المسلمين ، فسقى إيتامش سماً فمات . فأمر الخليفة بتسليم ابن ساوة إلى مماليك إيتامش . فكتب الوزير للخليفة يقول :

إن النصارى بذلوا في ابن ساوة مائة ألف دينار على أن لايقتل .

---

(١) سررة النور : الآية ٦٣ .

١٤٥ - جواب الخليفة الناصر للوزير :

إن الأسود أسود الغاب همتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

شذرات الذهب لابن العماد ج٥ — ٩

١٤٦ — رسالة الخليفة الناصر لنائب الوزارة ابن البخاري بشأن استخدام أهل الذمة في أعمال الدواوين .

منع الناصر استخدام أهل الذمة في أعمال الدواوين ، وكان لابن الأشقر كاتب ديوان العرض ولد وقد أسلم بين يدي ابن البخاري ، فأرسل ابن البخاري نائب الوزارة يعلم الخليفة بذلك فأجابه الخليفة :

إنما منعنا من استخدام الكفار لأجل كفرهم ، فمن أسلم يعاد إلى خدمته ، وهذا يخلع عليه ويستخدم في ديوان العرض عوضاً عن أبيه . ويقال لكل من صرفنا من خدمتنا إن أحب الدخول في الإسلام فيعاد إلى خدمته ويشرف ، ومن لم يفعل لا يمكن من خدمة تتعلق بنا ، والسلام .

مضمار الحقائق لمحمد بن تقي الدين الأيوبي ص ٧٤

١٤٧ — مرسوم أصدره الناصر لدين الله بتولية ابن هبة رئاسة اليهود سنة ٦٠٥ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الواجب شكره الغالب أمره ، العلي شأنه ، القوي سلطانه ، السابغة نعمته ، البالغة حكمته ، المتفرد بالجلال والاقتدار ، المصرف على مشيئته مجاري الأقضية والأقدار ، الدال على وحدانيته ببديع فطرته ، المانع بعجائب صنعته من أن يتقرر في الأوهام كنه معرفته ، الهادي إلى سبيل الرشاد من يشاء من خلقه ، الهامي سحاب فضله على كل مقر بربوبيته عارف بحقه ، الذي اصطفى

محمداً صلى الله عليه وآله من أكرم أرومة وأعلى محتد وجرثومة ، وأشرف العرب منصباً وأعزها قبيلا وأوضحهـا في المكارم سبيلا ، أرسله إلى الأحمر والأسود نبياً ، واختاره من أصناف الأمم عربياً ، وأيـــده بالحكم أمياً ، وجعله منصوراً بملائكته محمياً ، وابتعثه بالبرهان الساطع والدليل القاطع ، ونسخ بشريعته المطهرة الملل السالفة والشرائع ، فلم يزل ، صلى الله عليه وسلم وآله بأمر الله صادعـاً ، ولأنف الباطل قارعاً ، ولما أنزل الله مبلغاً ، ولجهـــده في نصح الأمة مستفرغاً . فصلى الله عليه وعلى آله وعلى سلالة عمه ووارثه وصنو أبيه العباس الذي طهره الله من الأدناس وفرض مودتهم وطاعتهم على جميع الناس الخلفاء الراشدين وأئمة الحق المجتهدين ، صلاة لا انقشاع لغمامها ، ولا انقطاع لتواصل دوامها . والحمد لله الذي أصار إلى خليفته في أرضه ونائبه في خلقه الإمام المفترض الطاعة على سائر الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ووارث الأنبياء والمرسلين حجة الله على الخلق أجمعين ، من مواريث أنبيائه ومآثر خلفائه في أرضه وأمنائه ما هو أحق بحيـازة مجده وارتداء علائه ، وأخذ ميثاق طاعتـــه على الأمم في الأزل ، وألزم الأواخر منهم ما ألزم الأول . وفرض على خلقـه الإقتداء بـه والإئتمام ، وجاز له وراثة الخليفة عن الخليفة والإمام عن الإمـام ، زاده الله شرفاً إلى شرفه ، وأدام على العالمين مامنحهم به من شمول عدله وحصانة كنفه . فالمسلم والذمي والمعاهد في ظل أياديه الشريفة وادعون ، وفي رياض الأمانة راتعون ، وبما يكلأهم من عين رأفتـه اليقظى هاجعون ، لا يكدر لهم شرب ولا يذعر لهم سرب ، وحكم عدله يوجب النظر العام في منـاظم أمرهم وجوامع مصالحهم ورعـاية جمهورهم ، لما وكله الله تعالى إليه من سياسة عباده ، وناطـه بتشريف آرائه واجتهاده .

ولما ضرع دانيال بن العازر بن هبـــة الله في ترتيبه رأس مشية اليهود عوضـاً عن العازر بن هلال بن فهد الدراج على قاعدته وجري عادته ، وانتهى ما يتحلى به عند أهل نحلته ويتصف به واستحقاقه ، ولما ضرع فيـــه بحسن طريقته فيهم وسلامة مذهبه رسم - أعلى الله تعالى المراسم الشريفة المقدسة المعظمة الممجدة المكرمة النبوية الإمامية الطاهرة الزاكية الناصرة لدين الله زادها الله جلالاً ممتد الرواق ونفاذاً في الأقطار والآفـاق - ترتيبه رأس مشية اليهود على عادة الدراج المشار إليه حيث كان ابن الدستور رأس مشية أيضاً ، وأن يكون له النظر في ما كان للدراج النظر فيـه والأولوية عليه من جميع الأماكن الـتي جرت عادته بتوليها والتصرف فيها ، وأن يتميز عن نظرائه وأشكاله باللبسة الـتي عهدت لأمثاله . وسبيل طوائف اليهود وحكامهم بمدينـــة السلام وأكناف العراق الانتهـاء في ذلك إلى المأمورية والرجوع إلى قوله في توسط أمورهم والعمل بموجبه ، وأن يخرجوا إليه من الرسوم التي جرت عادة من تقدمه بها بالاماكن التي كان يتصرف فيها من غير معارضة له في ذلك ، مع قيامه في ما يأتيه ويذره بشرائط الذمـــة والتزامـه ومحافظته بالإمتثال وبواجب الإعتصام والإجلال إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة . وكتب في تاسع ذي القعدة من سنة خمس وستمائة ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الذي ختم النبيين وهـو سيد المرسلين المصطفى على سائر الخلق أجمعين صلاة دائمـــة إلى يوم الدين .

الجامع المختصر لابن الساعي ٢٦٦ - ٢٦٩

ـ السياسة الخارجية ـ

١٤٨ - رسالة المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر لما وجه وصيفاً في جيش لصد غزو الروم ولغزوهم في ديارهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله محمد المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله . أما بعد، فإن الله ، وله الحمد على آلائه والشكر على جميل بلائه ، اختار الإسلام وفضله وأتمه وأكمله وجعله وسيلة إلى رضاه ومثوبته ، وسبيلاً نهجاً إلى رحمته وسبباً إلى مذخور كرامته فقهر له من خالفه وأذل له من عند عن حقه ، وابتغى غير سبيله ، وخصه بأتم الشرائع وأكملها ، وأفضل الأحكام وأعدلها ، وبعث به خيرته من خلقه وصفوته من عباده محمداً ﷺ ، وجعل الجهاد أعظم فرائضه منزلة عنده وأعلاها رتبة لديه وانجحها وسيلة لديه ، لأن الله عز وجل أعز دينه وأذل عتاة الشرك . قال الله تعالى آمراً بالجهاد ومفترضاً له : إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون [1] ، وليست تمضي بالمجاهد في سبيل الله حال لا يكابد في الله نصباً ولا أذى ولا ينفق نفقة ولا يقارع عدواً ولا يقطع بلداً ولا يطأ أرضاً إلا وله بذلك أمر مكتوب وثواب جزيل وأجر مأمول . قال الله عز وجل :

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤١ .

ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح ، ان الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون (١) ، ثم أثنى الله عز وجل بفضل منزلة المجاهدين على القاعدين عنده وما وعدهم من جزائه ومثوبته وما لهم من الزلفى عنده فقال : لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلاً وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما (٢) . فبالجهاد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وجعل جنته ثمناً لهم ورضوانه جزاءً لهم على بذلها وعداً منه حقاً لا ريب فيه وحكماً عدلاً لا تبديل له . قال الله عز وجل : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم (٣) ، وحكم الله عز وجل لأحياء المجاهدين بنصره والفوز برحمته ، وأشهد لموتاهم بالحياة الدائمة والزلفى لديه والحظ الجزيل من ثوابه فقال : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا

(١) سورة التوبة : الآيتان ١٢١ و ١٢٢ .
(٢) سورة النساء : الآية ٩٥ ،
(٣) سورة التوبة ، الآية ١١٢ .

خوف عليهم ولا هم يحزنون(1) ، وليس من شيء يتقرب به المؤمنون إلى الله عز وجل من أعمالهم ويسمون بـــه في حط أوزارهم وفكاك رقابهم ، ويستوجبون به الثواب من ربهم إلا والجهاد عنده أعظم منه منزلة وأعلى لديه رتبة وأولى بالفوز في العاجلة والآجلة ، لأن أهله بذلوا لله أنفسهم لتكون كلمة الله هي العليا ، وسمحوا بها دون من وراءهم من إخوانهم وحريم المسلمين وبيضتهم ووقوا بجهادهم العدو .

وقد رأى أمير المؤمنين ، لما يحبه من التقرب إلى الله بجهاد عدوه وقضاء حقه فيما استحفظه من دينه والتماس الزلفى لديه في إعـــزاز أوليائه وإحلال البأس والنقمة بمن حاد عن دينه وكذب رسله وفارق طاعته أن يُنهض وصيفاً مولى أمير المؤمنين في هذا العام إلى بـــلد أعداء الله الكفرة الروم غازياً لما عرف الله أمير المؤمنين من طاعته ومناصحته ومحمود تعبئته وخلوص نيته في كل ما قربه من الله ومن خليفته ، وقد رأى أمير المؤمنين . والله ولي معونته وتوفيقه ، أن يكون موافاة وصيف فيمن أنهض أمير المؤمنين معه من مواليه وجنده وشاكريته ثغر ملطية لاثنتي عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وذلك من شهور العجم للنصف من حزيران ، ودخوله بلاد أعداء الله في أول يوم من تموز . فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحي عملك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هـذا ومرهم بقراءته على من قبلهم من المسلمين ، وترغيبهم في الجهـــاد وحثهم عليه واستنفارهم إليـــه وتعريفهم ما جعل الله من الثواب لأهله ليعمل ذوو النيات والحسبة والرغبة في الجهـــاد على حسب ذلك في النهوض إلى

---

(1) سورة آل عمران : الآية ١٧٠ .

عدوهم والخفوف إلى معاونة اخوانهم والذياد عن دينهم والرمي من وراء حوزتهم بموافاة عسكر وصيف مولى أمير المؤمنين ملطية في الوقت الذي حده أمير المؤمنين لهم ان شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب أحمد بن الخصيب لسبع ليال خلون من المحرم سنة ثمان وأربعين ومائتين .

تاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٧ ، ٤٠٦ – ٤٠٨

١٤٩ – رسالة إلى المعتضد من عامل ثغر طرسوس يخبره بانجاز عملية الفداء بين المسلمين والروم سنة ٢٨٣ هـ وكان المتولي لهذا العمل من المسلمين أحمد بن طغان .

بسم الله الرحمن الرحيم . أعلمك ان أحمد بن طغان نادى في الناس يحضرون الفداء يوم الخميس لأربع خلون من شعبان سنة ٢٨٣ هـ . وإنه قد خرج إلى اللامس ، وهو معسكر المسلمين ، يوم الجمعة لخمس خلون من شعبان وأمر الناس بالخروج معه في هذا اليوم ، فصلى الجمعة وركب من مسجد الجامع ومعه راغب ومواليه وخرج معه وجوه البلد والموالي والقواد والمطوعة بأحسن زي ، فلم يزل الناس خارجين إلى اللامس إلى يوم الاثنين لثمان خلون من شعبان . فجرى الفداء بين الطرفين إثني عشر يوماً . وكانت جملة من فودي به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان ألفين وخمسمائة وأربعة أنفس ؛ وأطلق المسلمون يوم الثلاثاء لسبع بقين من شعبان سيمون رسول ملك الروم ، وأطلق الروم يحيى ابن عبد الباقي رسول المسلمين المتوجه إلى الفداء وانصرف الأمير ومن معه .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج٨ – ١٧٦

١٥٠ – رسالة ملك الروم إلى ملك الصقالبة :

هاجم الصقالبة القسطنطينية وحاصروها وضيقوا الخناق عليها فأرسل ملك الروم إلى ملك الصقالبة يقول :

إن ديننا ودينكم واحد فعلام نقتل الرجال بيننا ؟

١٥١ – جواب ملك الصقالبة :

إن هذا ملك آبائي ولست منصرفاً عنك إلا بغلبة أحدنا للآخر .

تاريخ الرسل والملوك للطبري ج٨ – ١٧٥

١٥٢ – رسالة عامل الثغر إلى الوزير علي بن عيسى بشأن معاملة الروم أسرى المسلمين لديهم .

إن أسارى المسلمين في بلد الروم كانوا على رفق وصيانة إلى أن ولي آنفاً ملك الروم حدثان منهم فعسفا الأسرى وأجاعاهم وأعرياهم وعاقباهم وطالباهم بالتنصر ، وإنهم في عذاب شديد ولا حيلة لي في هذا ؛ والخليفة لا يساعدني فكنت أنفق الأموال وأجهز الجيوش إلى القسطنطينية .

المنتظم لابن الجوزي ج٦ – ٣٢٥

١٥٣ – رسالة بطريرك انطاكية وجاثليق القدس إلى ملكي الروم :

طلب الوزير علي بن عيسى من بطريرك انطاكية وجاثليق القدس أن يطلبا من ملكي الروم أن يحسنا معاملة أسرى المسلمين لديهما ، فكتبا إليهما يقولان :

إنكما قد خرجتما بما فعلتما عن ملة عيسى عليه السلام ، وليس لكما الإضرار بالأسارى فإنه يخالف دينكما وما يأمركما به المسيح ، فإما زلتما عن هذا الفعل وإلا حرمناكما ولعناكما على هذين الكرسيين .

المنتظم لابن الجوزي ج٦ – ٣٥٣

١٥٤ - رسالة من ملوك الروم إلى الراضي بالله سنة ٣٢٦ هـ في طلب الهدنة . وكانت الكتابة الرومية بالذهب والترجمة العربية بالفضة .

وكان عنوان الكتاب : من رومانس وقسطنطين واسطفانس عظماء ملوك الروم إلى الشريف البهي ضابط سلطان المسلمين .

باسم الاب والابن والروح القدس الإله الواحد . الحمد لله ذي الفضل العظيم الرؤوف بعباده الجامع للمفترقات والمؤلف للأمم المختلفة في العداوة حتى يصيروا واحداً [ولما بلغنا مارزقته أيها الأخ الشريف الجليل من وفور العقل وتمام الأدب واجتماع الفضائل أكثر ممن تقدمك من الخلفاء حمدنا الله تعالى إذ جعل في كل أمة من يمتثل أمره . وقد وجهنا شيئاً من الألطاف وهي أقداح وجرار من فضة وذهب ، وجواهر وقضبان فضة وسقور وثياب سقلاطون ونسيج ومناديل وأشياء كثيرة فاخرة][1] .

١٥٥ - جواب الراضي بالله على الرسالة السابقة :

من عبد الله أبي العباس الإمام الراضي بالله أمير المؤمنين إلى رومانس وقسطنطين وأسطفانس رؤساء الروم . سلام على من اتبع الهدى وتمسك بالعروة الوثقى وسلك سبل النجاة والزلفى ...

ثم أجابهم لما طلبوا .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٣ ، ٢٦٢ - ٢٦٣

١٥٦ - رسالة جوابية من الأخشيد إلى ملك الروم أرمانوس الذي كان أرسل له كتاباً يذكر فيه أنه ليس من عادته أن يراسل إلا الخليفة . والكتاب من إنشاء إبراهيم بن عبد الله النجيرمي .

أما بعد : فقد ترجم لنا كتابك الوارد مع نقولا وإسحاق رسوليك

(١) مابين الحاصرتين من المنتظم لابن الجوزي ج٦ - ٢٩٣ .

فوجدناه مفتتحاً بذكر فضيلة الرحمة ، وما نمي عنا إليك وصح من شيمنا فيها لديك ، وما نحن عليه من المعدلة وحسن السيرة في رعايانا ، وما وصلتَ به هذا القول من ذكر الفداء والتوصل إلى تخليص الأسرى ، إلى غير ذلك مما اشتمل عليه وتفهمناه .

فأما ما أطنبت فيه من فضيلة الرحمة ، فمن سديد القول الذي يليق بذوي الفضل والنبل ؛ ونحن بحمد الله ونعمه علينا عارفون ، وإليه راغبون وعليه باعثون ، وفيه بتوفيق الله إيانا مجتهدون وبه متواصون وعاملون ، وإياه نسأل التوفيق لمراشد الأمور وجوامع الصالح بمنه وقدرته .

وأما مانسبته إلى أخلاقنا من الرحمة والمعدلة ، فإنا نرغب إلى الله جل وعلا الذي تفرد بكمال هذه الفضيلة ووهبها لأوليائه ثم أثابهم عليها ، أن يوفقنا لها ويجعلنا من أهلها ، وييسرنا للاجتهاد فيها والاعتصام من زيغ الهوى عنها ، وعِرَّةِ القسوة بها ، ويجعل ما أودع قلوبنا من ذلك موقوفاً على طاعته وموجبات مرضاته حتى نكون أهلاً لما وصفتنا به وأحق حقاً بما دعوتنا إليه ممن يستحق الزلفى من الله تعالى ، فإنا فقراء إلى رحمته ، وحق لمن أنزله الله بحيث أنزلنا وحمله من جسيم الأمر ماحملنا ، وجمع له من سعة الممالك ماجمع لنا بموالاة أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ أن يبتهل إلى الله تعالى في معونته لذلك وتوفيقه وإرشاده ، فإن ذلك إليه وبيده ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

وأما ماوصفته عن ارتفاع محلك عن مرتبة من هو دون الخليفة في المكاتبة لما يقتضيه عظم ملككم ، وإنه الملك القديم الموهوب من الله ، الباقي على الدهر ، وإنك إنما خصصتنا بالمكاتبة لما تحققته من حالنا

عندك ، فإن ذلك لو كان حقاً ، وكانت منزلتنا كما ذكرته تقصر عن منزلة من تكاتبه ، وكان لك في ترك مكاتبتنا غنم ورشد ، لكان من الأمر البين ان أحظى وأرشد وأولى بمن حل محلك أن يعمل بما فيه صلاح رعيته ، ولا يراه وصمة ولا نقيصة ولا عيباً ، ولا يقع في معاناة صغيرة من الأمور تعقبها كبيرة . فإن السائس الفاضل قد يركب الأخطار ويخوض الغمار ، ويعرض مهجته فيما ينفع رعيته ، والذي تجشمته من مكاتبتنا ، إن كان كما وصفته ، فهو أمر سهل يسير لأمر عظيم خطير ، وجُلّ نفعه وصلاحه وعائدته تخصكم ، لأن مذهبنا انتظار إحدى الحسنيين ، فمن كان منا في أيديكم فهو على بينة من ربه وعزيمة صادقة من أمره ، وبصيرة فيما هو لسبيله ، وإن في الأسرى من يؤثر مكانه من ضنك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا وخيرها لحسن منقلبه وحميد عاقبته ، ويعلم ان الله تعالى قد أعاذه من أن يفتنه ، ولم يعذه من أن يبتليه . هذا إلى أوامر الإنجيل الذي هو إمامكم وما توجبه عليكم عزائم سياستكم ، والتوصل إلى استنقاذ اسرائكم ، ولولا ان إيضاح القول في الصواب أولى بنا من المسامحة في الجواب لأضربنا عن ذلك صفحاً ، إذ رأينا أن نفس السبب الذي من أجله سما إلى مكاتبة الخلفاء عليهم السلام مَن كاتبهم ، أو عدا عنهم إلى من حل محلنا في دولتهم ، بل إلى من نزل عن مرتبتنا ، هو أنه لم يثق من منعه ورد ملتمسه ممن جاوره ، فرأى أن يقصد به الخلفاء الذين الشرف كله في إجابتهم ، ولا عار على أحد ، وإن جل قدره ، في ردهم ، ومن وثق بنفسه ممن جاوره وجد قصده أهون السبيلين عليه وأدناهما إلى إرادته ، حسب ماتقدم لها من تقدم ، وكذلك كاتب من حل محلك من قصر عن محلنا ولم يقرب من منزلتنا ، فمالكنا عدة ، كان يتقلد في سالف الدهر كل مملكة منها ملك عظيم الشأن .

فمنهـــا ملك مصر الذي أطغى فرعون على خطر أمره حق ادعى الألوهية . وافتخر على نبي الله موسى بذلك .

ومنها ممالك اليمن التي كانت للتتابعة والإقيال العباهلة ملوك حمـير على عظم شأنهم وكثرة عددهم .

ومنها أجناد الشام التي منها :

جند حمص وكانت دارهم ودار هرقـل عظيم الروم ومن قبله من عظمائها . ومنها :

جند دمشق على جلالته في القديم والحديث ، واختيـــار الملوك المتقدمين له . ومنها :

جند الأردن على جلالة قدره وإنه دار المسيح صلى الله عليـه وسلم وغيره من الأنبياء والحواريين . ومنها :

جند فلسطين وهي الأرض المقدسة وبها المسجد الأقصى وكـرسي النصرانية ومعتقد غيرهـا ، ومحج النصارى واليهود طراً ، ومقر داود وسليمان ومسجدهما ، وبها مسجد إبراهيم وقبره وقبر إسحاق ويعقوب ويوسف وإخوتـه وأزواجهم عليهم السلام ، وبهـــا مولد المسيح وأمه وقـــبرها .

هـــذا إلى ما نتقلده أمر مكة المكرمة المحفوفة بالآيات البـــاهرة والدلالات الظاهرة ، فإنا لو لم نتقلد غيرها لكانت بشرفها وعظم قدرها ، وما حوت من الفضل توفي على كل مملكة : لأنها محج آدم ومحج إبراهيم وإرثه ومهاجره ومحج سائر الأنبيـــاء وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام ، وداره وقبره ومنبت ولده ، ومحج العرب على مر الحقب ومحل أشرافها وذوي أخطارها على عظم شأنهم وفخامة أمرهم ، وهذا البيت العتيق المحرم المحجوج إليه من كل فج عميق الذي يعترف بفضله وقدمه أهل

الشرف ، من مضى ومن خلف ، وهو البيت المعمور وله الفضل المشهور .

ومنها مدينة الرسول ﷺ المقدسة بتربته ، وإنها مهبط الوحي وبيضة هذا الدين المستقيم الذي امتد ظله على البر والبحر والسهل والوعر والشرق والغرب وصحارى العرب على بعـــد أطرافها وتنازح أقطارها وكثرة سكانها في حاضرتها وباديتها ، وعظمها في وفودها وشدتها وصدق بأسها ونجدتها وكبر أحلامها وبعد مرامها ، وانعقاد النصر من عنـد الله براياتها ، وإن الله تعالى أباد خضراء كسرى ، وشرد قيصر عن داره ومحل عزه ومجده بطائفة منها . هذا إلى مـا تعلمه من أعمالنا وتحت أمرنا ونهينا ثلاثـــة كراسي من أعظم كراسيكم . بيت المقدس وانطاكية والاسكندرية ، مع ما إلينـا من البحر وجزائره واستظهارنا بأتم العتاد . وإذا وفيت النظر حقه علمت ان الله تعالى قد اصطفانا بجل الممالك التي ينتفع الأنام بها ، وبشرف الأرض المخصوصة بالشرف كله دنيا وآخرة ، وتحققت أن منزلتنا بما وهبه الله لنا من ذلك فوق كل منزلة ، والحمد لله ولي كل نعمة .

وسياستنا لهذه الممالك قريبهـا وبعيدها ، على عظمتها وسعتها ، بفضل الله علينا وإحسانه إلينا ومعونته لنا وتوفيقه إيانا كما كتبت إلينا وصح عندك من حسن السيرة ، وبمـا يؤلف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية ويجمعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ويوسعها الأمن والدعة في المعيشة ويكسبها المودة والمحبة .

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً على نعمه التي تفوت عندنا عدد العادين وإحصاء المجتهدين ونشر الناشرين وقول القائلين وشكر الشاكرين. ونسأله أن يجعلنا ممن تحدث بنعمته عليه شكراً لها ، ونشراً لما منحه

الله منهـا ومن رضى اجتهاده في شكرها ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وكان سعيه مشكوراً إنه حميد مجيد .

وما كنت أحب أن أباهيك بشيء من الدنيا ، ولا أتجاوز الإستيفاء لما وهبه الله لنا من شرف الدين الذي كرمه واظهره ، لكنك سلكت مسلكاً لم يحسن أن نعدل عنه ، وقلت قـولاً لم يسعنا التقصير في جوابـه .

ومع هذا فإنا لم نقصد فيما وصفنـاه من أمـــرنا مكاثرتك ، ولا اعتمدنا تعيين فضل لنا نعوذ بـه ، إذ نحن نُكرِّم ، ونرى أن نكرمك عند محلك ومنزلتك وما يتصل بها من حسن سياستك ومذهبك في الخير ومحبتك لأهله ، وإحسانك لمن في يدك من أسرى المسلمين ، وعطفك عليهم ، وتجاوزك في الإحسان إليهـــم جميع من تقدمك من سلفك ، ومن كان محموداً في أمره رُغبَ في محبته ، لأن الخير أهل أن يحب حيث كان . فإن كنت تؤهل لمكاتبتك ومماثلتك من اتسمت مملكته وعظمت دولته وحسنت سيرته ، فهذه ممـالك عظيمة واسعة جمة وهي أجل الممالك الـتي ينتفع بهـا الأنام وسر الأرض المخصوصة بالشرف ، فإن الله قد جمع لنا الشرف كله ، والولاء الذي جعل لنـا من مولانا أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ مخصوصين بذلك إلى ما لنا بقديمنا وحديثنا وموقفنا ، والحمد لله رب العالمين الذي جمع لنـا ذلك بمنه وإحسانه ، ومنه نرجو حسن السعي فيما يرضيه بلطفه ، ولم ينطو عنك أمرنا فيما اعتمدناه .

وإن كنت تجري في المكاتبة على رسم من تقدمك فإنك لو رجعت إلى ديوان بلدك وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحل

محلنا ولا أغنى غناءنا ولا ساس في الأمور سياستنا، ولا قلده مولانا أمير المومنين ـ أطال الله بقاءه ـ ما قلدنا ، ولا فوض إليـــه ما فوض إلينا ، وقد كوتب أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون . وآخر من كوتب تكين مـولى أمـير المؤمنين ، ولم يكن يتقلد سوى مصر وأعمالها .

ونحن نحمد الله كثيراً أولاً وآخراً على نعمه الـــتي يفوت عندها عددها عد العادين ونشر الناشرين ، ولم نرد بمـــا ذكرناه المفاخرة ، ولكن قصدنا بما عددناه من ذلك حالاتٍ : أولها التحدث بنعمة الله علينا ، ثم الجواب بما تضمنه كتابك من ذكر المحل والمنزلة في المكاتبة ولتعلم قدر ما بسطه الله لنا في هذه المسالك .

وعندنا قوة تامة على المكافأة على جميل فعلك بالأسارى ، وشكرٌ وافٍ لما توليهم وتتوخاه من مسرتهم إن شاء الله تعالى وبـه الثقة . وفقك الله لمواهب خيرات الدنيا والآخرة والتوفيق للسداد في الأمور كلها ، والتيسير لصلاح القول والعمل الذي يحبه ويرضاه ويثيب عليه ويرفع في الدنيا والآخرة أهله بمنه ورحمته .

وأما الملك الذي ذكرت أنه باق على الدهر لأنه موهوب لكم من الله خاصة ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، وإن الملك كله لله يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وإليه المصير وهـو على كل شيء قدير . وإن الله عز وجل نسخ مُلك المُلوك وجبرية الجبارين بنبوة محمد ﷺ ، وشفع نبوته بالإمامة وحازها إلى العترة الطاهرة من العنصر الذي منه أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ والشجرة التي منها غصنه

وجعلها خالدة فيهم يتوارثها منهم كابر عن كابر ، ويلقيها ماض إلى غابر ، حتى نجز أمر الله ووعده ، وبهر نصره وكلمته وأظهر حجته واضاء عمود الدين بالأئمة المهديين وقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون حتى يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون .

وإن أحق مثلك أن يكون من عند الله وأولاه وأخلقه أن يكنفه بحراسته وحياطته ، ويحفه بعزه وأيده ، ويجلله بهاء السكينة في بهجة الكرامة ويحمله بالبقاء والنجاء ما لاح فجر وكر دهر ، مثلك إمامة عادلة خلفت نبوة فجرت على رسمها وسننها ، وارتسمت أمرها وأقامت شرائعها ودعت إلى سبلها ، مستنصرة بأيدها متنجزة لوعدها ، وإن يوماً واحداً من إمامة عادلة خير عند الله من عمر الدنيا تملكاً وجبرية .

ونحن نسأل الله تعالى أن يديم نعمه علينا وإحسانه إلينا بشرف الولاية ، ثم بحسن العاقبة بما وفرّ علينا فخره وعلاه ومجده وإحسانه إن شاء الله وبه الثقة وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وأما الفداء ورأيك في تخليص الأسرى ، فإنا وإن كنا واثقين لمن في أيديكم بإحدى الحسنيين وعلى بينة لهم من أمرهم ، وثبات من حسن العاقبة وحسن المثوبة ، عالمين بمالهم ، فإن فيهم من يؤثر مكانه من ضنك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا ولذتها ، سكوناً إلى ما يتحققه من حسن المنقلب وجزيل الثواب ، ويعلم أن الله قد أعاذه من أن يفتنه ، ولم يعذه من أن يبتليه ، وقد تبينا مع ذلك في هذا الباب ما شرعه لنا الأئمة الماضون والسلف الصالحون فوجدنا

ذلك موافقاً لما التمسته وغير خارج عما أحببته ، فسررنا بما تيسر منه ، وبعثنا الكتب والرسل إلى عمالنا وسائر أعمالنا وعزمنا عليهم في جمع كل من قبلهم واتباعهم بما وفر الإيمانُ في إنفاذهم وبذلنا في ذلك كل ممكن ؛ وأخرنا إجابتك عن كتابك ليتقدم فعلُنا قولنا وانجازنا وعدنا ، ويوشك أن يكون قد ظهر لك من ذلك ما وقع أحسن المواقع منك إن شاء الله .

وأما ما ابتدأتنا به من المواصلة واستشعرته لنا من المودة والمحبة، فإن عندنا من مقابلة ذلك ما توجبه السياسة التي تجمعنا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة الشرف الذي يؤلفنا على تباين النحل ، فإن ذلك من الأسباب التي تخصنا وإياك ، ورأينا في تحقيق جميل ظنك بنا إيناس رسلك وبسطهم ، والإستماع منهم والإصغاء إليهم والإقبال عليهم ، وتلقينا انبساطك إلينا وإلطافك إيانا بالقبول الذي يحق علينا، ليقع ذلك موقعه ، وزدنا في توكيد ما اعتمدته ما حملناه رسلك في هذا الوقت على استقلالنا إياه من طرائف بلدنا وما يطرأ من البلاد علينا ، وإن الله بعدله وحكمته أودع كل قرية صنفاً ، ليتشوف إليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سبباً لعمارة الدنيا ومعايش أهلها ، ونحن نفردك بما سلمناه إلى رسولك لتقف عليه إن شاء الله .

وأما ما أنفذته للتجارة فقد أمكنا أصحابك منه ، وأذنا لهم في البيع وفي ابتياع ما أرادوه واختاروه لأنا وجدنا جميعه مما لا يحظره علينا دين ولا سياسة وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك والحرص على عمارة ما بدأتنا به ورعايته ، وربّ ماغرسته ، أفضل مايكون عند مثلنا لمثلك والله يعين على مانتويه من جميل ونعتقده من خير وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومن ابتدأ بجميل لزمه الجري عليه والزيادة ، ولا سيما إذا كان من أهله وخليقاً به ، وقد ابتدأتنا بالمؤانسة والمباسطة ، وأنت حقيق بعمارة مابيننا ، وباعتمادنا بحوائجك وعوارضك قبلنا ، فابشر بتيسير ذلك إن شاء الله .

والحمد لله أحق ما ابتدىء به وخُتِم بذكره . وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة وعلى آله وسلم تسليماً .

صبح الأعشى للقلقشندي ج٧ ، ١٠ – ١٨

١٥٧ – رسالة ابن طولون إلى عامله على الثغور بعـــدم منح الهدنة للروم .

تولى ابن طولون أمرة الثغور فوضع عاملاً عليها من قبله ، وحارب هذا العامل الروم وانتصر عليهم ، فطلب ملك الروم الهدنة ، فأرسل العامل إلى ابن طولون يستأذنه في ذلك فرفض ابن طولون وأجابه :

إنمـا حملهم على ذلك تخريبكم لقلاعهم وحصونهم فيكون في الصلح راحة لهم . فحاش الله منه .

كتاب العبر لابن خلدون ج٤ ، ٦٤٢ – ٦٤٣

١٥٨ – رسالة نقفور فوكاس ملك الروم الجوابية لأهل طرطوس والمصيصة .

حارب نقفور أهل الثغور حتى ضعفوا كل الضعف ولم ينجدهم أحد ، فأرسلوا إليه يعرضون عليه أتاوة يؤدونها له : وقد أوشك أن يقبل ذلك لولا أنه عرف شدة ضعفهم فرفض وقال لرسولهم :

مثلكم مثل الحية في الشتاء إذا لحقهـا البرد ذبلت وضعفت حتى يقدر من رآها انها قد ماتت ، فإن أخذها إنسان وأحسن إليها وأدفأها

انتعشت ولدغته ، وأنتم إنما بخعتم بالطاعة لما ضعفتم ، وإن تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم .

ثم قال للرسول : امض إليهم وعرفهم أن ليس عندي إلا السيف .

تجارب الامم لابن مسكويه حـ٢ ـ ٢١٠

١٥٩ ـ رسالة نقفور فوكاس إلى أهل المصيصة وذلك بعد أن حاصرها كل الحصار وضايقها كل المضايقة ثم انصرف عنها بعد أن أرسل إلى أهلها يقول :

إني منصرف عنكم لا لعجز عنكم وعن فتح مدينتكم ولكن لضيق العلوفة ، وأنا عائد إليكم بعد هذا الوقت ، فمن أراد منكم الانتقال إلى بلد آخر قبل رجوعي فلينتقل ، ومن وجدته بعد عودتي قتلته [١].

تجارب الأمم لابن مسكويه ج٢ ـ ٢٠٣

١٦٠ ـ رسالة لؤلؤ غلام أبي الفضائل الحمداني إلى ملك الروم باسيل .

كان بين الحمدانيين في حلب وباسيل ملك الروم معاهدة ، وحدث أن أرسل العزيز الفاطمي جيشاً بقيادة منجوتكين فحاصر حلب وفيها أبو الفضائل الحمداني وغلامه المستبد به لؤلؤ ، فلما ضاق الحال بهما أرسل لؤلؤ إلى باسيل ملك الروم يستنجده ويقول :

متى أخذت حلب فتحت إنطاكية بعدها وأتعبك التلافي ، وإذا سرت بنفسك حفظت البلدين جميعاً وسائر الأعمال .

١٦١ ـ رسالة لؤلؤ إلى منجوتكين لما اقترب جيش باسيل منه :

كان هم لؤلؤ إبعاد الفاطميين لا دمارهم ، ولذلك لما اقترب جيش

(١) أورد ابن الاثير في الكامل نصاً أقل تفصيلاً من نصنا أعلاه جـ٨-٥٥٣ .

باسيل منهم أرسل إلى منجوتكين يقول :

إن عصمة الإسلام الجامعة لنا تدعوني إلى إنذاركم والنصح لكم ، وقد أظلكم بسيل في جيوش الروم فخذوا الحذر لأنفسكم .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج٣ ، ٢٢٠ - ٢٢١

١٦٢ - رسالة شفوية من رسول عضد الدولة إلى ملك الروم .

أرسل عضد الدولة ابن شهرام رسولاً إلى ملك الروم من أجل الوصول إلى عقد اتفاق هدنة ، ولكنه لم ينجح وصادف صعوبات كثيرة لتعدد الأحزاب حول الملك وتضارب آرائها ومصالحها . فقرر ابن شهرام استعمال ذكائه وأرسل مع شخص من حاشية الملك استماله إليه هذه الرسالة الشفوية وطلب تبليغها للملك :

أريد أن تحمل عني رسالة إلى ملك الروم فقد طال مقامي وتعرفني آخر ماعنده ، فإن فعل ما أريده وإلا فلا وجه لمقامي .

انه يجب عليك أولاً أن تحفظ أيها الملك نفسك ثم ملكك ثم أصحابك ، ولا تثق بمن صلاحه في فسادك فإن معاونة أبي تغلب عليك تم في بلد الروم ماجرى . وكيف تكون الحال مع عضد الدولة إن عاون عليك أيها الملك ؟ وإني أرى أصحابك لا يريدون تمام الهدنة بينك وبين أوحد الدنيا وملك الإسلام . والإنسان لا يخفى عليه إلا مالم يجربه . وأنت فقد جربت سبع سنين عند عصيان من عصى عليك الملك ، وملكك لا يبقى نفسك الروم[1] ، فما يبالون هذا إن لم يتحرك هو بنفسه . وقد نصحت لما رأيت من ميل صاحبي إليك وإيثاره لك ، فتأمل خطابي واعمل بعد ذلك برأيك .

---

(١) هكذا بالاصل والمعنى مضطرب غير مفهوم .

١٦٣ – جواب ملك الروم لابن شهرام .

الأمر كما ذكرت ، ولكن ليس يمكن مخالفة الجماعة ويروني بصورة من قد خانهم وأهلكهم ، ولكن سأتمم الأمر وأفعل كل مايمكن فعله .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج٣ ، ٣٤ – ٣٥

١٦٤ – رسالة ملك الرُوم إلى أهل بيروت .

احتل المعز الفاطمي قسماً من سورية ومن جملتها بيروت ووضع عليها والياً من قبله هو نصير الخادم . وقد استغل ملك الروم الفوضى التي انتشرت في سورية والصراع بين الأتراك والقرامطة والفاطميين فزحف على سورية حتى وصل إلى بيروت وحاصرها ، ومن ثم أرسل إلى أهلها يقول :

إني لا أريد خراب بلدكم وإنما أريد أن تسلموا إليّ هذا الخادم ومن معه وأجعل عندكم من قبلي من يدفع عن بلدكم .

وقد أجابوه إلى طلبه .

اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ٢٢٢

١٦٥ – رسالة الطائع لله إلى ركن الدولة البويهي يخبره فيها بانتصار المسلمين على الروم وأسر الدمستق مليح في إحدى المعارك سنة ٣٦٢ﻫ وهي من إنشاء أبي إسحاق الصابي .

أما بعد : فالحمد لله ذي المنة والطول والقدرة والحول والغلبة والصول ، المنفرد بكبريائه ، المنعم على أوليائه ، المنتقم من أعدائه ، رافع الحق ومعليه وقامع الباطل ومرديه ، ومعز الدين ومديله ، ومذل الكفر ومذيله ، المنزل رحمته على من جاهد في طاعته ، المحل سطوته بمن جاهر بمعصيته ، المتكفل بتأييد حزبه حتى يظفر ، وخذلان حربه

حتى يدحر ، الذي لايفوته الهارب ولا ينجو منه الموارب . ولا يعييه المعضل ولا يعجزه المشكل ، ولا تبهظه الأشغال ولا تؤوده الأثقال ، الواحد الذي لاشريك له ، الفرد الذي لاقرين له ، الغني المفتقر إليه ، القوي المعتمد عليه ، بالغ أمره بلا مؤازر وممضي حكمه بلا مظاهر ، ذلكم الله ربكم فادعوه مخلصين له الدين . والحمد لله الذي اختار لنا الإسلام ديناً وآثره وأظهره على الدين كله ونصره وشرعه شرعاً لا ينسخ وعقده عقداً لا يفسخ وجعله حقاً لا يدحض ، وأمره إمراراً لا ينقض ، وقضى له بعز المرافقين وذل المنافقين وظهور المعاضدين وثبور المعاندين ، واصطفى محمداً ﷺ من أكرم المناسب ، واجتباه من أشرف المحاتد والمناصب ، واستخلصه من أسرة هاشم ، وفضله على جميع بني آدم ، وأيده بالملائكة المقربين وبعثه رسولاً إلى العالمين ، فأدى أمانة ربه مخلصاً فصدع برسالته مبلغاً مخلصاً ، واستنقذ هذه الأمة من الغواية ، وعرفها طرق الهداية وسلك بها سواء المحجة ودعاها إلى الحق بأوضح حجة ، وعدل بها عن عبادة الأوثان إلى طاعة الرحمن ، وعن طريق الشيطان إلى أرشد الأديان ، فأصبح الناس على التعاطف والائتلاف عاكفين ، وعن التهارج والاختلاف عازفين ، إخواناً في ذات الله متوازرين ، وأقراناً في السعي لرضاه متضافرين ، يرمون أعداءهم عن يد وساعد ، ويرصدون لهم أرصاد رجل واحد ، نعمة من الله أسبغها عليهم ، وموهبة أزلها إليهم ، إذ يقول جل جلاله وعظمت كبرياؤه : واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (١) .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

والحمد لله الذي برأ أمير المؤمنين من شجرة النبوة الطيب ودرأه من عنصرها الخالص المهذب ، وحباه بفضيلة الإمامة ورداه رداء الكرامة ، وبوأه منازل أسلافه الطيبين وحاز له مواريثهم أجمعين ، وأهله لعظيم مااسترعاه ، وأعانه على الإستقلال بما استكفاه ، وافترض طاعته على عباده وخلقه ، وأنهضه فيهم بتأدية واجبه وحقه ، واختصه بأمد في الخلافة أطاله، ومدى فات به نظراءه وأشكاله ، وحبب اليه جواد العدل المنجية وجنبه عوادي الجور المردية ، فالدهماء بسيادته ساكنة ، والرعية برعايته آمنة ، والفتوح في أيامه متصلة متقاطرة ، والغنائم على المسلمين ببركته داوة متواترة . وقد كنفه الله منذ منحه فضيلة هذه الآلاء ، وحمله أوق هذه الأعباء منك ـ كلأك الله ـ ومن ذويك وولدك وولد أخيك بركن لدولته [1] لايتزعزع ولا يتضعضع ، وعضد [2] لا يفت فيه ولا توطأ نواحيه ، وعز [3] لا يضام ولا يرام ، ومؤيد [4] لا يعجز ولا ينكل ، وعمدة [5] لا يضعف ولا يرام ولا يفشل . فرايات أمير المؤمنين أين توجهتم بها منصورة ، وجيوشه أنى صرفتموها ظافرة موفورة ، وعوائد الله عليه بكم وعلى أيديكم جارية وفوائده إليه ببركتكم ويمنكم متوافية . وأنت ـ حفظ الله النعمة فيك ـ سنخ [6] تلك الأرومة وعظيمها وعميد تلك الجرثومة وزعيمها . وقد أنبَتَ خطّيّها وقوم أغصانها تخريجك ، وتشعبت شعبها من أصولك

(١) يقصد بركن دولته ركن الدولة البويهي .

(٢) يقصد بالعضد عضد الدولة البويهي بن ركن الدولة .

(٣) يقصد بالعز عز الدولة بن معز الدولة البويهي .

(٤) يقصد مؤيد الدولة أخا عضد الدولة .

(٥) يقصد عمدة الدولة أخا عز الدولة .

(٦) السنخ الأصل والأرومة أصل الشجرة ويقصد أنه هو أصل بني بويه .

واحتذت فروعهـا على تمثيلك ، وناب عز الدولة أبو منصور ، مولى أمير المؤمنين ـ أمتع الله به عينك وعين شيخه معز الدولة أبي الحسين تولاه الله بأوسع الرحمة وحرس الله فيك النعمة ـ أتم نيابة وأوفاها ، وخدم أمير المؤمنين أوفى خدمة وأشفاها ، لا يذخره نصحاً ولا يألوه جهداً في ضبط الثغور وسدها ، ورم الأمور وشدها ، وترتيب الأحراس بمراكزها وتسريب البعوث في مقاصدها ومجاهدة الكفار ومناضلة الأعداء ومدافعتها ، وإصلاح البلاد وعمارتها ورعاية الرعية وسياستها ، يسافر رأيه وهو دانٍ لم يبرح ، ويسير تدبيره وهو ثاوٍ لم ينزح ، يتنـاول المعالي بصالب رأيه ، ويفترع الهضاب ببعيد همه ، ويصيب الأغراض بصائب سهمه ، ويطبق المفاصل بصواب عزمه . والله يمتع أمير المؤمنين بك وبه . ويدافع له عنك وعنه ، فقد أرقدتما طرفه بتيقظـكما وأرغدتما عيشه بحفظـكما ، ووصلتما أيام دعته بدأبكما ، وأطلتما زمانـ راحته بنصبكما ، ولا يخليه فيكما وفي أهليكما من نعمة يعتدها الأولى من نعمة عليه ، ومنحة يعتدها العظمى من منحة لديه بلطفه وعطفه وجوده ومجده.

وقد عرفت ـ أحسن الله الولاية فيـك ـ ما كان من عظيم الروم لما تطاول بواسط مقـام عز الدولة أبي منصور مولى أمـــير المؤمنين ـ رعاه الله ـ وثقته ببعـد المسافة على أبي تغلب فضل الله ابن ناصر الدولة عامل أمير المؤمنين ، في الإستصراخ والإستنجاد ، وطول الشقة في الإستنفار والإستمداد ، وانتهازه هذه الفرصة واهتباله هـذه الغرة ومسيره في العدد الجم من الكفار وتناهيه في الإحتشاد والإستكثار ، وتوغله في دار الإسلام إلى نصيبين ، وإيقاعه ونكايته بمن بها من المسلمين والمعاهدين ، ووردت في أثر ذلك كتب أبي تغلب إلى أمـير المؤمنين وإلى عز الدولة مولاه ـ حفظه الله وتولاه ـ بشكوى مانزل به وحل

بساحته والتماس مدد يزيد في عدته ومنته ، فأهم أمير المؤمنين ماورد منه طويلا وأقلقه شديداً ، وبعثه على استقدام عز الدولة - كلأه الله - والجيوش التي برسمه - نصره الله ، فثنى عنانه إليها مسرعاً مبادراً ، ولبى دعوته مجيباً مثابراً ، وعاد إلى مكانه من الخدمة ومقره من الحضرة وامتثل أمر أمير المؤمنين في إنجاد أبي تغلب بجمع كثيف من الرجال الذين يصلحون للقاء الروم ، وبالأبطال المختارة من طوائف الأعراب والأكراد ، فتوافت هذه الجموع إليه وتكاثرت لديه ، واتفق والمجردون من الحضرة على استنفاد الوسع والنصرة ، وتوكلوا جميعاً على رب العالمين ، واستنجحوا بشعار أمير المؤمنين ، وأثروا في الطغاة الكفرة والبغاة الفجرة أثراً بعد أثر ، وظفروا بهم ظفراً بعد ظفر ، إلى أن ختم الله بورود الكتب مقتصاً فيها حال غزاة بعض أصحابنا بنواحي موش وطرون[1] ، وأنهم وردوا منها بلاداً قد اغتر أهلها بوعورة مسالكها وخشونة مناهجها ، وظنوا أن الأمد في بلوغها بعيد ، والوصول إليها شاق وشديد ، فأدال الله منهم وجعل الدائرة عليهم ، فملكوا قسراً وقهراً ، وبولغ فيهم قتلا وأسراً ، وامتلأت أيدي المسلمين من السبي والرحال والدواب والبغال والأموال والأثقال والغنائم والأنفال ، وانصرفوا غانمين سالمين ، والحمد لله حمد الشاكرين ، وإن عسكراً لأعداء الله خرج مع عدة من عظمائهم المعروفين بالزراورة إلى حصن للمسلمين ببدليس وسميرام كان قد شحن بمن يحميه ، ورتب فيه من الرجال من يكفيه ، فلما نازلوه واستحكم طمعهم فيما حاولوه ، نهد لهم جميع أولئك الرجال ، واستعانوا بالله ذي الجلال فرزقهم النصر عليهم وقتلوا عدداً يفوت الإحصاء منهم ، ولله الطول ومنه العون .

---

(١) من بلاد أرمينيا .

وتواترت بعد ذلك على أبي تغلب والمنفذين إليه أخبار عسكر ببطن هنزيط ونواحيه ومعبر الفرات وما يليه ، وذكر كثرة عَدده وعُدده وعظم حشده ومدده ، فأنفذ أخاه هبة الله بن ناصر الدولة في معظم الرجال الذين أمده بهم عز الدولة - رعاه الله - إذ كانوا أقوى تلك الطوائف المجتمعة لديه وأولاها بعائدة النصر والظفر عليه ، وفيمن انضوى إليهم من قبائل الأعراب وصناديدها وفتاك الأكراد وصعاليكها، وساروا بصدور منشرحة وآمال منفسحة ، ووردوا ظاهر آمد يوم الثلاثاء لثلاث ليال بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة ، فعرفوا صحة خبر الدمستق لعنه الله وحصوله على أفواه الدروب في خمسين ألف رجل ، منهم عشرون ألفاً من المدججة وذوي المراتب المقدمة ، وتلوم (١) أصحابنا بها يريحون، والكفرة على مسافة يوم منهم مقيمون ، مرة تقدم بهم الآجال ، ومرة تهجم بهم الأوجال ، ثم تدانى الفريقان والتقت حلقتا البطان (٢) في يوم الجمعة الذي ختم الله به شهر الصيام وحتم فيه الظهور للإسلام ، فثبت الطغاة اغتراراً بوفور عددهم ومحاماة عن صاحبهم وعظيم كفرهم ، وأخذ الأولياء منهم بالمخنق وصدقوهم القتال في المعترك الضيق . فلما استمرت الملحمة وعلت الغمغمة ودارت رحى الحرب واستحر الطعن والضرب واشتجرت سمر الرماح وتصافحت بيض الصفاح ، تداعى الأولياء بشعار أمير المؤمنين المنصور وتنادى الكفار بالويل والثبور ، فنكصوا على أقدامهم مجدين في الهزيمة ، واعتدوا الحشاشات لو سلمت لهم من أعظم الغنيمة ، واستلحمتهم

---

(١) تلوم : تأخر .

(٢) البطان : الحزام الذي يوضع تحت بطن البعير . وهذا مثل يقال للأمر إذا اشتد التقت حلقتا البطان .

السيوف واحتكمت فيهم الحتوف ، وأخذ المسلمون منهم الثار وعجل الله بأرواحهم إلى النار ، وأسر بعد قتل ألوف منهم في المعركة الدمستق رئيس عساكرهم وقائدها ومدبر حروبهم ومرتبها ، وما أخذ المسلمون قبله دمستقاً ، وحصل معه المعروف بابن البلنطس وهو طريده (١) في الرئاسة ورسيله في السياسة ، وجماعة من البطارقة والزراورة والأراخنة والطراخنة ؛ قد أذلهم الله بوثائق الأسر وأذاقهم وبال الكفر ، وأفاء على أوليائه الصالحين من الخيل والسواد والأسلحة والأسلاب ماازدادت به قوتهم واشتدت معه شوكتهم .

وانبسط أهـل الثغور في جميع غلاتهـم مستبشرين وانتشروا في مسالكهم ومعايشهم آمنين مطمئنين ، ونفـذ كتاب أمير المؤمنين إلى أبي تغلب بن ناصر الدولة وكتاب عز الدولة أبي منصور ـ تولاه الله ـ إليه وإلى من كان أنجده بهم ، بالإحماد على ما عملوه سالفاً ، والإرشاد إلى ما يعملونه آنفاً ، وأن يتناهوا في التوثق من عدو الله الدمستق ومن قرينـه ابن البلنطس والوجوه المأخوذين معهما المأسورين بأسرهما ، وانفاذ رؤوس من قتل من الأكابر دون من يفوت الإحصاء من الأصاغر ، ففعلوا ذلك وورد مدينة السلام من هذه الرؤوس العـدد الكثير الذي امتلأت به العيون قرة والصدور شفاء ومسرة . فالحمد لله الذي أنجز وعده وأعز جنده وجعل رايات أمير المؤمنين منصورة وعداته مقهورة، وهو المسؤول إتمام ما أسدى من عارفة ومنة ، وإسباغ مـا أولى من موهبة ونعمة .

أعلمك أمير المؤمنين بذلك لتأخذ ـ حفظك الله ـ بحظك الوافر منه

---

(١) طريده : الشخص الثاني والذي يليه مباشرة في الرتبة .

وتغرب بسهمك الفائز فيه ، إذ كان نتيجة تدبير عز الدولة ـ أمتع الله ببقائه ـ الذي فضله منسوب إليك وجمال اثره عائد عليك ، ولتتقدم باشاعته وإذاعته والتحدث به وإفاضته والكتاب بشرحه إلى الأعمال التي تليك والأطراف المتصلة بنواحيك ، فيشترك الخاص والعام في الجذل به ويستوي القاصي والداني في الابتهاج له إن شاء الله [1] .

مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي لعمر كمال توفيق ٢٠٣ - ٢١٠

١٦٦ - رسالة الامبراطور البيزنطي تزيمسكس إلى أشوط الثالث ملك أرمينيا عن فتوحاته وغزواته في بلاد الإسلام .

يا أشوط ، يا شاهنشاه أرمينية الكبرى ، يا بني الروحي ، انصت إلي ولتعلم الأعاجيب التي أتاها الرب لصالحنا ، وانتصاراتنا التي تنم عن إعجاز والتي تدل على أنه يستحيل سبر غور العناية واننا نريد ، يا صاحب المجد يا أشوط يا بني ، أن نطلعك على الدلائل الساطعة على الفضل الذي أضافه الرب إلى نعمه هذا العام ، على يدي جلالتنا ، وأن نبصرك بها . فأنت بوصفك مسيحياً وصديقاً وفياً لجلالتنا سوف تسعد بذلك وتلهج بعظمة مولانا المسيح السامية . وهكذا ستعرف أن الرب لا يكف عن حماية المسيحيين ، وهو الذي أتاح لجلالتنا أن تخضع كل بلاد الشرق الفارسي [2] . وستعرف كذلك كيف استولينا على

---

(١) يذكر المؤلف أنه أخذ نص هذه الرسالة من كتاب المختار من رسائل الصابي لشكيب ارسلان ، ١٨٩٨م . ١ ٣ ٤٣-٥١ . ولم يقع بيد المؤلف الكتاب المذكور حق يرجع اليه ، ولذلك اكتفينا بما أورده المؤلف هنا .

(٢) يبدو أن الامبراطور يشير هنا الى حملاته على شمالي العراق .

نصيبين مدينة المسلمين وعلى مخلفات القديس جاك (١) ، وكيف أخذنا منهم الأسرى . وكانت حملتنا تهدف أيضاً إلى الإقتصاص من كبرياء أمير المؤمنين وزهوه ، وهو مولى الأفريقيين المعروفين بالعرب المغاربة(٢) الذي تصدى لنا بقوات هائلة عرضت جيشنا في البداية للخطر ، ولكننا هزمناها بعد ذلك بفضل القوة وعون الرب ، فانسحبت في خزي ، شأنها شأن أعدائنا الآخرين ، وعندئذ جعلنا من أنفسنا سادة على بلادهم ، وحكمنا بقطع رقاب عدة أقاليم ، وبعد ذلك تعجلنا الإنسحاب وعدنا إلى قواعدنا الشتوية .

ولقد جهزنا جميع فرساننا في شهر إبريل وبدأنا حملتنا فدخلنا فينيقيا وفلسطين لمطاردة الأفريقيين الملاعين الذين كانوا أسرعوا إلى بلاد الشام ، وغادرنا انطاكية بكل جيشنا ، وفي تقدمنا المباشر اجتزنا تلك البلاد التي كانت من أملاكنا من قبل ، فأخضعناها من جديد لسلطاننا بأن فرضنا عليها جزية كبيرة واستولينا فيها على الأسرى ، وحين أدركنا مدينة حمص أقبل إلينا سكان المنطقة - وهم الذين كانوا يدفعون لنا الجزية - واستقبلونا بترحاب ، وانتقلنا بعد ذلك إلى بعلبك التي يطلق عليها أيضاً هليو بوليس ، أي مدينة الشمس : إنها مدينة شهيرة عظيمة ممونة تموينا كاملاً كما أنها كبيرة ومترفة ، وحين خرج الأهالي علينا بشكل عدائي شتتهم قواتنا وأطاحت برؤوسهم بالسيوف ، وبعد عدة أيام بدأنا الحصار فأسرنا عدداً كبيراً من الشبان والفتيات ،

---

(١) هو القديس يوحنا النصيبي .

(٢) المقصود بامير المؤمنين هنا الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الذي احتل مصر وزحفت جيوشه إلى سورية واصطدمت بالبيزنطيين . كما وأن الأفارقة والعرب والمغاربة المذكورين هنا هم الفاطميون .

واستولت قواتنـا على كثير من الذهب والفضة ، وكذلك على عـدد ضخم من الماشية .

وواصلنا سيرنا متجين نحـو مدينة دمشق بغية محاصرتها ، إلا أن حاكمها ، وكان شيخاً على قدر كبير من الحكمة [١] ، بعث إلى جلالتنا برسل محملين بالهدايا الثمينة ، ومكلفين بأن يتوسلوا إلينا ألا نحيلهم إلى رقيق وألا نخرب بلدهم مثلما فعلنا ببعلبك وأهلها . ولقد قدموا إلينا هـدايا فخمة وعدداً من الخيول الثمينة والبغال الجميلة المزودة بسروج رائعة مزينة بالذهب والفضة ، وقـد وزعنا على جنودنا الخراج الذي تلقيناه من العرب وكان مقداره يبلغ أربعين ألفاً من التاهيجانات [٢]، وقدم الأهالي إلينـا وثيقة يتعهدون فيها بأن يظلوا دوماً وجيلاً بعـد جيل على طاعتنا ، ولقد نصبنا لحكم دمشق رجلاً جليلاً من بغـداد يسمى التركي [٣] ؛ وقد أتى بصحبة خمسمائة فارس ليقدم لنا الولاء [٤]. وكان اعتنق الدين المسيحي ، وقبل ذلك كان اعترف بسيادتنا . ولقد أدى جميع هؤلاء اليمين قاطعين على أنفسهم العهد بأن يدفعوا خراجاً دائماً ، وصاحوا هاتفين : المجـد لجلالتكم . كما انهم تعهدوا في الوقت ذاته بمحاربة أعدائنا ، وبمقتضى هذه الشروط ارتضينا أن ندعهم وشأنهم .

واتجهنا بعد ذلك إلى بحيرة طبرية ، هناك حيث أتى مولانا المسيح بمعجزته ـ بسمكتين وخمسة أرغفة من الخبز ـ واعتزمنا محاصرة المدينة

---

(١) يقصد أفتكين التركي الذي كان حاكم دمشق لما وصلها الامبراطور تزيمسكيس .

(٢) التاهيجـان Tahegan عملة بيزنطية تعادل تقريباً الدينار عند المسلمين . وأصل الكلمة فارسي هو دهكاني . وهناك نوعان من التاهيجان : الاول ذهبي والثاني فضي .

(٣) يقصد بالتركي أفتكين .

(٤) الولاء هنا Hommage هو الولاء الإقطاعي الذي كان أساسياً في علاقة التابـع بالمتبوع في القرون الوسطى .

طبرية . إلا أن الأهالي أتوا ليعلنوا لنا خضوعهم وليحملوا إلينا ، مثل سكان دمشق ، كثيراً من الهدايا ومقداراً من المال يبلغ ثلاثين ألفاً من التاهيجانات ، فضلاً عن أشياء أخرى ؛ وطلبوا أن ننصب عليهم قائداً من لدينا ، وقدموا وثيقة تعهدوا فيها بأن يظلوا مخلصين لنا ، وأن يداوموا على دفع الجزية ، عندئذ تركناهم أحراراً من نير الإستعباد وامتنعنا عن تخريب مدينتهم وديارهم ، لقد جنبناهم مغبة النهب لأن بلدهم كان موطن الحواريين المقدسين . وحدث نفس الشيء في الناصرة حيث كانت أم الرب القديسة مريم العذراء سمعت النبأ السعيد من فم الملاك . ولما كنا ذهبنا إلى جبل الطور فقد صعدنا إلى المكان الذي تجلى فيه إلهنا المسيح ، وحين توقفنا أتى إلينا من الرملة والقدس أناس يلتمسون رعاية جلالتنا ويتضرعون إلينا أن نرحمهم . لقد طلبوا إلينا أن ننصب عليهم حاكماً واعترفوا بتبعيتهم لنا وارتضوا الخضوع لسيادتنا فمنحناهم ما كانوا يتمنون .

كانت رغبتنا أن نحرر ضريح المسيح المقدس من نير المسلمين ، وقد عينا حكاماً عسكريين على جميع الثيمات - الاجناد - التي أخضعناها والتي صارت تدفع لنا الجزية : في بيسان التي تسمى كذلك ديقابوليس ، وفي طبرية [1] وفي عكا التي يطلق عليها أيضاً بطلمية ، وتعهد الأهالي كتابة أن يدفعوا لنا كل عام جزية دائمة ، وبأن يعيشوا تحت أمرتنا . وبعد ذلك انتقلنا إلى قيسارية الواقعة على شاطىء البحر المحيط ، والتي خضعت لنا . ولو أن هؤلاء الافريقيين اللاعين الذين كانوا استقروا هناك لم يلوذوا بحصون الساحل لكنا ذهبنا بمعونة الرب إلى مدينة أورشليم المقدسة وصلينا في هذه الأماكن المقدسة . ولما كان أهل سواحل

(١) ورد اسمها في أصل الخطاب Génésareth وهي إحدى الأسماء القديمة لطبرية .

البحر لاذوا بالفرار ، فقد أخضعنا الجزء العلوي من البـــلاد للسيطرة الرومانية (١) ، وأقمنا عليها قائداً ، وكنا نستميل الأهالي إلينا . أما هؤلاء الذين ظهر عصيانهم فقد أجبروا على الإذعان ومررنا في الطريق المحاذية للبحر والتي تؤدي مباشرة إلى بيروت هذه المدينة العظيمة ذات الشهرة الذائعة التي تحميها أسوار قوية والتي يطلق عليها الآن اســـم بيروت . وبعـد صراع بالغ العنف استطعنا أن نسيطر عليها ، لقد أسرنا ألفاً من الأفريقيين ، وكذلك نصيري - نصر - الخادم (٢) ، قائد أمير المؤمنين ، وقادة آخرين من أعلى الرتب ، وعهدنا بهذه المدينة إلى حاكم اخترناه . ثم عقدنا العزم على السير إلى صيدا ، ومـا أن علم سكانها بنيتنا حتى أوفدوا إلينا شيوخهم الذين أقبلوا متوسلين لجلالتنا وملتمسين أن يصيروا رعايانا وعبيدنا الخاضعين على الدوام ؛ وإزاء هذه التأكيدات ارتضينا الإستجابة لرجائهم وتحقيق رغباتهم ، وحتمنا عليهم دفع جزية وأقمنـا عليهم حكاماً ، ثم واصلنا سيرنا متجهين إلى بيبلوس - جبيل - هذا الحصن القديم الرهيب الذي هاجمناه وأخضعنا حاميته. وهكذا تتبعنا جميع المدن الواقعة على الساحل ونهبناها وأحلنا أهلهـا عبيداً . وكان علينا أن نجتاز طرقاً ضيقة لم يحدث أبداً أن عبرتهـا خيول ، طرقاً رهيبة وشاقة جداً . ولقد صادفنا مدناً آهلة بالسكان ومزدحمة وحصوناً تحميها أسوار قوية وحاميات من العرب فحـاصرناها جميعاً وجعلنا عاليها سافلها ، كما اقتدنا من أسرناه من سكانها ، وقبل

(١) صفة الرومانية المذكورة هنا مرادف لكلمة بيزنطة ، وذلك أن أباطرة بيزنطة قد احتفظوا بلقب أباطرة الرومان وكان يطلق على رعاياهم اسم الرومان واعتبروا أنفسهم ورثاء روما الحقيقيين وامتداداً لها .

(٢) نصر الخادم هو أحد خصيان وقواد الخليفة الفاطمي .

أن نصل إلى طرابلس أرسلنـا فرسان الشيات ـ الأجناد ـ والحاميات إلى ممر كارير Karéres (١) ، إذ كان نمي إلى علمنا أن الافريقيين الملاعين عسكروا فيه ، وأمرنا قواتنا أن تختبىء وأعددنا كميناً مهلكاً ونفذت أوامرنا وظهر ألفان من الافريقيين انقضوا على جنودنا الذين قتلوا منهم عدداً كبيراً وأسروا كثيرين أتوا بهم أمام جلالتنا .

ولقد قلبنا إقليم طرابلس كله رأساً على عقب ، مخربين فيه تخريباً كاملاً الكروم وأشجار الزيتون والحدائق ، وأينما مررنا كنا نشيع الدمـــار والحزن . وتجاسر الافريقيون المعسكرون هناك فاتجهوا نحونا ولكننا انقضضنا عليهم وأبدناهم عن آخرهم وبسطنا سلطاننا على المدينة الكبرى Djouel التي تسمى كذلك جبلة ، وعلى بلنياس وصهيون وبرزويه الشهيرة . ولم يبق حتى الرملة وقيسارية ماء أو يابس لم يخضع لنا بحول الرب الذي لم يولد ، فاتسعت فتوحاتنا حتى مدينـــة بابلون الكبرى ـ القاهرة ـ(٢) ، وفرضنا القوانين على الأهالي وأحلناهم إلى عبيد لنا ، وذلك لأننا جلنا في البلاد خلال خمسة أشهر بقوات عديدة ، مدمرين المدن ومخربين الولايات دون أن يجرؤ أمـير المؤمنين على الخروج من بابلون لمقابلتنا أو على الأقل إرسال عـدد من الفرسان إلى قواته ، ولولا الحر اللافح والطرقات القفر في الأماكن التي تجاور هذه المدينة ، كما تعرف ياصاحب المجد ، لاستطاع جلالتنا أن يصل إلى هناك ، ذلك

---

(١) يبدو أن هذا الممر هو أحد الممرات الموجودة في جبال لبنان قرب طرابلس ولفظ Kareres بالأرمنية يعني وجه الصخر .

(٢) درج كثير من مؤرخي الحوليات الاوربيين في القرون الوسطى على استعمال اسم بابلون عند التحدث عن كل من القاهرة وبغداد، والظاهر من سياق هذا الخطاب ان الامبراطور يعني القاهرة .

لأننا طاردنا هـذا الأمير حتى مصر وهزمناه هزيمة كاملة بفضل الرب الذي ندين له بتاجنا [١] . والآن صارت كل فينيقيا وفلسطين وسورية متحررة من نير المسلمين وخاضعة للرومان [٢] . وفضلاً عن ذلك فإن جبل لبنان الكبير اعترف بقوانيننا ، وإن جميع العرب الذين كانوا يقيمون به وقعوا أسرى في أيدينا بأعداد كبيرة للغاية ، فوزعناهم على فرساننا ، وحكمنا الشام حكماً يتميز بالرفق والإنسانية والرعاية ، وأخذنا منها قرابة عشرين ألف شخص أسكناهم جبلة [٣] . ولسوف تعرف أن الرب منح المسيحيين انتصارات لم يحصل أحد على مثلها في أي يوم من الأيام.

وقد عثرنا في جبلة على النعلين المقدسين اللذين سار بهما المسيح حينما ظهر على الأرض ، كما وجدنا أيقونة المخلص - المسيح - تلك الأيقونة التي طعنها اليهود فسال منها في التو دم ومـاء ، ولكننا لم نلحظ في هذه الأيقونة طعنة الحربة ، ووجدنا كذلك في هذه المدينة شعر القديس يوحنا المعمدان الرسول ، وهو شيء نفيس ، وبعد أن جمعنا هذه المخلفات حملناها معنا لنحتفظ بها في مدينتنا - القسطنطينية - التي يكلأهـــا الرب برعايته .

---

(١) الملاحظ هنا أن الامبراطور يجنح إلى الخيال والمبالغة في تصوير انتصارات وهمية على الفاطميين .

(٢) أي خاضعة للبيزنطيين أو الروم .

(٣) انفرد هذا الخطاب بذكر إسكان الامبراطور عشرين الف شخص من أهالي الشام في جبلة . ولم يوضح الخطاب ما اذا كان هؤلاء مسيحيين أم مسلمين أم موالين للامبراطور ، كذلك لم يوضح السبب في إسكانهم جبلة بالذات . ومن الممكن أنه أراد أن يعمر بهم منطقة جبلة التي أصبحت تحت السيادة البيزنطية ، أو أنه أراد ان يتخذ من جبلة مركزاً أمامياً ليواصل حملاته ضد طرابلس . ويجب ان نذكر ان جبلة اقرب مايكون الى جزيرة قبرص التي كان البيزنطيون احتلوها منذ فترة وجيزة .

وفي شهر سبتمبر قدنا جيشنا الذي حفظته العناية الإلهيـــة إلى انطاكية . وإذا كنا قـــد أطلعناك يا صاحب المجد على جميع هذه الحقائق ، فلكي يثير سردها فيك الاعجاب ، ولكي تحمد بدورك عظيم فضل الرب وحتى تلم بالأعمال العظيمة التي تم إنجازها في هذا الزمن ، وما أكثر عددها . ان الصليب المقدس قد بسط سلطانه على نطاق واسع في جميع البقاع وفي كل اتجاه ، وأصبح الناس يسبحون باسم الرب في جميع هذه البلاد . ولقد قامت امبراطوريتي في كل مكان متألقة جليلة . ولذا فإن ألسنتنا لاتكف عن التسبيح بحمد الرب الذي منحنا مثل هذه الانتصارات الرائعة . حمداً أزلياً للسيد رب اسرائيل (١) .

مقدمات العدوان الصليبي لعمر كمال توفيق ١٧٩ – ١٨٦

١٦٧ – بيان أصدرته البندقيـــة بشأن فرض قيود على التجارة بينها وبين المسلمين بناءً على طلب تزيمسكيس .

أدرك الامبراطور البيزنطي تزيمسكيس خطورة التجارة بين البندقية وبلاد الإسلام ، حيث كان البنادقة يمدون المسلمين بانواع من السلاح وكذلك بالأخشاب التي استعملوها من أجل بناء أساطيلهم وفي هذا دعم لقوتهم في وجه الامبراطورية البيزنطية ، ولذلك استعمل الامبراطور ما له من سلطة ونفوذ على البندقية وارسل مبعوثيه حتى تمكـن من جعل البندقية تصدر هذا البيان الذي تتعهد بموجبه الا تصدر للمسلمين أسلحة ولا أخشاباً كبيرة .

---

(١) ذكر المؤلف أنه ترجم نص هذه الرسالة عن الفرنسية من موسوعة مؤرخي الحروب الصليبية Recueil des historiens des Croisades. Documents armenieens I, PP 13—20 .

ريالتو . البندقية ، يوليو ، ٩٧١ م

باسم الرب ومخلصنا يسوع المسيح . في اثناء العهد الامبراطوري للماهل يوحنا الامبراطور العظيم ، في شهر يوليو من السنة الثانية من حكمه الامبراطوري الموافق للتوقيت الرابع عشر ، ريالتو (١)

حيث أنه جاء في فترة من التوقيت السالف الذكر ، مبعوثون امبراطوريون من قبل يوحنا الاول وباسيل الثامن ، وهم أقدس الاباطرة للإستقصاء عن الأخشاب والأسلحة التي كانت تحملها سفننا إلى بلاد المسلمين ، وللتهديد بشكل مفزع ، بناء على أمر أمجد الأباطرة بأنه في حالة قيام البنادقة بتقديم المساعدة للبرابرة بإمدادهم بالأخشاب ، الأمر الذي يعتبر موجها ضد صالح الامبراطورية وضد الشعب المسيحي فإنهم سوف يقومون باشعال النيران في كافة السفن بما عليها من رجال وشحنات .

وعلى ذلك ففي يوم ما ، عندما كان اللورد بيترو كانديان الرابع ، مولانا أفخم الأدواج مجتمعاً مع ابنه فتيالى اقدس البطاركة ، وكذلك مع مارينو افخم اسقف لكنيسة فيتالى وأساقفة آخرين من بلاده، وكذلك عندما كان جزء كبير من الشعب والعناصر العليا والمتوسطة والدنيا قائماً في حضرته ، عقد المجتمعون مجلساً ليقرروا كيف وبأية طريقة يستطيعون تهدئة غضب الامبراطور ، وكيف يكفون عن القيام بهذا العمل الشرير وارتكاب تلك المعصية .

---

(١) استعمل المؤلف هنا كلمة توقيت لترجمة كلمة Indiction . وهذه الكلمة لايوجد مقابلها في اللغة العربية . وهي عبارة عن فترة زمنية مدتها خمس عشرة سنة . والمعروف أن الامبراطور قسطنطين الكبير أول من استعملها من أجل تنظيمات مالية ، ثم تبنت الكلمة واستعملتها من اجل نفس الشيء الكنيسة اللاتينية .

ولأننا نعرف بكل تأكيد أنها معصية كبرى أن نقدم لشعب وثني مثل تلك المساعدة التي يستطيع بهـا التغلب على المسيحيين وإلحـــاق الضرر بهم ، فبناء على ذلك وبإلهام من العناية الآلهية ، تشاورنا سوياً ووصلنا إلى قرار نتعهد بمقتضاه نحـن وورثتنا ، لك يا لورد بيترو يا مولانا يا اسمى دوج ولخلفائك ، إنـه من الآن فصاعداً لـن يجسر أحد أن يحمل إلى بلاد المسلمين أسلحة لبيعها أو تقديمها كهدايا ، كما لن ينقل أحد أخشاب لبناء السفن مما قد يضير مصالح الشعب المسيحي ، كما لن يحمل أحـد الدروع أو التروس أو السيوف أو الرماح أو أي أسلحة قد يحارب بها المسلمون المسيحيين ، ولا يجوز للمرء أن ينقـل من السلاح إلا ما يدافع به عن نفسه ضد الأعداء ، ولا يجوز بـأية حال أن يباع مثل هذا السلاح أو يعطى للبرابرة .

وبشأن الأخشاب فنحن نوافق على عدم نقـل أشجار الدرداء أو القيقب أو ألواح من الخشب السميكة أو المجـاذيف والسواري ، أو أي أخشاب أخرى قد تتسبب في إلحـاق الأذى بالمسيحيين ، ولكن يمكن أن تحمل فقط قرم خشبية مشذبة من الدرداء لا يزيـد طولها عن خمسة أقدام ولا عرضها عن البلطة ، وكذلك الأواني والطاسات والأقداح،وألواح من الخشب طولها خمسة أو ستة أقدام . ولا يجوز لنا أن نشحن على المراكب،من أي ميناء بعد أن تبحر من ميناء البندقية أخشاب يمكن بيعها في أي مناسبة للبرابرة ويستطيعون استعمالها في بناء السفن .

وإذا حاولنا في أي وقت أن نحنث بالعهد الحالي ، واجترأنا على أن تنقل إلى بلاد المسلمين أسلحة وأخشاب غير ما نص عليه سابقاً فإن من يقوم بذلك ويكتشف أمره ، عليه أن يدفع لك يا لورد بيترو يا دوج يا مولانا أو لخلفائك من بعدك ، غرامة قدرها مائة جنيهاً من

الذهب الخالص ، وإذا لم يكن يمتلك هـــذه الجنيهات ، فلتقع على رأسه العقوبة الكبرى وليبق سجل هذا العهد نافذ المفعول بشكل تام إلى الأبـــد .

وليكن من المعلوم الآن ، ان قبـــل وصول رسل الأمبراطورية المقدسة إلينا ، كانت ثلاث سفن على وشك الإبحار ، إثنتان منها إلى المهدية ، والثالثة إلى طرابلس ، وبناء على ذلك ونظراً لفقر رجالها منحناهم تصريحاً بحمل قـــرم خشبية وسواري وأواني وأطباق وسلع صغيرة أخرى . إلا أننا لم نسمح لهـــم بشحن الأخشاب المحظورة السالفـة الذكر ، وفي المستقبل ليكن من الممنوع على أي شخص أن يحمل إلى بلاد المسلمين أي أخشاب خلاف تلك التي نص عليها في سجل العهد ، وإذا اجترأ أحد على أن يأتي بغير ذلك حانثاً به فليتحمل العقوبة السالفة الذكر (١) .

١٦٨ – نص الاتفاق الذي تم بين صمصام الدولة وورديس سقلاروس ملك الروم زمن الطائع لله إنشاء أبي إسحاق الصابي :

نشب صراع مرير على العرش في بيزنطة بين سكليروس ومنافس له وهزم سكليروس ولجـأ إلى بـلاد المسلمين وهـــو الذي يسميه المسلمون السقلاروس . وهذه رسالة من صمصام الدولة موجهة للسقلاروس تعين الشروط الواجب عليه تنفيذها إذا أطلق سراحـه وسوعد ورجـع إلى بلاده وتمكن من الصعود إلى عرشه .

---

(١) ذكر المؤلف انـــه نقل الوثيقة السابقة وترجمها الى العربية عن الكتاب التالي :
Lopez Raymord. Medieval Trade in the Mediterranean World. N. Y. 1955. . pp. 331—335

هذا كتاب من صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليجار بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع بن ركن الدولة أبي علي ، مولى أمير المؤمنين كتبه لوردس بن بينير المعروف بسقلاروس ملك الروم .

إنك سألت بسفارة أخينا وعدتنا وصاحب جيشنا (أبي حرب ربار بن شهراكويه) تأمل حالك في تطاول حبسك ، واعتياقك عن مراجعة بلدك ، وبذلت - متى أفرج عنك وخلى طريقك وأذن لك في الخروج إلى وطنك والعود إلى مقر سلطانك - أن تكون لولينا ولياً ولعدونا عدواً ولسلمنا سلماً ولحربنا حرباً : من جميع الناس كلهم على اختلاف أحوالهم وأديانهم وأجناسهم وأجيالهم ومقارهم وأوطانهم فلا تصالح لنا ضداً مبايناً ولا تواطىء علينا عدواً مخالفاً ، وأن تكف عن تطرق الثغور والأعمال التي في أيدينا وأيدي الداخلين في طاعتنا ، فلا تجهز إليها جيشاً ولا تحاول لها غزواً ، ولا تبدأ أهلها بمنازعة ولا تشرع لهم في مقارعة ، ولا تتناولهم بمكيدة ظاهرة ولا باطنة ، ولا تقابلهم بأذية جلية ولا خفية ، ولا تطلق لأحد ممن ينسوب عنك في قيادة جيوشك ومن ينسب إلى جملتك ويتصرف على إرادتك الإجتراء على شيء من ذلك على الوجوه والأسباب كلها ، وأن يفرج عن جميع المسلمين وأهل ذمتهم الحاصلين في محابس الروم ، ممن أحاطت بعنقه ربقة الأسر واشتملت عليه قبضة الحصر والقصر في قديم الأيام وحديثها ، وبعيد الأوقات وقريبها ، المقيمين على أديانهم والمختارين العود إلى أوطانهم وتنهضهم بما ينهض به أمثالهم ، وتمكنهم من البروز والمسير بنفوسهم وحرمهم وأولادهم وعيالاتهم وأتباعهم وأصناف أموالهم موفورين مضمونين مبذرقين محروسين غير ممنوعين ولا معوقين ولا مطالبين بمئونة ولا كلفة صغيرة ولا كبيرة .

وأن تسلم تتمة سبعة من الحصون وهي : حصن أرحكاه المعروف بحصن الهندرس، وحصن السناسنةوحصن حويب وحصن أطل وحصن أنديب وحصن حالي وحصن تــل حرم برساتيقها ومزارعها إلى من نكاتبك بتسليمها إليه ، مع من بها من طبقات أهلها أجمعين المختارين لسكناها والإستقرار فيهــا ، بحرمهم وأولادهم وأسبابهم ومواشيهم وأصناف أموالهم وغلاتهم وأزوادهم وسلاحهم وآلاتهم ليكون جميعها حاصلاً في أيــدينا وأيدي المسلمين على غابر الأيام والسنين ، من غير أن تلتمس عنها أو عن شيء عنها مالاً ولا بدلاً ولا عوضاً من الأعواض كلها .

وعلى أنك تمضي ما عقــدته على نفسك من ذلك كله باباً باباً ، وتفي به أولاً أولاً منــذ وقت وصولك إلى أوائل أعمالك وإلى غــاية استيلائك عليها ونفاذ أمرك فيها ، ولا ترجع عن ذلك ولا عن بعضه ولا تؤخر شيئاً منه عن الوقت الذي تقدر فيــه عليه ، ولا ترخص لنفسك في تجاوزٍ له ولا عدولٍ عنه ، ومتى سمعت طائفة من الطوائف التي تنسب إلى الروم والأرمن وغيرهم في أمــر يخالف شرائط هــذا الكتاب ، كان عليك منعهم من ذلك إن كانوا من أهل الطاعة والقبول منك ، أو مجاهدتهم وممانعتهم إن كانوا من أهل العنود عنك ، والخلاف عليهم حتى تصرفهم عما يرومونه وتحول بينهم وبين مــا يحاولونه بمشيئة الله وإذنه وتوفيقه وعونه .

واشترطت علينا بعد الذي شرطته لنا من ذلك التخلية عن طريقك وطريــق من تضمنته جملتك واشتملت عليه رفقتك : مــن طبقات الأصحاب والأتباع في جميع أعمالنا حتى تنفذ عنها إلى مــا وراءها ، غير معوق ولا معتقل ولا مؤذي ولا معارض ولا مطالب بمؤنــة ولا

كلفة ، ولا ممنوع من ابتياع زاد ولا آلة ، ولا نؤثر عليك أحداً ناوآك في أعمالك ونازعك سلطان بلادك ودافعك عنه وناصبك العداوة فيه ممن ينتسب إلى الروم والأرمن والخزرية وسائر الأمم المضادة لك ، ولا نوقع معه صلحاً عليك ولا موافقة على ما يعود بثلمك أو قدح في أمرك ولا نقبل سؤال سائل ولا بذل باذل ولا رسالة مراسل فيما خالف شرائط هذا الكتاب ، أو عاد بإعلاله أو إعلال وثيقة من وثائقه .

ومتى وفد إلينا رسول من جهة أحد من أضدادك ، راغباً إلينا في شيء يخالف ما انعقد بيننا وبينك ، امتنعنا من إجابته إلى ملتمسه ورددناه خائباً خالياً من طلبته . وإذا سلمت الحصون المقدم ذكرها إلى من نكاتبك بالتسليم إليه ، كان لك علينا أن نقر من فيها وفي رساتيقها على نعمهم ومنازلهم وضياعهم وأملاكهم ، وأن لا نزيلهم عنها ولا عن شيء منها ، ولا نحول بينهم وبين ما تحويه أيديهم من جميع أموالهم ، وأن نجريهم في المعاملات والجبايات على رسومهم الجارية الماضية التي عوملوا عليها على مر السنين ، وإلى الوقت الذي يقع فيه التسليم من غير فسخ ولا تغيير ولا نقص ولا تبديل .

فأنهينا إلى مولانا أمير المؤمنين الطائع لله ما سألت والتمست وضمنت وشرطت من ذلك كله ، واستأذناه في قبوله منك وإيقاع المعاهدة عليه معك ، فأذن ـ أدام الله تمكينه ـ لنا فيه ، وأمرنا بأن نحكمه ونمضيه لما فيه من انتظام الأمور وحياطة الثغور وصلاح المسلمين والتنفيس عن المأسورين .

فأمضيناه على شرائطه وتراضينا جميعاً به وعاقدناك عليه وحلفت لنا باليمين المؤكدة التي يحلف أهل شريعتك بها ، ويتحرجون من الحنث فيها على الوفاء به ، وأشهدنا على نفوسنا وأشهدت على نفسك

الله جل ثناؤه وملائكته المقربين وأنبياءه المرسلين وأخانا وعدتنا أبا حرب زبار بن شهراكويه مولى أمير المؤمنين ومن حضر المجلس الذي جرى فيه ذلك باستقرار جميعه بيننا وبينك ولزومه لنا ولك .

ثم حضر بعد تمام هذه الموافقة واستمرارها وثبوتها واستقرارها قسطنطين بن بينير أخو وردس بن بينير ، وأرمانوس بن وردس بن بينير فوقعا على هذا الكتاب وأحاطا به علماً واستوعباه معرفة وشهدا على وردس بن بينير ملك الروم بإقراره به والتزامه إياه . ثم تبرع كل واحد منهما بأن أوجب على نفسه التمسك به والمقام عليه متى قام وردس بن بينير بما هو مرسوم به من ملك الروم ، وجعل جميع الشرائط الثابتة في هذا الكتاب المعقود بعضها ببعض أمانة في ذمته وطوقاً في عنقه ، وعهداً يسأل عنه وحقاً يطالب في الدنيا والآخرة به ، وصار هذا العقد جامعاً لهم ولنا ولأولادنا وأولادهم وعقبنا وعقبهم ما عشنا وعاشوا يلزمنا وإياهم الوفاء بما فيه علينا وعليهم ولنا ولهم ، على مرور الليالي والأيام واختلاف الأدوار والأعوام .

أمضى وأنفذ ذلك كله صمصام الدولة وشمس الملة أبو كاليجار ذلك كله على شرائطه وحدوده والتزمه وردس بن نيبير المعروف بسقلاروس ملك الروم وأخوه قسطنطين وابنه أرمانوس بن وردس بن نيبير ، وضمنوا الوفاء به وأشهدوا ، كل واحد منهم ، على نفوسهم بالرضا به ، طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ، لا علة بهم من مرض ولا غيره ، بعد أن قرأه عليهم وفسره لهم وخاطبهم باللغة الرومية من وثق به وفهموا عنه وفقهوا معنى لفظه وأحاطوا علماً ومعرفة به ، بعد أن ملكوا نفوسهم وتصرفوا على اختيارهم وتمكنوا من إيثارهم ، ورأوا

أن في ذلك حفظاً لهم وصلاحاً لشأنهم وذلك في شعبان سنة ست وسبعين وثلثمائة .

وقد كتب هذا الكتاب على ثلاث نسخ متساويات : خلدت اثنتان منها بدواوين مدينة السلام وسلمت الثالثة إلى وردس بن نبيير ملك الروم وأخيه وابنه المذكورين معه فيه .

صبح الأعشى للقلقشندي جـ ١٤ ، ٢٠ - ٢٤

١٦٩ - رسالة القائد أبي الفوارس ختور التركي المعزى إلى وردس المعروف بسقلاروس من انشاء أبي هلال الصابي زمن بهاء الدولة البويهي والخليفة الطائع لله في بغداد :

كتابي إلى ملك الروم الفاضل الجليل النبيل الخطير - أدام الله كفايته وسلامته ونعمته وسعادته وعافيته وحراسته - من الحضرة الجليلة بمدينة السلام لثمان ليال خلون من ذي الحجة سنة تسع وسبعين وثلثمائة وهو اليوم التاسع من آذار ، عن شمول السلامة وعموم الاستقامة وصلاح حالي في ظل الدولة المنصورة . والحمد لله رب العالمين وحده لاشريك له ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً .

ووصل كتاب مولانا ملك الروم الفاضل الجليل الصادر عن المعسكر بمرج لارضة بتاريخ التاسع من حزيران وفهمته وجـل عندي موقعه وعظم في نفسي خطره ، وحمدتُ الله على ماشهد به من انتظام احواله واطراد اموره ، وسألته ان يتمم النعمة عليه ، ويزيد منها لديه ويوصل إحسانه اليه ، ويطيل مدته في أتم رشد وهداية وأرفع قدم ومنزلة وأعلى خطر ورتبة بمنه وطوله وجوده ومجده .

فأما ما ذكره سيدنا الملك الجليل من مقامه على العهد وافتقاره الى

الميل والود ، فذاك يوجب فضله البارع وكرمه الشائع وخلال الخير التي أهله الله لها، وخصه الله بها . وبالله أحلف أنني ما خلوت منذ افترقنا من مطالعة أخباره وتتبع آثاره واستعلام مجاري شئونه ، والسرور بكل ما تم له ووصل اليه حتى كأنني حاضر له ، وضارب بأوفر سهم فيه ، بـــل مخصوص بجميعه ، والله يجريه على أحسن ما أولاه وعوده ، ولا يخليه من الصنع الجميل فيما أعطاه وقلده برحمته .

وكنتُ قبل ذلك عند ورود رسولي في الدفعة الاولى على غاية الغم وشغل القلب بسبب الغدر الذي لحقه من عدوه الذي أظفره الله به ، وانهيتُ ذلك في وقته إلى الملك السعيد الماضي شرف الدولة وزين الملة رضي الله عنه ، فاشتغل قلبه — رحمه الله — به ، وعمل على إنفاذ العساكرْ لنصرته ، ثم أتى من قضاء الله ما قد عرفه .

ولما انتصب في المملكة مولانا السيد بهاء الدولة وضياء الملة ـ أطال الله بقاءه — شرحتُ له ما جرى قديماً على سياقته ، ومهدت الحال عنده ، ووجدته ـ ادام الله سلطانه — معتقداً لسيدنا ملك الروم الجليل ـ أدام الله عزه — أفضل اعتقاد ، وسر بما انتهت اليه أموره ، وتنجزت الكتبَ إلى موصلها الرسول ، حفظه الله ، وسمعت منـــه ما كان تحمله عن سيدنا ملك الروم ـ أدام الله تأييده ـ وأخرجت معه صاحبي أبا القاسم الحسين بن القاسم ، وحملتها جميعاً ما ينهيانه اليه في سائر الامور التي يرى عرضها ويحتاج إلى معرفتها .

وأنا أسأل سيدنا الملك الجليل ـ أدام الله بركته ـ تعجيل رده اليَّ فإنه ثقتي ومن أسكن اليه في أموري وان يتفضل ويكلفني حوائجه ومهماته وامره ونهيه لأقوم في ذلك بالحق الواجب له ، فـــإن رأى

سيدنا ملك الروم الفاضل الجليل الخطير النبيل ، أن يعتمدني من ذلك بما يتضاعف عليه شكري ، وتجل النعمة فيه عندي ، ويشاكل الحال بينه وبيني فعل إن شاء الله تعالى .

صبح الاعشى للقلقشندي حـ٧ ، ١١٣ - ١١٥

١٧٠ - رسالة ألب أرسلان السلجوقي للامبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينس قبل معركة ملاذكرد الشهيرة

التقى ألب أرسلان ، وهو في قلة من عسكره ، بجيش ضخم للروم يقوده ملك الروم . فأحب الب ارسلان ان يتصالح مع ملك الروم أو أن يعقد معه هدنة ولا سيا ان ملك الروم كان ارسل الى الخليفة قبيل ذلك يقترح هذه الهدنة . فكتب ألب أرسلان إلى ملك الروم يقول :

إن كنت ترغب في الهدنة اتممناها ، وان كنت تزهد فيها وكلنا الامر إلى الله عز وجل (١) .

زبدة الحلب لابن العديم جـ٢ - ٢٧

١٧١ - جواب امبراطور الروم على الرسالة السابقة :

إني قد أنفقت الأموال الكثيرة وجمعت العساكر الكثيرة للوصول إلى مثل هذه الحالة . فاذا ظفرت بها فكيف اتركها ؟ هيهات ! لاهدنة الا بالري ، ولا رجوع إلا بعد أن أفعل ببلاد الإسلام مثل ما فُعل ببلاد الروم (٢) .

المنتظم لابن الجوزي جـ٨ - ٢٦١

---

(١) أورد ابن الجوزي في المنتظم حـ٨ - ٢٦١ نصاً أكثر اختصاراً من نصنا هذا .

(٢) أورد ابن العديم في زبدة الحلب حـ٢-٢٧ نصاً أكثر اختصاراً من نصنا هذا .

١٧٢ - خطاب ألب أرسلان لجنوده لما تحقق من نشوب القتال بينه وبين ملك الروم وذلك يوم الجمعة قبيل صلاة الجمعة مباشرة .

جمع عسكره وقال لهم :

نحن مع القوم تحت الناقص وأريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي يدعى فيها لنا وللمسلمين على المنابر ، فإما أن أبلغ الغرض ، وإما أن أمضي شهيداً إلى الجنة . فمن احب ان يتبعني منكم فليتبعني ، ومن احب ان ينصرف فليمض مصاحباً عني . فما هاهنا سلطان يأمر ولا عسكر يؤمر فإنما أنا اليوم واحد منكم وغاز معكم ، فمن يتبعني ووهب نفسه لله تعالى فله الجنة والغنيمة ، ومن مضى حقت عليه النار والفضيحة .

١٧٣ - جواب عسكر ألب أرسلان له لما انتهى من كلامه .

أيها السلطان ، نحن عبيدك ومهما فعلته تبعناك فيه وأعناك عليه فافعل ما تريد .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ ٢٦٢

١٧٤ - رسالة زنكي عماد الدين إلى ملك الروم .

هاجم ملك الروم سنة ٥٣٢ هـ بلاد الشام بجيش كثيف وأعانه الفرنج ووصلوا إلى شيزر وهناك حاصروها ، فاستنجد صاحبها بزنكي فأنجده بجيش قدم هو بنفسه على رأسه . ولما سمع ملك الروم بمجيئه ترك شيزر وتحصن بجبل قريب منها ، فأرسل إليه زنكي يقول :

إنكم تحصنتم بهذه الجبال فأخرجوا عنها إلى الصحراء حتى نلتقي ،

فإن ظفرتم أخذتم الشيزر وغيرها ، وإن ظفرت بكم أرحت المسلمين من شركم (١) .

التاريخ الباهر لابن الأثير ص ٥٥



---

(١) ورد نص مشابه كل المشابهة مع بعض الخلافات البسيطة في كتاب الكواكب الدرية ص ١٠٨ .

القسم الثالث

ــ وثائق الدول المتغلبة ــ

ــ الطولونيون ــ

١٧٥ ــ رسالة قبيحة أم المعتز بالله إلى أحمد بن طولون تطلب منه قتل المستعين وتقلده واسطاً لقاء ذلك .

خلع المستعين ووضع في عهدة أحمد بن طولون فأحسن إليه ، وخافت أم المعتز من بقاء المستعين حياً فأرسلت إلى أحمد بن طولون تقول :

إذا قرأت كتابي فجئني برأس المستعين وقد قلدتك واسط(١) .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٤٠

١٧٦ ــ ولي ابن طولون ولاية مصر فأرسل إليه المعتمد يستحثه في جمع الأموال وإرسالها إليه فأرسل إليه يقول :

لست أطيق ذلك والخراج في يد غيري .

فأرسل إليه المعتمد يوليه الخراج والولاية والثغور الشامية .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي جـ ٣ ــ ٧

---

(١) ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة جـ٣ـ٦ أن الأتراك الذين وضعوا المستعين في عهدة احمد بن طولون خافوا وكتبوا اليه يقولون : اقتل المستعين ونوليك واسطاً . ولكنه رفض وكتب اليهم يقول : لا رآني الله قتلت خليفة بايعت له أبداً .

١٧٧ - رسالة طيفور ممثل ابن طولون لدى البلاط العباسي بحق شخص من الموالي يطعن بابن طولون أمام الموفق كلما ذكر أمامه :

إن رجلاً من الموالي قد أشجاني وضيق علي وشغل قلبي ، مما لا يجري ذكرك أيها الأمير بحضرته في مجلس الموفق أو غيره إلا بسط لسانه فيك وحرض عليك .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ١٠٧

١٧٨ - ولي أحمد بن طولون ولاية مصر نيابة عن باكباك، وكان عامل خراجها ابن المدبر ، ولقد خاف ابن المدبر من أحمد فأهدى إليه هدية جليلة يوم وصوله ، ولكن أحمد رفضها ، وكان ابن المدبر يمشي وحوله مائة غلام يمشون بين يديه فيجعل ذلك له هيبة عظيمة وقد قدم بهذه الصورة للسلام على ابن طولون وقد أراد ابن طولون أن يحرمه من ذلك فكتب إليه بعد فترة وجيزة .

قد كنت - أعزك الله - أهديت لنا هدية وقع الإستغناء عنها ، فلم نجز تغنم مالك ، كثره الله ، فرددناها توفيراً عليك . وأحب أن تجعل العوض عنها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك ؛ فأنا إليهم أحوج منك .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص٤٩

١٧٩ - رسالة ماجور إلى المعتمد يحرضه على ابن طولون :

قوي ابن طولون وكثر جيشه حتى خاف منه ماجور أحد كبار القواد الأتراك لدى المعتمد فأرسل للخليفه يقول :

أما بعد : فإنه قد اجتمع لأحمد بن طولون أكثر مما كان يجتمع

لأحمد بن عيسى بن شيخ (1) ، والخوف منه أكثر إذ كان فيه من الفضل ما ليس في أحمد بن شيخ .

١٨٠ – رسالة المعتمد إلى أحمد بن طولون يعزله عـــن مصر ويستدعيه إليه :

نجحت الدسائس لدى الخليفة ضد ابن طولون فقرر عزله عن مصر ولكن بطريقة حسنة فأرسل إليه يقول :

أما بعد : فإنا رأينا أن نرد إليك أمـــر دارنا بالحضرة وتدبير مملكتنا ، فإذا قرأت كتابنا هذا فاستخلف على قصرك من أحببت ، والبلد لك وباسمك واشخص إلينا لمـا ندبناك إليه ورأيناك أهـلًا له والســـلام .

سيره أحمد بن طولون للبلوي ص ٥٦ – ٥٧

١٨١ – رسالة أحمد بن طولون إلى الموفق أخي المعتمد المسيطر على الخليفة والدولة :

سيطر الموفق على أخيـــه وعلى الدولة واحتاج إلى المال فأرسل إلى ابن طولون يطلب منه مالاً فأرسل إليه مبلغاً استقله الموفق وأرسل إليـه يطلب المزيـد ويقول إن الحساب يوجب أضعافه فأجابه ابـــن طولون بما يلي :

وصل كتاب الأمير – أيده الله – وفهمته ، وكان – أسعده الله – حقيقاً بحسن التخير له في اختياره مثلي وتصييره عمدته الـــتي يعتمد

(1) احمدبن عيسى بن شيخ ثائر خرج في الشام وقوي شأنه واستولى على بعضها زمن المهتدي حتى تمكن ماجور من القضاء عليه .

عليها وسيفه الذي يصول به وسنانه الذي يتقي الأعداء بحده ، لاني دأبت في ذلك وجعلته وكدي ، فاحتملت الكلف العظام والمؤن الثقال ، باجتلاب كل موصوف بشجاعة واستدعاء كل منعوت بغناء وكفاية ، بالتوسعة عليهم وتواصل الصلات والمعاون لهم ، صيانة لهذه الدولة ، وذباً عنها وحسماً لأطماع الشانئين لها والمنحرفين عنها ، وكان من هذا سبيله في الموالاة ومحله في المناصحة حرياً أن يعرف له حقه ، ويوفر من الإعظام قدره ، ومن كل حال جليلة حظه ومنزلته ، فعوملت بضد ذلك من المطالبة بحمل المال مرة ، والجفاء في المخاطبة أخرى ، بغير حال توجب ذلك ، ثم أكلف على الطاعة جعلا وألزم للمناصحة ثمناً ، وعهدي بمن استدعى ما استدعاه الأمير من طاعته يُستدعى ذلك بالبذل والإعطاء والإرغاب ، والإرضاء والإكرام لا أن يكلف ويحمل من أطاعه مؤونة وثقلا ، على أني لا أعرف السبب الذي ينتج الوحشة ، ويوقعها بيني وبين الأمير - أيده الله - ولا ثم معاملة توقع مشاجرة أو تحدث منافرة ، لأن العمل الذي أنا بسبيله لغيره ، والمكاتبة في أموره إلى سواه ، وتقليدي ليس من قبله ولا ولايته ، فإنه والأمير جعفر المفوض - أيدهما الله - قد اقتسما الأعمال ، وصار لكل واحد منهما قسم قد انفرد به دون صاحبه ، وأخذت عليه البيعة فيه ، أن من نقض عهده أو خفر ذمته ولم يف لصاحبه بما أكد على نفسه فالأمة بريئة من بيعته ، وفي حل وسعة من خلعه ، والذي عاملني به الأمير من محاولة صرفي مرة ، وإسقاط رسمي أخرى ، وما يأتيه ويسومنيه ناقض لشرطه مفسد لعهده ، وقد التمس أوليائي واكثروا عليّ الطلب في إسقاط إسمه وإزالة رسمه ، فآثرت الإبقاء وإن لم يؤثره ، واستعملت الأناة إذ لم تستعمل

معي ، ورأيت الاحتمال والكظم أشبه بذوي المعرفة والفهم وأدنى إلى الظفر والنصر ، فصبرت نفسي على أحر من الجمر وأمر من الصبر وما لا يتسع له الصدر . والأمير - أيده الله - أولى من أعانني على ما أوثره من لزوم عهده ، وأتوخاه من تأكيد عقده ، بحسن العشرة والانصاف ، وكف الأذى والمضرة ولا يضطرني إلى ما لا يعلم الله عز وجل كرهي له ، وإلى أن أجعل ما قد أعددته لحياطة الدولة من الجيوش المتكاثفة والعساكر المتضاعفة ، التي قد ضرست رجالها من الحروب وجرت عليهم محن الخطوب مصروفاً إلى نقضها ، فعندنا وفي حيزنا من يرى أنه أحق بهذا الأمر من الأمير ، ولو أمنوني على أنفسهم . فضلاً عن أن يرجعوا مني إلى ميل لهم ، أو قيام بنصرتهم لاشتدت شوكتهم ولصعب على السلطان معاركتهم ، والأمير يعلم ان بإزائه منهم واحداً قد أبر[1] عليه وفض كل جيش أنهض إليه ، على أنه لا ناصر له إلا لفيف البصرة وأوباش عامتها ، فكيف بمن يجد ركناً منيعاً وناصراً مطيعاً . وما مثل الأمير في أصالة رأيه قصد لمائة ألف عنان عدة له فجعلها عدة عليه بغير ما سبب أوجب ذلك . فإن يكن من الأمير إعتاب أو رجوع إلى ماهو أشبه به وأولى ، وإلا رجوت من الله عز وجل كفاية أمره وحسم مادة شره ، وإجراءنا في الحياطة على أجمل عاداته عندنا ، والسلام .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٨٢ - ٨٥

---

(١) يقصد ابن طولون هنا صاحب الزنج الذي ثار ضد الدولة في جنوبي العراق واحتل البصرة ونواحيها وكلف الدولة الأموال والدماء الغزيرة حتى تمكن الموفق بعد صراع مرير طويل من القضاء عليه .

١٨٢ - رسالة ابن طولون للخليفة المعتمد يدعوه للقدوم عنده في مصر ويعده المساعدة ضد أخيه الموفق الذي حجر عليه :

قد منعني الطعام والشراب والنوم خوفي على أمير المؤمنين من مكروه يلحقه ، مع ماله في عنقي من الأيمان المؤكدة ، وقد اجتمع عندي مائة ألف عنان أنجاد . وأنا أرى لسيدي أمير المؤمنين الإنجذاب إلى مصر ، فإن أمره يرجع بعد الإمتهان إلى نهاية العز ، ولا يتهيأ لأخيه فيه شيء مما يخافه عليه منه في كل لحظة ، فإن رأى أمير المؤمنين - أيده الله - ذلك صواباً قدمه إن شاء الله وأظهر الخروج لهذه القصبة .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٨١

١٨٣ - رسالة طيفور ممثل ابن طولون وجاسوسه لدى الحضرة بمنع المعتمد من السفر إلى مصر .

أحس الموفق بحركة أخيه المعتمد إلى مصر للحاق بابن طولون تلبية لدعوته فمنعه من السفر واعتقل من رافقه من القواد وحجر عليه وذلك سنة ٢٦٩ هـ ، فأرسل طيفور الرسالة التالية إلى ابن طولون :

قد كنت على المسير إليك مع أمير المؤمنين المعتمد حتى جرى ما أوجب تأخره فتأخرت بتأخره ، وأرجو أن تكون الخيرة للأمير - أيده الله - في ذلك إن شاء الله ، وذلك انه لما قرأ كتابك ووقف على مادعوته إليه من المسير إلى ناحيتك ، سره ذلك وشكره لك وأظهر الخروج إلى النزهة وأخرج معه أخاه أبا عيسى وإبراهيم بن مدبر وأحمد بن خاقان وخطارمش وتينك ، وسار على كتيبة يريد مصر ، فبلغ أخاه أبا أحمد الموفق خبره فكتب إلى إسحاق بن كنداج الخزري يعرفه أن أخاه قد خرج قاصداً إلى أحمد بن طولون

ومتى تم هذ الأمر استولى أحمد بن طولون على أمره فلم يكن لكم ولا لأحد منكم مقدار ، ولم يلتق اثنان في عسكر الموالي ، إن صح ذهابه وتم إلى أحمد بن طولون يتجنب عن وجه العدو ويتمكن من الدخول إلى السلطان ، فيكون ذلك سبباً لزوال دولة بني العباس[1].

سيرة أحمد بن طولون للبلوى ص ٢٩٠

١٨٤ — مرسوم أصدره أحمد بن طولون بخلع الموفق من ولاية العهد وذلك بعد أن حال الموفق بين أخيه المعتمد وبين اللحاق بابن طولون ، وقد صدر في دمشق وقرىء من على منبر جامعها .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أجمع عليه القضاة والأولياء ووجوه أهل الأمصار حين أحضرهم أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين مجلسه بمعسكره في مدينة دمشق سنة تسع وستين ومائتين وسألهم عما يوجبه ما أقدم عليه الناكث أبو أحمد في أمير المؤمنين المعتمد على الله ، من إيقاع الحيل على فض جيوشه ، وتشريد حماته ، بحملهم على السيف مرة وقتلهم بالسم أخرى ، ثم تخطى على ذلك إلى إخافة سربه وحمله على الائتمار له في كثير مما يؤثره ، مما يضع به من منزلته وينقص من محله . فلما كثر هذا عليه وخافه على نفسه أجمع على النفوذ إلى أحمد بن طولون للإعتصام به إذ هو ثقته وعمدته ، وممن خلص له على التجربة ، بتوقفه عن مكاره الخلفاء قبله . وإن أبا أحمد لما رأى ذلك خاف أن يظل مأموراً بعد أن كان آمراً وكتب إلى إسحاق بن كنداج في قصده ورده ، فشخص إليه في جمع كثيف حتى وافاه بين الموصل والحديثة فرده ، وأمير المؤمنين يناشده الله ويذكره به ويخوفه مروقه

(١) هكذا الجملة في الأصل وكلها مضطوبة غير مفهومة المعنى .

عن الدين ونقضه ما أكدته عليه البيعة ، وإنما أقدم عليه وقد فارق الطاعة وبرىء من الذمة ووجب جهاده على الأمة فلم يصغ إلى ذلك ولا اكترث به ، لما جُعل له على ما يأتيه من أمره من الحطام ، فشرهت نفسه إليه ، وإلى ما استباحه من مال من أقام على الطاعة ووفى بالعهد والذمة ، حتى أدخله سر من رأى مأسوراً وسلمه إلى صاعد بن مخلد فحبسه ووكل به ، ومُنِع من جميع أهله وولده وشمله فأصبح مقبوض اليد بعيد الناصر ، يخاف على نفسه آناء ليله ونهاره ، عرضة لسوء القول وقبيح الفعل . فالأمة في حرج من القعود عن نصرته ، والأولياء في حنث من نقض بيعته ، والسنن داثرة والأحكام ضائعة ، والحق منتبذ والعدل شارد ، وغير الله عز وجل ينتظر ، فرأى كل من حضر خلعه مما كان أمير المؤمنين رتبه له من ولاية عهده والتبري منه والجهاد له ، إذ كان منع حقوقاً ثلاثة : أولها حق الإمامة والثاني حق الأخوة ، والثالث حق النعمة عليه .

وأوقع من حضر من الحكام شهادته عليه وفتياه ، فكتب بذلك عشر نسخ نسقاً واحداً لا يغاير بعضها بعضاً ، وفيها خطوط القضاة بما نسخته :

يقول عبيد الله بن محمد العمري القاضي بجندي قنسرين والعواصم والثغور الشامية وجندي حمص وانطاكية : قد قرىء عليَّ هذا الكتاب وهو قولي والحق عندي والذي أفتيت به لما صح عندي من غدر الناكث المعروف بأبي أحمد وتعديه وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين ـ أيده الله ـ وأنه قد استوجب بما كان منه مما سمي ووصف في هذا الكتاب ـ إسقاط اسمه وخلعه وترك الدعاء له ، وأنه غير

مستحق لإمامة المسلمين ولا مأمون عليهم ولا موثوق بـــه في ذلك . وأشهدت عليّ وعلى فتياي من أثبت شهادته في هذا الكتاب . وكتب عبيد الله بن محمد القاضي بخطه في يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين .

وكتب عبد الحميد يقول :

يقول عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي بدمشق والأردن وفلسطين قد قرىء عليّ هذا الكتاب وهو قولي والحـــق عندي ، وهو الذي أفتيت به . وقد صح عندي غدر الناكث المعروف بأبي أحمد وتعديه وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين ـ أيده الله ـ وأنه قد استوجب بما كان منه إسقاط اسمه وخلعه . وكتب بخطه . وكذلك فعل بقية الشهود حرفاً بحرف .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٩٥ ـ ٢٩٧

١٨٥ ـ نسخة كتاب أصدره الموفق بلعن ابن طولون على المنابر جواباً على عمل أحمد بن طولون وخلعه الموفق سالف الذكر :

إن الله عز وجل قرن بطاعته طاعة رسوله ﷺ وطاعـة أولي الأمر ، انتجبهم لإعزاز دينه وإقامة معالمه ، فقال عـز من قائل : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم(١) . فإن عدو الله المباين لجماعة المسلمين المعروف بأحمد بن طولون ، أظهر ما كان منه من معصية وشقاق ، فـيما بين أقاصي المغرب إلى أكناف العراق ، ومرق من الدين وخالف أمير المؤمنين وأخرب ثغور المسلمين

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٩ .

وقاتل فيها المجاهدين بأهـــل الفسق الملحدين واستباح حريمهم وسفك دماءهم ، فلما تبين أمير المؤمنين أمره وعرف كفره تبرأ منه إلى الله عز وجل ، ولعنه لعناً ظاهراً ، وأمر بلعنه ليلحقه ذلك من خواص الأولياء وعوام الرعية . اللهم فالعنه لعناً يفـل حده ويقـــل جنده ويتعس جده واجعله مثـــلاً للغابرين ، إنك لا تصلح عمـل المفسدين يا رب العالمين .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٩٩

١٨٦ ــ رسالة أحمد بن طولون إلى يازمان حاكم طرسوس لمـــا عصى عليـه وعجز عن فتح البلد عنوة بعـد حصارها واضطراره للانسحاب :

أما والله أيهـا الناقص الأنذل ، لولا إرادة إبقائي على ثغـــور المسلمين ، وكراهتي أن أفتح عليها للعدو معـــرة تكون سبباً لهلاكها لعلمت إن مثلك لا يقاوم غلاماً من غلماني ولا يعشره ، فلما انتصرت بما فتحت فغرقت به ما لا يمكن دفعه إلا بما فيه هلاك الثغر انصرفت كافاً يدي ، محافظاً لله عز وجل ولجماعة ساكني الثغر ، لا محافظة لك ولا عجزاً عن حملتك الضعيفة ، والسلام .

سيرة احمد بن طولون للبلوي ص ٣١١ ـ ٣١٢

١٨٧ ـ رسالة شفوية من أحمد بـن طولون للقاضي بكار وذلك قبيل وفاته :

اعتقل ابن طولون القاضي بكار لأنه رفض الموافقة على خلع الموفق ، ولما مرض ابن طولون مرض الموت أراد أن يصلح أحواله مع القاضي

بكار ، فأرسل يقول له مع غلامه نسيم :

إنك تعلم ميلي إليك قديماً وإكرامي لك مبتدئاً ، وإنه لم يفسد محلك عندي إلا أمر الخلع ، وإن شهادتك كانت مباينة لشهادة غيرك مخالفة لها ، وقد شاع في عسكري أنك نقمت هذا الخلع علي ، ووالله ما انحرفت عن الناكث لإساءة كانت منه إليّ اعتددتها له ، ولا أردت بخلعه إلا الله عز وجل ، لأنه أمر الخليفة ومنعه ما يجري له . والصواب أن تحضر مجلسي في جمع من أوليائي وأولياء أمير المؤمنين فتبرأ من الناكث براءة تدل على صدق نيتك لأمير المؤمنين وترجع إلى عملك ونرجع لك إلى ما كنا عليه من الاكرام والموالاة والحال التي كانت بيننا ، وان امتنعت من هذا فلا لوم علينا فيما أتيناه من أمرك مما لم نؤثره ولا نختاره ، والله ، فيك .

١٨٨ - جواب القاضي بكار الشفوي لابن طولون على رسالته السابقة وقد حمله له الغلام نسيم :

قل له : يعز عليّ أن يكون حرصك على ما تفارقه أكثر من ميلك إلى ما لا بد لك منه . وقد أعنتّني وآذيتني ، لأنك تكلفني الشهادة بالبلاغات التي لا يعدّها الحكام. فخف الله في أمري فإني شيخ فانٍ وأنت عليل مذنف ، ولعل التقاءنا بين يدي الله عز وجل قريب . وقد والله نصحت لك والسلام .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٣٣١ - ٣٣٢

١٨٩ — رسالة شفوية من أحمد بن طولون لابنه العباس لما ثار ضده وهرب منه ولجأ إلى برقة :

أرسل له أبوه وفداً برئاسة زياد المعدني وطلب من رئيس الوفد أن يبلغه ما يلي :

يا أقرب الناس إلي ، وأبرهم لدي ، وأعزهم علي ، عن غير إساءة كانت مني إليك ، ولا خطيئة ركبتها فيك ، ولم ترع حسن تربيتي لك وعظم إشفاقي عليك ، وإني رشحتك لمنزلتي وقدرت بك حياة ذكري وصيانة شملي ، فأرضيت عدوي واسخطت وليي . أيا سبحان الله ؟ أما تخاف العقوبة في العقوق وقاضيها الله جل إسمه فيك ، وثمرة المجازاة على الإساءة ، صرفها الله بكرمه عنك ؟ فإن رجعت إليّ فكأنك لم تذنب ، وان تمادى بك الإغترار شخصت إليك بنفسي ولم أكن بأول من خسر سعيه وأخلف تقديره .

١٩٠ — رسالة خطية من ابن طولون لابنه العباس في برقة ملتطفات :

... وراجع بك إلى الحال التي يحصل لك عاجلها ، ويتوفر عليك ثواب أجلها ، ولا حرمك ثواب بري وطاعتي ، وصرف عنك وزر عقوقي ومعصيتي ...

ثم قال له فيه :

أحين فقأت النعمةُ فيك أعين الأعداء ، وبلغت الغاية القصوى من سرور الأولياء ، وبلغت السن التي يكون فيها انتفاع الوالد بولده ، واستحكمت ثقتي بك وحسن ظني بالأيام فيك ، واستكفيت على كفايتك وعنايتك عني ، أتيت ما لا يحسن بك ولا يجمل بمثلك ، أستكفي

الله جل اسمه مؤونة من حملك على ذلك وغلبك على رأيك ، فقد سعى في دينك بما ثلمه ، وعيشك بما كدره ودنياك بما نقصها ، وآخرتك بما أفسدها ، ومروءتك بما أزرى بها ، ونعمَ الله عز وجل عليك بما يدعو إلى تبديلها ، وما أنا بآيس من أن يثيبه على عظيم ماركبه منك ، وجليل ماجناه عليك في تضييعك حقي وما ألبسك من ثوب معصيتي وعرضك إليه من سخط الله جل ثناؤه وغضبه في إسخاطي ومخالفتي ، فإنك إذا ميزته وتبينته لم تجده إلا أحد رجلين : إما رجل أطعنا الله عز وجل فيه فلزمنا أخذ جناية جناها منه ، أو رجل طمع في مالك فاغتنم شغل قلبك فقال : أفوز بحظ من دنياه في هذا الرهج الساطع ، فإن أحسستُ في أمره نقصاً لجأت به إلى حيث لا يعرف خبري ولا يدري أين أمري . فميز من شئت من خلصائك ونصحائك فقد ترى أمرك ، فإنك لا تجده يخرج من هذين القسمين ، والله المستعان .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢

١٩١ ـ رسالة العباس الجوابية لأبيه أحمد من إنشاء جعفر بن حدار :

إلى الأمير أبي العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين من عبد الله مولى الله المتمسك بمناجي طاعة الله ، المنحرف عن زيغ ظلم المعصية إلى وضوح سر البصيرة ، القابل من الله موعظته ، والعامل بما أمر به ، إذ يقول جل ثناؤه : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه [١] .

سلام على الأمير ، وعلى من استرجع وادكر ، وفكر وازدجر فأنا أحمد إلى الأمير الله الذي لا إله إلا هو ، العاطف بي إلى أرفع

---

(١) سورة الكهف : الآيه ٢٨ .

سنن الهداية ، العادل بي عن ظلم سنن الجهالة ، وأسأله صلاة تامة يخص بها وليه وخيرته من صفوته ورسوله ﷺ .

أما بعد : وفق الله الأمير لحال رشده وجنبه مقابح أمره ، وسخر له الخلق عن غامض ذكره . فإن كتاب الأمير ورد على الحائد منه عن سبيل العظة والتذكير إلى سبيل التهديد والتحذير ، فبعّد وقرّب وآنس وهدد ، وجمع وفرع ، يبذل من نفسه باليسير فيها ، ويدعو إلى الصلة ويحدث غيرها ، ويعرض من مـــاله الأنفس ، ويصيّر من خطابه الأنزر ، ويعدد من واجب حقه ولازم مفترضه ، ما اعترف به مصدقاً لمن اعترف بالطاعة محققاً ، وأذعن به لمن أذعن وحـــاد عن الشك ، ووقفت منـــه على ما أطمت حاطما وحوف عاما ومهمه(١)، فإن استخذأت لاتباع موافقتك وتطامنت درعا عبر محاورتك (٢) ، فلقد اضطرتني الطاعة وأنجدتني الحاجة إلى إقامة عذر يتضح لك من استجلاب مرضاتك ما تجاوزت عما يدهمني ، فبهتُ في جواب الأمير مقام الأمير :

إن فهت ضـــاع دمي وإن سكت فمثل النار في كبدي

والله أستعين على بلوغ طاعته ، وإليه الرغبة جل اسمه في استصلاحك وتحصينك من زيغ شيطانك . وأمـا ماقرعت بذكره وبخت موضعه في غير كتاب صدر منك في غير جواب ورد ، من انحرافي عن سبيل طاعتك ، وجنفي عن موالاتك والتاسي ابتزاز ملكك ، فوالذي اضطرني إلى مجادلة من أوجب الله عز وجل عليّ حقه فإن حججته أوحشته ، وإن قصرت عن الحجة نقصت عنده ، ماحلت عن مخايل ظنك ، ولا

(١) كذا بالأصل والجملة غير مفهومة .

(٢) كذا بالأصل والجملة غير واضحة ولعلها : وتطامنت مذعناً عبر محاورتك ؟

كنت منذ نشأت إلا تحت طاعتك ، لكنه اكتنفني أمران واجبان ، مقرون حقها بحق الله جل اسمــه وحق رسوله ﷺ ، وسمعت الله جل اسمــه وعلا يقول : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحـداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله[1] .

فكان أكبر ماعندي في تأدية حقك القعود عن نصرة من لزمني مشايعته ووجبت علي معاونته ، وقبلت من الله عز وعـلا أدبــه في حسن هجرتك . يقول الله عز وجل : وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس الك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفاً[2] . فلو ذهبت إلى ذكر ما أتى الله به عز وجل في كتابه المنزل على نبيه ﷺ اطال به كتابي ، وقامت به عليك حجتي .

والآن فقد خليت عما قلدنيه أمير المؤمنين ، وما قبلت له تكرمته وإنعامه من جميع أعمال حضرته ، خوفاً من أن أقوم فيها بالحـــق فاسخطك ، وانكفأت إلى هذه الناحية هرباً من موجدتك وطلباً للقيام بحقك ، أيها الأمير ، ولا أبين بقيامي فيما جعل إليّ ما يخلفك فيــه النقيضة ، إذ كان حبل أمير المؤمنين قد اضطرب في يـدك فوهت قواه وانحل مبرمه . وتداكت[3] عساكره في ذلك ، كما تداك الإبل اللواقح على الحياض الطوافح . وسبيل من اتبع رضاك ، أيها الأمير ، وتوقف عما تكره التصرف فيه ، أن تعرف له ذلك ولا تجازي عليه بخلاف ما يستوجب .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٩ .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٥ .

(٣) تداك القوم على الماء ازدحموا عليه .

وأما تخويفك أيها الأمير إياي بخيلك ورجلك وعددك وعتادك ، فلو نظرت بعين النصفة ونطقت بلسان المعدلة لانفرج عن لبك رين الشبهة ، وانفتح من سمعك ما استد سمعه بالشهوة ، فسمعت بعد وقر وعرفت بعد نكر ، إني لو آثرت ما إليه قصدت من مقاومتك لدفعتك عن محل عزك وما انحرفت عن دار ذلك ولأقمت بها مظهراً للحق داعياً إلى طاعة الله عز وجل ، وفي جواري من يجيب صريخ الحق إذا استصرخته ، ثم لو كشف لك عن قناعه وحسر عن ذراعه لتطامنت لوطأته الليوث العضاب . ولتضعضعت لروعته الصم الصلاب ، فلو لزمت ما بدر إليه ظنك لغورت مشاربك ولدثرت مسالكك ولاستصعب على الراكب مركبه ، ولحيل بينهم وبين ما يشتهون ، ولكني آثرت الله عز وجل وما لديه ، فالقيت أزمة أمرك سخياً بها وسوغتكها مطرحاً لها زاهداً فيها ، وانقطعت إلى ناحيتي هذه لقلة قدرها وبعد محلها ، لأخفي شخصي بها ، لا لما شرحت القول فيه وأطلت الخطب به . والله جل وعز يجزي الشاكرين .

وأما عرضك أمانك قبل انجذاذ الحبل فإن الله تبارك وتعالى يقول : ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين (١) . ويقول جل اسمه : لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه (٢) . ولقد مدح خليله ﷺ في قطعه رحمه فيما حصر دينه فقال :

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٥ .

(٢) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم [1] .

يقـول البلوي مؤلف كتاب سيرة أحمـد بن طولون : والكتاب طويل وإنما اختصرنا منه هذا القول .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٥٦ – ٢٦٠

١٩٢ – رسالة ابن طولون لابنه العباس لما هُزم أمام أهل برقة الذين حاربوه واضطروه للهرب فأتى إلى الاسكندرية واعتصم بها، وهناك أرسل له والده هذه الرسالة موبخاً منذراً .

من أحمد بن طولون مـولى أمير المؤمنين إلى الظالم لنفسه العاصي لربه الملم بذنبه ، المفسد لكسبه ، العادي لطوره ، الجاهل لقدره ، الناكص على عقبه ، المركوس في فتنته ، المبخوس من حظ دنيـاه وآخرتـه .

سلام على كل منيب مستجيب ، تائب عن قريب قبل الأخذ بالكظم وحلول الفوت والندم . وأحمد الله الذي لا إله إلا هو حمد معترف له بالبلاء الجميل والطول الجليل ، وأسأله مسألة مخلص في رجائه ، مجتهد في دعائه أن يصلي على محمـد المصطفى وأمينه المرتضى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم .

أما بعد : فإن مثلك مثل البقرة تثير المـدية بقرنيها ، والنحلة يكون حتفها بجناحيها ، وستعلم – هبلتك الهوابل ، أيهـا الجـاهل الأحمق الذي ثـنى على الغي عطفـه ، واغتر بفجـاج المواكب

(١) سورة التوبة : الآية ١١٤ .

خلفه – أي موردة هلكة بإذن الله توردت ، إذ على الله عـز وجل تمردت وشردت ، فإنه تبارك وتعالى قد ضرب لك في كتابه مثلاً : قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

وإنا كنا نقربك إلينا وننسبك إلى بنوتنا طمعاً في إنابتك وتأميلاً لفيئتك ، فلما طال في الغي انهماكك وفي غمـرة الجهل ارتباكك ، ولم نر الموعظة تلين كبدك ، ولا التذكير يقـيم أودك ، لم تكن لهـذه النسبة ، ولا لإضافتك إلينا موضعاً محلاً ، بـل ولا نكنى بأبي العباس إلا تكرها ، وطمعاً بأن يهب الله منك خلفاً نقلده اسمك ونكنى به دونك ، ونعدك كنت نسياً منسياً ولم تك شيئاً مقضياً ، فانظر ، ولا نظر بك ، إلى عار نسبته تقلدت ، وسخط من قبلنا تعرضت ، واعلم أن البلاء بإذن الله قد أظلك ، والمكروه إن شاء الله قد أحاط بك، والعساكر بحمد الله قد أتتك كالسيل في الليل ، تؤذنك بحرب وبويل، فإنا نقسم ، ونرجـو أن لا نجور ونظلم ، أن لا نثني عنك عناناً ، ولا نؤثر على شأنك شأناً ، ولا تتوقل ذروة جبل ولا تلج بطن واد إلا جعلناك بحول الله وقوته فيها ، وطلبناك حيث أممت منها ، منفقين فيك كل مال خطير ، ومستصغرين بسبيلك كل خطب جليل ، حـتى تستمر من طعـم العيش مـا استحليت ، وتستدفع من البلايا مـا استدعيت ، حـين لا دافـع بحول الله عنك ، ولا مزحزح لنـا عن ساحتك وتعرف من قدر الرخاء ما جهلت ، وتود إنك هبلت ولم تكن بالمعصية عجلت ، ولا رأى من أضلك من غواتـك قبلت ، فحينئذ يتفرى لك الليل عـن صبحه ، ويسفر لك الحق عن محضه ، فتنظر

بعينين لا غشاوة عليهما ، وتسمع بأذنين لاوقر فيهما ، وتعلم أنك كنت متمسكاً بحبائل غرور ، متمادياً في مقابح أمور ، من عقوق لا ينام طالبه ، وبغي لا ينجو هاربه ، وغدر لا ينتعش صريعه ، وكفران لا يودى قتيله ، وتقف على سوء رويتك وعظم جريرتك في تركك قبول الأمان إذ هو لك مبذول وأنت عليه محمول ، وإذ السيف عنك مغمود وباب التوبة إليك مفتوح ، وتتلهف ، والتهلف غير نافعك ، إلا أن تكون أجبت إليه مسرعاً ، وانقدت إليه متنصحاً .

وإن مما زاد في ذنوبك عندي ما ورد به كتابك علي بعد نفوذي على الفسطاط من التمويهات والأعاليل ، والعدات والأباطيل ، من مصيرك بزعمك إلى إصلاح ما ذكرت أنه قد فسد عليّ ، حتى حلت إلى الاسكندرية فأقمت بها طوال هذه المدة ، واستظهاراً عليك بالحجة وقطعاً لمن عسى أن يتعلق به معذرة علم بأن الإنابة غير صادة ، ولا أنه خالجني شك ولا عارضني ريب في أنك إنما أردت النزوح والإحتيال للهرب ، والنزوع إلى بعض المواضع التي لعل قصدك إياها يوديك ، ولعل قصدك إليها يكفينك ، ويبلغ إليّ أكثر من الإرادة فيك ، لأنك إن شاء الله ، لا تقصد موضعاً إلا تلوتك ، ولا تأتي بلداً إلا قفوتك ، ولا تلوذ بعصمة تظن أنها تنجيك إلا استعنت بالله عز وجل في جد حبلها وفصم عروتها ، فإن أحداً لا يؤوي مثلك ولا ينصره إلا لأحد أمرين من دين أو دنيا . فأما الدين فإنك خارج من جملته لمقامك على العقوق ومخالفة ربك وإسخاطه . وأما الدنيا فما أراه بقي معك من الحطام الذي سرقته وحملت نفسك على الإيثار به ، ما يتهيأ لك مكاثرتنا بمثله . مع ما وهب الله لنا من جزيل النعمة التي نستودعه تبارك وتعالى إياها ،

ونرغب إليه في إنمائها ، إلى ما أنت مقيم عليه من الغي الذي هـــو صارعك ، والعقوق الذي هو طالبك .

وأما ما منيتناه من مصيرك إلينا في حشودك وجموعك ومن دخل في طاعتك لإصلاح عملنا ومكافحة أعدائنا بأمر أظهروا فيه الشماتة بنا فما كان إلا بسبيلك ، فأصلح ، أيها العي الأخرق ، أمر نفسك قبـل إصلاحك عملنا ، واحزم في أمرك قبل استعمالك الحزم لنا . فما أحوجنا الله ، وله الحمـد ، إلى نصرتك ومؤازرتك ، ولا اضطررنا إلى التكثر بك على شقاقك ومعصيتك • وما كنت متخذ المضلين عضداً .

وليت شعري على من تهول بالجنود وتمخرق بذكر الجيوش ، ومن هؤلاء المسخرون لك ، الباذلون دماءهم وأموالهم وأديانهم دونك ؟ دون رزق ترزقهم إياه ولا عطاء تدره عليهم . فقد علمت ، إن كان لك تمييز أو عندك تحصيل ، كيف كانت حالك في الوقعة التي كانت بناحية أطرابلس ، وكيف خذلك أولياؤك والمرتزقة معـــك حتى هزمت ، فكيف تغتر بمن معك من الجنود التي لا إسم لهم معك ولا رزق يجري لهم على يـدك ؛ فإن كان يـدعوهم إلى نصرتك هيبتك والمداراة لك والخوف من سلطانك ، فإنهم ليجذبهم أضعاف ذلك منـا ، ووجودهم من البذل الكثير والعطاء الجزيل عندنا ما لا يجدونه عنـــدك ، وإنهم لأحرى بخذلك والميل إلينا دونك ، ولو كانوا جميعاً معك ومقيمين على نصرتك لرجونا أن يمكن الله منك ومنهم ، ويجعل دائرة السوء عليك وعليهم ، ويجرينا من عاداته في النصر والإعزاز الأمر على ما لم يزل يتفضل علينا بأمثاله ويتطول بأشباهه ، فـا دعاني إلى الإرجـاء لك والتسهيل من خناقك والإطالة من عنانك طول هذه المدة إلا أمران : أغلبهما كان عليّ احتقار أمرك واستصغاره وقلة الإحتفال والإكتراث به ،

وإني اقتصرت من عقوبتك على ماأخلقته بنفسك من الأباق إلى أقاصي بلاد المغرب شريداً عن منزلك وبلدك ، فريداً من أهلك وولدك . والآخر أني علمت أن الوحشة دعتك إلى الانحياز إلى حيث انحزت إليه ، فأردتُ التسكين من نفارك ، والطمأنينة من جأشك ، وعملتُ على أنك تحن إلينا حنين الولد ، وتتوق إلى قربنا توقان ذي الرحم والنسب ، فإن في رفقنا بك مايعطفك علينا ، وفي تآخينا إياك مايردك علينا ، ولم يسمع منا سامع في خلاء ولا ملاء انتقاصاً بك ولا غضاً منك ، ولا قدحاً فيك ، رقة عليك واستتماماً لليد عندك ، وتأميلا لأن تكون الراجع من تلقاء نفسك ، والموفق بذلك لرشدك وحظك ، فأما الآن مع اضطرارك إياي إلى ما اضطررتني إليه من الإنزعاج نحوك ، وحبسك رسلي النافذين بعهد كثير إلى ماقبلك ، واستعمالك المواربة والخداع فيما يجري عليه تدبيرك ، فما أنت بموضع للصيانة ، ولا أهل للإبقاء والمحافظة ، بل اللعنة عليك حالة ، والذمة منك برية ، والله طالبك ومؤاخذك بما استعملت من العقوق والقطيعة والإضاعة لرحم الأبوة ، فعليك من ولد عاق شاق لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، ولا قبل الله لك صرفاً ولا عدلاً ، ولا ترك منقلباً ترجع إليه ، وخذلك خذلان من لا يؤبه له ، وأثكلك ولا أمهلك ، ولا حاطك ولا حفظك . فوالله لأستعملن لعنك في دبر كل صلاة ، والدعاء عليك في آناء الليل والنهار ، والغدو والآصال ، ولأكتبن إلى مصر وأجناد الشامات والثغور وقنسرين والعواصم والجزيرة والحجاز ومكة والمدينة كتباً تقرأ على منابرها فيك باللعن لك والبراءة منك ، والدلالة على عقوقك وقطيعتك ، يتناقلها آخر عن أول ، ويتأثرها غابر عن ماضٍ ، وتخلد في بطون الصحائف وتحملها الركبان . ويتحدث

بها في الآفاق ، وتلحق بك وبأعقابك عاراً ما اطرد الليل والنهار واختلف الظلام والأنوار . فحينئذ تعلم أيها المخالف أمر أبيه ، القاطع رحمه العاصي ربه ، أي جناية على نفسك جنيت ، وأي كبيرة اقترفت واجتنيت ، وتتمنى لو كانت فيك مُسْكة أو فيك فضل إنسانية ، أنك لم تكن ولدت ، ولا في الخلق عرفت ، إلا أن تراجع من طاعتنا والإسراع إلى ماقبلنا خاضعاً ذليلاً كما يلزمك ، فتقيم الاستغفار مقام اللعنة ، والرقة مقام الغلظة . والسلام على من سمع الموعظة فوعاها وذكر الله فاتقاه ، إن شاء الله تعالى (١) .

صبح الأعشى للقلقشندي ج٧ ، ٥ - ١٠

١٩٣ - رسالة طبارجي قائد الجيش الذي أرسله ابن طولون لمحاربة ابنه العباس لأحمد بنْ طولون .

أرسل ابن طولون قائده طبارجي في جيش لمحاربة ابنه العباس ، وقد حاربه وفض جمعه وهرب العباس وأرسل من يتبعه وكتب إلى ابن طولون ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي هذا وقت غروب الشمس من يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة وقد وضعت الحرب أوزارها وأظفر الله جل اسمه عبدَ الأمير وجميع أوليائه وأيدهم ونصرهم وأحسن معونتهم ، ودمر على الملعون العاق الشاق الغادر العباس وضرب وجهه وقتل أكثر الفجرة الذين كانوا معه وأمكن من خلق كثير منهم . والحمد لله الذي أجرى الأمير - أيده الله - على عوائده عنده ، وجعل

---

(١) ذكر البلوي في كتابه سيرة أحمد بن طولون ص ٢٦٠-٢٦٤ نص هذه الرسالة ولكن نص القلقشندي أكمل وأوضح .

أولياءه المنصورين وحزبه الغالبين ، وأعداءه ومن عـــدل عن أمره المقهورين حمداً يكون قضاء لحقه وكفاء لإحسانه وامتراءً للمزيـد من فضله ، تبارك اسمه وجل ثناؤه .

وكنت عند نزولنا المنزل المعرف بذي حي قـــد أكملت أمر المقدمة والساقة والميمنة والميسرة ، وسرنا على تعبئة حتى وافينا المنزل المعروف بدينار الذي كتبت كتابي منه ، وكان اللعين قد وافى هذا المنزل من أول النهار مستعداً بجموعه وحشوده . فلما توافت الفئتان تسرع الينا مدلاً بنفسه ، متادياً في غيه ، فحملت ميمنته على ميسرتنا، فأعان الله ، جل اسمه وله الحمد ، الأولياء على فلهـــا ، وحملت ميسرتنا على ميمنته ، وحملت أنا في أثرها من القلب ، محتسبين واثقين بنصر الله عز وجل ، متوكلين عليه ، فولى القوم منهزمين ، قد ضرب الله وجوههم ومنح أكتافهم وقذف الرعب في قلوبهم ، واتبعتهم الأولياء يقتلون فيهم ويأسرون منهم ، وقبل ذلك ما استأمن إلينا جماعة من مشهوريهم . كتابي يرد على الأمير ، أيده الله ، باسمائهم ، ولم يصب احداً من الأولياء بحمد الله شيء يكرهه ، ومضى اللعين على وجهه في نفير يسير من غلمانه ، فأتبعته بصيراً واتمج وكتجوراً ، وهم مدركون بمشيئة الله دعوته . وفي غد نكتب إلي الأمير ، أيـده الله ، بشرح القصة ، وبادرت بكتابي بهذه الجملة ليتعجل الله عز وجل اليه السرور بما منّ الله جل اسمه ، ويحمده على ما أولى من أنعامه .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٦٥ - ٢٦٦

١٩٤ – مقتطفات من رسالة أحمد بن طولون إلى غلامه لؤلؤ لما تركه واستأمن للموفق وانضم إليه .

وفقك الله لطاعته ، وراجع بك إلى ما هو أعود عليك ديناً ودنيا برحمته . إنه ليس شيء يبلغه والد شفيق ومستصلح رفيق ، من مواصلة وعظ وتبنيه على حظ ، أو دلالة على رشد وحض على سلوك قصد ، إلا وقد بلغنا أقصى نهايته معك ، وأبعد غايته فيك ، ضناً بك وشحاً عليك وتأميلاً لمراجعتك ، ومـــا تركنا شيئاً ظنناه يؤنس وحشتك ويرفع محلك ويتجاوز به حق حرمتك الا وقد أتينا منه ، على ما نرجو أن يكون لروعتك مسكناً ولنفسك مؤنساً ومطيباً ، ولك من كل خوف موقياً .

وليس يمنعنا ذلك من تكرير القول عليك ، رجاء أن تصادف مواعظنا إياك إصغاءً إليها ، وإصاخة لها ، لينفعك الله عز وجل بها نفعاً كبيراً ، ويصرف بها عنك شيئاً كثيراً ، وقد تبينت بما كان من مفارقتك لنا ما قارفته من معصية الله جل اسمه فينا ، وتعرضك لما تعرضته من سخطه بانحرافك عن طاعتنا ، واختيارك لنفسك ما كنت عنه غنياً ، وعليه ثقة أميناً . فانظر هل نلت بذلك فيما بلغت عاجل دنيا ؟ أو آجل صلاح وجزيل أجر ؟ بل لقد سعيت في فسادهما ، ثم تأمل الحال التي أنت عليها ، والحال التي انتقلت عنها ، في أيهما كنت أرخى بالاً وآمن سرباً واروح بدناً وقلباً ، لتعلم أنك لم توفق في ذلك ولم تسدد في اختيارك ، لأن الله عز وجل وكلك إلى نفسك فاستفزك الشيطان وأضلك .

لقد تبين لك غرور ما أتيته ، بتبديـــد شملك بعد اجتماعه ، وانصداع شعبك بعد التئامه ، واتضح لك ما كنت أحذرك وقوعه ،

من قلة رضا جماعة الأولياء والموالي بك ، واستنكافهم من رياستك ، إذ زالت عنك شمسنا ، فحرمت هيبتك التي ألبسك الله عز وجل بنا ، من تنكرهم لك وانصرافهم عنك ، وما تنتظر الشرذمة الباقية معك إلا إمكان الفرصة بمثل ذلك ، محاماة منهم على اديانهم ووفاءً بأيمانهم ، فكيف بك إذا صرت إلى العراق بحال مع من لايدفع عنك عدواً ، ولا يصرف عنك سوءً ، وقد فارقت العش الذي فيه درجت ، وموطنك الذي فيه خرجت ، ومولاك الذي في حجره ربيت ، وفي نعمته غذيت ، وصرت إلى من لا يرعى فيك إلاً ولا ذمة ، ولا يوجب لك حقاً ولا حرمة ، بل يجعلك مغنماً وفيئاً مقتسماً ، يدنيك ويمنيك ، لا حرصاً عليك بل ليحتوي على ما معك ويستصيفك .

وقد كتبت إلى أمير المؤمنين وإلى من لعلك تقصده ، أعلمهم أن المال الذي اختزلته من أعمالنا ، هو مما أمرتك بحمله إلى باب السلطان ، أعزه الله ، ومبلغه ألف ألف دينار ، فأي حجة أبلغ لهم من كتابنا اليهم إن المال لهم ومحمول اليهم ، فهل تكون بعد استنظاف ما معك إلا بين أمرين ! إما أن يردوك الينا متقربين بك الينا ، أو نبذل لهم في ردك إلينا مالاً يرونك عوضاً عنه ، فيكون مصيرك الينا على جهة القهر والأسر ما الموت أيسر منه . أفهذه المنزلة خير لك ، أو مراجعتك الواجب عليك ؟ وإنابتك إلى ما هو أولى بك ؟ مما تختاره ويرجع إلى محصول ، ويؤول إلى معقول ، فيكون مصيرك الينا بوجه مسفر غير كاسف وقلب مطمئن غير خائف .

سيرة أحمد بن طولون للبلوي ص ٢٧٧ – ٢٧٩

١٩٥ – رسالة أبي الجيش خمارويه إلى ابن أبي الساج .

نشبت حرب بين خمارويـــه وابن أبي الساج ثم تصالحا وأعطى خمارويه لابن ابي الساج مبلغ ثلاثين ألف دينـــار ، وأرسل ابن أبي الساج إبنه إلى خمارويه رهينة على وفائه بالاتفاق . ولكن ابن ابي الساج غدر وعاد للحرب ضد خمارويه فحاربه خمارويه وانتصر عليه ثم أرسل اليه يقول :

كان يجب ، ياقليل المروءة والأمانة ، ان نصنع برهنك ما أوجبه غدرك . معاذ الله أن تزر وازرة وزر أخرى .

زبدة الحلب لأبن العديم ج ١ – ٨٣

١٩٦– رسالة محمد بن سليمان إلى هارون بن خمارويه

ضعف الطولونيون كل الضعف فأرسل الخليفة المكتفي قائده محمد بن سليمان بجيش لاسترداد مصر ولما شارف حدودها ارسل محمد بن سليمان قائد الجيش إلى هارون بن خمارويه آخر الطولونيين رسالة يقول فيها :

إن الخليفة قد ولاني مصر ورسم ان تسير بأهلك وحشمك إلى بابه إن كنت مطيعاً .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي جـ٣ – ١١١

ـ الحمدانيون ـ

١٩٧ ـ رسالة ناصر الدولة الحمداني إلى كاتبه ووزيره أبي عمر المسبحي لما أساء السيرة وأخذ أموال بعض الوقوف ظلماً ، فأرسل إليه يتهدده ويقول :

قد اتصل طمعك فيّ وانبساطك عليّ وأنا محتمل وأنت مغتر ، وبلغني إدخالك يدك في وقف فلان ، ووالله لئن لم تخلصها وتقصر عن فعلك المذموم لأقطعن يديك ورجليك .

فهرب الوزير إلى بغداد .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج٢ ـ ٣٩

١٩٨ ـ رسالة سيف الدولة الحمداني إلى أخيه ناصر الدولة وقد وقع بينهما جفوة .

لست أجفو وإن جفوت ولا أترك حقاً عـــليّ في كل حال
إنما أنت والد والأب الجـــا في يجازى بالصبر والاحتمال

١٩٩ ـ رسالة ثانية منه إلى أخيه ناصر الدولة وقد حصل بينهما سوء تفاهم .

رضيت لك العليا وإن كنت أهلها وقلت لهم وهل بيني وبين أخي فرق
ولم يكن لي عنها نكول وإنما تجافيت عن حقي ليبقى لك الحق
ولا بد لي من أن أكون مصلياً إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

شذرات الذهب لابن العماد ج٣ ـ ٢٠

٢٠٠ رسالة قرغويه إلى سعد الدولة بن سيف الدولة .

أراد قرغويه غلام سعد الدولة أن يستبد بحكم حلب ويطرد سعد الدولة منها ، وتواترت الأنباء أن الروم يعدون العدة لحصار حلب ، فأشار قرغويه على سعد الدولة أن يخرج من حلب وأن لا يتحاصر بها فخرج منها إلى بالس ، وهناك وصلته رسالة من غلامه قرغويه يقول فيها :

امض إلى والدتك فإن أهل حلب لا يريدونك ولا يتركونك تعود إليهم .

زبدة الحلب لابن العديم ج ١ - ١٦٠

٢٠١ - رسالة أبي تغلب بن ناصر الدولة الحمداني إلى عز الدولة البويهي بختيار :

أخرج عضد الدولة عز الدولة من بغداد وطرده من ملكه ، فلجأ إلى حمدان بن ناصر الدولة فزين له أخذ الموصل من أخيه أبي تغلب ، وبلغ ذلك أبا تغلب فأرسل إلى عز الدولة يقول :

لئن أرسلت إليّ أخي حمدان بن ناصر الدولة ، أغنيتك بنفسي وجيشي حتى آخذ لك ملكك بغداد من عضد الدولة وأردك إليها (١) .

البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ - ٢٩٠

---

(١) يذكر أبو الفداء في المختصر ج٢-١١٩ قصة تختلف بعض الإختلاف ونصاً مختلفاً كذلك عما أوردناه أعلاه .

ـ الاخشيديون ـ

٢٠٢ – رسالة ابن رائق للإخشيد :

وقعت معركة بين ابن رائق والإخشيد فقتل في المعركة أبو نصر بن طغج أخو الإخشيد ، فحزن ابن رائق لمصرعه وكفنه ووضعه في تابوت وأنفذه إلى أخيه الإخشيد مع ابنه مزاحم ورسالة يقول له فيها :

ما أردت قتل أخيك . وهذا ولدي قد أنفذته إليك لتقيده به .

فخلع الإخشيد عليه رده .

زبدة الحلب لابن العديم ج ١ – ١٠١

٢٠٣ – رسالة الاخشيد إلى عبده كافور :

تقابل الإخشيد مع الخليفة المتقي على شاطيء الفرات ، وهناك أظهر احتراماً زائداً للخليفة وأفاض الخلع على حاشيته ، ويبدو أن الخليفة كناه ، والخليفة لا يكني أحداً ، فسر بذلك وأرسل إلى عبده كافور بذلك ويقول :

... ومما يجب أن تقف عليه ـ أطال الله بقاءك ـ اني لقيت أمير المؤمنين بشاطيء الفرات فأكرمني وحباني وقال : كيف أنت يا أبا بكر أعزك الله .

زبدة الحلب لابن العديم ج ١ – ١٠٨

ـ البويهيون ـ

آ ـ علاقتهم بالخلفاء :

٢٠٤ ـ محاورة بين معز الدولة البويهي وبعض أنصاره حول الخلافة العباسية :

لما ملك معز الدولة بغداد أراد إزالة الخلافة العباسية والمبايعة لبعض العلويين بالخلافة لأنه كان شيعياً مغالياً في التشيع ، فكل أصحابه أشار عليه بذلك وأيده ما عدا بعض خواصه فإنه قال له :

ليس هذا برأي ، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله قتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه .

فأعرض عن ذلك .

الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٨ ـ ٤٥٢

٢٠٥ ـ نص الكتابة التي أمر بكتابتها ونقشها في مساجد بغداد معز الدولة البويهي سنة ٣٥١ هـ :

كان معز الدولة شيعياً مغالياً فأمر سنة ٣٥١ هـ أن يكتب على جدران مساجد بغداد ما يلي :

لعن الله معاوية ابن أبي سفيان ، ولعن من غصب فاطمة ، رضي الله عنها ، فدكاً ، ومن منع من أن يدفن الحسن عند قبر جده ، عليه السلام ، ومن نفى أبا ذر الغفاري ، ومن أخرج العباس من الشورى .

الكامل لابن الأثير جـ ٨ ، ٤٥٢ ـ ٤٥٣

٢٠٦ – رسالة الطائع لله إلى بختيار عز الدولة لمـــا أرسل إليه يطلب منه المال لينفقه في الجهاد في سبيل الله وفي صد الروم :

هاجم الروم الحدود الشمالية الشرقية واحتلوا نصيبين ووصلت أنباء ذلك إلى بغداد فثـار العامة وضغطوا على بختيار من أجـل الجهاد ، فقرر الجهاد وجعله وسيلة لجمع المال وضاق به الحال حـتى أرسل إلى الخليفة يطالبه بمال من أجل الجهاد وأنه يحتاجه من أجل الغزو ، وأن ذلك واجب الإمام ، فأجابه :

الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وإليّ تدبير الأموال والرجال وأما الآن وليس لي منها إلا القوت القاصر عن كفائي وهي في أيديكم وايدي أصحاب الأطراف ، فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء ممـــا تنظر الأئمة فيه ، وإنما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم ، فإن أحببتم أن اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار، وتركتكم والأمر كله (١) .

ولكن ذلك لم يقنع بختيار وظل يلح ويهدد حتى حصل من الخليفة على أربعمائة ألف درهم أنفقها كلها في ملذاته .

تجارب الأمم لابن مسكويه جـ ٢ – ٣٠٧

٢٠٧ – عهد الطائع إلى فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه سنة ٣٦٦ هـ من إنشاء أبي إسحاق الصابي :

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى

---

(١) ذكر ابن الأثير في الكامل جـ٨–٦١٩ نصاً مختصراً للكتاب المذكور أعلاه ، وكذلك فعل ابن كثير في البداية والنهاية جـ١١–٢٧٢ ، ولكن النص المذكور أعلاه أوسع وأدق وأكمل .

فخر الدولة أبي الحسن بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين حين عرف غناءه وبلاءه . واستصح دينه ويقينه ورعى قديمه وحديثه ، واستنجب عوده ونجاره ، وأثنى عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين ـ أيده الله ـ عليه ، وأشار بالمزيد في الصنيعة إليه ، وأعلم أمير المؤمنين اقتداؤه به في كل مذهب ذهب فيه من الخدمة ، وغرض رمي إليه من النصيحة ، دخولاً في زمرة الأولياء المنصورة ، وخروجاً عن جماعة الأعداء المدحورة ، وتصرفاً على موجبات البيعة التي هي بعز الدولة أبي منصور منوطة ، وعلى سائر من يتلوه ويتبعه مأخوذة مشروطة ، فقلده الصلاة وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والأعشار والضياع والجهبذة والصدقات والجوالي وسائر وجوه الجبايات والعرض والعطاء والنفقة في الأولياء والمظالم وأسواق الرقيق والعيار في دور الضرب والطرز والحسبة بكور همذان واستراباذ والدينور وقرقيسين والايغارين ، وأعمال أذربيجان وأرّان والسحانين وموقان ، واثقاً منه باستبقاء النعمة واستدامتها ، والاستزادة بالشكر منها ، والتجنب لغمطها وجحودها ، والتنكب لإيحاشها وتنفيرها ، والتعمد لما مكن له الحظوة والزلفى ، وحرس عليه الأثرة والقربى بما يظهره ويضمره من الوفاء الصحيح والولاء الصريح والغيب الأمين والصدر السليم ، والمقاطعة لكل من قاطع العصبة وفارق الجماعة ، والمواصلة لكل من حمى البيضة وأخلص النية ، والكون تحت ظل أمير المؤمنين وذمته ، ومع عز الدولة أبي منصور وفي حوزته . والله جل اسمه يعرف أمير المؤمنين حسن العقبى فيما أبرم ونقض ، وسداد الرأي فيما رفع وخفض ، ويجعل عزائمه مقرونة بالسلامة ، محجوبة عن موارد الندامة ، وحسب أمير المؤمنين الله ، ونعم الوكيل .

أمره بتقوى الله التي هي العصمة المتينة والجنة الحصينة والطود الأرفع والمعاذ الأمنع والجانب الأعز والملجأ الأحرز ، وأن يستشعرها سراً وجهراً ، ويستعملها قولاً وفعلاً ، ويتخذها رداءً دافعاً لنوائب القدر ، وكهفاً حامياً من حوادث الغير ، فإنها أوجب الوسائل وأقرب الذرائع وأعودها على العبد بمصالحه ، وأدعاها إلى سبل مناجحه ، وأولاها بالاستمرار على هدايته والنجاة من غوايته ، والسلامة في دنياه حين توبق موبقاتها وتردي مردياتها ، وفي آخرته حين تروع رائعاتها وتخيف مخيفاتها ، وأن يتأدب بآداب الله في التواضع والإخبات ، والسكينة والوقار ، وصدق اللهجة إذا نطق ، وغض الطرف إذا رمق ، وكظم الغيظ إذا أحفظ ، وضبط اللسان إذا أغضب ، وكف اليد عن المآثم وصون النفس عن المحارم ، وأن يذكر الموت الذي هو نازل به ، والموقف الذي هو صائر إليه ، ويعلم أنه مسؤول عما اكتسب ، مجزي بما ترمك واحتقب ، ويتزود من هذا الممر لذاك المقر ، ويستكثر من أعمال الخير لتنفعه ، ومن مساعي الخير لتنقذه ، ويأتمر بالصالحات قبل أن يأمر بها ، ويزدجر عن السيئات قبل أن يزجر عنها ، ويبتدىء بإصلاح نفسه قبل إصلاح رعيته ، فلا يبعثهم على ما يأتي ضده ، ولا ينهاهم عما يقترف مثله ، ويجعل ربه رقيباً عليه في خلواته ، ومروءته مانعة له من شهواته ، فإن أحق من غلب سلطان الشهوة ، وأولى من صرع أعداء الحمية من ملك أزمة الأمور واقتدر على سياسة الجمهور ، وكان مطاعاً فيما يرى ، متبعاً فيما يشاء ، يلي على الناس ولا يلون عليه ، ويقتص منهم ولا يقتصون منه ، فإذا أطلع الله منه على نقاء جيبه وطهارة ذيله وصحة سريرته واستقامة سيرته أعانه على حفظ ما استحفظه وأنهضه بثقل ما حمله ، وجعل له

مخلصاً من الشبهة ومخرجاً من الحيرة . فقد قال الله تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب [١] .

وقال عز من قائل : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون [٢] . وقال : اتقوا الله وكونوا مع الصادقين [٣] إلى آي كثيرة حضنا بها على أكرم الخلق وأسلم الطرق . فالسعيد من نصبها إزاء ناظره ، والشقي من نبذها وراء ظهره ، وأشقى منه من بعث عليها وهو صادف عنها ، وأهاب بها وهو بعيد عنها ، وله ولأمثاله يقول الله تعالى : أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون [٤] .

وأمره أن يتخذ كتاب الله إماماً متبعاً وطريقاً موقعاً ، ويكثر من تلاوته إذا خلا بفكره ، ويملأ بتأمله أرجاء صدره ، فيذهب معه فيما أباح وحظر ، ويقتدي به إذا نهى وأمر ، ويستبين ببيانه إذا استغلقت دونه المعضلات ، ويستضيء بمصابيحه إذا غم عليه في المشكلات ، فإنه عروة الإسلام الوثقى ومحجته الوسطى ودليله المقنع وبرهانه المرشد ، والكاشف لظلم الخطوب والشافي من مرض القلوب ، والهادي لمن ضل ، والمتلافي لمن زل ، فمن لهج به فقد فاز وسلم ، ومن لهى عنه فقد خاب وندم . قال الله تعالى : وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد [٥] .

---

(١) سورة الطلاق : الآية ٣ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .
(٣) سورة التوبة : الآية ١١٩ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٤٤ .
(٥) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

وأمره أن يحافظ على الصلوات ويدخل فيها في حقائق الأوقات ، قائماً على حدودها ، متبعاً لرسومها ، جامعاً فيها بين نيته ولفظه ، متوقياً لمطامح سهوه ولحظه ، منقطعاً إليها عن كل قاطع لها ، مشغولاً بها عن كل شاغل عنها ، متثبتاً في ركوعها وسجودها ، مستوفياً عدد مفروضها ومسنونها ، موفراً عليها ذهنه ، صارفاً إليها همه ، عالماً أنه واقف بين يدي خالقه ورازقه ومحييه ومميته ومعاقبه ، لا تستتر دونه خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فإذا قضاها على هذه السبيل منذ تكبيرة الإحرام إلى خاتمة التسليم ، اتبعها بدعاء يرتفع بارتفاعها ، ويستمع باستماعها ، ولا يتعدى فيه مسائل الأبرار ورغائب الأخيار ، من استصفاح واستغفار واستقالة واسترحام ، واستدعاء لصالح الدين والدنيا ، وعوائد الآخرة والأولى . فقد قال تعالى : إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً (١) ، وقال تعالى : وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (٢) .

وأمره بالسعي في أيام الجمعة إلى المساجد الجامعة ، وفي الأعياد إلى المصليات الضاحية ، بعد التقدم في فرشها وكسوتها ، وجمع القوام والمؤذنين والمكبرين فيها ، واستدعاء الناس اليها وحضهم عليها ؛ آخذين الأهبة متنظفين في البزة ، مؤدين لفرائض الطهارة ، بالغين في ذلك أقصى الإستطاعة ، معتقدين خشية الله وخيفته ، مدرعين تقواه ومراقبته ، مكثرين من دعائه ـ عز وجل ـ وسؤاله ، مصلين على محمد رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، بقلوب على اليقين موقوفة ، وهمم إلى

---

(١) سورة النساء : الآية ١٠٣ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٤٥ .

الدين مصروفة ، والسن بالتسبيح والتقديس فصيحة ، وآمال في المغفرة والرحمة فسيحة ، فإن هذه المصليات والمتعبدات بيوت الله التي فضلها ومناسكه التي شرفها ، وفيها يتلى القرآن ومنها ترتفع الأعمال ، وبها يلوذ اللائذون ويعوذ العائذون ويتعبد المتعبدون ويتهجد المتهجدون ، وحقيق على المسلمين أجمعين ، من وال ومولى عليه أن يصونوها ويعمروها ، ويواصلوها ولا يهجروها ؛ وأن يقيم الدعوة على منابرها لأمير المؤمنين ثم لنفسه على الرسم الجاري فيها . قال الله تعالى في هذه الصلاة : يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع [1] وقال في عمارة المساجد ؛ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين [2] .

وأمره أن يراعي أحوال من يليه ، من طبقات جند أمير المؤمنين ومواليه ويطلق لهم الأرزاق ، في وقت الوجوب والاستحقاق ، وأن يحسن في معاملتهم ويجمل في استخدامهم ، ويتصرف في سياستهم ، بين رفق من غير ضعف وخشونة من غير عنف ، مثيباً لمحسنهم مازاد بالإنابة في حسن الأثر ، وسلم معها من دواعي الأشر ، ومتغمداً لمسيئهم ما كان التغمد له نافعاً وفيه ناجعاً ، فان تكررت زلاته وتتابعت عثراته ، تناوله من عقوبته بما يكون له مصلحاً ولغيره واعظاً ، وأن يختص أكابرهم وأماثلهم وأهل الرأي والخطر منهم بالمشاورة في الملم والإطلاع على بعض المهم ، مستخلصاً نخائل قلوبهم بالبسط والإدناء

(١) سورة الجمعة : الآية ٩ .
(٢) سورة التوبة : الآية ١٨ .

ومستشحذاً بصائرهم بالإكرام والاحتفاء ، فان في مشاورة هذه الطبقة إستدلالاً على مواقع الصواب ، وتحرزاً من غلط الاستبداد ، وأخذاً بجامع الحزامة ، وأمناً من مفارقة الاستقامة . وقد حض الله تعالى على الشورى حيث قال لرسوله عليه الصلاة والسلام : وشاورهم في الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين (١) .

وأمره بأن يعمد لما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين ورباطات المرابطين ويقسم لها قسماً وافراً من عنايته ، ويصرف إليها طرفاً بل شطراً من رعايته ، ويختار لها أهل الجلد والشدة وذوي البأس والنجدة ممن عجمته الخطوب وعركته الحروب واكتسب دربة بخدع المتناوبين، وتجربة بمكايد المتقارعين ، وأن يستظهر بتكثيف عددهم ، واختيار عُددهم وانتخاب خيلهم واستجادة أسلحتهم ، غير مجمر بعثاً إذا بعثه ولا مستكرهه إذا وجهه ، بل يناوب بين رجاله مناوبة تريحهم ولا تملهم ، وترفههم ولا تئودهم : فإن في ذلك من فائدة الإجمام والعدل في الاستخدام ، وتنافس رجال النوب فيما عاد عليهم بعز الظفر والنصر ، وبعد الصيت والذكر ، وإحراز النفع والأجر ، ما يحق على الولاة أن يكونوا به عاملين ، وللناس عليه حاملين ؛ وأن يكرر على أسماعهم ويثبت في قلوبهم مواعيد الله لمن صابر ورابط ، وسمح بالنفس وجاهد ، من حيث لا يقدمون على تورط غرة ، ولا يحجمون عن انتهاز فرصة ، ولا ينكصون عن تورد معركة ، ولا يلقون بأيديهم إلى التهلكة ؛ فقد أخذ الله تعالى ذلك على خلقه والمرامين عن دينه ، وأن يزيح العلة فيما يحتاج إليه من راتب نفقات هذه الثغور وحادثها ،

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

وبنـاء حصونها ومعاقلها ، واستطراق طرقهـا ومسالكها ، وإفاضة الأقوات والعلوفات للمترتبين فيها والمترددين إليها والحامين لها ، وأن يبذل أمانه لمن طلبه ، ويعرضه على من لم يطلبه ، ويفي بالعهد إذا عاهد ، وبالعقد إذا عاقد ، غير مخفر ذمة ولا جارح أمانة ، فقد أمر الله تعالى بالوفاء فقال جل منْ قائل : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود (١) . ونهى عن النكث فقال عز من قائل : فمن نكث فإنما ينكث على نفسه (٢) .

وأمره أن يعرض من في حبوس عمله على جرائرهم ، وإنعام النظر في جناياتهم وجرائمهم ، فمن كان إقراره واجباً أقره ، ومن كان إطلاقه سائغاً أطلقه ، وأن ينظر في الشرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف ، ويختار لها من الولاة من يخاف الله تعالى ويتقيه ، ولا يحابي ولا يراقب فيه ، ويتقدم إليهم بقمع الجهال وردع الضلال وتتبع الأشرار وطلب الدعار ، مستدلين على أماكنهم ، متوغلين إلى مكامنهم ، متولجين عليهم في مظانهم ، متوثقين ممن يجدونه منهم ، منفذين أحكام الله تعـالى فيهم ، بحسب الذي يتبين من أمرهم ويتضح من فعلهم ، في كبيرة ارتكبوها وعظيمة احتقبوها ومهجة أفاضوها واستهلكوهـا وحرمة أباحوها وانتهكوها : ممن يستحق حداً من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخففين منه وأحلوه به غير مقصرين عنه ، بعد أن لا يكون عليهم في الذي يأتون به حجة ، ولا يعترضهم في وجوبـه شبهة ، فإن الواجب في الحدود أن تقام بالبينات وأن تدرأ بالشبهات ، فأولى ماتوخاه رعاة الرعايا فيها أن لا يقدموا عليهـا مع نقصان ، ولا

(١) سورة المائدة : الآية ١ .
(٢) سورة الفتح : الآية ١٠ .

يتوقفوا عنها مع قيام دليل وبرهان ، ومن وجب عليه القتل احتاط عليه بما يحتاط به على مثله : من الحبس الحصين والتوثق الشديد ، وكتب إلى أمير المؤمنين بخبره وشرح جنايته ، وثبوتها بإقرار يكون منه أو بشهادة تقع عليه ، ولينتظر من جوابه مايكون عمله بحسبه ، فان أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم أو معاهد إلا ما أحاط به علماً ، وأتقنه فهماً ، وكان مايمضيه عن بصيرة لا يخالطها شك ولا يشوبها ريب . ومن ألم بصغيرة من الصغائر ويسيرة من الجرائر من حيث لم يعرف له مثلها ولم يتقدم منه أختها ، وعظه وزجره ونهاه وحذره واستتابه وأقاله ، مالم يكن عليه خصم في ذلك يطالب بقصاص منه ، وجزاء له ، فإن عاد تناوله من التقويم والتهذيب والتعزير والتأديب بما يرى أنه قد كفى فيما اجترم ، ووفى بما قدم ، فقد قال تعالى : ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (١) .

وأمره أن يعطل مافي أعماله من الحانات والمواخير ، ويطهرها من القبائح والمناكير ، ويمنع من تجمع أهل الخنا فيها وتألف شملهم بها : فإنه شمل يصلحه التشتيت ، وجمع يحفظه التفريق ، وما زالت هذه المواطن الذميمة والمطارح الدنيئة داعية لمن يأوي إليها ويعكف عليها إلى ترك الصلوات وإهمال المفترضات وركوب المنكرات واقتراف المحظورات ، وهي بيوت الشيطان التي في عمارتها لله تعالى مغضبة ، وفي إخرابها للخير مجلبة . والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله(٢) . ويقول عز من قائل لغيرنا من المذمومين : فخلف من بعدهم

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً (١) .

وأمره أن يولي الحماية في هذه الأعمال أهـــل الكفاية والغناء من الرجال ، وأن يضم إليهم كل من خف ركابه وأسرع عند الصريخ جوابه ، مرتباً لهم في المسالح وساداً بهم ثغر المسالك ، وأن يوصيهم بالتيقظ ويأخذهم بالتحفظ ، ويزيح عللهم في علوفة خيلهم والمقرر من أزوادهم وميرهم ، حتى لا تثقل لهم على البلاد وطأة ، لاتـدعوهم إلى تحيفهم وثلمهم حاجة ، وأن يحوطوا السابلة بادئة وعائدة ، ويتداركوا القوافل صادرة وواردة ، ويحرسوا الطرق ليلاً ونهـــاراً ، وينفضوها رواحاً وإبكاراً ، وينصبوا لأهل العيث الأرصاد ، ويتمكنوا لهم بكل وادٍ ، ويتفرقوا عليهم حيث يكون التفرق مضيقاً لفضائهم ومؤدياً إلى انفضاضهم ، ويجتمعوا حيث يكون الاجتماع مطفئاً لجمرتهم وصارعـــاً لمروتهم ، وأن لا يخلوا هذه السبل من حماة لها وسيارة فيها : يترددون في جواديها ويتعسفون في عواديها حتى تكون الدماء محقونة ، والأموال مصونة ، والفتن محسومة والغارات مأمونة ، ومن حصل في أيديهم من لص خاتل وصعلوك خارب ومخيف لسبيل ومنتهك لحريم ، أمتثل فيه أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل : إنمـا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٢) .

وأمره بوضع الرصد على من يجتاز في أعمـــاله من أباق العبيد ،

---

(١) سورة مريم : الآية ٥٩ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣٦ .

والاحتياط عليهم وعلى ما يكون معهم ، والبحث عن الأماكن التي فارقوها والطرق التي استطرقوها ، ومواليهم الذين أبقوا منهم ونشزوا عنهم ، وأن يردوهم عليهم قهراً ، ويعيدوهم إليهم صغراً ، وأن ينشدوا الضالة بما أمكن أن تنشد ، ويحفظوها على ربها بما جاز أن تحفظ ، ويتجنبوا الامتطاء لظهورها والانتفاع بأوبارها وألبانها مما يجز ويحلب ، وأن يعرّفوا اللقطة ويتبعوا أثرها ويشيعوا خبرها ، فإذا حضر صاحبها وعُلم أنه مستوجبها سلمت إليه ولم يعترض فيها عليه ، فإن الله عز وجل يقول : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها (١) . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضالة المؤمن حَرَق النار .

وأمره أن يوصي عماله بالشد على أيدي الحكام وتنفيذ ما يصدر من الأحكام ، وأن يحضروا مجالسهم حضور الموقرين لها ، الذابين عنها المقيمين لرسوم الهيبة وحدود الطاعة فيها ، ومن خرج عن ذلك من ذي عقل سخيف وحلم ضعيف نالوه بما يردعه وأحلوا به ما يزعه . ومتى تقاعس متقاعس عن حضورٍ مع خصم يستدعيه ، وأمرٍ يوجه الحاكم إليه فيه ، أو التوى ملتوٍ بحقٍ يحصل عليه ودين يستقر في ذمته ، قادوه إلى ذلك بأزمة الصغار وخزائم الاضطرار ، وأن يحبسوا ويطلقوا بأقوالهم ، ويثبتوا الأيــدي في الأملاك والفروج وينزعوها بقضاياهم ، فإنهم أمناء الله في فصل ما يفصلون وبت ما يبتون ، وعن كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يوردون ويصدرون ، وقد قال تعالى : يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل

---

(٢) سورة النساء : الآية ٥٧ .

الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (١) .

وأن يتوخى بمثل هذه المعاملة عمال الخراج في استيفاء حقوق ما استعملوا عليه ، واستنظاف بقاياهم فيه ، والرياضة لمن تسوء طاعته من معامليهم وإحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم ، فمن آداب الله تعالى للعبد التي يحق عليه أن يتخذها أدباً ويجعلها إلى الرضا عنه سبباً قوله تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٢) .

وأمره أن يجلس للرعية جلوساً عاماً ، وينظر في مطالبها نظراً تاماً ، ويساوي في الحق بين خاصها وعامها ، ويوازي في المجالس بين عزيزها وذليلها ، وينصف المظلوم من ظالمه والمغصوب من غاصبه ، بعد الفحص والتأمل والبحث والتبين ، حتى لا يحكم إلا بعدل ، ولا ينطق إلا بفصل ، ولا يثبت يداً إلا فيما وجب تثبيتها فيه ، ولا يقبضها إلا عما وجب قبضها عنه ، وأن يسهل الإذن لجماعتهم ويرفع الحجاب بينه وبينهم ، ويوليهم من حصانة الكنف ولين المنعطف ، والإشتمال والعناية والصون والرعاية ما تتعادل فيه أقسامهم وتتوازن أقساطهم ، ولا يصل المكين منهم إلى استضامة من تأخر عنه ، ولا ذو السلطان إلى هضيمة من حلَّ دونه ، وأن يدعوهم إلى أحسن العادات والخلائق ، ويحضهم على أجمل المذاهب والطرائق ، ويحمل عنهم كلَّه ويمد عليهم ظله ولا يسومهم خسفاً ولا يلحق بهم حيفاً ولا يكلفهم شططاً ولا يجشمهم مضلعاً ، ولا يثلم لهم معيشة ولا يداخلهم في جريمة ، ولا يأخذ

---

(١) سورة ص : الآية ٢٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٣ .

بريئاً منهم بسقيم ولا حاضراً بعديم ، فإن الله جل وعز نهى أن تزر وازرة وزر أخرى ، وجعل كل نفس رهينة بكسبها ، بريئة من مكاسب غيرها ، ويرفع عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سُن عليها من سنة ظالمة ، وسلك بها من محجة جائرة ، ويستقري آثار الولاة قبله عليها ، فيما أزجوه من خير أو شر إليها ، فيقر من ذلك ما طاب وحسن ، ويزيل ما خبث وقبح ، فإن من يغرس الخير يحظى بمحصول ثمره ، ومن يزرع الشر يصلى بمرور ريعه . والله تعالى يقول : والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً ، كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون(١) .

وأمره أن يصون أموال الخراج وأثمان الغلات ووجوه الجبايات موفراً ، ويزيد ذلك مثمراً ، بما يستعمله من الإنصاف لأهلها ، وإجرائهم على صحيح الرسوم فيها ، فإنه مال الله الذي به قوة عباده وحماية بلاده ودرور حليه واتصال مدده ، وبه يحاط الحريم ويدفع العظيم ويحمى الذمار وتذاد الأشرار ، وأن يجعل افتتاحه إياه بحسب إدراك أصنافه وعند حضور مواقيته وأحيانه ، غير مستسلف شيئاً قبلها ، ولا مؤخراً لها عنها ، وأن يخص أهل الطاعة والسلامة بالترفيه لهم ، وأهل الاستصعاب والامتناع بالتشدد عليهم ، لئلا يقع إرهاق لمذعن ، أو إهمال لطامع ، وعلى المتولي لذلك أن يضع كلاً من الأمرين موضعه ، ويوقعه موقعه ، متجنباً إحلال الغلظة بمن لا يستحقها ، وإعطاء الفسحة لمن ليس من أهلها ، والله تعالى يقول : وإن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى(٢) .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٥٨ .

(٢) سورة النجم : الآية ٤١ ،

وأمره بـأن يتخير عماله على الأعشار والخراج والضياع والجهبذة والصدقات والجوالي من أهـل الظلف والنزاهـة والضبط والصيانة ، والجزالة والشهامة ، وأن يستظهر مع ذلك عليهم بوصية يديها أسماعهم ، وعهود يقلدها أعناقهم ، بأن لا يضيعوا حقـاً ولا يأكلوا سحتاً ، ولا يستعملوا ظلماً ، ولا يقارفوا غشماً ، وأن يقيموا العمارات ، ويحتاطوا على الغـلات ويتحرزوا من ترك حـق لازم أو تعطيل رسم عادل ، مؤدين في جميع ذلك الأمانة ، مجتنبين للخيانة ، وأن يأخذوا جهابذتهم باستيفاء وزن المال على تمامه ، واستجادة نقده على عياره ، واستعمال الصحة في قبض ما يقبضون وإطلاق مـا يطلقون ، وأن يوعزوا إلى سعات الصدقات بأخذ الفرائض من سائمة مواشي المسلمين دون عامتها وكذلك الواجب فيها ، وأن لا يجمعوا فيها متفرقاً ولا يفرقوا متجمعاً، ولا يدخلوا فيها خارجاً عنها ، ولا يضيفوا إليها ما ليس منها : من فحل إبـل إلى أكولة راعٍ أو عقيلة مالٍ ، فـإذا اجتبوها على حقها واستوفوها على رسمهـا أخرجوها في سبيلها وقسموها على أهلهـا الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ، إلا المؤلفة قلوبهم الذين سقط سهمهم فإن الله تعالى يقول : إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم [1] .

وإلى جبـاة جماجم أهـل الذمة أن يأخذوا منهم الجزية في المحرم من كل سنة بحسب منازلهم في الأحوال ، وذات أيديهم من الأموال ، وعلى الطبقات المطبقة فيهـا والحدود المحدودة المعهودة لهـا ، وأن

(١) سورة التوبة : الآية ٦١ .

لا يأخذوها من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال ، ولا من ذي سن عالية ولاذي علة بادية ولا فقير معدم ولا مترهب متبتل ، وأن يراعي جماعة هؤلاء العمال مراعاة يسرها ويظهرها ويلاحظهم ملاحظة يخفيها ويبديها ، لئلا يزولوا عن الحق الواجب ، أو يعدلوا عن السنن اللاحب ، فقد قال تعالى : وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً (١) .

وأمـــره أن يندب لعرض الرجال وإعطائهـم ، وحفظ جراياتهم وأوقات طعامهم ، من يعرفه بالثقة في متصرفه ، والأمانة فيما يجري على يده ، والبعد عن الإسفاف إلى الدنية ، والإتباع للدناءة ، وأن يبعثه على ضبط حـلى الرحال وشيات الخيل وتجديـد العرض بعـــد الاستحقاق ، وإيقاع الاحتياط في الانفاق ، فمن صح عرضه ولم يبق في نفسه شيء منه ، من شك يعرض له أو ريبـة يتوهمها ، أطلق أموالهم موفورة وجعلها في أيديهم غـير مثلومة ، وأن يرد على بيت المال أرزاق من سقط بالوفاة والإخلال ، ناسباً ذلك إلى جهته ، ومورداً له على حقيقته ، وأن يطالب الرجال بإحضار الخيل المختارة ، والآلات المستكملة المستعملة على ما توجبه مبالغ أرزاقهم وحسب منازلهم ومراتبهم فإن أخر أحدهم شيئاً من ذلك قاصه به من رزقه وأغرمه مثل قيمته، فإن المقصر فيه خائن لأمـير المؤمنين ومخالف لرب العالمين ، إذ يقـول الله سبحانـه : وأعدوا لهم ما استطعتم من قـــوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (٢) .

وأمره أن يعتمد في أسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة والطرز،

(١) سورة الاسراء : الآية ٣٤ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

على من تجتمع فيه آلات هذه الولايات ، من ثقة ودراية وعلم وكفاية ومعرفـة ودراية وتجربة وحنكة ، وحصافة ومسكة ، فإنهـا أحوال تضارع الحكم وتناسبه وتدانيه وتقاربه ، وأن يتقدم إلى ولاة أسواق الرقيق بالتحفظ فيمن يطلقون بيعه ويمضون أمره ، والتحرز من وقوع تجوز فيـــه وإهمال له ، إذ كان ذلك عائداً بتحصين الفروج وتطهير الأنساب ، وأن يبعدوا عنه أهل الريبة ويقربوا أهل العفة ، ولا يمضوا بيعاً على شبهة ، ولا عقداً على تهمة . وإلى ولاة العيار بتخليص عـين الدرهم والدينـار ليكونا مضروبين على البراءة من الغش والنزاهة مـن المش[1] ؛ وبحسب الإمام المقرر بمدينة السلام ، وحراسة السكك من أن تتداولها الأيدي المدغـلة وتتناولها الجهات الظنينة ، وإثبات اسم أمير المؤمنين على ما يضرب منها ذهباً وفضة وإجراء ذلك على الرسم والسنة ؛ وإلى ولاة الطراز بأن يجروا الاستعمال في جميع المناسج على أتم النيقة وأسلم الطريقة ، وأحكم الصنعة وأفضل الصحة ، وأن يثبتوا اسم أمير المؤمنين على طراز الكسا والفرش والأعلام والبنود ، وإلى ولاة الحسبة بتصفح أحوال العوام في حرفهم ومتاجرهم ومجتمع أسواقهم ومعاملاتهم ، وأن يعايروا الموازين والمكاييل ، ويفرزوها على التعديل والتكميل ، ومن اطلعوا منه على حيلة أو تلبيس أو غيلة أو تدليس، أو بخس فيما يوفيه أو استفضال فيما يستوفيه نالوه بغليظ العقوبة وعظيمها وخصوه بوجيعها وأليمها ، واقفين به في ذلك عند الحـــد الذي يرونه لذنبه مجازياً ، وفي تأديبه كافياً . فقد قال الله تعالى : ويـل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون[2].

---

(١) المش : الخليط حين يذوب .

(٢) سورة المطففين : الآيات ١-٣ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عليك ، قد وقفك به على سواء السبيل وأرشدك فيه إلى واضح الدليل ، وأوسعك تعليماً وتحكيماً وأقنعك تعريفاً وتفهيماً ، ولم يألك جهداً فيما عصمك وعصم على يدك ، ولم يدخرك ممكناً فيما أصلح بك وأصلحك ، ولا ترك عذراً في غلط تغلطه ، ولا طريقاً إلى متورط تتورطه ، بالغاً بك في الأوامر والزواجر إلى حيث يلزم الأئمة أن يندبوا الناس إليه ، ويحثوهم عليه ، مقيماً لك منجيات المسالك ، وصارفاً لك عن مرديات المهالك ، مريداً فيك ما يسلمك في دينك ودنياك ، ويعود بالحظ عليك في آخرتك وأولاك ، فإن اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت ، وإن تجانفت وأعوججت فقد خسرت وندمت . والأولى بك عند أمير المؤمنين ، مع مغرسك الزاكي ومنبتك النامي وعودك الأنجب وعنصرك الأطيب أن تكون لظنه بك محققاً ، ولمخيلته فيك مصدقاً ، وأن تستزيد بالأثر الجميل قرباً من رب العالمين وثواباً يوم الدين ، وزلفى عند أمير المؤمنين وثناء حسناً من المسلمين . فخذ ما نبذ إليك أمير المؤمنين من معاذيره ، وأمسك بيدك على ما أعطى من مواثيقه واجعل عهده هذا مثالاً تحتذيه . وإماماً تقتضيه ، واستعن بالله يعنك ، واستهده يهدك ، وأخلص إليه في طاعته يخلص لك الحظ من معونته ، ومهما أشكل عليك من خطب أو أعضل عليك من صعب أو بهرك من باهر أو بهظك من باهظ ، فاكتب إلى أمير المؤمنين به منهياً ، وكن إلى ما يرد من جوابه عليك منتهياً إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب نصير الدولة الناصح أبو طاهر يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادي الأولى سنة ست وستين وثلثمائة .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ، ١٥ – ٣١

٢٠٨ – رسالة شفوية أرسلها بهاء الدولة إلى الخليفة القادر :

أعلن قرواش العقيلي سنة ٤٠١ هـ ولاءه للفاطميين وخطب للحاكم بأمر الله في الموصل فاستاء الخليفة القادر من ذلك وأرسل إلى بهاء الدولة يشرح له الحال ويطلب منه التدخل ، فقال بهاء الدولة شفوياً للرسول وطلب منه أن يبلغ ذلك للخليفة .

والله إن عندنا من هذا الأمر أكثر مما عند أمير المؤمنين لأن الفساد علينا به أكثر . وقد كاتبنا أبا علي [1] وتقدمنا بإطلاق مائة ألف دينار يستعين بها على نفقات العسكر ، وإن دعت الحاجة إلى مسيرنا كنا أول طالع على أمير المؤمنين .

المنتظم لابن الجوزي ج ٧ – ٢٥١ .

٢٠٩ – رسالة الجند وقواد الجيش للخليفة القادر سنة ٤١٨ هـ بعد وفاة شرف الدولة .

ثار الجند والاصفهسلارية سنة ٤١٨ هـ بعد وفاة شرف الدولة وقصدوا الخليفة وأرسلوا يقولون له :

إنك أنت مالك الأمور ، وقد كنا عند وفاة الملك شرف الدولة اخترنا جلال الدولة تقديراً منا أنه ينظر في أمورنا فأغفلنا ، فعدلنا إلى أبي كاليجار ظناً منا أنه يحقق ما يعدنا به ، فكنا على أقبح من الحالة الأولى ، ولا بد من تدبير أمورنا .

---

(١) المقصود بأبي علي هنا عميد الجيوش الحسن بن أبي جعفر الذي كان قائد الجيش البويهي آنذاك في بغداد .

٢١٠ – جواب الخليفة القادر للجند على رسالتهم السابقة :

إنكم أبناء دولتنا ، وأول ما نأمركم به أن تكون كلمتكم واحدة. وبعد ، فقد جرى الأمـر من عقد الأمر لأبي طاهـر ثم نقضه ، ثم ساعدناكم عليه ، وفيه قبح علينا وعليكم ، ثم عقدتم لأبي كاليجار عقداً لا يحسن حله من غير روية ، ولبني بويه في أعناقنا عهود لا يجـوز العدول عنها . والوجـه أن تدعونا نكاتب أبا كاليجار ونعـرف ما عنده .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ – ٢٩

٢١١ – رسالة الجند بحـق جلال الدولة إلى الخليفة القادر سنة ٤١٩ هـ .

شغب الجند ضـد جلال الدولة وتحالفـوا وأرسلوا إلى الخليفة يقولون :

نحن عبيد أمـير المؤمنين ، وهـذا الملك متوفر على لذاته لا يقوم بأمورنا ، ونريد أن توعز إليه بالعود إلى البصرة وإنفاذ ولده ليقيـم بيننا نائباً عنه في مراعاتنا .

٢١٢ – جواب جلال الدولة للجند الثائر :

توسط الخليفة بين جلال الدولة والجند وبذل جلال الدولة كثيراً من الوعود ولكنه لم يف بها فعاد الجنـد إلى الشغب وحاصروه حـتى اضطر إلى الإذعان وأرسل يقول لهم :

إني أرجع عن كل ما أنكرتموه وأعطيكم .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ – ٣٥

٢١٣ ـ رسالة الخليفة القائم بأمر الله إلى جلال الدولة البويهي بشأن الجوالي وجبايتها :

حدث نزاع بين الخليفة وجلال الدولة سنة ٤٣٤ هـ ، ذلك أن جلال الدولة صادر ما جباه وكلاء الخليفة من أموال الجوالي وتولى وكلاؤه جبايتها فشق ذلك على الخليفة وأرسل له مع الماوردي رسالة هذا نصها :

ليس يختل على ذي عقل غلط ما أتاه جلال الدولة من عدوله عن عهوده والوفاء بعقوده ، وان الإيمان المؤكدة اشتملت على ما لا فسيحة في نقضه ولا سبيل إلى حله ، وفيما جرى من الاعتراض على الجوالي في جبايتها بعد تسليمها إلى الوكلاء نقض لما عقده والتعويل على عقده ، فانطلقت الألسن بما يصان عن مثله ، فإن ذكر أن ضرورة دعت إلى ذلك فالا راسلنا على الوجه الأجمل ، ولو أنه لما أراد ما أراد جمل الوكلاء القائمين به يحملونه إليه لكان ذلك أولى.فأما العدول عن هذه الطريقة فظاهر ، الغرض فيه الومقين[1] ، ولولا ما عليه الوكلاء من الإضاقة نرى ترك القول في مال هذه الجوالي مع نزارة قدره ، لكن للضرورة حكماً تمنع من الاختيار ، وإن روعى الوكلاء يدفعون أيامهم ، وإلا فلهم عند الضرورات متسع من الأرض ، ونحن نقاضيه إلى الله تعالى وهو الحكم بيننا .

٢١٤ ـ جواب جلال الدولة :

اعتراف بوجوب الطاعة ثم قال :

ونحن نائبون عن الخدمة نيابة لا تنتظم إلا بإطلاق أرزاق العساكر

(١) كذا بالأصل والمعنى مضطرب غير مفهوم ولعل الصواب : الغرض فيه الوقيعة ؟

وقد التجأ جماعة ممن خدمنا إلى الحريم واستعصم بـه ، حتى أن أحدهم أخذ من تلاعنا في دفعة واحدة تسمائة بدرة ، ونحن نمنع من إحضارها ونحن محذورون عند الحاجة .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ ، ١١٣ - ١١٤

ب - علاقة البويهيين بعضهم ببعض

٢١٥ - رسالة عز الدولة البويهي الى ابن عمه عضد الدولة وقد وقعت بينهما وحشة أوجبت أن يطلب عز الدولة رضا عضد الدولة والرسالة من إنشاء أبي إسحاق الصابي :

كتابي - أطال الله بقـاء مولانا الملك الجليل المنصور عضد الدولة من العسكر بظاهر سوق الأهواز ، ومولانا أمـــير المؤمنين مشمول بالكفاية والتأييد ، مخصوص بالعز والتمكين ، يجري على أفضل مـا عود الله خلفاءه في أرضه ، وأحباءه في رعاية خلقه ، من التكفل لهم بالإظهار والإدالة وتوليهم بالإعلاء الإنافة وأنا مستظل بكنف طاعته مستكن في حرم مشايعته ، شاكر لله على بلائه ، مثن عليه بآلائه ، راغب إليه أن يعصمني في مولانا الملك الجليل المنصور وفي نفسي مـن كل مكروه ومستهجن ، ويوفقني وإياه لكـل مستحب ومستحسن ، ويعيذنا من المقام على الفرقة ، والزوال عن سبب الألفـة وهو المحمود رب العالمين :

والحقوق بين مولانا الملك وبيني فيا قررته منـــا اللحمة وأكدته العصمة وأثلته الأسلاف ونشأت عليه الأخلاف حقيقة بـأن لا تتسرع إليها دواعي النقض ، ولا تتمكن منها ملمات النسخ ، ولايتم للشيطان

عليها ما يحاوله بنزغه ويتوصل إليه بكيده ، وأن تنزاح العوارض عنها وتضمحل دون التأثير فيها ، وأن نعتقد جميعاً أن بتقارضنا رعايتها ثبات النعم المتصلة بها ، فلا يستنكف مستنكف منا أن يخفض جناحه لأخيه ويغض من جماحه في مقاربة ذويه ، إذ كان ذلك حامياً له في أهول الأحوال مما هو أشد حفضاً وأبلغ رضاً وأسوأ مغبة وأنكر عاقبة .

وقد علم مولانا الملك المنصور بالثاقب من تأمله ، والصحيح من تمييزه وتدبره ، أن دولتنا ـ حرسها الله ـ مبنية على أسس الترافد والتعاضد ، موضوعة على قاعدة التوازر والتظافر ، وأن مشيختنا وسادتنا رضوان الله عليهم ، جعلوا الائتلاف رتاجاً بين الأعداء وبينها ، ثم أن مفتاحه هي الخلاف المتطرق لهم عليها ، ولو حدث التنافر في أيام أضعفنا مُنَّةً ، وأوهننا عقدة ، وأحدثنا سناً وأقلنا حنكة ، لكان ذلك أقل في التعجب من أن يعرض في رياسة أحصفنا رأياً وأسدنا تدبيراً وأوفانا حلماً وأكملنا حزماً ، وقد تكررت ـ أيد الله مولانا ـ على ذات بيننا قوارص احتقرناها حتى امتلأ الإناء من قطرها ، واستقينا منها على العظيمة التي لا ثواء بعدها . وما أعود على نفسي بلوم في ابتداء قبيح ابتدأته ، ولا بمركب شنيع ركبته ولاحق طرحته ، ولا استصلاح تركته ، ولا أدفع مع ذلك أنني قابلت لما تضاعف بالأقل الأيسر ، وجازيت لما ترادف بالأدون الأنزر ؛ إلا أني ما آثرت كثيرة ولا قليلة ، ولا اخترت دقيقة ولا جليلة ، لكنه لم يصلح في السيرة ـ وقد اشفينا على التزاحف للحرب والتدالف للطعن والضرب ـ ان استعمل ما كنتُ عليه من توفية الحقوق وإقامة الرسوم ، فيراني الأولياء الذين بهم تحمى البيضة وتحاط الحوزة ، متناقض الفعلين ،

متنافي المذهبين ، وكنت في ذلك الفعل الذميم ، والرأي الذي ليس بمستقيم ، مقتدياً لا مبتدياً ، ومتبعاً لا مبتدعاً ، ولو وقف بي مولانا الملك الجليل قبل أواخر الجفاء وعطف معي إلى أول شرائـع الصفاء ، لكانت عريكتي عليه ألين ، وطريقه إلى ارتباط طاعتي وولائي أقصد ، لكنه ـ أيده الله ـ أقام على ما لا يليق بـه من مجانيق ومغالظتي ، وبث الحبائل لي ودس المكايـد إلي ، ومتابعته الجواسيس والكتب إلى الأوليـــاء في عسكري الذين هم أولياؤه أن انصف وعدل ، ونصحاؤه إن أحسن وأجمل ، وكان الأشبه بمولانا ، لو كنت المغالط عليه ، والباعث لهـــذه الأسباب إليه . أن يسوسني سياسة الحكـيم ويستخلصني استخلاص الكريم ، إذ كنـا لم نقدمه معشر أهـل البيت علينا ، ونوله أزمة أمورنا ، إلا ليأسو جراحنا ويجبر كسورنا ، ويتعهد مسيئنا ، ويستميل نافرنا ، فـــأما أن يحاول منـا استباحة الحريم وإركاب المركب العظيم فكيف يجوز أن تدوم على هذا طاعة أو تصلح عليه جماعة ، أو يغضي عليه مغض أو يصفح عنه صافح ؟ وكان مـن أشد هذه الجفوة وأقطعها ، وأقساها وأغلظها أن عاد رسولي من حضرته خالياً من جواب بما كتبت إليه ، وما أعرف له ـ أيـده الله ـ في ذلك عذراً يبسطه ، ولا سلك منه السبيل الـتي تشبهه ، وبالله جُهد القسم ومنتهاها وأجلها وأوفاها ، لقد سار مولانا أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ وسرت إلى هذا الموضع ، واعتقادنا لا يجاوز حفظ الحدود والأطراف ، وحياطـــة النهايات والأكناف ، والأغلب علينا أن مولانا الملك ـ أدام الله تأييـــده ـ لا يتجاوز معي المكاتبة اللطيفة والمخاطبة الجميلة ، والاستدعاء مني لما يسوغ له أن يطلبه ولي أن أبذله ، مـن تعفية السالف وإصلاح المستأنف ، وتوفية للحق في رتبة لا أضن بهـا

عليه ، ولا استكثر النزول عنها له ، وتقرير أصل بيننا يكون ـ أيده الله ـ به معقلا لي وموئلا وأكون له نائباً ومظفراً . إلى أن بدأ الأصحاب بالعيث في هذه البلاد ، وألحوا عليها بالغارات واعتمدوها بالنكايات ، وكان هــذا كالرشاش الذي يؤذن بالإنسكاب ، والوميض الذي يوعد بالاضطرام ، وأوجبت قبل المقابلة عليه والشروع في مثله في حق مولانا الملك الجليل ، الذي لا أدع أن احفظ منه ما دعاني إلى إضاعته ، وأتمسك بما اضطرني إلى مفارقته ، أن أقدم أمام الإلتقاء على الحرب ، التي هي سجال كما يعلم ، ابلاغ نفسي عـــذرها وإعطاء المقادة منها ، داعياً له إلى طاعة الخالق والإمام وصلة اللحم والأرحام ، وحقن الدماء والمهج وتسكين الدهماء والرهج ، وثني العنان عن المورد الذى لا يدري وارده كيف يصدر عنه ، ولا يثق بالسلامة منه ، وتعريفي ما يريده مني لأتبعه ما لم يكن ثالماً لي وعائداً بالوهن علي ، والله الشاهد على شهادة قد علم إخلاصي فيها وسماحة ضميري بها ، وانني اكره أن أنال منه كما أكره أن ينال مني ، وأتألم أن أظهر عليه كما اتألم أن يظهر علي ، وأحب أن يرجع عني وأرجـع عنه ، وقد التقت قلوبنا وتألف على الجميل شملنا ، وطرفت أعـين الأعادي عنا وانحسمت مطامعهم فينا ، فإن فعل ذلك فحقيق به الفضل، وهو لعمر الله به أهل ، ولا عذر له في أن لا يفعله ، وقـد وسع الله ماله ووفر رجاله ، وأغناه عمـا يلتمسه الصعلوك ويخاطر لـه السُّبرُوت وجعله في جانب الغنى والثروة والحزم والحيطة . وإن أبى فكتابي هذا حجـة عند الله الذي تستنزل منه المعونة ، وعند الناس الذين تلتمس منهم العصبية . وقد انفذت به اسفندار بن خسرويه وإبراهيم بن كالي ، وهما ثقتاي وأميناي ، ليؤدياه ويشافهاه عني بمثل متضمنه ونجواه

والله يعيذنا في مولانا الملك الجليل من أن يختار أولى الأمرين وأليقهما بدينه ومروءته ، وهو ولي ما يراه في الأمر بتعجيل الإجابة بما أعمل به ، وانتهى بالتدبير إليه ، إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي جـ ٦ ، ٥٦٤ – ٥٦٨

٢١٦ – رسالة الطائع لله إلى عضد الدولة من أجل عز الدولة :

وقعت النفرة بين عز الدولة وعضد الدولة ، وذلك بعد وفاة والد عضد الدولة ركن الدولة ، فأرسل الخليفة الطائع كتاباً إلى عضد الدولة يعظم فيه عز الدولة وجعل له التقدم بعد ركن الدولة . والكتاب من إنشاء أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي ، فكان ذلك أحد الأسباب التي أدت بعضد الدولة للنقمة على أبي إسحاق ، وفيما يلي نص الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى عضد الدولة أبي شجاع ابن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ . أما بعد : احسن الله حفظك وحياطتك وأمتع أمير المؤمنين بك وبالنعمة فيك ، فإن من سنن العدل التي يؤثر أمير المؤمنين أن يحييها وآداب الله التي يرى أن يأخذ بها ويقتفيها ، إثابة المحسن بإحسانه والإيفاء به على أقرانه ، والمجازاة له عن راشد مساعيه وصائب مراميه ، بما يكون قضاءً لما أسلف وقدم ، وكفاءً لما أكد وألزم ، واضعاً ذلك مواضعه ، ومطبقاً فيه بين أولياء دولته وأنصار دعوته ، بحسب الذي عرف من مقامات بلائهم وشهر من مواقف غنائهم ، فلا يستكثر جزيلا

استحقه أكابرهم ، ولا يحتقر قليلا استوجبه أصاغرهم ، شاحذاً لبصائرهم في طلب الغايات وبعثاً على إدراك النهايات ، وتوفية لهم مـا صار في ضمنه من إطالة أيديهم إلى ماقصد لنيله ، وتقديم أقدامهم إلى حيث هل جزاء الإحسان إلا الإحسان . وعلى مثله استمرت سيرة السلف الصالح من أمراء المؤمنين وأئمة المسلمين الذين أمير المؤمنين متبع لدليلهم وحاذٍ على تمثيلهم وذاهب على آثارهم في كل غرس غرسوه وبناء أسسوه ومفخرة أثلوها ومكرمة أصّلوها ، وأمير المؤمنين يستمد الله في ذلك هـداية تؤديه إلى القصد وتوصله إلى المعتمد ، وأصالة تؤمنه من غلط الرأي وخطأ الاختيار ، ومعونة تفضي به إلى سداد المنحى وإصابة المغزى ، ومـا توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

وقد علمتَ ـ رعاك الله ـ وعلم غيرك ، بعين ما أدركته الأعمار وسماع ما نقلته الأخبار : أن الدولة العباسية التي رفع الله عماد الحق بها ، وخفض منار الباطل لهـا ، لم تزل على سالف الأيام ومتعاقب الأعوام تعتل طوراً وتصح أطواراً ، وتلتاث مرة وتستقل مراراً ، من حيث أصلها راسخ لا يتزعزع ، وبنيانها ثابت لايتضعضع ، فإذا لحقها الإلتياث وحدثت فيها الأحداث كان ذلك على سبيل التقويم والتأديب والاصلاح والتهذيب لمعشر كانوا كالأنعام رتعوا في أكلائهـا سائمين ، ولهوا عن شكر آلائها ذاهلين ، فيوقظهم الله من تلـك السنة وينهضهم عن مضاجع الغفلة ، ويجعل ما يحله بهم ، في خلال مـا يضطرب من دهمائهم ويشتد من لأوائهم عظة لهم ، إن امتدت بهم السنون ، أو لغيرهم ، إن اخترمهم المنون : حتى إذا انتهت هـذه الحال إلى حيث أراد الله بهم من الكف والردع ، وسببه لهم من النفع والصنع ، بعث لإقرار الأمر في نصابـه وحفظه على أصحابه ولياً نجيباً من أوليائهم ، وعبداً مخلصاً من أصفيائهم ، فلا تلبث أن تعود الدولة على

يده غضة العود معتدلة العمود جديدة اللباس متينة الأمراس ، وهنالك يكذب الله آمال المعانـــدين ، ويخيب ظنون الحادين ، ويردهم بغُصة الصدور وشجى النحور ، ويكون النفر الذين تجري هذه المنقبة على أيديهم وتتم النعمة فيها بمساعيهم أعيانا لتلك العصور ، وولاة فيها على الجمهور ، وكالشركاء للأئمة المساهمين وذوي اللحمة المناسبين . وتلك كانت منزلة معز الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين ، نفعه الله بما توفاه عليه من عز الطاعة ونظم الفة الجماعة ، والاجتهاد فيما ربّ الدين وله ، وتلافى نشره وضمــه ، فإنه لبس الأمر وقد دب الفساد فيــه وصدئت بصائر أهليه وصار حظهم منتهباً مضاعاً ، وفيهم مقتسماً شعاعاً، وآثار دينهم طامسة ومعالمه دارسة ، ورؤوس أوليائه ناكسة وعيون أعدائه متشاوسة ، فلم يدع ، أحسن الله مجازاته ، طرفاً مأخوذاً إلا ارتجعه ولا حقاً مغلوباً عليه إلا انتزعه ، ولا عدواً باغياً إلا قمعه ، ولا جباراً طاغياً إلا صرعه ، شاهراً سيفـــه على كل منتم إلى الولاية بزعمه ودعواه ، أجنبي عنها بسره ونجواه ، إلى أن ذلل الرقاب بعد استصعابها وإبائها ، واضرع الخدود بعد صعرها والتوائها ، ورتق الفتوق بعد تفاقمها واستفحالها . وأدمل الجروح بعد إعيائها وإعضالها ، وأعاد إلى السلطان ما كان خرق من هيبته وصان ما انتهك من حرمته .

وصاحب خدمة المطيع لله ـ صلوات الله عليه ـ منذ أفضى الله بخلافته إليه مصاحبة ، وسلك فيها سبيل وفاقه ، وبَعُـــد عن غشه ونفاقه ، وأخلص له إخلاصاً ساوى فيه بين سره وجهره ، والف بين عالنه وباطنه ، واستمر على ذلك بقية عمره وتمة مدته إلى أن قبضه الله نقي الصفحة من دون العيوب ، خفيف الظهر من محمل الذنوب ، فأتبعه المطيع لله ـ صلوات الله عليـــه ـ الدعاء الذي هو خير الزاد

وأنفع العتاد ، وأقرب الوسائل إلى رب العالمين وأعودها بأجر المأجورين، وجازاه بأن أقر تلك الرتبة العلية والحالة السنية على ولده وسليله ونظيره في النجابة وعديله ، عز الدولة أبي منصور بن معز الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين ـ أمتع الله به ـ لا إقرار الحابي له فيما لم يستحقه، ولا السامي به إلى ما ليس من أهله ، بل عن فضائل تكاثفت وآثار تناصرت ، لم يكن له في شيء منها مقارن يزاحمه بمنكبه ولا مقارب يجاريه بسعيه ؛ ذلك انه تقيّل خلائق معز الدولة أبي الحسين وراثة ، واشتمل عليها حيازة ، وتوقل في هضاب معاليه صاعـداً ، وفي صعاب مراقيه سامياً ، واستولى على شرف الترتب والتأدب بـين إمام تلك صنائعه ، ووالد هذه ذرائعه ، وقرن إلى تلك المناقب التي كسبه إياها عظيم سعادته وحبسها عليه كريم ولادته ، مناقب توابع استأنفهـا ، ومحاسن شوافع استقبلها ، ومطالب لأوايب الفخر والمجد أدركها وتناولها ، ومغانم من عوائد الشكر والحمد ملكها وتخولها . ولم يزل للمطيع لله ، رحمة الله عليه ، خير ظهير حفظ سريره ، وأفضل نصيح دبر أموره ، يدأب له وهو قارّ ، ويحوط من ورائه وهو غار ، ويسهر عليـه إذا رقد ، ويهب معه إذا استيقظ ، ويوليه في كل ما يجتمعان عليه يداً من الطاعة ، يلين له لمسها ، ويخشن على أعدائه مسها ، إلى أن استوفى في الخلافة أمداً لم يستوفه أحد من الخلفاء قبله ، ناجياً فيه من الغوائل التي كانت تغول أعمارهم وتقصر آجالهم ، وتجري على أيدي السفهاء من خولهم ، والجهال من جندهم ، مذوداً عنـه في ذلك العمر الطويل والأجل المديد كل عدو ، ممنوعاً عنه كل مكروه وسوء ، ممتثلاً رأيه في كل مطلوب ، متبعاً هواه في كل محبوب . فلما صار ـ رضوان الله عليه ـ من السن العليا والعلة العظمى بحيث يحرج أن يقيم معه على

إمامة قد كل عن تحمل كلها ، وضعف عن النهوض بعبئهـا ، خلع ذلك السربال على أمير المؤمنين خلع الناسّ عليه والمسلم إليه ، خارجاً إلى رب العالمين وجماعة المسلمين من الحق في إيالتهم وسياستهم ما استقل واضطلع ، وفي حسن الإرتياد لهم حين حسر وطلع .

وعز الدولة أبو منصور ـ أمتع الله ببقائه ، ودافع عن حوبائه ـ متصرف في ذلك على حكم التزمه وفرض افترضه في رعاية ما سلف من الصنيعة واستحفظ من الوديعة ، لايخرجه عن الطاعة هوى يميل إليه ، ولا غرور يعرج عليه ، لكنه فيها على المنهج الأوضح والمتجر الأربح والسنن الأقوم والمعتقد الأسلم ، فكان فعله بعد عجز المطيع لله ـ خصصه الله بالرحمة والصلاة ـ ونصه على أمير المؤمنين ـ أنهضه الله بما ولاه واسترعاه في قود الأولياء إلى الرضى به وجمع كلمتهم على الدخول في بيعته وإزالتهم عما كانوا عليه من اختلاف الآراء وتشتت الأهواء ـ جازياً لفعل المطيع لله ، رضوان الله عليه ، بعد وفاة معز الدولة أبي الحسين ، رحمه الله ، إذ أقره مقره ونصبه منصبه ، وجرى ذلك مجرى الديون المتقارضة ، وإن كان كل من الفريقين قد أضاف إلى الحق فيما ابتدأ ، وقضى إحراز الحظ للأمة فيما ارتأى وأتى .

هذا على نوائب قاساها عز الدولة أبو منصور ـ أحسن الله الإمتاع به ـ وعاناها ، وشدائد باشرها وصابرها ، وحوادث كانت مزقت بين دار أمير المؤمنين وداره ، وباعدت جواره عن جواره . ولم يكتب الله في شيء منها عليه استحالة عن الولاء ، وعلى أمير المؤمنين إخلالاً بالوفاء . ولما كان أمير المؤمنين قد استفاد في زمان تلك الفرقة تجربة ، تثبت له ان لعز الدولة حظاً في كرم الضريبة لا يدانى ، وشأواً في يمن النقيبة لا يجارى ، ووجده وأهله ـ أمتع الله أمير المؤمنين بهم ، وحرس

عليه الموهبة فيهم – مشرّفين شرفاً : أولاً بالتكنية والتلقيب لهم ، وشرفاً ثانياً بإجابتهم إلى مثل ذلك في اللائذين المتعلقين بهم ، رأى أن من أوجب الحق عنده وألزم الأمر له أن يبين عز الدولة أبا منصور بشعار من الإكرام وميسم من الإعظام لا يساويه فيهما مساوٍ ، إشارة إلى موقعه اللطيف ودلالة على محله المنيف ، وتمييزاً له عن الأكفاء ، وإيفاءً به على النظراء ، إذ هو مستبد عليهم بأثره مفاداة مجالس أمير المؤمنين ومراوحتها ، والتمكن منه في أوقات حشدها وخلوتها ، والاقتدار فيها على تقديم الرتب وتأخيرها ، وإقرار النعم وتخويلها ، فجدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق والمعالي السوامق ، التي يلزم كل دان وقاصٍ وعامٍّ وخاص أن يعرف له حق ما كرم به منها ويتزحزح له عن مقام المماثلة فيها ، مزايا ثلاثاً : أولاهن أن شابكه في اللحمة كما شاركه في النعمة ، وناط ما بينه وبينه بصهر يتصل سببه يوم انقطاع الأسباب ويستمر غرسه في الولد والأعقاب ، فيكون الناشىء منهم في مستقبل الأعمار ومستأنف الأدوار ضارباً بعرقيه إلى أمير المؤمنين وإليه . والثانية : أن أمر بالدعاء له في المكاتبات عنه بما لم يكتب به عن إمام إلى ولي لعهد ولا ماتٍّ بحق ، واقفاً به في ذلك على حد سأل عز الدولة « أمتع الله أمير المؤمنين به » الوقوف عليه ، واستعفى من التجاوز له لزوماً لعادته في إعظام الإمامة والإخبات للخلافة وخفض الجناح لها ، وغض الطرف دونها والاستكثار للقليل من تشريفها ، والاستعظام لليسير من تكريمها ، وإن كان أمير المؤمنين موجباً له من ذلك استغراق الغايات واستيعاب النهايات ؛ وهو ، أن يصدر الكتب إليه بأطال الله بقاك وأدام عزك وتأييدك وأمتع أمير المؤمنين بك وبالنعمة فيك . ويدعى له عند ذكره في الكتب إلى أمير

المؤمنين وعنه بأيده الله . والثالثة : أن جمعه أمير المؤمنين إلى نفسه في استخدام الوزراء وأشركه معه في تقليد الأولياء ، وأن عرف لنصير الدولة أبي طاهر[1] حق تقدمه في الكفاية والغناء ، وإبرازه في الاستقلال والوفاء . وقيامه بكل مهم طرق ، ودفاعه لكل مهم أرهق ، وسده من هذه الحضرة التي هي قبة الإسلام وواسطته وسنامه وغاربه ، مكاناً لم يسدده مثله ولا يملأه غيره . فعز الدولة أبو منصور ابن معز الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين — أيده الله — الآن المستعلي على الأقران ، الفائت لغايات أهل الزمان ، المتبوىء المرتبة العليا ، المستو‌في غايتها القصوى . ونصير الدولة الناصح أبو طاهر — أمتع الله به — الجامع لوزارتيهما ، الحامل للأثقال دونهما ، الحائز شرف المناب عنهما ، الجاري مجرى واحداً منهما ، وقد أمر أمير المؤمنين بأن يوفى من الحق أكبر ما وفيه وزير وازر وظهير ظاهر في قديم وحديث ، وبعيد من العهد وقريب ، وحظر على سائر الأولياء والخدم من ذي سيف وقلم أن يسمو بنفسه إلى تسمٍ باسمه وارتسام برسمه ، لأنه حق من حقوق الخلافة لا ينحله أمير المؤمنين من صنائعه أجمعين ، وان كثر عددهم واختلفت مقارّهم وتقدمت مراتبهم وتوجهت وسائلهم ، إلا من كان ماثلاً بين يديه ، وعارضاً للأعمال عليه ، وجارياً هذا المجرى في تمكن السبب عنده وحسن الأثر لديه . فاعرف — كلأك الله — لعز الدولة أبي منصور — أيده الله — قدر ما وُفّر من النعمة عليه ، ولنصير الدولة الناصح أبي طاهر ما خُص به وأزل

(١) هو الوزير محمد بن بقية وزير عز الدولة . وقد قتله عضد الدولة وصلبه لما احتل بغداد وقيلت في حقه المرثية المشهورة .

إليه ، وقم بذلك الحق الأول بادياً ، وبهذا الحق الثاني مثنياً موفياً ، وأجب أمير المؤمنين بوصول كتابه إليك وامتثالك الأمر الوارد فيه عليك . وتلقيك إياه بما يعدك به في الأوضحين سبيلاً والأرشدين دليلاً ، إن شاء الله . والسلام عليك ورحمت الله .

وكتب نصير الدولة أبو طاهر يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة .

رسوم دار الخلافة للصابي ١١٣ - ١٢٠

٢١٧ - رسالة عضد الدولة لوالده ركن الدولة :

إنك قد كبرت عن لقاء الحروب ولا مال عندك ، وعندي منه كيت وكيت في القلاع والخزائن .

تجارب الأمم لابن مسكويه جـ٢ - ٣٣١

٢١٨ - رسالة ركن الدولة الشفوية لابنه عضد الدولة من أجل ابن أخيه عز الدولة بختيار

وقعت فتنة في بغداد وشغب الجند ضد بختيار فاستمد ابن عمه عضد الدولة الذي أنجده ، ولكنه طمع في مكانه فقبض عليه وخلعه وحل مكانه في حكم العراق ، ووصل الخبر إلى أبيه ركن الدولة فغضب وقرر الزحف بنفسه لحرب ابنه ، وكتب إلى جميع المخاصمين لعضد الدولة بحربه ، فتضعضع حال عضد الدولة وأرسل لوالده رسالة شفوية يشرح فيها الوضع ويعتذر عما تم ، وكان ذلك مع رسولين ، ولكن ركن الدولة أراد قتلهما فهربا من بين يديه ثم استدعاهما وقال لهما :

قولا لفلان (يقصد ابنه عضد الدولة وسماه بغير اسمه) : خرجت إلى نصرة ابن أخي أو الطمع في مملكته ؟ أما عرفت أني نصرت الحسن بن الفيروزان ، وهو غريب عني ، مراراً كثيرة أخرج فيها كلها عن ملكي وأخاطر بنفسي وأحارب وشمكير وصاحب خراسان حتى إذا ظفرت وتمكنت من البلاد سلمتها إليه وعدت من غير أن أقبل منه ما قيمته درهم فما فوق طلباً للذكر الجميل ومحافظة على الفتوة ، أتريد أن تمن أنت عليّ بدرهمين أنفقتها عليّ وعلى أولاد أخي ثم تطمع في ممالكهم . . .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج٢ — ٣٥٠

٢١٩ — رسالة شفوية حمّلها عضد الدولة لابن العميد لتبليغها لوالده حول نفس الموضوع

أرسل عضد الدولة ابن العميد برسالة لوالده يشرح له ما تم وضعف بختيار عن ضبط العراق ثم قال لابن العميد : انظر فإن تيقظ للأمر ونجع فيه هذا القول واشباهه فاقتصر عليه ، وإن رأيته مقيماً على رأيه فزد في الرسالة وقل له :

إني أقاطعك على أعمال العراق وأحمل إليك عنها ثلاثين الف الف درهم ، وأنت فقير لا مال لك ولا عدة عندك لمثل هذه الحال إن عادت إليك ، وأنا أعجل لك من جملتها عشرة آلاف الف درهم ، وأبعث بختيار وأخوته إليك لتجعلهم بالخيار ، فإن شاؤوا أقاموا في أوساط ممالكك ومكنتهم من أي البلدان اختاروه ، وإن شاؤوا أن يصيروا إلى فارس فيختاروا من أعمالها أي البلدان أحبوه إلى ذلك ووسعت عليهم في النفقات وأرغدت عيشهم في أوساط ممالكنا ، ولِمَ

تتركه في هذه الديار التي استضعفه أهلها وعرف جنده سيرته فيها ، وإن الخلافة تخرج عن يده وأيدينا وهو يضعف عن سياسة جنـــده ويعتمد في التدبير على الجبايات والمصادرات وتمكين من يرتفع له في الوقت على يده مالا يقـع موقعاً من حاجته ، ثم يضطر إلى نكبتـه واعتماد غيره . على أن هذا الباب أيضاً قد انسد ولم يبق فيـه بقية مما عمله قديماً ، وقد عرف ذلك من نفسه ولذلك استعفى من الأمر ، وإن أحببت أن تحضر بنفسك إلى العراق لتلي الدبير وتكون سائس الخلافة وبيت الملك ووليت الملك وترد بختيار إلى الري فأنصرف إلى فارس كان ذلك وجهاً من الرأي صحيحاً .

ثم قال لابن العميد : ينبغي أن تنبسط في هذا المعنى فإنك تجد فيه مقالاً واسعاً ، فإن لان لك وعرف صواب قولك ، وإلا فزد في الرسالة فصلا ثالثاً تجبهه به وهو :

إنك أيها الوالد السيد مقبول القول والرأي والحكم ، ولـكن لا سبيل إلى إطلاق القوم بعد مكاشفتهم والقبض عليهم وإظهار العـداوة لهم ، فإنهم لا يصلحون لي أبداً ولا تنقى جيوبهم ولا تصح نيـاتهم وسيقابلونني بغاية ما يقدرون عليه ، فيضطرب الحبل وتنتشر كلمة أهل هذه البيت أبداً .

وإن أبيت أن تقبل احدى الخصال التي عددتها لك وخبرتك فيها وحكمت بانصرافي على هذه الجملة ، فإني سأضرب أعناق هؤلاء الثلاثة الأخوة (يعني عز الدولة بختيار وأخويه) واقبض على من أتهمه من حزب وأخرج وأترك العراق شاغرة ليدبرها من اتفقت له .

تجارب الأمم لابن مسكويه جـ٢ ، ٣٤٨ - ٣٤٩

٢٢٠ - رسالة من عضد الدولة إلى ابن العميد من أجل ترتيب لقاء بين عضد الدولة ووالده ركن الدولة.

خضع عضد الدولة لرغبة والده فترك العراق وأطلق سراح أبناء عمه، ثم أراد أن يصالح والده ووسط ابن العميد فاقترح ابن العميد على الأب أن يأتي عضد الدولة مع جنده لزيارته فاحتج الأب بعدم وجود مال كافٍ لديه للإنفاق عليهم، فاقترح ابن العميد أن يذهب الأب لزيارة ابنه فاستقبح الأب ذلك، ووصل الخبر إلى عضد الدولة فأرسل إلى ابن العميد يقترح عليه حلاً ويقول:

إن هاهنا حالة أخرى يسلم فيها من جميع هذه الأشياء التي يذكرها، وهو أن يقصد أصبهان فإنها من أعماله وأنهض أنا من فارس فأقصده لخدمته وعيادته من مرضه، ويلزمني حينئذ تفقد أسبابه وحاشيته ولا يلزمه لي ولا لأحد ممن يصحبني شيء ولا يتحدث بأنه قصدني أو زارني.

وقد تم ذلك.

تجارب الأمم لابن مسكويه ج٢ - ٣٦٣

٢٢١ - نص تحالف أولاد عضد الدولة:

اختلف أولاد عضد الدولة بعد وفاة والدهم ثم اتفقوا على الطاعة لأخيهم الكبير شرف الدولة وكتبوا بذلك عهداً هذا نصه، وكان ذلك سنة ٣٧٦ هـ:

هذا ما اتفق عليه وتعاهد وتعاقد شرف الدولة أبو الفوارس وصمصام الدولة وأبو النصر أبناء عضد الدولة بن ركن الدولة. اتفقوا على طاعة أمير المؤمنين الطائع لله وشرف الدولة بن عضد الدولة...

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٤، ١٤٨ - ١٤٩

٢٢٢ ـ نص موافقة الطائع لله على الصلح الذي تم بين شرف الدولة وصمصام الدولة ولدي عضد الدولة :

تصالح شرف الدولة وصمصام الدولة وحرر في ذلك وثيقتان تتضمنان خفض الجناح وصلة الرحم والإذعان في الطاعة . ووجد فيما خلفه أبو الحسن ابن حاجب النعمان نسخة أخرى بمثل الذي تقدم ذكره وعلى ظهرها بخط أبي الحسن ابن حاجب النعمان :

بسم الله الرحمن الرحيم . ثبت بحضرة سيدنا ومولانا الإمام الطائع لله أمير المؤمنين – أطال الله بقاه وأعز نصره وأدام توفيقه وكبت عدوه – ماتضمنه الاتفاق المكتوب في باطن هذا الكتاب وصح عنده التزام شرف الدولة وزين الملة أبي الفوارس – أمد الله تأييده – لصمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليجار مولى أمير المؤمنين ـ أعز الله نصره – ماشرح فيه بعد أن ألزم له مثله . فحكم مولانا أمير المؤمنين ـ أعز الله نصره – عليهما به وجمعهما إلى الإئتلاف عليه في طاعته وخدمته ، وقطع به بينهما الفرقة والاختلاف ، وأمر بهذا التوقيع تأكيداً لما تصافيا عليه ، وإلزاماً لهما بالوفاء به وأنعم بعلامة بخط يده الكريمة في أعلاه . والحكم الشريف النبوي في منتهاه . والله عون مولانا أمير المؤمنين على ما التزماه وتوخياه .

وكتب علي بن عبد العزيز بالحضرة الشريفة وعن الإذن السامي ، والحمد لله رب العالمين .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج٣ ، ١٢٥ – ١٢٦

٢٢٣ ــ رسالة بهاء الدولة الى أبي علي بن أستاذ هرمز والديلم الذين معه .

تمكن أولاد بختيار عز الدولة من الهرب من سجن صمصام الدولة وقتله ، وهو أخو بهاء الدولة الذي حل محله ، والتف حولهم أبو علي ابن أستاذ هرمز وعدد من الديلم ووقعت الحرب بين الطرفين ، ثم أحس بهاء الدولة رغبة أبي علي في الانضمام إليه فأرسل يقول له :

إنه قد كنت أنت والديلم معذورين قبل اليوم في محاربتي حين كانت المنازعة في الملك بيني وبين أخي ، فأما الآن فقد حصل ثأري وثأركم في أخي عند من سفك دمه واستحل محرمه فلا عذر لكم في القعود عني في المطالبة بالثأر واستخلاصي الملك وغسل العار .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج٣ ــ ٣٢٠

٢٢٤ – رسالة الموفق أبي علي إلى بهاء الدولة في النصر على أولاد بختيار وقتل ابنه .

انضم أبو علي والديلم إلى بهاء الدولة ووجه بهاء الدولة جيشاً بقيادة أبي علي لحرب أولاد بختيار وانتصر أبو علي عليهم وأرسل من مكان المعركة التي نشبت سنة ٣٩٠ هـ الرسالة التالية إلى بهاء الدولة :

بسم الله الرحمن الرحيم . علقت هذه الأحرف غدوة يوم الإثنين لثلاث ليال بقين من جمادى الآخرة من الموضع المعروف بدار زين على خمسة فراسخ من بم ، وبين يدي رأس ابن بختيار ، وقد استولى القتل على أكثر من خمسمائة رجل من الديلم . وأما الرجالة والزط فلم يقع عليهم إحصاء . بلغ الله تعالى مولانا شاهنشاه في جميع أموره وسائر أعداء دولته نهاية آماله وآمال خدمه . وكتابي ينفذ بالشرح ليوقف عليه ويعظم الشكر لله عز اسمه على ماوفق له من هذا الفتح المبارك

بنه . وقد استوهب البشارة جماعة من الأولياء المقيمين معي وذكرت ذلك لئلا يوهب شيء منها لغيرها إن شاء الله تعالى .

تاريخ الصابي ص ٣٥٨

٢٢٥ – رسالة أبي علي الموفق إلى بهاء الدولة في الاستعفاء من خدمته .

بلغ أبا علي الموفق أن جماعة طعنوا فيه عند بهاء الدولة وأنه استمع لهم فقرر الاستعفاء من خدمته وأنفذ إلى شيراز مقر بهاء الدولة رسولاً هو أبو منصور مردوست وأرسل معه خيلاً وبغالاً وحمله إلى بهاء الدولة الرسالة التالية :

قد خدمت الملك أولاً وأخيراً ووفيته حق الصنيعة وحكم النصيحة ووجب أن ينجز لي ماوعدنيه من الإعفاء بعد الفتح فإني لا أصلح لخدمة ولا عمل بعد اليوم .

تاريخ الصابي ص ٣٦٣

جـ – علاقة البويهيين بالآخرين من الحكام والرؤساء

٢٢٦ – رسالة جوابية من ركن الدولة البويهي الى وشمكير .

قصد وشمكير في عساكره ركن الدولة ليحاربه ، ولكنه قبل المعركة أرسل له رسالة قبيحة يتهدده فيها بكل سوء وقبيح فأجابه ركن الدولة بما يلي :

أما جمعك وأحشادك فما كنت قط أهون منك عليّ الآن . وأما تهديدك وإيعادك ، فوالله لئن ظفرت بك لأعاملنك بضده ولأحسنن إليك ولأكرمنك .

الكامل لابن الأثير ج٨ – ٥٧٨

٢٢٧ – رسالة معز الدولة البويهي الى ناصر الدولة الحمداني يوبخه ويعدد عليه أياديه .

انشغل معز الدولة بأحد الثوار فانتهز الفرصة ناصر الدولة وزحف إلى بغداد ، ثم رجع معز الدولة إلى بغداد وهرب ناصر الدولة فأرسل إليه معز الدولة يقول :

إنك ذاكر ماجرى عليك من تكين الشيرازي فإنه أخرجك من نعمتك وكاد يأتي على مهجتك ، فلجأت إليّ بعد عداوة سبقت منك لي ومنازعة نازعتنيها عن بلاد لم يكن في يدك منها شيء ، فأطرحتُ الأحقاد واغتفرت الذنوب وآثرتك على تكين ، وهو إذ ذاك يبذل لي الخدمة والطاعة وحمل المال وإقامة الخطبة ولا يلتمس مني إلا ترك الدخول بينك وبينه والانصراف عن النصرة لك عليه ، فآثرتك وأنفذت كاتبي وعسكري بأموال أنفقتها ومؤن تكلفتها حتى أخذت بناصيته وسلمته إليك فشفيت صدرك منه وعدت إلى وطنك ، ثم حصلت في يد وزيري الصيمري حصول المستجير الذليل فوفى لك ، ولو شاء لأسرك واشتمل على بلادك وقلاعك . وظننتُ أنك تعرف لي حق هذه النعمة وتطالب نفسك عليها بالمجازاة فأبيتَ إلا غدراً وتقبيحاً في معاملتي . وليتك لما لم تعمل عمل الأصدقاء الأوفياء عملت عمل الأعداء الحزماء فكاتبتني تعرض نفسك عليّ في النائبة العظيمة التي نابتني في أوثق الناس عندي وتبذل لي معاونتك فكنت تنفذ عسكرك إلى تكريت على أنه مدد لي ، فإن لاح لك استظهار مني تحمدت علي وتوددت إلي ، وإن لاح لك استظهار عليّ ، أظهرت ما في نفسك حيث تكون فيه أعذر وأقل ملامة .

ثم أتبع هذا القول بالتهديد بالمسير إلى أعماله واستئصاله .

٢٢٨ – جواب ناصر الدولة لعز الدولة على رسالته سالفة الذكر :

إنك قد صدقت في جميع ما عددت ، وإني معترف به ، ووالله ما كان عن رأي ولا أمرت به ، ولكني شيخ لي أولاد أحداث يخالفونـني في تدبيرهم فيركبون الهوى في أمورهم ولا رأي لمن لا يطاع .

وتمت المصالحة على أن يدفع ناصر الدولة لمعز الدولة الفي الف درهم معجلة فدفعها له .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج٢ ، ١٦٩–١٧٠

٢٢٩ – رسالة عز الدولة للمطيع عند فتحه الموصل سنة ٣٦٣ هـ وتغلبه على أبي تغلب الحمداني من إنشاء أبي إسحاق الصابى :

لعبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين ، من عبده وصنيعته عز الدولة بن معز الدولة مولى أمير المؤمنين .

سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله ، فإني أحمد إلى أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد : أطال الله بقاء أمـــير المؤمنين وأدام له العز والتأييد والتوفيق والتسديد والعلو والقدرة ، والظهور والنصرة ، فالحمد لله العلي العظـــيم ، الأزلي القديم ، المتفرد بالكبرياء والملكوت ، المتوحد بالعظمة والجبروت ، الذي لا تحده الصفات ولا تحوزه الجهات ، ولا تحصره قرارة مكان ولا يغيره مرور زمان ، ولا تتمثله العيون بنواظرها ولا تتخيـــله القلوب بخواطرها ، فاطر السموات وما تظل ، وخالق الأرض وما تقل ، الذي دل بلطيف صنعته على [illegible] حكمته ، وبيّن بجلي برهانه عن خفي وجدانه ، واستغنى بالقدرة عن الأعوان ، واستعلى بالعزة عن الأقران ،

البعيد عن كل معادل ومضارع ، الممتنع على كل مطاول ومقارع ، الدائم الذي لا يزول ولا يحول ، العادل الذي لايظلم ولا يجور ، الكريم الذي لا يضن ولا يبخل ، الحليم الذي لا يعجل ولا يجهل . ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ، منزل الرحمة على كل ولي توكل عليه ، وفوض إليه ، وائتمر لأوامره وازدجر بزواجره ، ومُحِل النقمة بكل عدو صد عن سبيله وسُنَنه ، وصدف عن فرائضه وسُنَنه ، وحاده في مكسب يده ومسعاة قدمه ، وخائنة عينه وخافية صدره ، وهو راتع رتعة النعم السائمة ، في أكلاء النعم السابغة ، وجاهل جهلها بشكر آلائها ، ذاهل ذهولها عن طرق استيفائها ، فلا يلبث أن يُنزع سرابيلها صاغراً ، ويتعرى منها حاسراً ، ويجعل الله كيده في تضليل ، ويورده شر المورد الوبيل ، إن الله لايصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين .

والحمد لله الذي اصطفى للنبوة أحق عباده بحمل أعبائها وارتداء ردائها ، محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعظم خطره وكرم ، فصدع بالرسالة وبالغ في الدلالة ، ودعا إلى الهداية ونجى من الغواية ، ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم إلى طاعة الرحمن الرحيم ، وأعلقهم بحبائل خالقهم ورازقهم ، وعصمة محييهم ومميتهم ، بعد انتحال الأكاذيب والأباطيل واستشعار الحالات والأضاليل ، والتهوك في الاعتقادات الذائدة عن النعيم ، السائقة إلى العذاب الأليم . فصلى الله عليه من ناطق بالحق ومنقذ للخلق وناصح للرب ومؤدٍ للفرض ، صلاة زاكية نامية ، رائحة غادية ، تزيد على اختلاف الليل والنهار وتعاقب الأعوام والأدهار .

والحمد لله الذي انتخب أمير المؤمنين ــ أطال الله بقاءه ــ من ذلك السنخ الشريف والعنصر المنيف ، والعترة الثابت أصلها الممتد ظلها ،

الطيب جناها ، الممنوع حماها ، وحازله مواريث آبائه الطاهرين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ واختصه من بينهم بتطاول أمد الخلافة واستحصاف حبلها في يده ، ووفقه لإصابة الغرض من كل مرمى يرميه ومقصد ينتحيه ، وهو ـ جل ثناؤه ـ حقيق بإتمام ذلك عليه ، والزيادة فيه لديه ، وأحمده سبحانه حمداً أبتدئه ثم أعيده ثم أكرره وأستزيده ، على أن أهـل ركن الدولة أبا علي ، وعضد الدولة أبا شجاع مولى أمير المؤمنين ، وأهلني للأثرة عنده التي بذذنا فيها الأكفاء ، وفُتْنا فيهـا القرناء ، وتقطعت دونهـا أنفاس المنافسين ، وتضرمت عليها أحشاء الحاسدين ، وأن أولاني في كل مغزى في خدمة أمير المؤمنين أغزوه ، ومنحىً أنحوه ، وثأيٍ أرأبُه وشعثٍ أله وعدو أرغمه وزائغ أُقومه ، أفضل ما أولاه عباده السليمة غيوبهم النقية جيوبهم المـأمونة ضمائرهم المشحوذة بصائرهم من تمكين يد وتثبيت قدم ونصرة راية وإعلاء كلمة وتقريب بغية وإنالة أمنية ، وكذلك يكون من إلى ولاء أمير المؤمنين اعتزاؤه ، وبشعاره اعتزازه وعن زناده قدحه وفي طاعته كدحه . والله ولي بإدامة ما خولنيه من هذه المنقبة وسوغنيه من هذه الموهبة ، وأن يتوجه أمير المؤمنين في جميع خدمه الذابين عن حوزتـه المنتمين إلى دعوته بيمن الطائر وسعادة الطالع ونجاح المطلب وإدراك الأرب ؛ وفي أعدائه الغامطين لنعمته الناقضين مواثيق بيعته ، بإضراع الخـد وإتعاس الجد وإخفاق الأمل وإحباط العمل بقدرته .

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ ينكر قديماً من فضل الله بن ناصر الدولة أحوالاً حقيقياً مثلها بالإنكار ، مستحقا من ارتكبها الإعراض ، وأنا أذهب في حفظ غيبه وإجمال محضره وتمحل

حججه وتلفيقها وتأليف معاذيره وتنميقها مذهبي الذي أعم به كل من جرى مجراه من ناشيء في دولته ومفتذٍ بنعمته ، ومنتسب إلى ولايته ومشتهر بصنيعته ، وأقدر أن أستصلحه لأمير المؤمنين – أطـــال الله بقاءه – وأصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرشاد ومناهج السداد ، وهو يريني أن قــد قبل وارعوى وأبصر واهتدى ، حتى رغبت إلى أمير المؤمنين فيما شفعني متفضلاً فيه ، من تقليده أعمال أبيه والقناعة منه في الضمان بميسور بذله ، وإيثاره به على من هو فوقه من كبراء إخوته وأهله . فلما بلغ هذه الحال ، الطّ بالمال وخاس بالعهـد ، وطرّق لفسخ العقد وأجرى إليّ أموراً كرهتها ، ونفـــد الصبر مني عليها ، وخفت أن أستمر على الإغضاء عنها والمسامحة فيها ، فيطلع الله مني على إضاعة الاحتياط في أمر قلدني أمير المؤمنين زمـــامه ، وضمني دركه وإرخاء لبب رجل قبل في الإعتماد عليه رأيي ، وعول في أخذه بما يلزمه على نظري واستيفائي ، فتناولته بأطراف العذل ملوحاً ، ثم بأثباجه مفصحاً مصرحاً .

ورسمت لعبد أمير المؤمنين الناصح أبي طاهر أن يُجِدّ به وبوسطائه وسفرائه في حال ، ويدخل عليه من طريق المشورة والرفق في أخرى ، وينتقل معه بين الخشونة التي يقفو فيهـا أثري ، واللين الذي لا يجوز أن يحسه مني ، تقديراً لانثنائه وزوال التوائه ، ففعل ذلك على رسمه في التأني لكل فاسد حتى يصلح ، ولكل آب حتى يسمح ، ولم يـدع التناهي في وعظــه والتمادي في نصحه ، وتعريفه سوء عاقبة اللجـاج ومغبة الإحراج وهو يزيد طمعاً في الأموال وشرهاً ، وعمى في الرأي وعمها ، إلى أن كاد أمرنا معه يخرج عن حد الإنتظار إلى حد الرضا بالإصرار ، فاستأنفت ادراع الحزم وامتطاء العزم ونهضت إلى أعمـال

الموصل وعندي أنه يغنيني عن الإتمام ويتلقاني بالإعتاب وينقـــاد إلى المراد ويتجنب طرق العناد . فحين عرف خبر سيري وجدي فيـــه وتشميري ، برز بروز المخالف المكاشف وتجرد تجرد المواقع المواقف ، وهو مع ذلك إذا ازددت منه قرباً ازداد مني رعباً ، وإذا أدلفت إليه ذراعاً نكص عني باعاً .

وتوافت إلى حضرتي وجوه القبائل من عقيل وشيبان وغيرهما في الجمع الكثيف من صعاليكها ، والعدد الكثير من صناديدهما ، داخلين في الطاعة ، متصرفين في عوارض الخدمة .

فلما شارفت الحديثة ، انتقضت عزائم صبره وتقوضت دعائم أمره وبطلت أمانيه ووساوسه واضمحلت خواطره وهواجسه ، واضطرب عليه من ثقاته وغلمانه من كان بهم يعتقد وعليهم يعتمـــد ، وبدءوا بخذلانه والأخـــذ لنفوسهم ومفارقته والطلب بحظوظهم ، وحصل منهم بحضرتي إلى تلك الغاية زهاء خمسمائة رجل ذوي خيل مختارة وأسلحة شاكية ، فصادفوا عندي ما أملوا من فائض الإحسان وغامر الإمتنان وذكروا عمن وراءهم من نظرائهم التنزي إلى الإنجـذاب والحرص على الاستئمان ، وإنهم يردون ولا يتأخرون ويبادرون ولا يتلومون .

ولما رأى ذلك لم يملك نفسه أن مضى هارباً على طريق سنجار ، منكشفاً عن هذه الديار ، قانعاً من تلك الآمال الخائبـــة والظنون الكاذبة بسلامة حشاشة هي رهينة غيها وصريعة بغيها .

وكان انهزامه بعد أن فعل الفعل السخيف وكادنا الكيد الضعيف ، بأن أغرق سفن الموصل وعروبها ،[1] وأحرق جسرها واستذم[2] إلى

---

(١) العروب : نوع من السفن الرواكد كان في دجلة .

(٢) إستذم إلى أهلها : أساء إلى أهلها وفعل فيهم ما أوجب ذمه .

أهلها ، وقزود منهم اللعن المطيف به أين يمم ، الكائن معـه حيث خيم . ودخلتها يومي هذا ــ أيـد الله أمير المؤمنين ــ دخول الغانم الظافر ، المستعلي الظاهر ، فسكنت نفوس سكانها وشرحت صـدور قطانها ، وأعلمتهم ما أمرني به أمير المؤمنين ــ أدام الله عزه وأعلى أمره ــ من تأنيس وحشتهم ونظم الفتهم وضم نشرهم ولمّ شعثهم وإجمال السيرة فيهم في ضروب معاملاتهم وعُلقهم وصنوف متصرفاتهم ومعايشهم ، فكثر فيهم الثناء والدعاء ، والله سامع ما رفعوا ، ومجيب ما سألوا .

وأجلَتْ حال هذا للجاهل ــ أيد الله أمير المؤمنين ــ عن أقبح هزيمة وأذل هضيمة وأسوأ رأي وأنكر اختيار ، لأنه لم يلقني لقـاء الباخع بالطاعة ، المتنذر عن سالف التفريط والإضاعة ، ولا لقاء المصدق لدعواه في الإستقلال والمقارعة ، المحقق لزعمه في الثبات والمدافعـة ولا كان في هذين الأمرين بالبر التقي ولا بالفاجر الغوي ، بل جمع بــين نقيصة شقاقه وغدره وفضيحة جبنه وخوره ، متنكباً للصلاح عـادلاً عن الصواب ، قد ذهب عنه الرشاد وضربت بينه وبينه الأسداد وأنزله الله منزلة مثله ممن أساء حفظ الوديعة وجوار الصنيعة واستوجب نزعها منه وتحويلها عنه .

وتأملت ــ أيد الله مولانا أمير المؤمنين ــ أمره بالتجريب ، وتصفحته على التقليب ، فإذا هو الرجل الذي أطاع أبوه فيه هوى أمه (١) ، وعصى دواعي رأيه وحزمه ، وقدمه من ولده على من هو آنس رشداً وأكبر سناً وأثبت جاشاً وأجرأ جناناً وأشجع قلبـاً وأوسع صدراً وأجدر بمخايل النجابة وشمائل اللبابة . فلما اجتمعت له أسباب القدرة

(١) الإشارة هنا الى فاطمة بنت أحمد الكردية زوجة ناصر الدولة الحمداني وكانت مالكة أمره لايخرج عن هواها .

والثروة ، وأمكنته مناهز الغِرة والفرصة ، وثب عليه وثبة السرحان في ثلة الضأن ، وجزاه جزاء أم عامر لمجيرها ، أذفرته بأنيابها وأظافيرها، واجتمع هو وأخوه من الأم ، المرتضع معه لبان الإثم ، المكنى أبا البركات — وليس بأب لها ولا حريٍ بشيء منها — على أن نشزا عنه وعقاه ، وقبضا عليه وأوثقاه ، وأقراه من قلعتها بحيث تقر العتاة وتعاقب الجناة ، ثم أتبعا ذلك باستحلال دمه وإفاضة مهجته ، غير راعيين فيه حق الأبوة ، ولا حانيين عليه حنو البنوة ، ولا متذممين من الإقدام على مثله ممن تقدمت عند سلطانه قدمه ، وتوكدت أواصره وعصمه ، ولا راحمين له من ضعف شيخوخته وذهل كبرته ، ولا مصغيين إلى وصية الله إياهما به ، التي نصها في محكم كتابه ، وكررها في آيه وبيناته إذ يقول : اشكر لي ولوالديك إليّ المصير (١) ، وإذ يقول : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً (٢) .

فبأي وجه يلقى الله والد حدب قد أمر أن لا ينهره ، وبأي لسانٍ ينطق يوم يسأل عما استجازه فيه وفعله ؟ وتالله ! لو أن بمكانه عدواً لهما قد قارضهما الذحول وقارعهما عن النفوس ، لقبح بهما أن يلؤما ذلك اللؤم عند الظفر به ، وأن يركبا تلك الخطة الشنعاء في الأخذ بناصيته ، ولم يرض فضل الله بما أتاه إليه حتى استوفى حدود قطع الرحم ، بأن تتبع أكابر إخوته السالكين خلاف سبيله ، المتبرئين إلى

---

(١) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٢) سورة الاسراء : الآيتان ٢٣-٢٤ .

الله من عظيم ما اكتسب ووخيم ما احتقب ، لما غضبوا لأبيهم وامتعضوا من المستحل فيه وفيهم . فقبض على محمد بن ناصر الدولة حيلة وغيلة وغدراً ومكيدة ، ونابذ حمدان بن ناصر الدولة منابذة خار الله له فيها، بأن أصاره من فناء أمير المؤمنين إلى الجانب العزيز والحرز الحريز ، وأن أجرى الله على يده الحرب الواقعة بينه وبين المعروف بكنيته أبي البركات، التي لقاه الله فيها نحسه ، وأتلف نفسه وصرعه بعقوقه وبغيه ، وقنعه بعاره وخزيه ، وهو مع ذلك لا يتعظ ولا ينزع ولا يقلع ولا يزدجر، إصراراً على الجرائر التي الله عنها حسيبه وبها طليبه ، والدنيا والآخرة مرصدتان له بالجزاء المحقوق عليه والعذاب المسوق إليه .

وأعظم من هذا كله - أيد الله أمير المؤمنين - خطباً ، وأوعر مسلكاً ولحباً أن من شرائط العهد الذي كان عهد إليه ، والعقد الذي عقد له ، والضمان المخفف مبلغه عنه ، المأخوذ عفوه منه ، ان يتناهى في ضبط الثغور وجهاد الروم وحفظ الأطراف ورم الأكناف ، فما وفى بشيء من ذلك ، بل عدل عنه إلى الإستئثار بالأموال واقتطاعها . وإحرازها في مكامنها وقلاعها ، والضن فيها دون الإخراج في وجوهها ، والوضع لها في حقوقها ، وأن تراخى في أمر عظيم الروم مهملا ، وأطرح الفكر فيه مغفلا ، حتى هجم في الديار وأثر الآثار ونكى القلوب وأبكى العيون وصدع الأكباد وأحرّ الصدور ، فما كان عنده فيه مايكون عند المسلم القارىء لكتاب الله إذ يقول : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز

العظيم (١) ؛ بل صدف عن ذكر الله لاهياً وعدل عن كتابه ساهياً ، واستفسخه ذلك البيع والعقد ، وتنجزه الوعيد لا الوعد ، ولاطف طاغية الروم وهاداه ، وماراه وأعطاه ، وصانعه بمال المسلمين الذي يلزمه - إن سلم دينه وصح يقينه - أن ينفقه في مرابطهم ويذب به عن حريمهم ، لا أن يعكسه عن جهته ويلفته عن وجهته ، بالنقل إلى عدوهم وإدخال الوهن بذلك عليهم ، وقاد إليه من الخيل العتاق ماهو الآن عون للكفر على الإيمان ، ونجدة للطاغية على السلطان ، وكان فيما أتحفه به الخمر التي حظر الله عليه أن يشربها ويسقيها ، وتعبده أن يجتنبها ويحتويها ، وصلبان ذهب صاغها له وتقرب بها إليه تقرباً قد باعده الله فيه عن الإصابة والأصالة ، وأدناه من الجهالة والضلالة ، حتى كأنه عامل من عماله أو بطريق من بطارقته .

فأما فشله عن مكافحته ولهجه بملاطفته ، فضد الذي أمره الله به في قوله تعالى : يا أيها الذين آمنو قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين (٢) .

وأما ما نقل من الخيل من ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم فنقيض قوله عز وجل : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (٣) .

وأما إهداؤه الخمر والصلبان فخلافٌ عليه تبارك اسمه إذ يقول : إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (٤) .

---

(١) سورة التوبة : الآية ١١٢ .
(٢) سورة التوبة : الآية ١٢٤ .
(٣) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .
(٤) سورة المائدة : الآية ٩٣ .

كل ذلك عناداً لرب العالمين وطمساً لأعلام الدين وضناً بما يحامي عليه من ذلك الحطام، المجموع من الحرام، المثمر من الآثام، المقتطع من فيء الإسلام، وقد فعل الآن بي وبالعساكر التي معي، ومن تضم من أولياء أمير المؤمنين الذين هم إخوته وصحبه - إن كان مؤمناً، وأنصاره وحزبه - إن كان موقناً، من توعير المسالك وتغريق الدروب وتضييق الأقوات واستهلاك الأزواد، ليوصل إلينا الضر ويلحق بنا الجهد، فعلَ العدو المبين المخالف في الدين. فهل يجتمع في واحدٍ من المساوي، - أيد الله أمير المؤمنين - ما اجتمع في هذا الناد المعاند والشاذ الشارد؟ وهل يطمع من مثله في حق يقضيه أو فرض يؤديه أو عهد يرعاه أو ذمام يحفظه، وهو لله عاصٍ ولأمامه مخالف ولوالده قاتل ولرحمه قاطع؟ كلا والله. بل هو الحقيق بأن تثنى إليه الأعنة وتشرع نحوه الأسنة وتنصب له الأرصاد وتشحذ له السيوف الحداد، ليقطع الله بها دابره ويجبّ غاربه ويصرعه مصرع الأثيم المليم، المستحق للعذاب الأليم، أو يفيء إلى الحق إفاءة الداخل فيه بعد خروجه، العائد إليه بعد مروقه، التائب المنيب النازع المستقيل فيكون حكمه شبيهاً بحكم الراجع عن الردة المحمول على ظاهر الشريعة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فالحمد لله الذي هدانا لمراشدنا ووقف بنا على السبيل المنجية لنا والمقاصد المفضية إلى رضاه، البعيدة من سطاه.

والحمد لله الذي أعز أمير المؤمنين بالنصر وأعطاه لواء القهر وجعل أولياءه العالين الظاهرين وأعداءه السافلين الهابطين، وهنأه الله هذا الفتح ولا أخلاه من أشكال تقفوه وتتبعه، وأمثال تتلوه وتشفعه، واصلاً فيها إلى ما وصل فيه إليه من حيازته مهنئاً، لم يسفك فيه دم ولم ينتهك محرم ولم يُنل جهد ولم يمس نصب.

أنهيت إلى أمير المؤمنين ذلك ليضيف صنع الله له إلى السالف من عوارفه عنده وأياديه وليجدد من شكره جل وعلا ما يكون داعياً إلى الإدامة والمزيد ، مقتضياً للعون والتأييد إن شاء الله تعالى .

وكتب يوم الجمعة لتسع ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلثمائة .

صبح الأعشى للقلقشندي ج٦ ، ٤٨٣ - ٤٩٢

٢٣٠ - رسالة عمران بن شاهين حاكم البطيحة الى بختيار عز الدولة البويهي

ثارت الحرب بين الأتراك والديلم وحاول بختيار قتل سبكتكين زعيم الأتراك فعجز وتعصب ضده الأتراك واضطر للهرب من بغداد ولجأ إلى الأهواز ، ومن هناك أرسل الرسائل إلى عمه ركن الدولة يشكو ما ناله ويطلب النجدة ، كذلك أرسل إلى عمران بن شاهين المتغلب على البطيحة يستمد منه العون وأرسل له خلعاً ويخطب إليه إحدى بناته ويسقط عنه ما تبقى عليه من مال الصلح ويطلب إليه أن يرسل إليه عسكراً في الماء يستعين به على حرب الأتراك ، فقال عمران للرسول :

يا هذا : قد جئتنا في أمور غير متوجهة عندنا ولا لائقة بأحوالنا . أما هذا الدين المتروك فالتحمد علينا به مع علمنا بأنه ساقط باطل لا يحسن ، لكننا نقبل ذلك . وأما الوصلة فأنا رجل لا أداخل أحداً من خلق الله ، إلا أن يكون الذكر من عندي والأنثى من عنده ، وقد خطب إليّ الطالبيون مع أنهم موالٍ فما أجبت أحداً منهم إلى ذلك لأن نفسي لا تسمح له ، وهؤلاء أولاد أخي هم أكفاء بناتي ما واصلت أحداً منهم

ولكن إن شاء التصاهر على السبيل الأخرى فعلت . وأما الخلعة والفرس فلست ممن يلبس لباسكم ولا أركب الخيل لأن دوابي هذه السفن ؛ لكن أبا محمد إبني يقبل ذلك ولا يرده ، وأما عسكري وإنفاذه فليس تسكن رجالي إلى مخالطتكم لكثرة من قتلوا من رجالكم على مر السنين والوقائع .

ثم قال للرسول : قل له :

ينبغي أن تتوقر وتتزن ولا تستعمل هذه الخفة والنزق ، فقد قصدتني محارباً لي فرجعت عني منهزماً ، وقصدت الأهواز فرجعت منهزماً على هذه الحال والصورة من الفتنة ، وأنا أعلم أن أمرك سيتأدى إلى أن تجيئني وتلوذ بي وتحصل عندي وسأذكرك هذا . وتعلم حينئذ إني أعاملك بالجميل وبخلاف ما عاملتني به أنت وأبوك قبلك .

وقد تم ما توقعه عمران هذا بعد فترة وجيزة .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج٢ ، ٣٢٩ - ٣٣٠

٢٣١ - رسالة من سبكتكين الحاجب وزعيم الأتراك في بغداد لبختيار يعرض عليه اقتسام البلاد والسلطة .

إنك قد جنيت على نفسك جناية عظيمة بما ارتكبته ودبرته ، وإن كل ما تعمله وتتصرف فيه خطأ وغلط . وإن الأمر الآن قد خرج عن اليد ، فاخرج لي عن واسط حتى تكون هي وبغداد في يدي بإزاء أموال الأتراك التي قد حصلت عليّ ، وتكون البصرة والأهواز ونواحيها في يدك بإزاء أموال الديلم ، واجعل أمري وأمرك واحداً ولا تدخلن بيننا أحداً ولا تفتح للحرب باباً فلست من رجالها ، وأنا ناصح لك مشفق عليك حافظ وصية مولاي فيك التي ما حفظت مثلها فيّ .

تجارب الأمم لابن مسكويه ج٢ ، ٣٣٣ - ٣٣٤

٢٣٢ ـ رسالة جوابية إلى عضد الدولة البويهي من نائبه أبي الفضل الشيرازي من إنشاء أبي إسحاق الصابي .

أرسل عضد الدولة إلى نائبه في شيراز رسالة يخبره فيها بصلحه مع صاحب خزاسان فأرسل له ما يلي :

كتابي ـ أطال الله بقاء مولانا ـ والأمور التي أخدم فيها جارية على السداد ، مستمرة على الإطراد ، والنعم بعد ذلك خليقة بالتمام ، مؤذنة بالدوام .

والحمد لله حق حمده ، وهو المسؤول إطالة بقاء موالينا الأمراء وحراسة ما خولهم من العز والعلاء ، وأن لايخليهم من صلاح الشأن وسمو السلطان وظهور الولي وثبور العدو .

وصل كتاب مولانا لأمير ـ أطال الله بقاءه ـ الصادر عن عسكره المنصور بكازرين [١] بتاريخ كذا ، مخبراً بشمول السلامـــة ، مبشراً بعموم الإستقامة ، موجباً لشكر ما منح الله من فضله وأعطى ، مقتضياً نشر ما أسبغ من طوله وأضفى ، مشروحاً فيه الحال فيا كان يجري من الخلاف بين مولانا الأمير السيد ركن الدولة ، وبين ولاة خراسان ، وجهاده إياهم في حياطة الدين وحماية حريم المسلمين ، والدعاء إلى رضا رب العالمين ، وطاعة مولانا أمير المؤمنين ، وتذممه مع ذلك من دماء كانت باتصال الحروب تسفك ، وحرمات باستمرار الوقائع تنتهك ، وثغور تهمل بعد أن كانت ملحوظة ، وحقوق تضاع بعد أن كانت محفوظة . وإنه لما جددت العزيـــة على قصد جرجان ومنازعة ظهير الدولة أبي منصور بن وشمكير مولى أمير المؤمنين على تلك الأعمال ، ودفعه عما

(١) ناحية من نواحي فارس .

ولاه أمير المؤمنين بوسيلة موالينا الأمراء ـ أدام الله تمكينهم ـ منها ومنازعته ومجاذبته فيها : نهض مولانا الأمير الجليل عضد الدولة إلى كرمان على اتفاق كان بين مولانا الأمير السيد ركن الدولة وبينه في التوجه إلى حدود خراسان . فحين عرف القوم الجدّ في ردهم والتجريد في صدهم ، وإنه لا مطمع لهم في جنبة إلى طاعة أمير المؤمنين انتسابها ، وبذمام سادتنا الأمراء اعتصامها ، اتعظوا واتزعوا ، وعرجوا ورجعوا سالكين أقصر مسالكهم ، منتهجين أرشد مناهجهم ، معتمدين أعود الأمور على المسلمين عموماً وعليهم خصوصاً باجتماع الشمل واتصال الحبل وأمن السرب وعذوبة الشرب وسكون الدهماء وشمول النعماء ، فخطبوا الصلح والوصلة ، وجنحوا إلى طلب السلم والإلفة ، وإن مولانا الأمير عضد الدولة آثر الأحسن واختار الأجمل ، فأجاب إلى المرغوب فيه إليه ، وتوسط ما بين الأمير السيد ركن الدولة وبين تلك الجنبة فيه ، وتكفل بتقريره وتمهيده ، وتحقق بتوطيده وتشييده ، وأخرج أبا الحسن عابدين عليّ إلى خراسان حتى أحكم ذلك وأبرمه وأمضاه وتممه ، بمجمع من الشيوخ والصلحاء ومشهد من القضاة والفقهاء . وأن صاحب خرسان عاد على يد مولانا الأمير عضد الدولة إلى طاعة مولانا أمير المؤمنين ومشايعته ، والإمساك بعلائق ولائه وعصمته ، وصار ولياً بعد العداوة وصديقاً بعد الوحشة ومصافياً بعد العناد ومخالطاً بعد الإنفراد ، وفهمته وتأملت ـ أيد الله مولانا ـ ما في ذلك من ضروب النعم المتشعبة وصنوف المنح المتفردة ، العائدة على المُلك بالجمال ، وعلى الرعية بصلاح الحال ، الداعية إلى الائتلاف والاتفاق ، المزيلة للخلاف والشقاق ، فوجدت النفع لها عظيماً ، والحظ فيها جسيماً ، وحمدت الله حق حمده عليها ، وشكرته أن أجراها على يد أولى الناس بها ، وأحقهم بالمكارم أجمعها ، وأن قرب الله بيمنه ما

كان بعيداً معضلاً ، ويسر ببركته ما كان ممتنعاً مشكلاً ، فأصلح ذات البين بعد فسادها ، وأخمد نيران الفتن بعد تلهبها واتقادها ، ووافق ما بين نيات القلوب وطابق بين نخائل الصدور ، وتحنّت الضلوع بنجح سعيه على التآلف ، وانضمت الجوانح بميمون رأيه على التعاطف وحصل له في ذلك من جزيل الأجر وجميل الذكر وجليل الفخر واريج النشر ما لا تزال الرواة تدرسه والتواريخ تحرسه ، والقرون تتوارثه ، والأزكان تتداوله ، والخاصة تتحلى بفضله والعامة تأوي إلى ظله .

فالحمد لله كثيراً ، والشكر دائماً على هذه الآلاء المتواترة والعطايا المتناصرة والمفاخر السامية ، والمآثر العالية ؛ وإياه نسأل أن يعرف مولانا الملك الخيرة فيما ارتآه وأمضاه ، والبركة فيما أولاه وأجراه ، وأن يهنئه نعمه عنده ويظاهر مواهبه لديه ، ويسهل عليه أسباب الصلاح ويفتح أمامه أبواب النجاح ، ويمكس إلى طاعته الرقاب الآبية ، ويذلل لموافقته النفوس النائية ، ولا يعدمه ، وموالينا الأمراء أجمعين ، المنزلة التي يرى معها ملوك الأرض قاطبة التعلق بحبلهم أمناً ، والإمساك بذمامهم حصناً ، والإنتماء إلى مخالطتهم عزاً ، والإعتزاء إلى مواصلتهم حيرزاً ، إنه جل وعز على ذلك قدير ، وبإجابة هذا الدعاء جدير .

وقد اجتهدت في القيام بحق هذه النعمة التي تلزمني ، وتأدية فرضها الذي يجب عليّ ، من الإشادة بها والإبانة ، والإشاعة والإذاعة ، حتى اشتهرتْ في أعماله التي أنا فيها ، واستوى خاصتها وعامتها في الوقوف عليها ، وانشرحت صدور الأولياء معها ، وكبت الله الأعداء بها ، واعتددت بالنعمة في المطالعة بها والمكاتبة فيها ، وأضفتها إلى ما سبق من أخواتها وأمثالها ، وسلف من أترابها وأشكالها ، فإن رأى مولانا الأمير الجليل عضد الدولة أن يأمر – أعلى الله أمره – بإجرائي على

أكرم غاداته فيها ، واعتمادي بعوارض أمره ونهيه كلهـا ، فإن وفور حظي من الإخلاص يقتضي لي وفور الحظ من الإستخلاص ، فعل إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج٧ ، ٨٢ – ٨٥

٢٣٣ – رسالة إبني حمـدان إلى أبي نصر خواذاشاه قـائد الجيش البويهي .

كان شرف الدولة البويهي معتقلاً إثنين من آل حمدان هما إبراهيم والحسين . فلما مات شرف الدولة حصل اضطراب تمكن خـلاله الحمدانيان من الهرب والذهاب إلى الموصل . وهناك ثار الشعب بالأتراك والديلم وحاصروا دار الأمـارة ، وأرسل أبو نصر خواذا شاه لحربهم ولكنه هُزم وحوصر في دار الأمارة . ولم يشأ إبنا حمدان الإيغال في العداوة وإنما مالا إلى المصالحة ولذلك أرسلا إلى أبي نصر خواذا شاه رسالة يقولان له فيها :

نحن نخدم السلطان ، وقد جرت الأقدار بغير الإختيار ، ولا قدرة لنا الآن على ضبط العامة لما في نفوسهم من الديلم ، وهم في غد يحرقون الدار ويسفكون الدماء ، فإما أن تصير إلينا وإما أن تعـلم إنك مهلك نفسك .

فعلم صحة قولهما ولجـأ اليهما وتمكن الجميع من تهدئة العـامة وإنقاذ المحاصرين .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج٣ – ١٧٥

٢٣٤ - رسالة أبي حسن محمد بن عمر العلوي إلى شرف الدولة حول ضياعه وهبته نصفها لابن شرف الدولة .

تحسنت أحوال الشريف محمد بن عمر المادية وتضاعفت أمواله زمن شرف الدولة حتى أن علي بن طاهر عمل له ارتفاع ضياعه فاشتمل على عشرين الف الف درهم فخاف الشريف وضاق صدره وأرسل إلى شرف الدولة يقول :

يامولانا : مالأحد عليّ نعمة كنعمتك ولا منة كمنتك ، أطلقتني من حبسي ومننت عليَّ بنفسي ، ورددت أموالي وضياعي إلي ، وزدت في الإحسان إليّ . وبلغني ان ابن طاهر عمل بضياعي عمــلا بعشرين الف الف درهم . وهذه الضياع هي لك ومنك ، وقد أحببت أن أجعل نصفها للأمير أبي علي [ابن شرف الدولة] هدى ونحلة طيبة عن طيب نفس وانشراح صدر .

٢٣٥ - جواب شرف الدولة على الرسالة السالفة :

قد سمعت رسالتك وكل جميل اعتددت به فاعتقــادي يوجب لك أوفى منه . والله لو أن ارتفاعك أضعاف ماذكرتــه لكان قليلا لك عندي ، وقد وفر الله عليك مالك وأملاكك وأغنى أبا علي عن مداخلتك في ضياعك ، فكن من السكون والطمأنينة على جملتك .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج٣ ، ١٧٣ - ١٧٤

٢٣٦ - رسالة جوابيـــة من طغرلبك زعيم السلاجقة إلى جلال الدولة .

أغار السلاجقة على أملاك جـلال الدولة البويهي فأرسل يشكوهم إلى طغرلبك الذي أجابه بما يلي :

إن هؤلاء التركان كانوا لنا عبيدا وخدما ورعايا وتبعاً يمتثلون الأمر ويخدمون الباب . ولما نهضنا لتدبير خطب آل محمود بن سبكتيكين وانتدبنا لكفاية أمر خوارزم ، انحازوا إلى الري فعاثوا فيها وأفسدوا، فزحفنا بجنودنا من خراسان إليهم مقدرين انهم يلجأون إلى الأمان ويلوذون بالعفو والغفران ، فملكتهم الهيبة وزحزحتهم الحشمة ولا بد من أن نردهم إلى راياتنا خاضعين ونذيقهم بأسنا جزاء المتمردين قربوا أم بعدوا ، أغاروا أم أنجدوا .

الكامل لابن الأثير ج٩ – ٣٨٩

٢٣٧ – رسالة بدر بن حسنويه الكردي إلى عميد الجيوش قائد جيش بهاء الدولة .

حقد بهاء الدولة على بـــدر بن حسنويه لهجومه على بلاده أثناء اشتغاله بثورة أبي العباس بن واصل ضده ، فلما قتل أبو العباس أمر بهاء الدولة عميد الجيوش بالمسير إلى بلاده فسار حتى وصل الى جنديسابور وهناك وصلت عميد الجيوش الرسالة التالية من بدر بن حسنويه :

إنك لم تقدر على أن تأخذ ماتغلب عليه بنو عقيل من أعمالكم ، وبينهم وبين بغداد فرسخ ، حتى صالحتهم ، فكيف تقدر على أخـــذ بلادي وحصوني مني ومعي من الأموال ما ليس معك مثلها ، وأنا معك بين أمرين : إن حاربتك فالحرب سجال ولا تعلم لمن العاقبة ، فإن انهزمت أنا لم ينفعك ذلك لأنني أحتمي بقلاعي ومعاقلي وأنفق أموالي، واذا عجزت فأنا رجل صحراوي صاحب عمد ، أبعـد ثم أقرب ، وان انهزمت أنت لم تجتمـع وتلقى من صاحبك العتب . والرأي أن أحمل اليك مالاً ترضي به صاحبك ونصطلح .

الكامل لابن الأثير ج٩ ، ١٩٦ – ١٩٧

فأجابه الى ملتمسه .

د ـ البويهيون والثوار

٢٣٨ – رسالة بختيار إلى أهله في بغداد للغدر بسبكتكين

دار صراع مرير بين بختيار زعيم الديلم وسبكتكين زعيم الأتراك في بغداد ، وكان بختيار غائباً عن بغداد فأراد أن يغدر بسبكتكين فأرسل إلى أهله يقول :

إني سأكتب إليكم إني قَدْ مِتُّ ، فإذا وصل إليكم الكتاب فأظهروا النوح واجلسوا للعزاء فإذا جاء سبكتكين للعزاء فاقبضوا عليه فإنه ركن الأتراك ورأسهم .

ولكن الحيلة لم تنطل على سبكتكين .

البداية والنهاية لابن كثير ج١١ – ٢٧٥

٢٣٩ – رسالة عضد الدولة إلى بني عقيل .

تعدى أحد أفراد قبيلة بني عقيل على أموال الدولة وأخذها لنفسه وطلبه عضد الدولة حتى ظفر به وتشفع به بنو عقيل فلم يقبل شفاعتهم وأرسل اليهم يقول :

متى لم يضمن أكابركم أصاغركم ويلزموا عهدتهم ويضبطوا الطرق ويحموا مواد الفساد صرفناكم عن ممالكنا .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج٣ – ٥٦

٢٤٠ ـ رسالة من أفتكين التركي حاكم دمشق من قبل العزيز بالله الفاطمي إلى عضد الدولة وقد ثار ضد مولاه يطلب منه النجدة :

إن الشام قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر ، وإن قويتني بالأموال والعدد حاربت القوم في مستقرهم .

٢٤١ — جواب عضد الدولة لأفتكين .

غرّك عزّك فصار قُصار ذلك ذلّك ، فإخْش فاحش فِعْلَكَ ، فعلّك بهذا تهدأ (١) .

وفيات الأعيان لابن خلكان حـ٣ - ٢٢١

٢٤٢ - رسالة فخر الدولة إلى أبي نصر خواشاذه الذي كان معتقلاً وهرب من سجنه ، فأرسل اليه فخر الدولة يعرض عليه المعيشة الهادئة والإحسان اليه وكان ذلك سنة ٣٨٥ هـ :

لعلك تسيء الظن بمعتقدنا للقبيح الذي قدمته في خدمة عضد الدولة عندنا ، وما كنا لنؤاخذك بطاعة من قدمك واصطنعك ومناصحة من كان يضعك ويرفعك ، وإن نعتد لك من وسائلك لم نجعله من ذنوبك(٢) . وقد علمت ما عاملنا به أبو القاسم اسماعيل بن عباد ، وأننا طوينا جميع ما كان بيننا وبينه واستأنفنا معه من الإكرام والتفويض ما لم يقدره ويظنه ولك علينا عهد الله وميثاقه في أيماننا من كل ما تخافه وتحذره ، وأنا لك بحيث تحبه وتؤثره ، فإن أردت الخدمة قدمناك إلى أعلى مراتبها وأرفع درجها ، وإن رأيت الاعتزال والدعة أوجبنا لك مائة الف درهم معيشة من أصفهان ووفرناك على المقام في دارك بها .

ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع حـ٣ ، ٢٦٥-٢٦٦

٢٤٣ - رسالة القائد الموفق أبي علي بن اسماعيل إلى بهاء الدولة :

أعفى بهاء الدولة قائده الموفق من جميع مناصبه ثم تمكن حساده من

---

(١) أورده ابن كثير في البداية والنهاية حـ٧ - ٣٠٠ نصاً مطابقاً لنص هذه الرسالة.
(٢) كذا بالأصل والجملة مضطربة غير مفهومة .

جعل الأمير يعتقله ، ولكنه تمكن من الهرب ، ومن مأمنه أرسل إلى بهاء الدولة الرسالة التالية :

إنني لم أفارق اعتقالك خروجاً عن طاعتك ، ولا عدولاً عن استعطافك من تحت قبضتك ، ولكني عوملت معاملة طلبت بهـــا نفسي ، فحملني الإشفاق من تلفها على ماطلبت من خلاصها ، وها أنا مقيم على مايرد بـه أمرك وما أريد إلا رعاية خدمتي في استبقاء مهجتي

تاريخ الصابي ٤٢٩-٤٣٠

٢٤٤ ـ رسالة بهاء الدولة لرؤساء جنده الذين ثاروا ضده وطالبوه بتسليم شخص اسمه أبو الحسن المعلم كان منجماً وتقرب من بهاء الدولة حتى استولى على أموره كلها مما جعل الجيش كله يثور :

ما يحسن بي أن أسلمه للقتل وقد طالت صحبته لي ، وإذا كفيتم أمره فقد بلغتم مرادكم .

المنتظم لابن الجوزي ﺟ٧ ـ ١٦٨

٢٤٥ ـ رسالة جند جلال الدولة لما شغبوا ضده وطالبوه بالأموال حتى هرب منهم والتجأ إلى الكرخ عند الشريف المرتضى ، وهناك وصلته من جنده الرسالة التالية :

نحن عبيدك ومماليكك ملكناك أمورنا ابتداءً ، وقـد ضيقت علينا مرة بعد مرة وتعدنا وتعتذر إلينا ، ولا نجد أثر ذلك ، ولك ممالك كثيرة فيجوز أن تطرح كلك عنها مدة وتوفر علينا هذه الصبابة من المادة ، وهذا أمر قد اجتمعت عليه كلمتنا ، ومن الصواب أن لاتخالفنا فيه وتحوج هذا العسكر إلى تجاوز ماقد وقفوا عنده .

٢٤٦ – جواب جلال الدولة لعسكره عن الرسالة السابقة :

إنّا معترفون لكم بما ذكرتم ، وما يحصل لنا نصرفه إليكم . وأما خروجنا فالأحوال التي نقاسيها تدعو إليها ولو لم تسألوه ، وهذه أيام صوم وحر ، وإذا انقضت انحدرنا على ما هو أجمل بناوبكم ،

٢٤٧ – رسالة ثانية منه لعسكره عن نفس الموضوع الذين لم يعجبهم جوابه السابق وإنما طالبوا بوعد أكيد يمكن تنفيذه في فترة قصيرة :

إذا قدرتم مدة قريبة يمكن إنجاز أموري في مثلها وندبتم من يكون في صحبتي وعينتم عليّ اليوم الذي تختارونه لم أتأخر عنه .

٢٤٨ – جواب العسكر له :

قد شكرنا إنعام مولانا ، ونحن نسأل قبل الخروج أن يحلف لنا على صلاح النية وأن لايريدنا سوءاً ، ويرتب عندنا أحد الأمراء الأصاغر برسم النيابة عنه حتى ينحدر .

وقد تم الأمر كما رسم

المنتظم لابن الجوزي ﺟ ٨ – ٧٤

ـ السلاجقــة ـ

أ ـ علاقتهم بالخلافة العباسية والخلفاء العباسيين

٢٤٩ ـ رسالة جوابية من قريش بن بدران إلى طغرلبك حول رد الخاتون والخليفة .

نشب صراع على السلطة سنة ٤٥٠ هـ بين طغرلبك وأخيه ، واضطر السلطان إلى ترك بغداد لحرب أخيه . واغتنم الفرصة البساسيري [وهو من كبار قواد الأتراك الداخلين في خدمة البويهيين] وراسل الفاطميين وأعلن الثورة وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، واضطر الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى ترك بغداد واللجوء إلى مهارش بن مجلي في الحديثة وهو ابن عم قريش بن بدران الضالع مع البساسيري . ولما تمكن طغرلبك من تهدئة الأوضاع بدأ يفكر في العودة إلى بغداد واستعادة الخاتون زوجة الخليفة والخليفة نفسه . فكتب إلى قريش يطلب خاتون ويخلط رسالته بذكر الخليفة ورده إلى مكانه فأجابه قريش بما يلي :

إن ما جرى كان من فعل ابن المسلمة ، ومع وقع تسرع في المسير إلى العراق فلست آمن أن يتم على الخليفة أمر يفوت وسبب يسوء ، ولسنا بحيث نقف لك ولا نحاربك وإنما نبعد وندعك فربما ساست العساكر من بلادها ففتحت البثوق وخرب السواد ، وأنا أتوصل في جميع مايراد من البساسيري .

المنتظم لابن الجوزي ج٨ ـ ٢٠٢

٢٥٠ ـ رسالة طغرلبك إلى قريش من أجل تسليم الخليفة :

إلى الأمير الجليل علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران مولى أمير المؤمنين ، من شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب طغرلبك أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق .

وعلى رأس الكتاب العلامة السلطانية بخط السلطان : حسبي الله ونعم الوكيل .

والآن وقد سرت بنا المقادير إلى هلاك كل عدو في الدين ، ولم يبق علينا من المهات إلا خدمة سيدنا ومولانا القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، وإطلاع أبهة إمامته على سرير عزه ، فإن الذي يلزمنا ذلك ولا فسحة في التقصير فيه ساعة من زمان ، وقد أقبلنا بجنود المشرق وخيولها إلى هذا المهم العظيم ، ونريد من الأمير الجليل علم الدين إبانة النجح الذي وفق له وتفرد به ، وهو أن يتم وفاءه من إقامته وخدمته في باب سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، إما أن يأتي به مكرماً في عزه وإمامته إلى موقف خلافته من مدينة السلام ، ويتمثل بين يديه متولياً أمره ومنفذاً حكمه وشاهراً سيفه وقلمه وذلك المراد ، وهو خليفتنا وتلك الخدمة بعض مايجب له ، ونحن نوليك العراق بأسرها ونصفي لك مشارع برها وبحرها لا يطؤها حافر خيل من خيول العجم شبراً من أراضي تلك المملكة إلا ملتمساً لمعونتك ومظاهرتك . وإما أن تحافظ على شخصه الغالي بتحويله من القلعة إلى حين نحظى بخدمته ، فليمتثل ذلك ويكون الأمير الجليل مخيراً بين أن يلقانا أو يقيم حيث شاء ، فنوليه العراق كلها ونستخلفه في الخدمة الامامية ونصرف همتنا إلى الممالك الشرقية فهمتنا لا تقتضي إلا هذا .

الغرض من العرض ولانسف إلى مملكة من تلك الممالك بل الهمة الدينية وهو

أدام الله تمكينه ، يتيقن ما ذكرنا ويعلم إن توجهنا إثر هـذا الكتاب لهذا الغرض المعلوم ولا غرض سواه ، فلا يشعرن قلوب عشائره رهبة فإنهم كلهم اخواننا وفي ذمتنا وعهدنا ، وعلينا به عهد الله وميثاقـه ماداموا موافقين للأمر الجليل في موالينا ، ومن اتصل بـه من سائر العرب والعجم والأكراد ، فإنهم مقرون في جملته ، داخلون في عهدنا وذمتنا . ولكل مخاترم في العراق عفونا وأماننا مما بدر منـــه إلا البساسيري فإنه لا عهد له ولا أمان ، وهو موكول إلى الشيطان وتساويله . وقد ارتكب في دين الله عظيماً ، وهو ، ان شاء الله ، مأخوذ حيث وجد ، معذب على ما عمل ، فقد سعى في دمـاء خلق كثير بسوء دخيلته ، ودلت أفعاله على فساد عقيدته ، فإن سرب في الأرض فإلى أن يلحقه المكتوب على جبهته ، وان وقف فالقضاء سابق إلى مهجته ؛ والله تعالى مجازي الأمـير الجليل على كل سعي تجشم في صالح الدين وفي خدمة إمام المسلمين . وقد حملنا الأستاذ العالم أبا بكر أحمد بن محمد بن أيوب بن فورك ومعتمد الدولة أبا الوفـاء زيرك مايؤديانه من الرسائل وهو يصغي اليهما ويعتمد عليهما ويسرحهما إلى القلعة ليخدمـا مجلس سيدنا ومولانا أمـير المؤمنين عنـــا . وكتب في رمضان سنة احدى وخمسين [1] .

المنتظم لابن الجوزي ج٨ ، ٢٠٣ ـ ٢٠٤

---

(١) ورد النصف الأول من هذه الرسالة وذلك حق جملة؛ فهمتنا لاتقتضي إلا هذا : في ابن كثير البداية والنهاية حـ ١٢ ، ٨١-٨٢ . على حين أورده الجميع ابن الجوزي ، وقد تم نسخ القسم الأول عن ابن كثير .

٢٥١ ـ جواب قريش بن بدران على رسالة طغرلبك السابقة

أرسل قريش يعتذر ويتلطف ويقول :

أنا معك على البساسيري بكل ما أقدر عليه حتى يمكنك الله منه ، ولكن أخشى أن أتسرع في أمر يكون عليّ عارها ، ولكن سأعمل ما أمرتني به بكل مايمكنني .

البداية والنهاية لابن كثير ج١٢ – ٨١

٢٥٢ – رسالة قريش إلى ابن عمه مهارش يطلب منه أن يعيد إليه الخليفة حتى يتمكن من المساومة عليه .

قد علمت أننا أودعنا الخليفة عندك ثقة بأمانتك ، وقد طلبوه الآن وربما قصدوك وحاصروك وأخذوه منك فخذه وارحل به وأهلك وولدك إليّ ، فإنهم إذا علموا حصوله بأيدينا لم يقدموا على طريق العراق ، ثم نقرر الأمر في عوده على قاعدة نكون معها سالمين ونقترح مانريد من البلاد عوضاً عن رده ، وما أريد تسليمه منك بل يكون في يدك على جملته بحيث لا يمكن أن يؤخذ قهراً من أيدينا .

٢٥٣ – جواب مهارش :

قل له : إن البساسيري غدر بي ولم يف بما ضمنه لي وبعثت بصاحبي إلى بغداد وقلت له قد برئت من اليمين التي لكم في عنقي فانفذوا وتسلموا صاحبكم الذي عندي فلم يفعل ، وعرف الخليفة خلاص رقبتي من اليمين التي كانت عليّ فاستحلفني لنفسه وتوثق مني بما لايمكن فسخه (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج٨ – ٢٠٦

---

(١) يذكر ابن كثير في البداية والنهاية ج١٢–٨٢ نصين مختصرين بعض الاختصار للرسالتين المتبادلتين بين قريش ومهارش .

٢٥٤ – رسالة طغرلبك إلى الخليفة القائم لما نشب قتال بين جيشه وأهل بغداد بعد احتلالها مباشرة :

احتل طغرلبك بغداد سلماً وبرز لاستقباله الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه في بغداد والديلم والأتراك ، وبعد يومين ثارت بغداد بجيشه وجرت بين الطرفين معارك طاحنة ، وعتب طغرلبك على الخليفة وأرسل يقول :

إن سبب ذلك كله الملك الرحيم وأجناده ، ان حضروا برئت ساحتهم ، وان تأخروا أيقنت أن ما جرى إنما كان بوضع منهم .

٢٥٥ – رسالة الخليفة لطغرلبك لما اعتقل الملك الرحيم وأعيان عسكره :

أرسل الخليفة الملك الرحيم وأعيان عسكره إلى طغرلبك بعد أن أمنهم ، ولكن طغرلبك اعتقلهم فساء ذلك الخليفة الذي غضب وأرسل إلى طغرلبك يقول :

انهم إنما خرجوا إليك بأمري وأماني ، فإن أطلقتهم وإلا فأنا أفارق بغداد ، فإني إنما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً مني أن تعظيم الأوامر الشريفة يزداد ، وحرمة الحريم تعظم ، وأرى الأمر بالضد .

فأطلق سراح بعضهم .

الكامل لابن الأثير جـ ٩ ، ٦١٢ – ٦١٣

٢٥٦ – تفويض القائم بأمر الله تدبير الأمور إلى طغرلبك :

قال القائم لرئيس الرؤساء : قل له يا علي :

أمير المؤمنين حامد لسعيك شاكر لفضلك آنس بقربك زائد الشغف

بك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده ورد إليك فيه مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك وعبدك[1] في ذلك ، واجتهد في عمارة البلاد وصلاح العباد ونشر العدل وكف الظلم .

٢٥٧ جواب طغرلبك للخليفة بعد تقبيله الأرض :

أنا خادم أمير المؤمنين وعبده ، ومتصرف على أمره ونهيه ومتشرف بما أهلني له واستخدمني فيه ، ومن الله تعالى استمد المعونة والتوفيق .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ - ١٨٢

٢٥٨ - رسالة طغرلبك إلى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور ابن يوسف وذلك لما رفض الخليفة تزويج ابنته من طغرلبك التي خطبها وحدث اضطراب في بغداد من أجل ذلك :

هذا جزاء من الخليفة الذي قتلت أخي في خدمته وانفقت أموالي في نصرته وأهلكت خواصي في محبته .

الكامل لابن الأثير جـ ١٠ - ٢٢

٢٥٩ رسالة كتبها باسم الخليفة القائم بأمر الله العلاء بن موصلايا إلى اتسز جواباً على رسالة بعثها اتسز إلى الخليفة ويذكر فيها انتظامه في سلك الطاعة وغلبته الأعداء :

عرض بحضرة أمير المؤمنين ما ورد منك دالاً على تمسكك من الطاعة الإمامية بما لا تزال تجد فيه ملابس التوفيق حالاً بعد حال ، وتجد به مرائر السعد محصفة في كل حل وترحال ، منبئاً عن توفرك

---

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب وعهدك عوضاً عن كلمة وعبدك إذ هذه لامعنى لها .

على المقامات التي انتقمت بها للهدى من الضلال ، واستقمتَ فيها حتى أجلْتَ عن كل صلاح ممتد الظلال ، شاهداً بما أنت عليه من موالاة لا تألو جهداً في التزام شروطها بادئاً عائداً ، ولا تخلو فيها من حسن أثر يكون لدعائم الصواب عامداً ، وترى فيه قاصداً لاجتلاب الخير عائداً . ووقف عليه وقوف من ارتضى ما يتوالى من قرباتك الـــتي لا تزال في إعذاب ورودها ساعياً ، ولما يفضي إلى إعشاب مرعاها في طلب الحمـد مراعياً ، وانتضى منك للخدمة بتلك الأعمال حساماً باتراً آجال بقايا الكفر هناك ، ماضياً في كل ما يقضي بانفساح مجال آمالك في الدهر ومباركـك ، واعتدلك بما أنهاه عنك رسول أمير المؤمنين العائـد من قبلك ، وأوضحه من زلفك التي شفع قولك فيهـا عملك ، وطالع به الرسول الذي نفذته معه لقصد بابـه ، والمناب في تأكيد دواعي النجح وتمهيد أسبابه ، وحل كل ذلك لديه المحل الذي ستجني ثمـره كلما يطيب ويحلو ، ويسلم من كل الإستزادة ويخلو ، ويعز مهـر الفوز به على غيرك ويغلو ، وتأثل لك من الرتبة في حضرته مايدني لك كل مطلب إلى مرادك آثـل ، ويشْوي قلب كل منحرف عـن وفائك مائل ، وصرت من أعيان الخلصاء الذي وسمت الهدى أفعالهم بالحمد ، وسمت بالطاعة آمالهم إلى توقـل هضاب المجد ؛ فمـا تهم بك الغِيَرُ إلا وتنقطع دونك أعناقها ، وترجع في جلباب الخيبة وحَيْصُها إليك وإعناقها ، ولا تمتد نحوك يد ضد إلا ردها عنك جميل الآراء الشريفة فيك وغلها ، وأوجب نهلها عـــن موارد القصور وعلها ، وكيف لا يكون ذاك ولك في الطاعة كل موقف اغتذى بلبان الحمد واعتنى باشتهاره بلوغ المدى في وصفه والحد ، فأحسن الله توفيقك فـيما

أنت بإزائه من إخماد لهب الباطل بتلك الشهاب ، واجهاد النفس في إخمـال المتاعب وإذلال الصعاب ، وأمدك بالعون على ما بدأت له من جب ......(1) فيما يليك ، وطب أدواء الفساد في نواحيك . ومـع ما فزت به من هذه المنحة التي جـاز قدرها التقدير والظن ، وجاد لك الدهر فيها بما كان شح به على أمثالك وضن ، فيجب أن تستديمها وتحصن من النغل أديمهـا بمزيد من الخدمة تنتهز الفرص بالإسراع إليـه والبدار ، وتنتهج أقـوم الجدد في مقابلة الإيراد منه بالإصدار ، وتنفذ وسعك في كل مسعى ينثني إليك عنان الثناء معه ، وتنفق عمرك في كل أمر يجمع لك مرأى الرضا عنك ومسمعه ، لتجد من جدوى ذلك ماينظم في السعادة شملك ، ويضحى به القياد فيما يصدق آمالك أملك ، وأن تحمد السيرة في الرعايا الذين غدوا تحت كنفك ، وتجعل الإشتمال على مصالحهم معرباً عن فضل شغفك بالخير وكلفك ، فإنهم ودائع الله تعالى ، يلزم أن تُحمى من ضياع يتسلط عليها في حال . وتُحيا من در الإحسان برضاع لا يخطر الفطام عنه ببال ، فلا تقفنْ عند غاية في إفـاضة الفضل عليهم وإسباغ ظله ، واعتمادهم بتخفيف ثقل الحيف عليهم أو إزالة كله ، ليكونوا في أفياء الأمن راتعين ، ولخرق كل ملم بحسن ملاحظتك راقعين . فالذي يراه أمـير المؤمنين في فرضك حتى يزداد باعك طولاً ، ولا يترك لك على الزمان اقتراحـــاً ولا سولاً ، يقتضي أن يتبع كل سابق إليك من الإحسان بلا حق ، ويمرع جناب النعمى لديك عند ذر كل شارق ، وكذلك يرى أن يجـــدد لك من تشريفه المنور مطالع الفجر ، المنوه بالذكر في الدهر ، الذي لا تزال

(1) بياض بالأصل ولعل التكملة : من جب أصول العناد... الخ

الهمم العالية تصبو إلى الفوز به وتميل ، وتقف عند حد الرجاء والتأميل ، ما أصحب رسولك المشار إليه لتدرّع من خلاله ما الشرف الأكبر من مطاويه ، وتمتطي من صهوة العز فيه ما يبعد على النظراء إدراك مراميه . ويجب أن تتلقى مقدم ذلك عليك بما ينبىء عن إقتران النعمة الغراء فيه ، وأقمار أهلة التوفيق عندك بما تقصد في المعنى وتنتحيه .

وإذا عاد رسولك إلى باب أمير المؤمنين حسب ماذكرت ، أصدر على يده من ضروب التشريفات ما يقر فيك عيون من يودك ، ويقر في مغانيك كل سعدٍ يوري فيك زندك . فاسكن إلى أحبائك بالمزيد من كل رتبة أهلت لها ، وكن بحيث الظن فيك توفر عليك أقسام الحمد كلها ، وثق بترادف آلاءٍ ينضم لديك شملها ، ويثقل كل كاهل حملها ، إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج٦ ، ٤٥٣ ـ ٤٥٦

٢٦٠ – رسالة جوابيـــة من الخليفة المقتدي بالله إلى تتش أخي ملكشاه .

استفحل أمر تتش بعد وفاة أخيه ملك شاه واستولى على ديار بكر وبلاد العرب وأرسل إلى الخليفة المقتدي يسأله أن يقيم له الخطبـة وخلط السؤال بتهديد فأجابه المقتدي بما يلي :

صلح أن يكون خطابك في الخطبة إذا حصلت الدنيـــا بحكمك وخزائن الأموال بأصفهان وولايتها تحت يدك ، والبلاد بأسرها في قبضتك ، ولم يبق من أولاد أخيك من يخالفك ، ثم تسأل حينئذ تشريفك بالخطبة وتأهيلك للخدمة ، فأما في هذه الحال فلا سبيل إلى ما التمسته ولا طريق إلى ما تحاوله ، فلا تعدو حد العبيد فيما تنهيه وتسطره ، والأتباع

فيما تورده وتصدره ، وليكن خطابك ضراعة لا تحكماً وسؤال تخير . فان أطعت فنفسك نفعت ، وإن خالفت وقصدتنا رددناك ومنعنا طلبتك واعتمدنا معك مايقتضيه حكم الإمام والسلطان ، وأتاك من الله تعالى ما لا قبل لك به ولا يدان (١) .

المنتظم لابن الجوزي جـ٨ - ٢٩٣

٢٦١ - رسالة من ملك شاه إلى المقتدي وقد وقعت نفرة بين الاثنين وغضب ملك شاه على الخليفة :

لا بد أن تترك لي بغداد وتنصرف إلى أي البلاد شئت .

٢٦٢ - جواب الخليفة على الرسالة السابقة :

أمهلني شهراً .

٢٦٣ - جواب ملك شاه :

لا يمكن أن تؤخر ساعة .

المنتظم لابن الجوزي جـ٩ - ٦٢

٢٦٤ - رسالة بركياروق الى أتباعه في مصادرة عميد الدولة وزير الخليفة المستظهر .

ضاقت الأحوال ببركياروق في بغداد واحتاج إلى المال وطالبه الجند بالأرزاق فقرر مصادرة وزير الخليفة عميد الدولة ابن جهير . وصدف أن أتى الوزير رسولاً إلى السلطان من قبل الخليفة في بحث أمر من الأمور فاحتجزه بركياروق وأرسل إلى أتباعه يقول :

---

(١) ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة جـ٥-١٣٧ نصاً أكثر إيجازاً من نصنا أعلاه .

إن السلطان يقول لكم : قد عرفتم ما نحن فيه من الإضاقة ومطالبة العسكر ، وهذا الوزير ابن جهير قد تصرف هو وأبوه في ديار بكر والجزيرة والموصل في أيام جلال الدولة وجبوا أموالها وأخذوا ارتفاعها، وينبغي أن يعاد كل حق إلى حقه .

٢٦٥ - رسالة الخليفة المستظهر إلى بركياروق لما وصل إلى علمه احتجاز الوزير وقول بركياروق .

... فلا يغرك إمساكنا عن مقـابلة الفلتات . فوحق السالف من الآباء المتقدمين بحكم رب السماء لئن قصر فيَّ أن يعاد شاكراً وبالحبـاء موفوراً لنفعلن .

المنتظم لابن الجوزي جـ٩ - ١١٢

٢٦٦ - منشور أصدره السلطان محمد بن ملك شاه سنة ٥٠٠ هجرية زمن المستظهر لما ملك قلعة شاه ذر قرب أصفهان وقتل الباطنية فيها، وهو في صورة خطاب موجه إلى وزير الخليفة .

كانت هذه القلعة من أمنع قلاع الباطنية وكان صاحبها ابن عطاش باطنياً خبيثاً ونال المسلمين منه شر كبير فتمكن السلطان محمد بعـــد حروب صعبة من احتلالها وقتل من فيها ، فأنشأ كاتب السلطان أبو نصر بن عمر الأصفهاني هذا الكتاب ليقرأ على المنابر في كل البلاد .

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو الوزير الأجل مجد الدين شرف الإسلام ظهير الدولة زعيم الملة بهاء الأمة فخر الوزارة أبو المعالي هبة الله بن محمد بن عبـد المطلب رضى أمير المؤمنين .

أما بعد : أطال الله بقاء الوزير وألقابه وأدام تأييده وتمهيده وأحسن من عوائده مزيده ، فإن الله تعالى يقول وقوله الحق : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (١) . ولقد آتانا الله ، وله الحمد ، من هذا الفضل ماصرنا به أطول الملوك في الإسلام باعاً وأعزهم في الذب عن حريمه أشياعاً وأتباعاً وأشدهم عند الحفيظة له بأساً وأطهرهم من درن الشبهة فيه لباساً وأقصدهم في اقتفار الحق المبين انحاءً ، وأثقلهم على أعداء الله وأعداء الدين المنير وطأة وإنحاءً ، فلا تتجه عزائمنا لمهم من ذلك إلا حققنا الفيصل وطبقنا المفصل وفرينا الفرى واقتدحنا من الزناد الورى ، وأعدنا الحق جدعاً وأنف الباطل مجدعاً ، نعمة من الله تعالى اختصصنا بها من دون سائر الأنام وأحلنا من التفرد بمزاياها في الذروة والسنام . فالحمد لله على ذلك حمداً يوازي قدر نعمه ويمتري المزيد من مواد كرمه ، ثم الحمد لله على مايسرنا له من إعزاز الدين ورفع عماده وقمع أضداده واستئصال شأفة الباطنية المناهضين لعباده الذين استزلوا العقول الفاسدة فاستفووها بأباطيلهم ، واستهووها بأضاليلهم واتخذوا دين الله هزواً ولعباً بما لقفوه من زخارف أقاويلهم ، مسمّياً ماسنى الله من فتح الفتوح وهيأ أسبابه من النصر الممنوح بأخذ قلعة شاه ذر التي شمخ بها الجبل وبذخ ، وكان الباطل باض فيها وفرخ ، وكانت قذى في عيون الممالك وسيماً إلى التورط بالمسلمين في المهاوي والمهالك ، ومرصداً عليهم بالشرارة والنكارة حينما يتجهون من المسالك ، وفيها ابن عطاش الذي طار عقله في مدرج

---

(١) سورة المائدة : الآية ٥٧ .

الضلال وطاش وكان يُزري الناس نهج الهدى مضلة ويتخذ السفر المشحون بالأكاذيب مجلة ، ويستبيح دماء المسلمين هدراً ويستحل أموالهم غرراً ، فكم من دماء سفكت وحرم انتهكت وأموال استهلكت ، وتيرات تجرعتها النفوس فما استدركت ، ولو لم يكن منهم إلا ما كان عند حدثان أمرهم بأصفهان من اقتناص الناس غيلة واستدراجهم خديعة وقتلهم إياهم بأنواع العقوبات قتلة شنيعة ، ثم فتكهم عوداً على بدء باعيان الحشم وخيـار العلماء وإراقتهم ما لا يعد ولا يحصى من محرمات الدماء إلى غير ذلك من هنات يتمعض الإسلام لها أي امتعاض ، وما الله عن المسلم أن يتميز لهـا براض ، لكان حقاً علينا أن نناضل عن حمى الدين ونركب الصعب والذلول في مجاهدتها ولو إلى الصين . وهذه القلعة كانت من أمهـات القلاع التي انقطع إليها رؤوس الباطنية كل الانقطاع فكانت تبث الحبائل منها في سائر الجهات والأقطار ، وترجع إليها نتائـج الفساد رجوع الطير إلى الأوكار ، وهي في العزة والمنعة مثـل مناط الشمس التي تنال منها حاسة البصر دون حاسة اللمس ، ترد الطرف كليلا وتمـد العدد الدثر في محاصرتها كليلا ، وكأنها وهي أعلى شاهق نزلت على الجبل من حالق ، فهي بهذه الصفة مقابلة لبلدة أصفهان التي هي مقر الملك ودار الثواء وأولى البلاد بتطهيرها من اهتياج الفتن واختلاف الأهواء ، ونحن نقيم بها طول هذه المدة المديدة وندبر أمرها إلى ما يصونـه الرأي من الحيلة والمكيدة ، وأمامنا من المستخدمين وأصحاب الدواوين نفر تصغي إليهم افئدتهم فيما كانوا عليه من مخالفة الدين يتوصلون بمكرهم إلى نقض ما يبرم وتأخير ما تقدم ، ويوهمون أنها من النصائح التي تقبل وتلزم حتى تطاول دون ذلك الأمد وبان من القوم المعتقـد ،

واتضح لنا من صائب التدبير ما يُعتمد ، وكنا في خلال هـــذه الأحوال لم نخل هذه القلعة من طائفة تهزهم حمية الدين من الجند ينتهون من التضييق عليها إلى كل غاية من الجد فيتوفرون على محاصرتهم ومصابرتهم ويتشمرون لمزاولتهم ومصاولتهم ويقعدون لهم بكل مرصد ، ويسدون كل متنزل ومصعد حتى انقطعت عنهم المواد وخانتهم المير والأزواد ، واضطروا إلى أن نزل بعضهم على حكم الأمان بعد الاستئمار والإستئذان . فأمرنا بتخلية سَرْبهم وإيمان سربهم وسلم الشطر من القلعة لخلوه من الفئة النازلة ، واعتصم ابن عطاش بقلعة أخرى تسمى دالان مع نخب أصحابه من المقاتلة ، وهذه القلعة هي أمنع المواقع من القلعة وأحصنها وأوعرها مسلكاً وأحزنها ، فقد نقل إليها ما كان بقي لهم من الميرة وسائر ما يستظهر به من السلاح والذخيرة على أن يلبثوا بهـــا أياماً معدودة فينزلوا ويبذل لهم الأمان مثل ما بذل للأولين ، فيتحولوا كل ذلك بواسطة من قدمنا ذكرهم من المستخدمين في الدواوين ، وفي باطن الأمر خلاف ما يتوهم من الاعلال ، وذلك أنهم قـدروا أن ما سلّم من القلعة يترك على عمارته ومكانته ، وما امتنع به من القلعة لايقدر عليه لمنعته وحصانته ، فهم يتوصلون بتمكنهم من ذلك الحيل إلى سرقة ما سلموه آنفاً ببعض الحيل . هذا وقد كفوا مؤن من نزل من الأكلة وعندهم الكفاف لمن بقي من العملة ، ففطنا لما عمدوا وعليه اعتمدوا ، وأمرنا في الحال بالقلعة المسلحة فنسفت نسفاً وخسفت بها خسفاً ، وصير سفلها علواً كما كان علوها خلواً . ثم انتقمنا من المستخدمين الغادرين بالملك والدين حتى ساقهم الحين المتاح إلى حين ، فلم يفلت منهم صاحب ولا مصحوب ، إن الشقاء على الأشقين مصبوب . ووافق ذلك حلول الموعد لنزول باقي القوم من دالان فأبوا إلا المطل والليان ، فلما مضت

أيام على ذلك وأظهروا التمرد والعصيان فصاروا كما قال الله تعـالى : ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (١) . فعند ذلك استخرنا بالله تعالى تجريـــد العزائم لهذا الجهاد الذي هو عندنا من أنفس العزائم ولا نخاف فيه لومة لائم ، وأهبنا من حضرنا من العساكر المنصورة إلى الإحداق بالقلعة المذكورة يوم الثلثاء ثاني ذي الحجة فنزلوا لفنائها محتشدين ولصدق اللقاء متشمرين متجردين وجرت مناوشة عشية هذا اليوم أثخنت عدة من أولئك القوم ، وبات المسلمون ليلتهم تلك على أضم ، والملحدون لحماً على وضم ، فلـما تنفس الصبح وعردت ديوك الصدح وطوى الليل رداءه ورفع الفجر لواءه نصر الله الحق وأدال الدين وساء صباح المنذرين ، وعدت جيوش النصر يـداً واحدة وكلمة على التظافر والتظاهر مساعدة ، تسطو بالفئـة المتحصنة بالقلعة سطوة الليث المصور وكأنهم طـــاروا بأجنحة الصقور على صم الصخور . فلم يلبثوا قبل ذرور الشمس بقرنها وأخذها الناصح من لونها أن أخذوا القلعة عنوة وقهراً وأجروا من دماء الباطنية الملحدة نهراً ، فلم ينل منهم وائل ولا أخطأهم من السيوف البواتر وائل ، وأمرنا في الحال بهدمها والتعفية على ردمها فلم يبق منهـا نافخ ضرمة ولا أثر من نسمة ولا مدر على أكمة ، وأسر ابن عطاش ، رأس الجـالوت وولي الطاغوت الذي كان ممن قال الله تعالى فيه : وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار (٢) . فجعلناه وولده المقرون به مثلة للنظار وعبرة لأولي الأبصار فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤٤ .

(٢) سورة القصص : الآية ٤١ .

هذا هو الفتح المبين والعزة التي تتلى لأنها من الدهر الحين، والنعمة التي تمت وعمت وأحنت بالنقمة على أعداء الله ورسوله وطمئت ، وما ذاك إلا من بركات عقائدنا الناصحة في موالاة الدولة العباسية ، ظاهر الله مجدها وما يلتزمه في فرضها من فضل المناصحة والمشايعة ، فيها نحن نسطوا بالأعادي ونكفى من اعتراض النوائب كل العوادي ونسوس الدهماء من الحواضر والبوادي .

وهذه البشرى التي يهنأ بها الإسلام وترفع بها من الإشادة بذكرها في الخافقين الأعلام أمرنا بنشرها في الأقصى والأدنى ، لا سيما الدارة العزيزة ، ظاهر الله مجدها ، فإنها أولى من يبشر بمثلها ويهنأ ، وأنهينا الأمير عز الدولة إلى إيصال هذه البشارة إلى الديوان العزيز النبوي، أعلى الله جده ، فندب من قبله من يقوم بهذه الخدمة ويعلمه ما نحن بصدده من الاعتراف بقدر هذه النعمة . وهذا الأمير كان من المندوبين أولاً وآخراً لمحاصرة هذه القلعة فأبلى فيها بلاءً حسناً جميلاً وأغنى غناءً لم نجد له فيه عديلاً ، ولذلك اختصصناه بهذه المزية وآثرناه بإبلاغ هذه البشرى الهنية ، والمعول تام على الإهتمام الوزيري في إلقائها إلى المقارّ العظيمة النبوية ليعلم من صدق نهضتنا بالخدمات ، وعندنا المسماة في إعزاز الدين من أوجب المهمات من شريف المراضي ، ويفرض لنا من المحامد والمآثر التامة إلى الأبد أكرم الأحاظي ، وأن يتقدم في حق المبشر بما هو على الدولة ، ثبتها الله ، متعين ، حتى يعود ولما يستحسن من موقع هذه البشارة عليه أثر بين . والوزير أولى من اغتنم هذه المكرمة فاعتنقها وتمكن من عصمة الرأي السديد فاعتلقها ، واستحمد إلينا بما يتكلفه من جميل مساعيه ويتكفله بالاهتزاز والاهتمام فيه من سائر مايلاحظه من الأمور ويراعيه إن شاء الله تعالى . وكتب بالأمر العالي شفاها في ذى القعدة سنة ٥٠٠ هـ .

ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٥٢ ــ ١٥٦

٢٦٧ – رسالة الخليفة المسترشد إلى السلطان محمود .

نشب صراع بين السلطان محمود وأخيه مسعود وزحف مسعود نحو العراق فاختلط أمر محمود وكتب إلى الخليفة المسترشد يستأذنه للخروج لحرب أخيه فأجابه :

إنك تعلم مابيني وبينك من العهد واليمين وأني لا أخرج ولا أدون عسكراً ، وإذا خرجت عاد العدو وملك الحلة وربما تجدد منه ماتعلم .

٢٦٨ – جواب السلطان محمود إلى الخليفة المسترشد :

متى رحلت عن العراق وجدت له حركة وخفت على نفسك وعلى المسلمين وتجدد لي أمر مع أخي فلم أقدر على المجيء فقد نزلت عن اليمين التي بيننا فمها رأيت من المصلحة فافعله .

المنتظم لابن الجوزي ج١٠ – ٢٠

٢٦٩ – رسالة السلطان سنجر السلجوقي من خراسان إلى ابن أخيه السطان مسعود .

خلع طغرلبك من السلطنة في بغداد وحل محله أخوه مسعود ، وكان حوله عدد من الأمراء يبغضون سنجر فأرسل إليه عمه سنجر يقول :

هؤلاء الأمراء الذين معك – وهم البازدار وقزل وبرتقش – مايتركونك تبلغ غرضاً ، لأنهم عليك لا معك ، وهم الذين أفسدوا أمر أخيك طغرل ، فإذا وقفت على المكتوب فابعث إليّ برؤوسهم .

٢٧٠ – رسالة الأمراء الثلاثة إلى الخليفة المسترشد .

لم يفعل مسعود بنصيحة عمه وإنما أطلع الأمراء الثلاثة على رسالة عمه فتغيرت نفوسهم نحوه وانفصلوا عنه وأرسلوا إلى الخليفة يقولون :

إنا قد انفصلنا عن مسعود ، ونحن في بلاد ابن برسق ، فإن كان لك نيـة في الخروج فاخرج فنحن في يديك ، وإلا فاخطب لبعض أولاد السلاطين ، ونفذ به حتى نكون معه .

٢٧١ - جواب المسترشد :

كونوا على ما أنتم عليه فأنا صائر إليكم .

المنتظم لابن الجوزي جـ١٠ ، ٤٣ - ٤٤

٢٧٢ - رسالة أرسلها المسترشد بناء على طلب السلطان مسعود إلى استاد الدار بتعيين شحنة جديد لبغداد .

تحارب المسترشد ومسعود وهُزم الخليفة وأسره مسعود وطلب منه إرسال الرسالة التاليـة إلى أستـاد الدار في بغـداد بتعيين شحنة جديدة لبغداد .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والحمد لله رب العالمين . ليعتمد الحسن بن جهير مراعاة الرعية والاشتمال عليهم وحمـايتهم وكف الأذى عنهم ، فقد ظهر من الولد غياث الدنيا والدين - متع الله به - في الخدمة ما صدق به الخدمة ،فليجتمع وكاتب الزمام وكاتب المخزن على إخراج العمال إلى نواحي الخاص لحراستها فقد ندب من الجناب الغياثي هذا شحنة لذلك ، وليهتم بكسوة الكعبة فنحن في أثر هذا المكتوب إن شاء الله .

المنتظم لابن الجوزي جـ١٠ - ٤٦

٢٧٣ - رسالة الخليفة المسترشد إلى السلطان السلجوقي محمود من أجل دبيس .

ثار دبيس ضد الخليفة وهُزم واحتلت أراضيه فأخذ يتجول ويجمع

الجيوش لاسترداد أراضيه وبلغ الخليفة انـه جمع جيشاً وقصده بغـداد فأرسل المسترشد إلى محمود الرسالة التالية :

لئن لم تكف دبيساً عن القدوم إلى بغداد وإلا خرجنا إليه ونقضنا مابيننا وبينك من العهود والصلح .

البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٢ - ١٩٨

٢٧٤ – رسالة من المسترشد إلى وزير السلطان سنجر معز الدين الفضل بن محمود .

مقامك يا عز الدين – أحسن الله حياطتك وكمل موهبتـه لديك – في خدمة الدار العزيزة التي مازلت لجهدك فيها باذلاً ، وفي جـلابيب المناصحة رافلا ، لا يقبضنك أن تواصل حالاً فحالاً بأبنائك وتستديم ماخصصت به من شريف الآداب الموفية بك على أكفـائك ؛ وعرض بحضرة أمير المؤمنين ماورد منك دالاً على طاعتك المعهودة ، وموالاتك الرائقة المشهودة ، واستمرارك على الجدد والمهيع فيما حاز المراضي الشريفة الإمامية لك ، وحقق في الفوز بجميل الآراء أملك ، وناطقاً بحـــال فلان المارق عن الدين ، المجاهر بمعصية الله تعالى في مخالفة أمير المؤمنين ، وما اقتضاه الرأي المعزي [1] بحسن سفارتك وسداد مقصدك في الطاعة وصفاء نيتك ، وأحاط علماً بمضمونه الذي لا ريب إنـه ثمرة مناصحتك ونتيجة سعيك المضاهي نصيحة عقيدتك . ومن أولى منك بهذه الحال ؟ وأنت الحُوّل القلّب ذو الحنكة المجـــرب ، الذي تفرد في الأنام بكماله ، وقصر أكفاؤه عن درك شأوه في الخير ومثاله . وما زلت حديثاً وقديماً موسوماً بهذه المزية مرقوماً ، وبغـــير شك انك تراعي

(١) المعزي : نسبة إلى معز الدنيا والدين لقب السلطان سنجر السلجوقي .

ما بدأت به وتعضد فعالك في موارده بما تمده من مصادره ، وتحرس ماقدمته من الاحتياط بتحريك في أواخره . وتمضي العزيمة لإتمام ماشرعت فيه ، كفاء مايوجبه دينك ويقتضيه ، جرياً على وتيرتك فيا قضي للأحوال بالانتظـــام والاتساق ، وآذن لشمس الصلاح بالإضاءة والإشـــراق .

وبعد فقد عرفت ماتكرر إليك في أمر هـــذه الطائفة الخبيثة المكاشفة بمذهب الإلحاد ، المبارزة بسوء الإعتقاد ، بعثاً على جهادهـــا وكف ضررها عن الإسلام وفسادها . ورفع ستر المراقبة عنها ، والإنتقام لله ورسوله منها ، وما يُقنع من مهمة معز الدولة والدين ـ أمتع الله ببقائه ـ ومن وافر عقلك ودينك وصدق يقينك ، إلا بإرهاف العزيمة في مكاشفتها ، وخوض الغمار فى محاربتها ، والقصد لمضايقة من اعتصم منها بالقلاع ، وقتل كل من يظفر به في سائر البقاع ، حمية وامتعاضاً للدين ، وأنفاً مما استولى عليه بها من الضرر المبين . فكن من وراء الحب لمعز الدنيا والدين على تيقنك هذا المثال والإدكار بما تفوز به مع الامتثال له في المآل ؛ وانهض في تنفيذ مايأمرك به في هـذا الباب نهضة من اتزر رضا الله وأراده ، وبذل في صلاح معاده اجتهاده ، فإن الله تعالى لا يرضى منكما للإنتصار لدينه بالتقصير . وأمـــير المؤمنين أمركما بالجد فيه والتشمير ، وقد شرفك بتحفة أمر بحملها إليك من بين يدي سدته وأعرب بها عن مكانك من حضرته ، إنافة على الأمثـــال بقدرك ، وإضفاء لملابس فخرك ، فاعرف بمكان النعمة في ذلك ، واسلك في القيام لشكرها أوضح المسالك ، وأدم المواصلة بمطالعتك وقدم التوقيع من إجابتك ، تفز من المراضي الشريفة بالحظ الأسنى ، ويجتمع لك منها الإسم والمعنى ، إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج ٦ ، ٤١٩ ـ ٤٢١

٢٧٥ – مقتطفات من يمين الراشد التي أقسمها في الولاء للسلطان مسعود بعد مقتل المسترشد وتنصيب الراشد خليفة .

... متى حشدت أو حاذيت وجذبت سيفاً في وجه مسعود فقد خلعت نفسي من هذا الأمر ...

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج٥ – ٢٥٨

٢٧٦ – رسالة الراشد إلى يرتقش أحد قواد السلطان مسعود .

أرسل السلطان مسعود جيشاً على رأسه عفيف الخـــادم ليطالب الخليفة باسم السلطان بسبعمائة ألف دينار كان المسترشد تعهد له بها ، وكذلك ليحصل من أهالي بغداد خمسمائة ألف دينـــار . واستشار الخليفه أصحابه فقرروا الرفض والقتال ، وأرسل الخليفة إلى يرتقش أحد قواد مسعود بما يلي :

أما الأموال المضمونة فإنما كانت لإعادة الخليفة إلى داره سالماً وذلك لم يكن وأنا مطالب بالثأر . وأما مال البيعة فلعمري ألا إنه ينبغي أن تعاد إليّ أملاكي وأقطاعي حتى يتصور ذلك ، وأما ما تطلبونه من العامة فلا سبيل إليه وما بيننا إلا السيف [١] .

المنتظم لابن الجوزي ج١٠ – ٥٤

٢٧٧ – رسالة الخليفـة المقتفي إلى السلطان مسعود السلجوقي .

قتل الراشد وأصبح المقتفي خليفـة ، وأرسل السلطان وزيره أبا البركات إلى بغداد وطالب الخليفة بمائة ألف دينار ، فبعث الخليفة إليه .

---

(١) ورد نص مشابه إلى حد كبير لنصنا أعلاه في الكواكب الدرية لابن قاضي شهبة ص ١٠٤ .

ما رأينا أعجب من أمرك ، أنت تعلم أن المسترشد سار إليك بأمواله فجرى ما جرى وعاد أصحابه عراة ؛ وولي الراشد ففعل ما فعل ثم رحل وأخذ ما بقي من الأموال ، ولم يبق في الدار سوى الأثاث فأخذته جميعه وتصرفت في دار الضرب ودار الذهب وأخذت التركات والجوالي ، فمن أي وجه نقيم لك هذا المال ؟ وما بقي إلا أن نخرج من الدار ونسلمها فإني عاهدت الله تعالى أن لا آخذ من المسلمين حبة واحدة ظلماً (١) .

المنتظم لابن الجوزي

٢٧٨ ـ رسالة المقتفي للسلطان مسعود حول حصار جنوده بغداد وبدئهم في نهبها .

ثار عدد من الأمراء ضد السلطان مسعود وأتوا إلى بغداد وبدأوا في نهبها والسلطان بعيد عنها . فأرسل الخليفة إلى السلطان يقول :

أما الشحنة الذي من قبلك فقد هرب هو وأمير الحاج إلى تكريت ، وقد أحاط العسكر بالبلد ، وما يمكنني أن آخذ عسكراً لأجل العهد الذي بيننا فدبر الآن .

٢٧٩ ـ جواب السلطان مسعود للخليفة على رسالته السابقة :

قد برئت ذمة أمير المؤمنين من العهد الذي بيننا وقد أذنت لك أن تجند عسكراً وتحتاط لنفسك وللمسلمين .

المنتظم لابن الجوزي ج١٠ ـ ١٣٢

---

(١) ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٥ ـ ٢٥٩ رسالة مشابهة إلى حد كبير لرسالتنا أعلاه .

٢٨٠ – رسالة جوابية من المقتفي إلى السلطان محمود السلجوقي، وذلك جواب رسالة أرسلها السلطان للخليفة يخبره باجتماعه بعمه السلطان سنجر.

أما بعد: فإن كتابك عرض بحضرة أمير المؤمنين ناطقاً بدرك الأوطار وحصول المقاصد على الآثار ما أنهيته من الاجتماع بعز الدنيا والدين، جمع الله في طاعته شملكما، ووصل بالألفة والتوادد حبلكما، ومن إكرام الوفادة الذي أنت أهله ووليه، حقيق أن يتبع وسميه لديك وليه (١)، والموافقة على كل حال آذنت ببلوغ الأغراض وتيسرها، ونجاز المساعي على أتم وفاق وتقررها، وانتظام الأمور على أجمل معتاد وأكمل مراد وأحسن إتساق واطراد، واستقرار القواعد على الوصف الجامع أشتات الاتفاق، الدال على صدق المحافظة بينكما وفرق الاشفاق، محفوفاً بالسعادة التي لا تزال مآثرك في الطاعة الإمامية تملك قيادها، وتقلدك على الاتصال نجادها، فتهللت بهذا النبأ المبهج أسرة البشرى، وأصبح الجذل بمكانه أفعم عرفاً وأذكى نشراً، وقامت لأجله في عراض الدار العزيزة مواسم، وأصبح المسرة بها مفترة الثغور ضاحكة المباسم، وجدير بمن كان له من الهمم الشريفة مدد وافٍ، وعدد يدفع فى صدر كل خطبٍ موافٍ، أن يكتنفه الميامن والسعود، ويصدق في كل مرمى ينحوه من النجح الموعود، وتنقاد له المصاعب ذللاً، ويعودَ بيمن نقيبته كل عافٍ من الصلاح جديداً مقتبلاً، ولا ينفك صنع الله جل اسمه لطيفاً، وبرباعه محدقاً مطيفاً، والتوفيق مصاحبه أنىّ حل وثوى، أو ثنى عنانه إلى وجه ولوى. والله

(١) الولي: المطر بعد المطر.

يمتع أمير المؤمنين منك بالعضد الذي يذب عن دولته ويحامي ، ويناضل دونها بجنود الاخلاص ويرامي ، ولا يخليك من رعايته التي لا يزال يستقر فيها إليك ، ويرغب إليه في إسباغ لباسها عليك ، حتى تتسنى لك المطالب معاً ، ويغدو الزمان فيما ينشأ متبعاً .

هذه مفاوضة أمير المؤمنين إليك ـ أدام الله تأييدك ـ أجراك فيها على مألوف العادة وجدد لك بها برود الفخار والسعادة ، فاجر على وتيرتك في إتحاف حضرته بطيب أخبارك ومجاري الأمور في إيرادك وإصدارك ، تهد إليها ابتهاجاً وافراً ، وابتساماً يظل لثامه عن حمد الله المسند بها سافراً إن شاء الله تعالى .

صبح الأعشى للقلقشندي ج٦ ، ٥٤٢ - ٥٤٣

٢٨١ ـ رسالة من المقتفي إلى السلطان مسعود السجلوقي جواباً على رسالة أرسلها السلطان للخليفة يخبره فيها أن بعض من كان خرج عن سلطانه عاد إليه وانحاز .

من عبد الله أبي عبد الله محمد الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين إلى فلان بالقابه .

أما بعد : أطال الله بقاءك ،فإن كتابك عرض بحضرة أمير المؤمنين معرباً عن أخبار سعادتك ، وجرى الأمور على إرادتك ، وبلوغ الأغراض من الوجهة التي توجهت إليها ، والأطراف التي أشرقت سعادتك عليها . بيامن ما تثق به من الطاعة الإمامية وتضمره ، وتعتقده من الإخلاص وتستشعره . وإن ركن الدين محمداً ومن انضم إلى جملته وانتظم في سلك موافقته لما ظفروا منك بذمام اطمأنوا إليه وسكنوا ، وأمان وثقوا به وركنوا ، أبصروا الرشد فاتبعوه ، واستجابوا الداعي إذ

سمعوه ، وأذعنوا لطاعتك مسرعين ، وانقادوا إلى متابعتك مهطعين ، على استقرار مسيرهم تحت لوائك إلى باب همذان لتكون تقرير القواعد الجامعة للمصالح عند وصولها ، والتوفر على تحري ما تقربه الخواطر مع حلولها ، والانفصال إلى من يفـــد إلى الأبواب العزيزة مؤتنساً بقرب الدار ، ومستمداً بالخدمة الشريفة الإمامية المؤذنة ببلوغ الأوطار ، ووقف عليه وعرف مضمونه ، وجدد ذلك لديه من الابتهاج والاغتباط الواضح المنهاج ، ما تقتضيه ثقته بجانبك واعتقاده ، وتعويله على جميل معتقدك واعتياده ، واعتضاده من طاعتك بحبل لا تنقض الأيام مبرمه ، وسكونه من ولائك إلى وَزَر لاتروع المخاوف حرمه ، وواصل شكر الله تعالى على ما شهدت به هذه النعمة العميمة والموهبة الجسيمة ، من إجابة الأدعية التي مازالت جنودها نحوك مجهزة ، ووعوده - جلت عظمته - بقبول أمثالها منجزة ، وإمدادك منها بأمداد تستدعي لك النصر وتستنزله ، وتستكمل الحظ من كل خير وتستنجزه ، وتبلـغ الأمل منك فيمن هو العدة للملمات ، والحامي لتقرير الأنس مـــن روائع الشتات ، ومن ببقائه تكف عن الامتداد أكف الخطوب ، وتطلق وجوه المسار من عقل القطوب . ويأبى الله العادل في حكمه وحكمته ، الرؤوف بعباده وخليقته ، إلا إعلاء كلمة الحق بالهمم الإمامية ، والإجراء على عوائد صنيعته الخفية ، الكافلة بصلاح العباد والرعية ، وقد أقيمت أسواق التهنئة بهذه البشرى ، وأفادت جذلاً تتابع وفوده تترى ، لاسيما مع الإشارة إلى قرب الأوبة التي تدني كل صلاح وتجلبه ، وتزيل كل خلل أتعب القلوب وتذهبه ، وإلى الباري جل إسمه الرغبة في اختصاصك من عنايته بأحسن ما عهدته وأجله ، وصلة آخر وقتك في نجح المساعي بأوله . وأن لا يخلي الدار العزيزة من إخلاصك في ولائها ، ورغبتك في تحصيل مراضيها وشريف آرائها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين - أدام الله تأييـــدك - أبتغي الله جزاءك فيها على عادة تكرمته ، وأعرب بها عن اعتقاده فيك وطويته ، ومكانك الأثيل في شريف خطرته ، وابتهاجه بنعمة الله عنـــدك وخيرته ، فتأملها تأملا يشاكل طاعتك الصافية من الشوائب والأقذاء ، وتلقها بصدق الاعتماد عليها وحسن الإصغاء ، تَفُزْ بالإصابة قِداحُك ، ويقرن بالتوفيق مغداك ومراحك ، إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

صبح الأعشى للقلقشندي ج٦ ، ٤٤٨ - ٤٤٩

ب - علاقة السلاجقة بعضهم بعضاً -

٢٨٢ - رسالة جغري بك داود إلى أخيه طغرلبك :

ملك جغري خراسان وملك طغرلبك العراق وبغـداد ، وأرسل جغري قبل وفاته رسالة إلى أخيه مـع قاضي سرخس عبد الصمـــد هذا نصها :

بلغني إخرابك البلاد التي فتحتها وملكتها ، وجلا أهلها عنها ، وهذا ما لا خفاء به في مخالفة أمر الله تعالى في عباده وبلاده ، وأنت تعلم ما فيه من سوء السمعة وإيحاش الرعية .

وقد علمت أننا لقينا أعداءنا ونحن في ثلاثين رجلا وهم في ثلاثمائة فغلبناهم ، وكنا في ثلاثمائة وهم في ثلاثة آلاف فغلبناهم ، وكنـا في ثلاثة آلاف وهم في ثلاثين ألفاً فدفعناهم ، وقاتلنا بالأمس شاه ملك وهو في أعداد كثيرة متوافرة فقهرناه وأخذنا مملكته بخوارزم ، وهرب

من بين أيدينا إلى خمسمائة فرسخ من موضعه . فظفرنا به وأسرناه وقتلناه ، واستولينا على ممالك خراسان وطبرستان وسجستان وصرنا ملوكاً متبوعين بعد أن كنا أصاغر تابعين ، وما تقتضي نعم الله علينا أن نقابلها هذه المقابلة .

٢٨٣ – جواب طغرلبك لأخيه عن تلك الرسالة أرسلها مع الرسول وقال له قل له في الجواب :

يا أخي أنت ملكت خراسان وهي بلاد عامرة فخربتها ، ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها وأنا وردت بلاداً أخربها من تقدمني ، واجتاحها من كان قبلي فما أتمكن من عمارتها والأعداء محيطة بها والضرورة تقود إلى طرقها بالمساكر ، ولا يمكن دفع مضرتها عنها .

الكامل لابن الأثير ج١٠ ، ٦ – ٧

٢٨٤ – رسالة تتش لأخيه السلطان ملك شاه سنة ٤٨٠ هـ يطلب إمداده ضد المصريين الذين حاصروه بدمشق :

قد استولى المصريون على الساحل وضايقوا دمشق ، وأسأل السلطان أن يأمر آق‌سنقر وبوزان أن ينجداني .

النجوم الزاهرة لابن تغري بردي جـ٥ – ١٢٥

٢٨٥ – رسالة ملك شاه لنظام الملك حول استبداده وأولاده في الأمور

ولى نظام الملك حفيده عثمان مرو وهناك أساء معاملة أحد خلصاء السلطان ملك شاه فشكا ذلك إلى السلطان الذي غضب وأرسل الرسالة الشفوية التالية مع وفد برئاسة الأمير يلبرد إلى نظام الملك :

إن كنت شريكي في الملك ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكم ، وإن كنت نائبي وبحكمي فيجب أن تلزم حد التبعية والنيابة . وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولي ولاية كبيرة . ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا إلى أن فعلوا كذا وكذا.. وأطال القول .

٢٨٦ ـ جواب نظام الملك الشفوي على رسالة ملك شاه السابقة :

غضب نظام الملك لهذه الإهانة وقال للوفد : قولوا للسلطان :

إن كنت ماعلمت أني شريكك في الملك فاعلم ، فإنك مانلت هذا الأمر إلا بتدبيري ورأيي . أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمت الخوارج عليه من أهله وغيرهم ، منهم فلان وفلان ـ وذكر جماعة ممن خرج عليه ـ وهو ذلك الوقت متمسك بي يلزمني ولا يخالفني . فلما قدت الأمور إليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الأمصار القريبة والبعيدة ، وأطاعه القاصي والداني أقبل يتجنى لي الذنوب ويسمع فيّ السعايات . قولوا له عني : إن ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة ، وإن اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة . ومتى أطبقت هذه زالت تلك . فإن عزم على تغيير فليتزود للإحتياط قبل وقوعه ، وليأخذ الحذر من الحادث أمام طروقه...

ثم قال لهم : قولوا للسلطان عني مهما أردتم فقد أهمني مالحقني من توبيخه وفت في عضدي (١) .

الكامل لابن الأثير حـ١٠ ، ٢٠٥ ـ ٢٠٦

(١) أورد نص هاتين الرسالتين عدد من المصادر كالمنتظم لابن الجوزي حـ٩ـ٦٧ وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٩٣ ، ولا خلاف بينهما إلا في بعض التفاصيل البسيطة .

٢٨٧ ـ رسالة السلطان سنجر إلى ابن أخيـــه محمود يحذره من محاولة الخليفة المسترشد ضرب السلاجقة ببعضهم ، فقد اتفق المسترشد مع السلطان محمود ضد السلطان طغرل بن محمد ، ووصل الخبر إلى سنجر فكتب إلى محمود يحذره ويقول له :

أنت يميني والخليفة قد عزم على أن يمكر بي وبك ، فإذا اتفقتما عليّ فرغ مني وعاد إليك فلا تلتفت إليه . وأنت تعلم انه ليس لي ولد ذكر ، وأنت ضربت معي مصافاً وظفرت بك فلم أسيء إليك وقتلت من كان سبباً لقتالنا ، وأعـــدتك إلى السلطنة وجعلتك ولي عهدي وزوجتك ابنتي . فلما مضت إلى الله تعالى زوجتك الأخرى. ورأيي فيك رأي الوالد . فاللهَ اللهَ أن تعول على مـــا قال لك . ويجب بعد هذا أن تمضي إلى بغداد ومعك العساكر فتقبض على وزير الخليفة ابن صدقة وتقتل الأكراد الذين قد دوّنهم وتأخذ المنزل الذي قد عمله وجميع آلة السفر وتقول : أنا سيفك وخادمك وأنت تعود دارك على ماجرت به عادة آبائك وأنا لا أحوجك إلى تعسف ، فإن فعـــل وإلا أخذته بالشدة ! وإلا لم يبق لك ولا لي معه حكم .

المنتظم لابن الجوزي جـ٩ ، ٢٥٤ ـ ٢٥٥

رسالة السلطان سنجر الى ابن أخيه السلطان مسعود في إطلاق سراح الخليفة المسترشد .

وقعت حرب بين مسعود والمسترشد وهزم عسكر الخليفة وأسر هو نفسه ، وصادف ذلك حدوث الزلازل والعواصف فخاف السلطان سنجر وأرسل إلى مسعود يطلب منه إطلاق سراح الخليفة ويقول :

ساعة وقوف الولد العزيز غياث الدنيا والدين مسعود على هـــذا

المكتوب يدخل على أمير المؤمنين ـ أعز الله أنصاره ـ ويقبل الأرض بين يديه ويقف ويسأله العفو عنه والصفح عن جرمه وإقدامه ويتنصل غاية التنصل ، فإنه قد ظهرت عندنا من الآثار السمائية والأرضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها دون المشاهدة من الرياح العواصف والبروق الخواطف وتزلزل الأرض ودوام ذلك عشرين يوماً وتشويش العساكر وانقلاب البلدان . ولقد خفت على نفسي من جانب الله تعالى وظهور آياته وجانب المخلوقين ، والعساكر وتغيرهم عليّ وامتناع الناس في الصلاة في الجوامع وكسر المنابر ومنع الخطباء ما لا طاقة لي بحملها . فالله الله تتلافى أمرك وتحقن دم المسلمين وتعيد أمير المؤمنين إلى مستقر عزه وتسلم إليه دبيساً ليرى رأيه ، فإنه هو الذي أحوج أمير المؤمنين إلى هذا وأحوجنا أيضاً نحن إلى مثل هذا ، وعجل ولا تتأخر . وتعمل له البرك وتنصب له السرادق وتضرب له التخت وتحمل له الغاشية بين يديه أنت وجميع الأمراء كما جرت عادتنا وعادة آبائنا في خدمة هذا البيت (١) .

المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ ، ٤٧ – ٤٨

٢٨٩ ـ رسالة السلطان محمود السلجوقي إلى الب أرسلان بن رضوان السلجوقي ملك حلب يطلب منه أن يقتل الباطنية لديه .

كان والدك يخالفني في الباطنية ، وأنت ولدي فأحب أن تقتلهم .

زبدة الحلب لابن العديم ج ٢ – ١٦٨

(١) ذكر ابن قاضي شهبة في الكواكب الدرية ص ١٠٠ وابن العماد في شذرات الذهب ج ٤ ، ٨٧ – ٨٨ نصاً أقل تفصيلاً من نصنا هذا

جـ - علاقة السلاجقة بالآخرين من حكام ورؤساء وثوار

٢٩٠ - رسالة سليمان بن قطلمش إلى شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب حلب :

كان لشرف الدولة رسم سنوي يأخذه من صاحب انطاكية الرومي، فلما احتل سليمان بن قطلمش مدينة انطاكية من الروم، أرسل إليه شرف الدولة يطالبه بما كان يدفعه الرومي له ويخوفه معصية السلطان فأجابه:

أما طاعة السلطان فهي شعاري ودثاري، والخطبة له والسكة في بلادي، وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد وأعمال الكفار. وأما المال الذي كان يحمله صاحب انطاكية قبلي فهو كان كافراً وكان يحمل جزية رأسه وأصحابه، وأنا بحمد الله مؤمن لا أحمل شيئاً (١).

الكامل لابن الأثير جـ ١٠، ١٣٩ - ١٤٠

٢٩١ - رسالة طغرلبك السلجوقي إلى مسعود الغزنوي .

أغار السلاجقة على أملاك مسعود الغزنوي فحاربهم فكسروه وهزم، فأرسل إلى طغرلبك رسالة يتهدده فأجابه :

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير.

الكامل لابن الأثير جـ ٩ - ٤٧٨

---

(١) أورد ابن الأثير نفسه في الباهر ص ٦ نصاً مختصراً لهذه الرسالة وكذلك فعل ابن خلدون في العبر جـ ٤ - ٥٧٦ .

٢٩٢ ـ رسالة ألب أرسلان إلى محمود بن نصر بن صالح المرداسي حاكم حلب .

كان محمود هذا يخطب في بلاده للعلويين . فلما علم ان الب أرسلان قاصده قرر مصانعته فقطع الخطبة العلوية وخطب للعباسيين ، وأرسل له الخليفة تقليداً فلبسه ، ولكن السلطان أصر على وجوب حضوره بنفسه ليطأ بساطه على الرغم من رفض محمود فعـــل ذلك وأرسل السلطان يقول له :

أي شيء تساوي خطبته للخليفة ولبس تشريفه مع ماسبق من شقه العصا وخروجه عن الطاعة ؟

زبدة الحلب لابن العديم جـ ٢ ـ ٢٠

٢٩٣ ـ رسالة نظام الملك إلى أبي إسحاق الشيرازي عن الفتنة التي وقعت بين الحنابلة والأشاعرة .

وقعت فتنة بين الأشاعرة والحنابلة وترددت الرسائل بين نظام الملك وعدد من العلماء عن ذلك الموضوع . وفيما يلي نص رسالة وجهها نظام الملك إلى أبي إسحاق الشيرازي جواباً لرسالته له عن نفس الموضوع :

ورد كتابك بشرح أطلت فيـــه الخطاب ، وليس توجب سياسة السلطان وقضية المعدلة إلى أن نميل في المذاهب إلى جهة دون جهة ، ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن ، ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة[1] إلا لصيانة أهل العلم والمصلحة لا للإختـــلاف وتفريق الكلمة . ومتى جرت الأمور على خلاف ما أردناه من هذه الأسباب فليس إلا التقدم

---

(١) المقصود هنا المدرسة النظامية التي أسسها نظام الملك في بغداد كما أسس غيرها في عدد من بلدان الخلافة الشرقية .

بسد الباب ، وليس في المكنة الإبيان على بغداد ونواحيها ونقلهم عن ماجرت عليه عاداتهم فيها ، فإن الغالب هناك هو مـذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمـة الله عليه ، ومحله معروف بين الأئمة ، وقدره معلوم في السنة ، وكان ما انتهى إلينا أن السبب في تجديد ماتجدد مسألة سئل عنهـا أبو نصر القشيري في الأصول فأجاب عنها بخـلاف ماعرفوه من معتقداتهم ، والشيخ الإمام أبو إسحق ـ وفقه الله ـ رجل سليم الصدر سلس الإنقياد ويصغي إلى كل من ينقل إليه ، وعندنا من تصادر كتبه مايدل على ماوصفناه من سهو له يجتذبه ، والسلام .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ – ٣١٢

٢٩٤ – رسالة دبيس بن صدقة إلى الخليفة المسترشد .

نشب نزاع بين دبيس والسلطان السلجوقي محمود فانحدر دبيس إلى بغداد وأظهر الفساد وأرسل إلى الخليفة يقول :

إنك أرسلت تستدعي السلطان ، فإن أعدتموه وإلا فعلتُ وصنعتُ .

٢٩٥ – جواب الخليفة على الرسالة السابقة :

إن عود السلطان ، وقد سار عن همذان ، غـير ممكن ، ولكنا نصلح حالك معه .

الكامل لابن الأثير جـ ١٠ – ٥٦٥

٢٩٦ – مرسوم أصدره السلطان محمد السلجوقي بإطلاق يد طغتكين في بلاد الشام سنة ٥١٠ هـ .

انتصر طغتكين في عدة معارك على الصليبيين وسيطر على دمشق ، وفي أواخر سنة ٥٠٩ هـ زار السلطان السلجوقي في بغداد وهناك أعطاه

تقليداً مطلقاً للشام من إنشاء الحسين بن علي بن أبي إسماعيل الطغرائي.

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا منشور أمر بإنشائه السلطان العظيم غياث الدنيا والدين ـ أطال الله بقاءه وأعز أولياءه ونصر لواءه ـ للأمير الأصفهسلار الأجل الكبير ظهير الدين أتابك ـ أدام الله تأييده ـ لمـّا بان تمكسه من الطاعـــة بأحكم علائقها واعتصامه من الخدمة بأوكد وثائقهـــا ، وانتهاجه من المشايعة أقوم مسالكها ، واعتماده أفضل طرائقها ؛ وأجلت التجارب منه عين الناصح الأريب والمهـــذب اللبيب المتدرج في مراقي الرتب السنية بالمساعي الرضية ، والمحرز أحاظي القرب الخطيرة بالآثار الشهيرة المشهورة مواقفـه في قود الجمـــاهير العظام والذب عن حوزة الإسلام ، والتجرد لمظافرة الأولياء ومقارعة الأعـــداء ، والإستقلال بمعضلات الأعباء ، الجامع إلى خصائص هـذه الأسباب والإلمام بخـدمة الأبواب ، والتحقق بزمر الحشم والأصحاب ، المستقل بنصحه المنخول بولائه المقبول ، ووسائله المشفوعة توالدها بالطوارف ، وشوافعه المنصورة سوالفها بالأوانف ، أن يزاد في الإناقة بقـــدره والإشادة بذكره ، ويستخلص تحلية صدره بتفخيم أمره وتجدد الصنيعة عنده بما يكون لواجب حقوقه قضاءً ولمصالح مساعيه كفاءً ولمحله المرموق لائقـــاً ، ولموضعه من الدولة مضاهياً مطابقاً ؛ فرأيناه أحق من أفيضت عليـــه ملابس الإنعام ، وحُبيَ من الكرامة بأوفر الأقسام ورفع من مراتب الإجتباء والإختصاص إلى الذروة والسنام ، ورشح لكفاية المهام وتدبير الأمور الجسام ، وأوطىء عقبة الكماة والأنجـــاد ، وورد إلى أيالته الأمصار والأجناد ، رسمنا أن نجدد له هذا المنشور بإمارة الشام ونقرر عليه مادلت عليـه المناشير المنشأة المتضمنة لأسامي البلاد الموجبـة له صارّة رسمه مع مايجري معها ويضاف إليها من النواحي والضياع والحصون

والقلاع حسب ما أورد ذكره مفصلاً في هذا المثال ، وجعلناها نعمة مصونة من الإرتجاع وطعمة محمية من الانتزاع ، قلدناه في عامة تلك البقاع أعمال الحرب والمعاون والأحداث والأخرجة والأعشار وسائر وجوه الجبايات. والعروض والإعطاء والنفقة في الأولياء والمظالم والأحكام وسائر المستظهر عليه بنظر الولاة الكفاة والنصحاء والثقاة رعاية لحقوقه اللازمة ومحافظة على ذمته المتقادمة ، وثقة منه باستدامة النعمة وارتباطها بالتوفر على شرائط الخدمة واستدعاء مزيد الإحسان واستيفاء عوائد الاصطناع بدوام النصح وفضل الاستقلال والاضطلاع . والله تعالى يجرينا على أحسن عوائده بإصابة شاكلة الصواب في اختيار الأولياء ، ويلهمنا المرشد في مرامي الأفكار ومواقع الآراء ، ولا يخلينا في اصطفاء من نصطفيه واجتباء من نجتبيه من مساوقة التوفيق لما نرتاده ونرتئيه .

أمرناه بتقوى الله وطاعته واستشعار خيفته ومراقبته ، والإلتجاء منها إلى الحصن الأمنع والظل الأمتع والاستظهار منها بالذخر الأتقى والحرز الأوقى ، والإحتراس من هواجس الهواء باعتلاق عروتها الوثقى وإدراع شعارها الأتقى . قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم (١) .

وأمرناه أن يسير فيمن قبله من الأولياء والحشم أجمل سيرة ويحملهم بحسن السياسة على أفضل وتيرة ويسلكهم مسلكاً وسطاً بين اللين والخشونة والسهول والوعورة . ويشعر قلوبهم من الهيبة مايقبض المتبسط ويردع المتسلط ويرد غرب الجامح ويقيم صعر الجانح ، ويخص منهم ذوي

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٢٩ .

الرأي والحنكة والثبات والمسكة بالمشاورة والمباحثة ، ويستخلص نخائل صدورهم عند طروق الحوادث بالمفاوضة والمنافثة ، ويستمين بثمار ألبابهم ونتائج أفكارهم على دفاع الملم وكفاية المهم . ويتناول سفهاءهم وذوي العيث والفساد منهم بالتقويم والتهذيب والتعريك والتأديب ، ويردهم عن غلوائهم بالقول ما كفى وأحرز النصح ما أجدى وأغنى ، ومن زاده الأناة والحلم والاحتمال والكظم تمادياً في العدوان وتتابعاً في الطغيان عركه عرك الأديم وتجاوز به حد التقويم إلى التحطيم متيقناً أن إعطاء كل طبقة ممن تشمله رعايته وتكنفه أيالته حقها من قوانين السياسة إرهاقاً لبصيرة القارح التمسك ، وكفاً لغرب الحرج المتهالك ، قال الله تعالى : وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين (١) .

وأمرناه أن يوكل بأمر الثغور المتاخمة لأعماله والمصاقبة لبلاده عيناً كالئة وأذناً واعية وهمة للصغير والكبير في مصالحها مراعية ، فيشحنها بذوي البأس والنجدة المذكورين بالبسالة والشدة ، المعروفين بالصريمة والغناء والصبر عند اللقاء والبصيرة بمكابدة الأعداء ، ويستظهر لهم باستجادة الأسلحة والآلات والاستكثار من المير والأقوات ، ويناوب بينهم في مقارهم مناوبة تجم المكدود وتريح المجهود ، وتدر عليهم الأرزاق عند الوجوب والإستحقاق ليقوم أودهم ويقل لددهم ويحسن طاعتهم وتلين مقادتهم ، ويكثف عددهم وعدتهم ويشتد على الأعداء شوكتهم ويغيظ الكفار وَرَبَّهم وشانيهم . قال الله تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (٢) .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٥٨ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

وأمره أن يأخذ نفسه وأصحابه بالثبات والصبر عند قراع السيوف بالسيوف وذلوق الزحوف بالحروف . ويرخصوا أنفسهم في ابتغاء مرضاه والذب عن حوزة الدين والمحاماة عن بيضة الإسلام والمسلمين . ويحتاط مع ذلك لنفسه وأصحابه ولا يقـــدم بهم على غرر ولا يفسح لهم في ركوب خطر إلا بعد الأخذ بالحزم واستعمال الرفق في الحذر ، ويكون إقدامهم على بصيرة تامة لا تقتحم معهـــا غرة ولا تضاع فرصة ولا يحجمون إذا احمر الناس واشتد المراس عن تورد المعركة ، ولا يلقون بأنفسهم إذا حمي الوطيس والتقى الخميس بالخميس إلى التهلكة . قال الله جل وعلا : وجاهدوا في الله حق جهاده[1] .

وأمرناه أن يصل جناح ضمانه بالوفاء ، ويشد أركان عهده بالثبات ويصون ذمته مما يخفرها ويشفق عليها مما يحيلها ويغيرهـا ، ويذهب مع دواعي الصدق ويصبر على تكاليف الحـق ، ولا يروع لهم سرباً أمنه ولا ينقض شرطاً ضمنه ، ولا ينكث عهداً أبرمـه ، ولا يخلف وعداً أقدمه ، ولا يتجاوز عمن يلوذ بمقوته ولا يأبى قبول السلم ممن اتقى بصفحته . قال الله تعالى : وأوفوا بالعهـد إن العهـــد كان مسؤولاً [2] . وقال جل من قائل : وإن جنحوا للسلم فاجنح لها [3].

وأمرناه أن يعم رعاياه القاره والماره بالأمن العائد عليهم بسكون الجأش وسعة المعاش ، ويحوطهم في متوجهاتهم ومتصرفاتهم حياطـــة تكنفهم من جميع جهاتهم ، ويحمي نفوسهم وذراريهم وأموالهم ومعائشهم حماية ترد كيد الظالم وتقبض يد الغارم وتخرج ذوي الريب من مظانهم

(١) سورة الحج ، الآية ٧٨ .

(٢) سورة الاسراء : الآية ٣٤ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٦١ .

وتحول بينهم وبين عدوانهم وتجري حكم الله فيهم . وتقيم حده على من سفك فيهم دماء وانتهك محرماً أو أظهر شقاقاً وعنـــاداً أو سعى في الأرض فساداً . قال الله تعالى : إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم[1] .

وأمرناه أن ينظر في أموال الرعايا أتم نظر وأوفاه ، ويسأل عن ظلاماتهم أبلغ سؤال وأحفاه ، ويستن بالسنة العادلة فيهم ويمنع أقوياءهم من تهضم مستضعفيهم ، ويحمل من تحت يـده على التعادل والتناصف ويصدهم عن التعاصب والتظالم . ويقر الحقوق مقارها عند وضوح الحجة وارتفاع الشبهة ، ويختار لهم من العمال والولاة أسدهم طرائق وأقومهم مذاهب وأحمدهم خلائق ، ويأمر كلا منهم أن لا يغير عليهم رسماً ، ولا ينوي لهم حقاً ولا يسومهم في معاملاتهم خسفـاً ولا يحدث عليهم من بدع الجور رسماً ولا يرتكب منهم ظلماً ولا يأخذ منهم برّاً بأثيم ، ولا برءاً بسقيم ، ويقنع منهم في إخراجاتهم ومقاسماتهم وقسوطهم ومقاطعاتهم بالحقوق المستمرة ، ويحملهم في العدل على الفوائد المستقرة ، ويستقرىء آثار الولاة قبله ، فما طاب منها وحسن اقتفاؤه اقتفره ، وما ذم منها واستكره اماطه ، وغيره ، ويعتقد أنه مسؤول عما اكتسب واجترح ومحاسب على ما أفسد وأصلح . قال الله تعالى : وإن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى[2] .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣٦ .

(٢) سورة النجم : الآيات ٣٩-٤٠ .

فليتلق هذه النعمة الكبيرة والعارفة الخطيرة بإعظام قدرها والقيام بواجب شكرها وليتحقق أنها قاطنة بفنائه ما أحسن جوارها بخالصة نصحه وولائه ، وباقية عليه وعلى عقبه ماعملوا بأحكام هذا العهد وعنوا بتأكيد أسبابه وأعلنوا بشعار الدولة واستمروا على السنة المـألوفة في إقامة الخطبة والسكة وتمسكوا بولاء الدولة العباسية التي هي سنة متبعة وما عداها ضلالة مبتدعة ، وجاهدوا في الله حق جهاده وأحسنوا السيرة في عباده وبلاده . والله تعالى يمدنا وإياه في هذا الرأي الذي رأيناه . ويزلف من رضاه ما يحمد فاتحته وعقباه إن شاء الله تعالى . وكتب في المحرم سنة ٥١٠ هـ .

ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ١٩٣ـ١٩٧

ـ الغزنويون ـ

٢٩٧ ـ استولى محمود الغزنوي على خراسان سنة ٣٨٩هـ وأقام الدعوة للخليفة العباسي القادر وأرسل يعلمه بذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فالحمد لله العلي مكانه الرفيع سلطانه الواحد الأحد الفرد الصمد العزيز القهار القوي الجبار الذي تكفل بإعلاء الحق ورفعه ، وإخزاء الباطل وقمعه ، الحائق بشيع البغي والعدوان مكره ، اللاحق بفرق الطغيان قهره وقسره ، الحاكم لأوليائه بالعلو والاقتدار ، الحاتم على أعدائه بالثبور والتبار ، المتفرد بجلاله أن يمانع ، المتعالي بكبريائه أن يدافع ، يمهل المغتر بأناته استدراجاً ولا يهمل ، ويملي المخدوع بحلمه احتجاجاً ولا يغفل ، بيده الخلق والأمر ومن عنده الفتح والنصر فتبارك الله رب العالمين رب السموات والأرضين. والحمد لله الذي اصطفى محمداً عليه السلام واختار له دين الاسلام وفضله على من تقدمه من الرسل وأنار به مناهج الآيات والسبل وأرسله إلى الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فهدى إلى القرآن والتوحيد ودل على الأمر الرشيد ، وأهاب بالبرية إلى مستقيم الدين وأناف بهم على العلم اليقين ، فصلوات الله عليه أتم صلاة نماءً وأكملها بهاءً ، صلاة ترتقي إليه جل جلاله في أعلى الدرجات وتحيي روحه في السموات وعلى آله أجمعين .

والحمد لله الذي أنشأ سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الإمام القادر بالله ـ أطال الله بقاءه ـ من ذلك النسخ الزكي والعرق النقي أحسن منشأ وبوأه من خلافته في أرضه أكرم مبوأ ، وجعل دولته عالية ،

والأقدار لإرادته مواتية ، فلا يخالف رايته عدو إلا حان حينه وسخنت عينه ، ولا يجيب دعوتـــه ولي إلا كان قدحه في القـــداح فائزاً ، وسعيه للنجاح حائزاً ، وبذلك جرت عادة الله وسنته ولن تجد لسنـة الله تحويلا ، وقد علم مولانا أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ حال الماضين من السامانية فيما كانوا فيه من نفاذ الأمر وجمال الذكر وانتظام الأحوال واتساق الأعمال بما كانوا يظهرونه من طاعة أمـير المؤمنين ومبايعتهم ، وينتحلونه من موالاتهم ومشايعتهم . ولمـــا مضى صالح سلفهم وبقي خلف خلفهم خلعوا ربقة الطاعة وشقوا ، مخالفة لمولانا أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ عصا الجماعة واخلوا منا بخراسان عن ذكره وإسمه ، وخالفوا في إفاضة القول وحسم عادية الجور والخبل عالي أمره ورسمه ، وعم البلاد والعباد فسادهم وبلاؤهم ، ونهك الرعايا ظلمهم واعتداؤهم . ولم استجز ، مع ما جمع الله لي في طاعـة مولانا أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه – من عدة وعدة وشكة وشوكة وقوة وأقران وإمكان وكثرة أنصار وأعوان إلا ادعوهم إلى حسن الطاعة ، ولا أبذل في إقامة الدعوة لمولانا أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ تمام الوسع والإستطاعة . فدعوت منصور بن نوح إليها ، وبعثته بجدي واجتهادي عليها ، ولم يصغ إلى أعذار وتذكير ، ولم يلتفت إلى إنذار وتبصير ، ونهض من بخارا بخيله ورجله وحشده وحفله يجمع عليّ أهل الضلالة من أشياعه ، ويحشر من في البلاد من أتباعه ، فكان من شؤم رأيه وسوء أنحائه أن اصطلمه جنده فكحلوه وبايعوا أخاه عبد الملـك وملكوه . وجريت على عادتي مع هذا الأخير أوفد إليه مرة بعـــد أخرى ، وثانية عقب أولى من يدعوه إلى الرشاد ويبصره من التمسك بطاعة مولانا أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ سبل الرشاد ، فـلم

يرده ذلك إلا مازاد أخاه استعصاءً واستغواءً ، وتهوراً في الضلال واستشراءً . فلما أيست من فيئه إلى وضح الجدد ورجوعه إلى الأحسن والأعود ، ورأيته متتابعاً في عمايته ومتكسعاً في مهاوي غوايته نهضت إليه بمن معي من أولياء مولانا أمير المؤمنين ـ أدام الله علوه ـ وأنصار الدين في جيوش يشرق بها الفضاء ويشفق من وقعها القضاء تزحف في الحديد زحفاً ، وتخد الأرض جرفاً ونسفاً إلى أن وردت مرو يوم الثلاثاء لثلاث بقين من جمادي الأولى ، وهو البلد الميمون الذي به ابتدأ إشاعة الدولة العباسية وزالت البدعة الأموية ، على أحسن تعبية وأكمل عتاد وأجمل هيئة ، ووليت أمر الميمنة عبد مولانا أمير المؤمنين أخي نصر بن ناصر الدولة والدين في عشرة آلاف رجل وثلاثين فيلاً ، وجعلت في الميسرة من الموالي الناصرية إثني عشر ألف فارس وأربعين فيلاً ، ووقفت في القلب بقلب لا ينقلب ، وطاعة مولانا أمير المؤمنين شعاره عن أضداده، وعزم لاينتقض ، ودعوة أمير المؤمنين عتاده في إصداره وإيراده ومعي عشرون ألف فارس من سائف ورامح ودارع وقارس وسبعون فيلاً . وبرز عبد الملك بن نوح وعن يمينه ويساره بكتوزون أحد غواته وفائق رأس طغاته وعتاته ، وأبن سيجمور وغيرهم من مساعديه على ضلالته مستعدين للكفاح ، مستلئمين في شكك السلاح ، وتلاقت الصفوف بالصفوف واصطلت السيوف بالسيوف . وتوقدت الحرب واحتدت ، واضطرمت نيرانها واشتدت ، واختلط الضرب بالطعن وكبا القرن بالقرن ، ولم ير إلا تهاوي الصوارم على حجب الجماجم ، وأوداق النبال في أحداق الكماة والأبطال . وأهبَّ الله ريح الظفر لأوليائه وكشفوا مقانب الأعداء وحلوا فيهم الحتوف ، وأروا من دمائهم السيوف ، وانجلت المعركة عن ألفي قتيل من شجعانهم وأبطالهم وألفي وخمسمائة

أسير من مشهوري ذادة رجالهم وصناديدهم ، واقتفى الأولياء آثار الفل من عباديدهم يقتلون ويأسرون ويسلبون ويغنمون إلى أن ألقت الشمس يمينها وأبرزت ظلمة الليل جبينها وعاد الأولياء إلى معسكرهم في وفور من السلامة وتمام من النعمة ، وقد ملأوا أيديهم من الغنيمة والنفائس الجمة ثم ما نضب منهم أحد ولم ينتقص لهم حـد . وكتابي هذا وقد فتح الله تعالى لمولانا أمير المؤمنين بلاد خراسان قاطبة وجعل منابرها تذكر اسمه متباهية وكلمة الحق عالية ، والأهواء في موالاته متهادية .

وبعد فلم أجدد رسماً في حل وعقد وإبرام ونقض إلى أن يرد من عالي أمره ورسمه ما أبني الأمر ببنائه واحتذي إلى حذائه بإرادة الله سبحانه وتعالى . فالحمد لله العزيز المنان العظيم السلطان الذي لا يضيع لمحسن عملاً ولا يغفل عن مسيء وإن أرخى له أجلاً . ولا يعجزه متغلب بقوته وحوله ولا يمتنع ممتنع عن سطوته وصوله . ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين راد ، ولا يصد نقمته عن الظالمين صاد ، حمداً يمتري المزيد من إحسانه ويقتضي الصنع الجديد من امتنانه ، وإياه أسأل أن يهنيء مولانا أمير المؤمنين الإمام القادر بالله خير هذا الفتح الجليـــل خطره ، الواضح على وجه الزمان غرره ، وأن يواصل له الفتوح قرباً وبعداً وغوراً ونجداً وبراً وبحراً وسهلاً ووعراً ، وأن يوفقني للقيـــام بشرائط خدمته ، والمناضلة عن بيضته إنه على ما يشاء قدير وبـه جدير . فإن رأى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ أن ينعم بالوقوف عليه وتعريف عبده بين أمره ونهيه فعـل إن شاء الله تعالى .

تاريخ الصابي ص ٣٤١ ـ ٣٤٥

٢٩٨ – رسالة محمود الغزنوي إلى الخليفة القادر بالله يخبره بفتوحاته في الهند :

إن كتاب العبد صدر من مستقره بغزنة للنصف من المحرم سنة عشر . والدين في أيام سيدنا ومولانا الأمير القادر بالله أمير المؤمنين مخصوص بمزيد الإظهار . والشرك مقهور بجميع الأتراك والأقطار وانتدب العبد لتنفيذ أوامره العالية وتمهيد مراسمه السامية ، وتابع الوقائع على كفار السند والهند ، فرتب بنواحي غزنة العبد محمداً مع خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل ، وانهض العبد مسعوداً مع عشرة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل ، وشحن بلخ وطخرستان بأرسلان حاجب مع إثني عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل ، وضبط ولاية خوارزم بألتونتاش الحاجب مع عشرين ألف فارس وعشرين ألف راجل ، وانتخب ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف راجل لصحبة راية الإسلام وانضم إليه جماهير المطوعة ، وخرج العبد من غزنة يوم السبت الثالث عشر من جمادى الأولى سنة تسع بقلب منشرح لطلب الشهادة ونفس مشتاقة إلى درك الشهادة ، ففتح قلاعاً وحصوناً وأسلم زهاء عشرين ألفاً من عباد الوثن وسلموا قدر ألف ألف درهم من الورق ، ووقع الاحتواء على ثلاثين فيلة . وبلغ عدد الهالكين منهم خمسين ألفاً . ووافى العبد مدينة لهم عاين فيها زهاء ألف قصر مشيد وألف بيت للأصنام ، ومبلغ ما في الصنم ثمانية وتسعون ألف مثقال وثلثمائة مثقال ، وقلع من الأصنام الفضية زيادة على ألف صنم ، ولهم صنم معظم يؤرخون مدته لعظم جهالتهم بثلثمائة ألف عام وقد بنوا حول تلك الأصنام زهاء عشرة آلاف بيت للأصنام المنصوبة

واعتنى العبد بتخريب هذه المدينة اعتناءاً تاماً وعمها المجاهدون بالإحراق فلم يبق منها إلا الرسوم ، وحين وجد الفراغ لاستيفاء الغنائم حصل منها عشرون ألف ألف درهم ، وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثة وخمسين ألفاً واستعرض ثلثمائة وستة وخمسين فيلاً (١) .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٧ ، ٢٩٢ - ٢٦٣

٢٩٩ - رسالة السلطان محمود الغزنوي إلى الخليفة القادر بفتح قلعة كبرى في الهند سنة ٤١٤ هـ :

أتيت قلعة ليس لها في الدنيا نظير ، وما الظن بقلعة تسع خمسمائة ألف إنسان وخمسائة فيل وعشرين ألف دابة ، ويقوم لهذا العدد بما يكفيه من علوفة وطعام ، وأعان الله حتى طلبوا الأمان فأمنت ملكهم وأقررته على ولايته بخراج قرر عليه ، وأنفذ هدايا كثيرة وفيلة . ومن الطرف الغريبة طائر على هيئة القمري ومن خاصته أنه إذا حضر على الخوان ، وكان في شيء مما قدم سم دمعت عينه وخرج منها ماء تحجر وحك فطلي بما يحك منه الجراحات ذوات الأفواه الواسعة فيلحمها فتقبلت هديته ، وانقلب العبد بنعمة من الله وفضله .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ - ١٣

٣٠٠ - رسالة أخرى من السلطان محمود إلى الخليفة القادر عن فتوحاته في الهند وكسره الصنم المعروف باسم سومنات :

إن أصناف الخلق افتتنوا بهذا الصنم ، وربما اتفق برؤ عليل يقصده ،

---

(١) ذكر ابن العماد في شذرات الذهب حـ ٣ - ١٨٩ نصاً موجزاً كل الإيجاز للرسالة المذكورة أعلاه .

وكانوا يأتونه من كل فج عميق ويتقربون إليه بالأموال الكثيرة حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة في تلك البقاع ، وامتلأت خزانته بالأموال . ورتب له ألف رجل للمواظبة على خدمته ، وثلثمائة يحلقون حجيجه ، وثلثمائة وخمسون يرقصون ويغنون على باب الصنم ، وقد كان العبد يتمنى قلع هذا الوثن ، فكان يتعرف الأحوال فتوصف له المفاوز وقلة الماء واستيلاء الرمل على الطريق ، فاستخار العبد الله تعالى في الانتداب لهذا الواجب ، ومثل في فهمه أضعاف المسموع من المتاعب طلباً للثواب الجزيل . ونهض العبد في شعبان سنة ست عشر في ثلاثين ألف فارس اختارهم سوى المطوعة ، ففرق في المطوعة خمسين ألف دينار ليستعينوا على أخذ الأهبة ، ثم مضى في مفازة أصعب مما وصف ، وقضى الله الوصول إلى بلد الصنم وأعان حتى ملك البلد وقلع الوثن وأوقدت عليه النار حتى تقطع وقتل خمسون ألفاً من سكان البلد .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ ، ٢٩ – ٣٠

٣٠١ – رسالة أخرى من السلطان محمود إلى الخليفة سنة ٤٢٠ هـ حول استئصاله الباطنية في الري .

سلام على سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين ، فإن كتاب العبد صدر عن معسكره بظاهر الري عشرة جمادي الآخرة سنة عشرين . وقد أزال الله من هذه البقعة أيدي الظلمة وطهرها من دعوة الباطنية الكفرة والمبتدعة الفجرة ، وقد تناهت إلى الحضرة المقدسة حقيقة الحال فيما قصر العبد عليه سعيه واجتهاده ، من غزو أهل الكفر والضلال وقمع من نبغ ببلاد خراسان من الفئة الباطنية

الفجار ، وكانت مدينة الري مخصوصة بالتجائهم إليها وإعلانهم بالدعاء إلى كفرهم فيها يختلطون بالمعتزلة المبتدعة والغالية من الروافض المخالفة لكتاب الله والسنة يتجاهرون بشتم الصحابة ويرون اعتقاد الكفر ومذهب الإباحة . وكان زعيمهم رستم بن علي الديلمي ، فعطف العبد عنانه بالعساكر فطلع بجرجان وتوقف بها إلى انصراف الشتاء ، ثم دلف منها إلى دامغان ووجه علياً الحاجب في مقدمة العسكر إلى الري فبرز علي بن رستم من وجاره على حكم الإستسلام والإضطرار فقبض عليه وعلى أعيان الباطنية من قواده وطلعت الرايات إثر المقدمة بسواد الري غدوة الإثنين السادس عشر من جمادي الأولى وخرج الديالمة معترفين بذنوبهم شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم ، فرجع إلى الفقهاء في تعرف أحوالهم فاتفقوا على أنهم خارجون عن الطاعة داخلون في أهل الفساد ومستمرون على الفساد فيجب عليهم القتل والقطع والنفي على مراتب جناياتهم ، وإن لم يكونوا من أهل الإلحاد ، فكيف واعتقادهم في مذاهبهم لا يعدو ثلاثة أوجه تسود بها الوجوه في القيامة : التشيع والرفض والباطن . وذكر هؤلاء الفقهاء إن أكثر القوم لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يعرفون شرائط الإسلام ولا يميزون بين الحلال والحرام بل يتجاهرون بالقذف وشتم الصحابة ، ويعتقدون ذلك ديانة ، والأمثل منهم يتقلد مذهب الإعتزال . والباطنية منهم لا يؤمنون بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وإنهم يعدون جميع الملل مخاريق الحكماء ، ويعتقدون مذهب الإباحة في الأموال والفروج والدماء . وحكوا أن رستم بن علي كان يظهر التستر ويتميز بـه عن سلفه ، إلا أن في حبالته زيادة على خمسين إمرأة من الحرائر ولدن ثلاثة وثلاثين نفساً من الذكور والإناث . وحين رجع إليه في السؤال

عن هذه الحال وعرف أن من يستجيز مثل هذا الصنيع مجاوز كل حد في الإستحلال ، ذكر أن هذه العدة من النساء أزواجه وأن أولادهن أولاده ، وأن الرسم الجاري لسلفه في ارتباط الحرائر كان مستمراً على هذه الجملة وأنه لم يخالف عاداتهم في ارتكاب هذه الخطة ، وإن ناحية من سواد الري قد خصت بقوم من المزدكية يدعون الإسلام بإعلان الشهادة ثم يجاهرون بترك الصلاة والزكاة والصوم والغسل وأكل الميتة ، فقضى الانتصار لدين الله تعالى بتمييز الباطنية عنهم فصلبوا على شارع مدينة طال ما امتلكوها غصباً واقتسموا أموالها غصباً . وقد كانوا بذلوا أموالاً جمة يفتدون بها نفوسهم فعرفوا أن الغرض نهب نفوسهم دون العرض ، وحُوّل رستم بن علي وابنه وجماعة من الديالمة إلى خراسان وضم إليهم أعيان المعتزلة والغلاة من الروافض ليتخلص الناس من فتنتهم ، ثم نظر فيما اختزنه رستم بن علي فعثر من الجوهر مايقارب خمسمائة ألف دينار ، ومن النقد مائتين وستين ألف دينار ، ومن الذهبيات والفضيات على مابلغ قيمة ثلاثين ألف دينار ، ومن أصناف الثياب على خمسة آلاف وثلثمائة ثوب . وبلغت قيمة الدسوت من النسيج والخزوانيات عشرين ألف دينار ووقف أعيان على مائتي ألف دينار. وحول من الكتب خمسون حملاً ما خلا كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض فإنها أحرقت تحت جذوع المصلبين إذ كانت أصول البدع ، فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية وأعيان المعتزلة والروافض ، وانتصرت السنة . فطالع العبد بحقيقة مايسره الله تعالى لأنصار الدولة القاهرة .

المنتظم لابن الجوزي جـ ٨ ، ٣٨ - ٤٠

٣٠٢ – رسالة محمد بن محمود الغزنوي إلى ابن أخيه مودود بن مسعود يخبره فيه قتل أخيه [أي مسعود] ويعتذر عن ذلك .

ساءت أحوال مسعود الغزنوي وخلع عن العرش وولي الجيش أخاه محمداً مكانه وسعى أولاد محمد حتى قتلوا مسعوداً وغضب لذلك مودود ابن مسعود حاكم خراسان على الرغم أن عمه محمداً أرسل إليه يعتذر عن قتله أباه ويقول :

إن والدك قتل قصاصاً ، قتله أولاد أحمد نيالتكين بلا رضى مني .

٣٠٣ – جواب مودود لعمه محمد :

أطال الله بقاء الأمير العم ورزق ولده المعتوه أحمد عقلاً يعيش به ، فقد ركب أمراً عظيماً وأقدم على إراقة دم ملك مثل والدي الذي لقبه أمير المؤمنين سيد الملوك والسلاطين ، وستعلمون في أي حتف تورطتم وأي شر تأبطتم . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

نفلق هاماً من رجـال أعزة   علينا وهم كانوا أعق وأظلما (١)

الكامل لابن الأثير جـ ٩ ، ٤٨٦ – ٤٨٧

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية جـ ١٢-٤٨ هاتين الرسالتين بشكل أقل تفصيلاً .

- الخوارزميون -

٣٠٤ - رسالة سلطان سمرقند خان خانان إلى خوارزم شاه .

احتل الخطا بلاد تركستان وأبقوا حكمها تحت سلطتهم بيد سلطان سمرقند المسلم ، ولكنه ضجر من تحكمهم في المسلمين فأرسل إلى خوارزم شاه يقول :

إن الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفار وتخلصهم مما يجري عليهم في التحكم في الأموال والأبشار . ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل إليك ماتحمله إليهم ونذكر إسمك في الخطبة وعلى السكة .

فوافق على ذلك .

الكامل لابن الأثير جـ ١٢ - ٢٥٩

٣٠٥ - رسالة خوارزم شاه إلى سلطان سمرقند .

تحالف خوارزم شاه مع ملك سمرقند وبخارى ضد الخطا وكسرهم وعاد ملك سمرقند إلى مكانه ومعه ممثل خوارزم شاه ثم بعد سنة غدر السلطان بالخوارزميين وقتلهم فزحف إليه خوارزم شاه وحاصره وأرسل إليه يقول :

قد فعلت مالم يفعله مسلم واستحللت من دماء المسلمين مـا لا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر . وقد عفا الله عمـا سلف فاخرج من البلاد وامض حيث شئت .

الكامل لابن الأثير جـ ١٢ ، ٢٦٨ - ٢٦٩

٣٠٦ - رسالة ملك الخطا إلى خوارزم شاه لما هاجمه التتار .

أما ما كان منك من أخذ بلادنا وقتل رجالنا فعفو عنه . وقد أتى من هذا العدو ما لا قبل لنا به ، وإنهم إن انتصروا علينا وملكونا فلا دافع لهم عنك . والمصلحة أن تسير إلينا بعسكرك وتنصرنا على قتالهم ، ونحن نحلف لك أننا إذا ظفرنا بهم لا نتعرض إلى ما أخذت من البلاد ونقنع بما بين أيدينا (١) .

٣٠٧ - رسالة كشلي خان ملك التتر إلى خوارزم شاه يعرض عليه التحالف ضد الخطا .

إن هؤلاء الخطا أعداؤك وأعداء آبائك وأعداؤنا فساعدنا عليهم ونحلف أننا إذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك ونقنع بالمواضع التي ينزلونها .

٣٠٨ - جواب خوارزم شاه إلى كل واحد منهما نسخة واحدة.

إنني معك ومعاضدك على خصمك .

الكامل لابن الأثير جـ ١٢ - ٢٧٠

٣٠٩ - رسالة ملك التتر كشلي خان إلى خوارزم شاه .

هُزم الخطا ومنّ خوارزم شاه على ملك التتر أنه لولاه لما تمكن من القضاء على الخطا وهزم . وبعد فترة أرسل ملك التتر إلى خوارزم شاه يقول :

كما أننا اتفقنا على إبادتهم يجب أن نقتسم بلادهم

(١) أتى الذهبي في العبر ـ ٥ - ١٦ بنص مشابه إلى حد كبير لنصنا هذا وإن يكن أقل تفصيلا .

٣١٠ – جواب خوارزم شاه :

ليس لك عندي غير السيف ولستم بأقوى من الخطا شوكة ولا أعز ملكاً ، فإن قنعت بالمساكنة وإلا سرت إليك وفعلت بك شراً مما فعلت بهم .

٣١١ – رسالة ثانية من كشلي خان ملك التتر إلى خوارزم شاه .

أدرك خوارزم شاه أنه لا يقف للتتر فكان يحارب أطرافهم أو إذا رآهم منفردين ، فأرسل إليه ملك التتر يقول :

ليس هذا فعل الملوك ، هذا فعل اللصوص ، وإلا إن كنت سلطاناً كما تقول ، فيجب أن نلتقي ، فإما أن تهزمني وتملك البلاد التي بيدي ، وإما أن أفعل أنا بك ذلك .

الكامل لابن الأثير جـ ١٢ – ٢٧١

٣١٢ – رسالة خوارزم شاه إلى غياث الدين .

احتلت جيوش غياث الدين وأخيه شهاب الدين الغوريين بلاد خوارزم شاه في خراسان وغيرها ، فلما رحلت الجيوش عن البلد أرسل خوارزم شاه إلى غياث الدين يعاتبه ويقول :

كنت أعتقد أن تخاف عليّ بعد أبي ، وأن تنصرني على الخطا وتردهم عن بلادي ، فحيث لم تفعل فلا أقل من أن لا تؤذيني وتأخذ بلادي . والذي أريده أن تعيد ما أخذته مني إليّ ، وإلا استنصرت عليك بالخطا وغيرهم من الأتراك إن عجزت عن أخذ بلادي ؛ فإني إنما شغلني عن منعكم عنها الإشتغال بعزاء والدي وتقرير أمر بلادي ، وإلا فما أنا عاجز عنكم وعن أخذ بلادكم خراسان وغيرها .

الكامل لابن الأثير جـ ١٢ – ١٧٣

– المغول –

٣١٣ – رسالة جنكيز خان إلى خوارزم شاه .

أرسل جنكيز خان تجاراً إلى خراسان فقتلهم والي خوارزم شاه فيها فأرسل جنكيز خان إلى خوارزم شاه يستوضحه ويقول :

من المعهود من الملوك أن التجار لا يقتلون لأنهم عمارة الأقاليم وهم الذين يحملون إلى الملوك مافيه التحف والأشياء النفيسة . ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك فقتلهم نائبك ، فإن كان أمراً أمرت به طلبنا بدمائهم ، وإلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك .

ولكن خوارزم شاه قتل الرسول حامل الرسالة .

البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ – ١١٩

٣١٤ – رسالة جنكيز خان إلى خوارزم شاه لما بلغه ما فعل بالتجار والرسول .

تقتلون أصحابي وتجاري وتأخذون مالي منهم ، استعدوا للحرب فإني واصل إليكم بجمع لا قبل لكم به .

الكامل لابن الأثير ج ١٢ – ٣٦٣

٣١٥ – مفتتح رسالة ابن جنكيز خان التي كان يفتتح بها رسائله الموجهة إلى ملوك الإسلام يدعوهم للطاعة :

من نائب رب السماء ماسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب قان قان .

البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ – ١٥٦

٣١٦ – رسالة تاجـــر مجهول من الري الى أصحابه في الموصل سنة ٦٢٧ هـ يحدث عن أعمال المغول في الري وأذربيجان :

إن الكافر – لعنه الله – ما نقدر أن نصفه ولا نذكر جموعه حتى لا تنقطع قلوب المسلمين فإن الأمر عظيم . ولا تظنوا أن هذه الطائفة التي وصلت إلى نصيبين والخابور ، والطائفة الأخرى التي وصلت إلى أربل ودقوقا كان قصدهم النهب ، إنما أرادوا أن يعلموا هـل في البلاد من يردهم أم لا ؟ فلمـــا عادوا أخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانـع ومدافع ، وأن البلاد خالية من ملك وعساكر ، فقوى طمعهم وهم في الربيع يقصدونكم ومـــا يبقى عندكم مقام . إلا إن كان في بلاد الغرب ، فإن عزمهم على قصد البلاد جميعاً ، فانظروا لأنفسكم .

الكامل لابن الأثير جـ ١٢ – ٥٠٣

٣١٧ – كتاب بدر الدين لؤلؤ صاحب دمشق إلى اهـــل دمشق يفرض عليهم ضريبة إسمها ضريبة التتر :

إني قررت على أهل الشام قطيعة للتتر في كل سنة من الغني عشرة دراهم ومن المتوسط خمسة دراهم ومن الفقير درهم .

كتاب السلوك للمقريزي جـ ١ – ق ٢ – ٣١٥

٣١٨ – بيان اذاعة هولاكو سنة ٦٥٢ هـ إلى ملوك وحكام إيران طالباً منهم المساعدة ضد الملاحدة في القلاع المنيعة كألَموت وغيرها بناءاً على أمر القاآن قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة وإزعاج تلك الطائفة ، فـإذا أسرعتم وساهمتم في تلك الحملة بالجيوش والعدد والآلات فسوف تبقـى لـكم ولاياتـكم وجيوشكم ومساكنكم ، وستحمد لكم مواقفكم ، أما إذا تهاونـتم في امتثال الأوامر وأهملتم ، فإننا حـين

نفرغ بقوة الله من أمر الملاحدة ، فإننا لا نقبل عذركم ونتوجه إليكم فيجري على ولاياتكم ومساكنكم ما يكون قد جرى عليهم .

جامع التواريخ للهمذاني ج ٢ – ق ١ – ٢٤٠

٣١٩ – رسالة هولاكو إلى المستعصم آخر خلفاء بني العباس يعاتبه ويهدده ويطلب منه الخضوع سنة ٦٥٥ هـ :

لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة وطلبنا مدداً من الجند ، ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند . وكانت آية الطاعة والإتحاد أن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة فلم ترسل إلينا الجند والتمست العذر ، ومهما تكن أسرتك عريقة وبيتك ذا مجد تليد .

فإن لمان القمر قد يبلغ درجة

يخفى معها نور الشمس الساطعة

ولا بد أنه قد بلغ سمعك على لسان الخاص والعام ما حل بالعالم والعالمين على يد الجيش المغولي منذ عهد جنكيز خان إلى اليوم ، والذل الذي حاق بأسر الخوارزمية والسلجوقية وملوك الديالمة والأتابكة وغيرهم ممن كانوا ذوي عظمة وشوكة ، وذلك بحول الله القديم الدائم . ولم يكن باب بغداد مغلقاً في وجه أية طائفة من تلك الطوائف ، واتخذوا منها قاعدة ملك لهم ، فكيف يغلق في وجهنا رغم ما لنا من قدرة وسلطان ، ولقد نصحناك من قبل . والآن نقول لك : احذر الحقد والخصام ، ولا تضرب المخصف بقبضة يدك ، ولا تلطخ الشمس بالوحل فتتعب . ومع هذا فقد مضى ما مضى ، فإذا أطاع الخليفة فليهدم الحصون ويردم الخنادق ويسلم البلاد لابنه ويحضر لمقابلتنا ، أو إذا لم يرد الحضور فليرسل كلاً من الوزير وسليما نشاه والدواتدار

ليبلغوه رسالتنا دون زيادة أو نقص . فإذا استجاب لأمرنا فلن يكون من واجبنا أن نكن له الحقد ، وسنبقي له على دولته وجيشه ورعيته ، أما إذا لم يصغ إلى النصح وآثر الخلاف والجدال ، فليعبىء الجنــد وليعين ساحة القتال فإننا متأهبون لمحاربته وواقفون له على استعداد . وحينما أقود الجيش إلى بغداد مندفعاً بسورة الغضب ، فإنك لو كنت مختفياً في السماء أو في الأرض .

فسوف أنزلـك مـن الفلك الدوار

وسألقيك من عليائك إلى أسفل كالأسد

ولن أدع حياً في مملكتك

وسأجعل مدينتك وأقليمك وأراضيك طعمة للنار

فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسرتك فاستمع لنصحي بسمع العقل والذكاء . وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله .

جامع التواريخ للهمذاني ج ٢ ، ق ١ — ٢٦٨

٣٢٠ ـ رسالة الخليفة الجوابية حملها لهولاكو شفويا شرف الدين ابن الجوزي وبدر الدين محمود وزنكي النخجواني :

أيها الشاب الحدث : المتمني قصر العمر ، ومن ظـن نفسه محيطاً ومتغلباً على جميع العالم مغتراً بيومين من الإقبال ، متوهماً أن أمـره قضاء مبرم وأمر محكم ، لماذا تطلب مني شيئاً لم تجده .

كيف يمكن أن تتحكم في النجم وتقيده

بالـرأي والجيش والسـلاح

ألا ليعلم الأمير أنـه من الشرق إلى الغرب ، ومـن الملوك إلى الشحـاذين ومن الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمنون بالله ويعملون بالدين

كلهم عبيد هذا البلاط وجنود لي . إنـــني حينما أشير بجمع الشتات ، سأبدأ بحسم الأمور في إيران ثم أتوجه منها إلى بلاد توران ، وأضع كل شخص في موضعه ، وعندئذٍ سيصير وجـــه الأرض جميعه مملوءاً بالقلق والاضطراب ، غير أني لا أريـــد الحقد والخصام ، ولا أن اشتري ضرر الناس وايذاءهم ، كما أنـــني لا أبغي مـن وراء تردد الجيوش أن تلهج ألسنة الرعية بالمدح أو القدح ، خصوصاً وأنني مـع الخاقان وهولاكو خـان قلب واحد ولسان واحد . وإذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة فما شأنك بخنادق رعيتي وحصونهم ، فاسلك طريـق الود وعد إلى خراسان ، وإن كنت تريد الحرب والقتال .

فـــلا تتوان لحظة ولا تعتذر

إذا استقر رأيـــك على الحرب

إن لي ألوفاً مؤلفة من الفرسان والرجالة

وهـــم متأهبون للقتـــال

وإنهم ليثيرون الغبار من ماء البحر وقت الحرب والطعان

جامع التواريخ للهمذاني ج ٢ ، ق ١ ، ٢٦٩ — ٢٧٠

٣٢١ ـ رسالة جوابية من هولاكو إلى الخليفة وقد امتلأ غيظاً من الرسالة السابقة :

إن الله الأزلي رفـع جنكيز خان ومنحنا وجه الأرض كلـه مـن الشرق إلى الغرب ، فكل من سار معنا وأطاعنا واستقام قلبه ولسانه تبقى له أمواله ونساؤه وأبناؤه ، ومـــن يفكر في الخلاف والشقاق لا يستمتع بشيء من ذلك .

ثم عاتب الخليفة بشدة قائلا .

لقد فتنتك حب الجاه والمال والعجب والغرور بالدولة الفانية ، بحيث أنه لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير ، وإن في أذنيك وقراً فلا تسمع نصح المشفقين ، ولقد انحرفت عن طريق آبائك وأجدادك ، وإذن فعليك أن تكون مستعداً للحرب والقتال فإني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد ، ولو جرى سير الفلك على شاكلة أخرى فتلك هي مشيئة الله العظيم .

جامع التواريخ للهمذاني ج ٢ ، ق ١ – ٢٧١

٣٢٢ - رسالة ثانية إلى هولاكو من الخليفة أرسلها له على يد بدر الدين قاضي بنديبنجان :

لو غاب عن الملك ، فله أن يسأل المطلعين على الأحوال ، إذ أن كل ملك – حتى هذا العهد – قصد أسرة بني العباس ودار السلام بغداد ، كانت عاقبته وخيمة . ومهما قصدهم ذوو السطوة من الملوك وأصحاب الشوكة من السلاطين ، فإن بناء هذا البيت محكم للغاية ، وسيبقى إلى يوم القيامة .

وفي الأيام السالفة قصد يعقوب بن الليث الصفار الخليفة وتوجه بجيش لجب إلى بغداد فلم يبلغ مأربه إذ مات بعلة الزحار ، والأمر كذلك مع أخيه عمرو ، إذ قبض عليه إسماعيل بن أحمد الساماني وكبله وأرسله إلى بغداد ، لكي يجري عليه الخليفة ماحكم به القضاء ، وكذلك جاء البساسيري بجيش عظيم من مصر إلى بغداد وقبض على الخليفه وسجنه في الحديثة[1]

(١) هنا بعض الأخطاء يجب تصحيحها . فالبساسيري لم يأت بجيش قط من مصر وإنما اعتمادة على جيشه الخاص وحليفه قريش . وكذلك التجأ الخليفة القائم إلى مدينة الحديثة واستقر في إحدى قلاعها ولم يسجن وإنما لجأ إلى حماية أمير بدوي اسمه مهاوش بن مجلي .

وفي بغداد جعل الخطبة والسكة مدة عامين باسم المستنصر الذي كان خليفة الإسماعيلية في مصر . وفي النهاية علم طغرلبك بذلك فأسرع من خراسان وقصد البساسيري في جيش جرار وقبض عليه وقتله ، وأخرج الخليفة من السجن وأعاده إلى بغداد وأجلسه على عرش الخلافة . وكذلك قصد السلطان محمد السلجوقي بغداد فعاد منهزماً وهلك في الطريق . وجاء محمد خوارزمشاه بجيش عظيم قاصداً استئصال هذه الأسرة فابتلي في روابي أسد آباد بالثلج والعواصف بسبب غضب الله عليه وهلك أكثر جنده وعاد خائبا خاسراً ، ثم لاقى مالاقى من جدك جنكيز خان في جزيرة آبسكون . فليس من المصلحة أن يفكر الملك في قصدأسرة العباسيين ، فاحذر عين السوء من الزمان الغادر .

جامع التواريخ للهمذاني ج ٢ ، ق ١ ، ٢٧٥ – ٢٧٦

٣٢٣ – رسالة قائد طلائع الجيش المغولي الزاحف إلى بغداد سلطان جوق إلى قبجاق قراسنقر قائد طلائع جيش الخليفة وذلك لما زحف المغول إلى بغداد وتهيأ الطرفان للحرب الفعلية :

إنني وإياك من جنس واحد [ذلك أن الاثنين كانا من أصل خوارزمي] ، وبعد البحث والتدقيق التحقت بخدمة هولاكو بسبب الفقر والاضطرار ودخلت في طاعته . وهو الآن يعاملني معاملة طيبة فأنقذ أنت أيضاً حياتك وترفق بها وأشفق على أولادك وقدم الطاعة حتى تأمن على دارك وأولادك ومالك وروحك من هؤلاء القوم .

٣٢٤ ـ جواب قراسنقر على رسالة سلطانجوق السابقة :

من يكون هؤلاء المغول حتى يقصدوا أسرة العباسيين ؟ لقد شاهدت هذه الأسرة الكثير من أمثال دولة جنكيز خان التي تترنح من كل ريح عاصف . ثم أن العباسيين قد استمروا حكاماً أكثر من خمسمائة سنة ، وكل مخلوق قصدهم بسوء قضى عليه الزمان ، وإذن فليس من العقل والكياسة أن تدعوني لأنضم إلى جانب الغصن الغض لدولة جنكيز خان . وكان الأولى بالود والمسالمة ألا يتجاوز هولاكوخان الري بعد فراغه من فتح قلاع الملاحدة وأن يعود إلى خراسان وتركستان ، لأن قلب الخليفة متأثر وساخط بسبب زحف هولاكو بجيوشه ، فإذا كان هولاكو نادماً حقاً على فعلته فعليه أن يعيد الجيش إلى همدان ، لكي نجعل الدواتدار شفيعاً ، فيتضرع بدوره إلى الخليفة عله يزول ألمه ويقبل الصلح فيغلق بذلك باب القتال والجدال .

جامع التواريخ للهمذاني جـ ٢ ، ق ١ ، ٢٨٣ — ٢٨٤

٣٢٥ ـ رسالة هولاكو للخليفة مباشرة قبل الهجوم :

إذا كان الخليفة قد أطاع فليخرج ، وإلا فليتأهب للقتال ، وليحضر إلينا قبل كل شيء الوزير وسليما نشاه والدواتدار ليسمعوا ما نقول :

جامع التواريخ للهمذاني جـ ٢ ، ق ١ — ٢٨٤

٣٢٦ ـ رسالة الخليفة النهائية لهولاكو وذلك بعد أن أيقن بالبوار بعد أن هزم جيشه وبدأت بغداد بالسقوط فأرسل الخليفة هذه الرسالة مع الوزير والجاثليق إلى هولاكو يقول :

إن الملك قد أمر أن أبعث إليه بالوزير ، وها أنذا قد لبيت طلبه ، فينبغي أن يكون الملك عند كلمته .

٣٢٧ - جواب هولاكو :

إن هذا الشرط قد طلبته وأنا على باب همدان ، أما الآن فنحن على باب بغداد وقد ثار بحر الاضطراب والفتنة ، فكيف أقنع بواحد؟ ينبغي أن ترسل هؤلاء الثلاثة .

والمقصود بالثلاثة الدواتدار وسليمانشاه والوزير

جامع التواريخ للهمداني ج ٢ ، ق ١ - ٢٨٧



فهرس الوثائق[1]

(١) يشير الرقم الموضوع أمام الوثيقة إلى رقمها لا إلى رقم الصفحة .

١٧ ـ رسالة ثانية من المهتدي لأنصاره والعامة عن نفس الموضوع
١٨ ـ « موسى بن بغا للعامة وأنصار المهتدي
١٩ ـ رقاع مجهولة تتضمن الدعاء بالنصر للمهتدي
٢٠ ـ خطاب المهتدي بالأتراك لما شغبوا ضده
٢١ ـ نص الدعاء الذي كان يدعى به للموفق أخي المعتمد بعد أخيه
٢٢ ـ نص خطاب المعتضد للنيل من معاوية
٢٣ ـ منشور أصدره ابن مقلة وزير المقتدر باسمه بهزيمة جماعة من الجند ضده
٢٤ ـ رسالة المقتدر إلى مؤنس والجيش لما ثاروا ضده
٢٥ ـ رسالة ابن مقلة إلى القاهر للتمويه عليه
٢٦ ـ دعاء الراضي لما خرج وصلى بالناس
٢٧ ـ رسالة الراضي إلى أخيه الأصغر أبي إسحاق
٢٨ ـ عهد المطيع بالتنازل عن الخلافة لولده الطائع
٢٩ ـ رسالة القادر إلى بهاء الدولة لما أصبح خليفة
٣٠ ـ « القادر الى الآفاق بتعيين ولده ولياً للعهد
٣١ ـ نص الدعاء الذي تقرر أن يدعو به الخطباء لولي عهد القادر بعد أبيه
٣٢ ـ رسالة جلال الدولة الى القادر لما سمى ولده ولياً للعهد
٣٣ ـ « الجند الأتراك الى القائم بأمر الله يطلبون تسليمهم شخصاً قتل أحد زملائهم
٣٤ ـ جواب الخليفة القائم على الطلب السابق
٣٥ ـ نص قسم القائم بالوفاء لجلال الدولة
٣٦ ـ رسالة القائم الى الجند الأتراك الذين ثاروا بوزير السلطان البويهي
٣٧ ـ وصية القائم قبل موته
٣٨ ـ نص يمين الولاء التي أقسمها الراشد للسلطان مسعود
٣٩ ـ رسالة المستنجد الى وزيره يخبره بوفاة والده المقتفي وصيرورته خليفة

٨٧ ـ خطاب أحمد بن القاسم ممثل زكرويه في القرامطة
٨٨ ـ صورة كتاب أرسله إلى القرمطي أحد أتباعه
٨٩ ـ رسالة قائد المكتفي محمد بن سليمان الى الوزير بالنصر على القرامطة
٩٠ ـ « « « القاسم بن سيما بالتغلب على القرامطة
٩١ ـ « أبي سعيد الجنابي الشفوية الى المعتضد
٩٢ ـ « جوابية للوزير علي بن عيسى من أولاد أبي سعيد الجنابي
٩٣ ـ « مؤنس الخادم الى المقتدر
٩٤ ـ « « « الى أبي طاهر زعيم القرامطة
٩٥ ـ « معز الدولة البويهي الشفوية الى قرامطة هجر
٩٦ ـ « أبي تغلب بن ناصر الدولة الحمداني الى زعيم القرامطة
٩٧ ـ « أخي أبي طاهر القرمطي الى المطيع لما أعاد الحجر الأسود
٩٨ ـ « محمد بن عبد الله بن طاهر الى عماله بتعيين أخيه خلفاً عنه
٩٩ ـ منشور الراضي ضد الحنابلة
١٠٠ ـ رسالة المقتدر إلى مؤنس الخادم يرد بها على التهم
١٠١ ـ « الوزير حامد الى المقتدر من أجل الحلاج
١٠٢ ـ « المقتدر الى الوزير حامد بإعدام الحلاج
١٠٣ ـ « الوزير ابن الفرات الى والي مصر
١٠٤ ـ « من صاحب بريد الدينور الى المقتدر
١٠٥ ـ تقليد أصدره أحـــد الخلفاء (لعله الطائع ؟) لأبي طريف العقيلي بحماية الكوفة
١٠٦ ـ كتاب صمصام الدولة لمحمد بن عبد الله بن شهرام بإقطاعه إقطاعاً
١٠٧ ـ رسالة الغزالي إلى مؤيد الملك بن نظام الملك يعتذر عن العودة للتدريس
١٠٨ ـ « بأمر الناصر الى مقطع البصرة طغرل
١٠٩ ـ تقليد الناصر محمد بن فضلان تدريس نظامية بغداد

٣١٢ ـ رسالة خوارزمشاه الى غياث الدين الغوري
٣١٣ ـ » جنكيز خان الى خوارزمشاه
٣١٤ ـ » » » ثانية الى خوارزمشاه
٣١٥ ـ مفتتح رسائل جنكيز خان
٣١٦ ـ رسالة تاجر مجهول من الري الى أصحابه في الموصل حول المغول وحركتهم
٣١٧ ـ كتاب بدر الدين لؤلؤ الى أهل دمشق يفرض عليهم ضريبة اسمها ضريبة التتر
٣١٨ ـ بيان هولاكو الى حكام إيران يطلب مساعدته في القضاء على قلاع الملاحدة
٣١٩ ـ رسالة هولاكو الى المستعصم
٣٢٠ ـ جواب الخليفة لهولاكو
٣٢١ ـ جواب هولاكو للخليفة
٣٢٢ ـ رسالة ثانية إلى هولاكو من الخليفة
٣٢٣ ـ » قائد جيش المغول الى قائد جيش الخليفة
٣٣٤ ـ جواب قائد جيش الخليفة عن الرسالة السابقة
٣٢٥ ـ رسالة هولاكو للخليفة مباشرة قبل الهجوم
٣٢٦ ـ جواب الخليفة
٣٢٧ ـ جواب هولاكو النهائي .

لائحة المصادر

١ ـ ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي . **التاريخ الباهر للدولة الأتابكية**. تحقيق عبد القادر أحمد طليمات. القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٣م.

٢ ـ ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي . **الكامل في التاريخ** . القاهرة ، دار الطباعة المنيرية ، ١٣٥٦ هـ . ١٢ ج .

٣ ـ ابن تغري بردي . **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة** . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩ م . ١٢ ج .

٤ ـ ابن الجوزي ، علي بن عبد الرحمن . **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** . حيدر آباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٩ هـ .

٥ ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن . **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر** ... القاهرة ، بولاق ، ١٢٨٤ هـ .

٦ ـ ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد . **وفيات الأعيان** ... تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ م . ٦ ج .

٧ ـ ابن الساعي الخازن ، أبو طالب علي بن انجب . **الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير** . تحقيق مصطفى جواد . بغداد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ، ١٩٣٤ م .

٨ ـ ابن العبري ، أبو الفرج غريغوريوس . **تاريخ مختصر الدول** . تحقيق أنطون صالحاني . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٠ م .

٩ ـ ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد . **زبدة الحلب من تاريخ حلب** .

تحقيق سامي الدهان . دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربيـــة ، ١٩٥١ – ١٩٦٨ م . ٣ ج

١٠ ـ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي . **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** . القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٣٥١ هـ . ٨ ج

١١ ـ ابن الفرات ، ناصر الدين محمد . **تاريخ ابن الفرات** . بيروت ، المطبعة الأميركية ، ١٩٤٢ م .

١٢ ـ ابن الفرات ، ناصر الدين محمد . **تاريخ ابن الفرات** . تحقيق الشماع . البصرة .

١٣ ـ ابن قاضي شهبة ، بدر الدين . **الكواكب الدرية في السيرة النورية** . تحقيق محمود زايد . بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧١ م .

١٤ ـ ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة . **ذيل تاريخ دمشق** . تحقيـــق امدروز . بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨ م . أعادت طبعه بالأفست مكتبة المثنى ببغداد .

١٥ ـ ابن كثير ، اسماعيل . **البداية والنهاية في التاريخ** . القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٣٢ م . ١٤ ج

١٦ ـ ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد . **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** . تحقيق امدروز . ١٩١٦ م .

١٧ ـ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم . **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** . تحقيق جمال الدين الشيال . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي . ٤ ج

١٨ ـ أبو شجاع ، محمد بن الحسين الروذراوري . **ذيل تجارب الأمم** . تحقيق امدروز . القاهرة ، شركة التمدن الصناعية ، ١٩١٦ م .

١٩ ـ أبو الفداء ، عمـــاد الدين اسماعيل . **المختصر في أخبار البشر** . القسطنطينية ، ١٢٨٦ هـ .

٢٠ ـ البدوي ، عبد الرحمن . **مؤلفات الغزالي** . القاهرة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ١٩٦١ م .

٢١ ـ البلوي ، أبو محمد عبد الله بن محمد . **سيرة أحمد بن طولون** . تحقيق محمد كرد علي . دمشق ، المكتبة العربية ، ١٣٥٨ هـ .

٢٢ ـ توفيق ، عمر كمال . **مقدمات العدوان الصليبي** ... القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٧ م .

٢٣ ـ الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد . **تاريخ بغداد أو مدينة السلام** . القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٣١ م . ١٢ ج .

٢٤ ـ الذهبي ، محمد بن أحمد . **العبر في خبر من عبر** . تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد . الكويت ، دائرة المطبوعات والنشر ، ١٩٦٠ م .

٢٥ ـ الذهبي ، محمد بن أحمد . **كتاب دول الاسلام** ... حيدر آباد الدكن ، دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٧ هـ .

٢٦ ـ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن . **تاريخ الخلفاء** ... تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الرابعة . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٦٩ م .

٢٧ ـ الصابي ، أبو الحسين هلال بن المحسن . **تاريخ ابن الحسين هلال بن المحسن الصابي الكاتب** . تحقيق امدروز ومرجليوث . القاهرة ، شركة التمدن الصناعية ، ١٩١٦ م .

٢٨ ـ الصابي ، أبو الحسين هلال بن المحسن . **رسوم دار الخلافة** . تحقيق ميخائيل عواد . بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ م .

٢٩ ـ الطبري ، أبو جعفر بن جرير . **تاريخ الأمم والملوك** . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٣٩ م .

٣٠ ـ عريب بن سعيد القرطبي . **صلة تاريخ الطبري** . القاهرة ، المطبعة الحسينية .

٣١ ـ علي بن ظافر ، جمـــال الدين . أخبار الدول المنقطعة . تحقيق اندريه فريه . القاهرة ، المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٧٢ م .
٣٢ ـ القلقشندي ، أبو العباس أحمد . صبح الأعشى في صناعـــة الانشا . القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩١٣ م .
٣٣ ـ محمد بن تقي الدين الأيوبي . مضمار الحقائق وسر الخلائق . تحقيق حسن حبشي . القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٦٨ م .
٣٤ ـ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الثالثة . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٥٨ م . ٤ ج .
٣٥ ـ المقريزي ، تقي الدين أحمـــد بن علي . اتعاظ الحنفـا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا . تحقيق جمال الدين الشيال . القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٩٦٧ م .
٣٦ ـ المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي . الخطط المقريزية . الشياح ، لبنان ، مكتبة إحياء العلوم .
٣٧ ـ المقريزي ، تقي الدين أحمد علي . كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك . تحقيق محمد مصطفى زيادة . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٤ م .
٣٨ ـ الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله . جامع التواريخ ... تعريب محمد صادق نشأت ومحمد موسى الهنداوي ، وفؤاد عبـــد المعطي الصياد . القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٦٠م .
٣٩ ـ ياقوت الحموي ، أبو عبد الله . معجم الأدباء . تحقيق أحمد فريد الرفاعي . القاهرة ، دار المأمون ، ١٩٣٨ م . ٢٠ ج .

ـ فهرس الأعلام ـ

ـ ا ـ

— ت —

— ج —

— ح —

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

قائمة المحتويات

صفحة

